موسوعة المسائل العقدية

تأليف

محمد بن نصر أبي جبل

دار اللؤلؤة

الجزء الثالث العاشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(باب متفرقات)

سئلت اللجنة الدائمة عن حكم قراءة الفاتحة أو شيء من القرآن عند زيارة القبر وهل هذه القراءة تنفع الميت فأجابت اللجنة بقولها (ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يزور القبور ويدعو للأموات بأدعية علمها أصحابه وتعلموها منه، من ذلك:- السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية ولم يثبت عنه ﷺ أنه قرأ سورة من القرآن أو آيةٍ منه للأموات مع كثرة زيارته لقبورهم ولو كان ذلك مشروعًا لفعله وبينه لأصحابه رغبةً في الثواب ورحمة بالأمة وأداءً لواجب البلاغ فإنه كما وصفه تعالى بقوله {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} فلما لم يفعل ذلك مع وجود أسبابه دل على أنه غير مشروع، وقد عرف ذلك أصحابه رضي الله عنهم فاقتفوا أثره، واكتفوا بالعبرة والدعاء للأموات عند زيارتهم ولم يثبت عنهم أنهم قرؤوا قرآنًا للأموات فكانت القراءة لهم بدعة محدثة وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)"متفق عليه" وبالله التوفيق).اهـ.

وطرح عليهم سؤال مشابه لذلك فقال السائل:- نشاهد في كثير من بلاد المسلمين استئجار قارئ يقرأ القرآن فهل يجوز للقارئ أن يأخذ أجرًا على قراءته وهل يأثم من يوقع له الأجر على ذلك؟ فأجابت اللجنة الدائمة بقولها (قراءة القرآن عبادة محضة وقربة يتقرب بها العبد إلى ربه والأصل فيها وفي أمثالها من العبادات المحضة أن يفعلها المسلم ابتغاء مرضاة الله، وطلبًا للمثوبة عنده، لا يبتغي بها من المخلوق جزاءً ولا شكورًا، ولهذا لم يعرف عن السلف الصالح استئجار قومٍ يقرءون القرآن للأموات أو في ولائم أو حفلات ولم يؤثر عن أحدٍ من أئمة الدين أنه

أمر بذلك أو رخص فيه ولم يعرف أيضًا عن أحدٍ منهم أنه أخذ الأجرة على تلاوة القرآن، بل كانوا يتلونه رغبة فيما عند الله سبحانه، وقد أمر النبي ﷺ من قرأ القرآن أن يسأل ربه به، وحذر من سؤال الناس روى الترمذي في سننه عن عمران بن حصين أنه مر على قارئٍ يقرأ ثم يسأل، فسترجع ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس).اهـ.

وسئلت اللجنة أيضًا عن حكم الدعاء الجماعي للميت بعد الصلاة أو قبلها؟ فأجابت بقولها (الدعاء عبادة من العبادات والعبادات مبنية على التوقيف فلا يجوز لأحدٍ أن يتعبد بما لم يشرعه الله، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه دعا بصحابته على جنازة ما، بعد الفراغ من الصلاة عليها والثابت عنه ﷺ أنه كان يقف على القبر بعد أن يسوى على صاحبه ويقول (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) وبما تقدم يتبين أن الصواب هو القول بعدم جواز الدعاء بصفةٍ جماعية بعد الفراغ من الصلاة على الميت وأن ذلك بدعة).اهـ.

وسئلت اللجنة الدائمة أيضًا عن حكم تشييع الجنائز إلى المقبرة بالصوت العالي بالتكبير والتهليل ونحوه؟ فأجابوا بقولهم (لا يجوز، بل هو بدعة لعدم ورود ما يدل عليه من الكتاب والسنة ولقوله ﷺ (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد) "أخرجه مسلم في صحيحه").اهـ.

وسئلت اللجنة أيضًا سؤالًا هذا نصه:- يقوم النساء في المواسم والأعياد بزيارة القبور ومعلوم أن زيارة النساء للمقابر ممنوعة لقلة صبرهن وجزعهن وتبرجهن فيقومون بتأجير شيخ معلوم يذهب كل موسمٍ أو عيد للاسترزاق من ذلك فيقرأ على كل قبر من قصار السور ويأخذ على ذلك الفواكه والأرغفة والأموال فهل ذلك يصل إلى الميت وما حكم هذه الأشياء التي يأخذها هذا المقرئ؟ فأجابت اللجنة الدائمة

بقولها (الأعياد الإسلامية هي عيد الفطر وعيد الأضحى وأيام التشريق ويوم الجمعة، هذه أعياد المسلمين، وما عداها فلا يسمى عيدًا شرعًا وتخصيص زيارة القبور بالأعياد بدعة سواءً كان ذلك من الرجال أم من النساء وزيارة النساء للقبور محرمة مطلقًا في الأعياد وغيرها وتوزيع الأطعمة والفواكه عند القبور بدعة ولا يجوز للقراء أن يقرؤوا القرآن على القبور ولا أن يأخذوا أجرة على قراءتهم ولا تنفع الميت لأن ذلك كله بدعة منكرة لا تجوز).اهـ.

وسئلوا أيضًا عن حكم القيام والجلوس عند القبر من أجل الدعاء للميت فأجابوا بقولهم (الزيارة الشرعية للقبور أن يقصد إليها للعظة والاعتبار وتذكر الموت لا للتبرك بمن قبر فيها من الصالحين فإذا جاءها سلم على من فيها فقال (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية) وإن شاء دعا للأموات بغير ذلك من الأدعية المأثورة، ولا يدعو الأموات ولا يستغيث بهم في كشف ضر أو جلب نفع فإن الدعاء عبادة فيجب التوجه به إلى الله وحده ولا بأس أن يقف عند القبر أو يجلس من أجل الدعاء للميت لا للتبرك).اهـ.

وسئلوا عن حكم الأذان والإقامة عند القبر بعد دفن الميت، فأجابوا بقولهم (لا يجوز الأذان ولا الإقامة عند القبر بعد دفن الميت ولا في القبر قبل دفنه لأن ذلك بدعة محدثة وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)"متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ").اهـ.

ولما سئلوا عن حكم بناء خيمة حول القبر قريبًا منه ويقرأ فيها بعض القراء آيات من القرآن ويجعل ثوابها للميت فأجابوا (بأن ذلك لا يجوز وأن ذلك لا ينفعه لأن ذلك بدعة وكل إحداث في الدين فإنه رد).اهـ.

وسئلوا عن حكم البناء على القبور وتزيينها بالرخام وغير ذلك من كتابة آية أو آياتٍ على القبر؟ فأجابوا بقولهم (يحرم بناء المساجد على القبور ورفع القباب عليها لما روته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ أنه قال (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)"متفق عليه" وما في صحيح مسلم عن جندب ابن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) ولما في ذلك من الغلو فيها ولمن بها، ولا يجوز رفعها إلا بقدر ما يعرف أن هنا قبرًا حتى يحافظ عليه من المشي فوقه أو قضاء الحاجة عليه فقد ثبت عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال لأبي الهياج الأسدي (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته)"رواه مسلم" وكذلك يحرم تزيينها بالرخام ونحوه لما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ (نهى أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه) ولما في ذلك من الغلو في تعظيم من دفن به، وذلك ذريعة إلى الشرك، وتحرم كتابة آية أو آياتٍ من القرآن أو جملة منه على جدران القبور لما في ذلك من امتهان القرآن وانتهاك حرمته واستعماله في غير ما أنزل من أجله من التعبد بتلاوته وتدبره واستنباط الأحكام منه والتحاكم إليه كما تحرم الكتابة على القبور مطلقًا ولو غير القرآن لعموم نهي النبي ﷺ عن الكتابة عليها رواه الترمذي وغيره بإسناد صحيح).اهـ.

وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى عن حكم التقرب بذبح الذبائح عند أضرحة الأولياء والصالحين؟ فأجاب بقوله (من المعلوم بالأدلة من الكتاب والسنة أن التقرب بالذبح لغير الله من الأولياء أو الجن أو الأصنام أو غير ذلك من المخلوقات شرك بالله ومن أعمال الجاهلية والمشركين قال الله ﷻ {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} والنسك هو الذبح بين سبحانه في هذه الآية أن الذبح لغير الله شرك بالله تعالى كالصلاة لغير الله، وقال تعالى {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} أمر الله سبحانه نبيه ﷺ في هذه السورة الكريمة أن يصلي لربه وينحر له خلافًا لأهل الشرك الذين يسجدون لغير الله ويذبحون لغيره وقال تعالى {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ} وقال سبحانه وتعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء} والآيات في هذا المعنى كثيرة والذبح من العبادة فيجب إخلاصه لله وحده وفي صحيح مسلم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لعن الله من ذبح لغير الله)).اهـ.

وسئل سماحته أيضًا عن حديث (إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأصحاب القبور) وأن بعض الناس يستدل به على جواز دعاء الأموات؟ فأجاب بما نصه (هذا الحديث من الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ كما نبه على ذلك غير واحدٍ من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه، حيث قال رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى:- هذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء بذلك ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة.اهـ. كلام شيخ الإسلام، وهذا المكذوب على رسول الله ﷺ مضاد لما جاء به الكتاب والسنة من وجوب إخلاص العبادة لله وحده وتحريم الإشراك به ولا ريب أن دعاء الأموات والاستغاثة بهم والفزع إليهم في النائبات والكروب من أعظم الشرك بالله عز وجل كما أن دعاءهم في الرخاء شرك بالله سبحانه، وقد كان المشركون الأولون إذا اشتدت بهم الكروب أخلصوا لله العبادة وإذا زالت الشدة أشركوا بالله كما قال الله عز وجل {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ

يُشْرِكُونَ} والآيات في هذا المعنى كثيرة، أما المشركون المتأخرون فشركهم دائم في الرخاء والشدة بل يزداد شركهم في الشدة والعياذ بالله وذلك يبين أن كفرهم أعظم وأشد من كفر الأولين من هذه الناحية وقد قال الله ﷻ {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء} وقال سبحانه {فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} وقال ﷻ {فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۞ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} وقال سبحانه {ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} وهذه الآية تعم جميع من يعبد من دون الله تعالى من الأنبياء والصالحين وغيرهم، وقد أوضح سبحانه أن دعاء المشركين لهم شرك به سبحانه كما يبين أن ذلك كفر به سبحانه في قوله تعالى {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} والآيات الدالة على وجوب إخلاص العبادة لله وحده وتوجيه الدعاء إليه دون كل ما سواه وعلى تحريم عبادة غيره سبحانه من الأموات والأصنام والأشجار والأحجار ونحو ذلك كثيرة جدًا، يعلمها من تدبر كتاب الله وقصد الاهتداء به والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله).اهـ.

وسئل سماحته عن حكم التبرك بالأموات وقبورهم؟ فأجاب سماحته بقوله (هذا العمل لا يجوز بل هو منكر لأنه لا يجوز لأحدٍ أن يتبرك بالأموات أو قبورهم ولا أن يدعوهم من دون الله تعالى أو يسألهم قضاء حاجة أو شفاء مريض أو نحو ذلك لأن العبادة حق الله وحده ومنه تطلب البركة وهو سبحانه هو الموصوف بالتبارك كما قال ﷻ {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} وقال سبحانه {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} ومعنى ذلك أنه سبحانه بلغ النهاية في

العظمة والبركة، أما العبد فهو مبارَك - بفتح الراء - إذا هداه الله تعالى وأصلحه ونفع به العباد كما قال الله ﷻ عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ} والله ولي التوفيق).اهـ.

وسئلت اللجنة الدائمة عن حكم طلب المدد من رجل ميت؟ وعن طلبه من رجل حي؟فأجابت بقولها (أولًا:- طلب المدد من شخص ميت بأن يقول:- مدد يا فلان

فإنه يجب نصحه وتنبيهه بأن هذا أمر محرم بل هو شرك فإن أصر على ذلك فهو مشرك كافر لأنه طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فقد صرف حق الله إلى المخلوق، قال تعالى {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} ثانيًا:- طلب المدد من الحي الذي ليس بحاضرٍ لا يجوز لأنه دعا غير الله وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وهو شرك أيضًا قال تعالى {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ودعاء الحي الغائب نوع من العبادة فمن فعل ذلك نصح، فإن لم يقبل فهو مشرك شركًا يخرج من الملة).اهـ.

وسئلت اللجنة أيضًا عن حكم الاستغاثة بالأولياء عند نزول الحوادث؟ فأجابت اللجنة بقولها (من استغاث بالأولياء بعد موتهم أو في حال غيبتهم عنه فهو مشرك شركًا أكبر لقوله تعالى {وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}).اهـ.

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى عن حكم الدفن في المسجد؟ فقال (الدفن في المساجد نهى عنه النبي ﷺ ونهى عن اتخاذ المساجد على القبور ولعن من

اتخذ ذلك وهو في سياق الموت يحذر أمته ويذكر النبي ﷺ أن ذلك من فعل اليهود والنصارى ولأنه وسيلة إلى الشرك بالله ﷻ لأن إقامة المساجد على القبور ودفن الموتى فيها وسيلة إلى الشرك بالله ﷻ في أصحاب هذه القبور، فيعتقد الناس أن أصحاب هذه القبور المدفونين في المساجد ينفعون أو يضرون أو أن لهم خاصية تستوجب أن يتقرب إليهم بالطاعات من دون الله سبحانه وتعالى، فيجب على المسلمين أن يحذروا من هذه الظاهرة الخطيرة وأن تكون المساجد خالية من القبور وتكون مؤسسة على التوحيد والعقيدة الصحيحة قال الله تعالى {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا} فيجب أن تكون المساجد لله سبحانه وتعالى وخالية من مظاهر الشرك، تؤدى فيها عبادة الله وحده ولا شريك له، هذا هو واجب المسلمين والله الموفق).اهـ.

وسئل أيضًا عن حكم البناء على القبور فأجاب فضيلته رحمه الله تعالى بقوله (البناء على القبور محرم وقد نهى عنه النبي ﷺ لما فيه من تعظيم أهل القبور وكونه وسيلة وذريعة إلى أن تعبد هذه القبور وتتخذ آلهة مع الله تعالى كما هو الشأن في كثير من الأبنية التي بنيت على القبور فأصبح الناس يشركون بأصحاب هذه القبور ويدعونها مع الله تعالى ودعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم لكشف الكربات شرك أكبر وردة عن الإسلام، والله المستعان).اهـ.

وسئل أيضًا عن رجل أوصى بأن يدفن في المسجد؟ فأجاب (هذه الوصية - أعني الوصية أن يدفن في المسجد - غير صحيحة لأن المساجد ليست مقابر ولا يجوز الدفن في المسجد، وتنفيذ هذه الوصية محرم والواجب الآن نبش هذا القبر وإخراجه إلى مقابر المسلمين).اهـ.

وسئل أيضًا عن حكم النذر والتبرك بالقبور والأضرحة؟ فأجاب فضيلته بما نصه

(النذر عبادة لا يجوز إلا لله ﷻ وكل من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله تعالى فإنه مشرك كافر، قد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، قال الله تعالى {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} وأما التبرك بها فإن كان يعتقد أنها تنفع من دون الله ﷻ فهذا شرك في الربوبية مخرج عن الملة، وإن كان يعتقد أنها سبب وليست تنفع من دون الله تعالى فهو ضال غير مصيب، وما اعتقده فإنه من الشرك الأصغر، فعلى من ابتلي بمثل هذه المسائل أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى وأن يقلع عن ذلك قبل أن يفاجئه الموت فينتقل من الدنيا على أسوأ حال وليعلم أن الذي يملك الضر والنفع هو الله سبحانه وتعالى وأنه هو ملجأ كل أحدٍ كما قال الله تعالى {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} وبدلًا من أن يتعب نفسه في الالتجاء إلى قبر فلان وفلان ممن يعتقدونهم أولياء ليلتفت إلى ربه ﷻ وليسأله جلب النفع ودفع الضر فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي يملك ذلك).اهـ.

وسئل فضيلته عن حكم الطواف حول القبور ودعاء أصحابها فأجاب بما نصه (هذا السؤال سؤال عظيم وجوابه يحتاج إلى بسط بعون الله ﷻ فنقول:- إن أصحاب القبور ينقسمون إلى قسمين:-

القسم الأول:- قسم توفى على الإسلام ويثني الناس عليه خيرًا فهذا يرجى له الخير ولكنه مفتقر إلى إخوانه المسلمين يدعون الله له بالمغفرة والرحمة وهو داخل في عموم قوله تعالى {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} وهو بنفسه أحدًا إذ أنه ميت جثة لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الضر ولا عن غيره ولا أن يجلب لنفسه النفع ولا لغيره فهو محتاج إلى نفع إخوانه غير نافع لهم.

القسم الثاني:- من أصحاب القبور:- من أفعاله تؤدي إلى فسقه الفسق المخرج من الملة كأولئك الذين يدعون أنهم أولياء ويعلمون الغيب ويشفون من المرض ويجلبون الخير والنفع بأسباب غير معلومة حسًا ولا شرعًا فهؤلاء الذين ماتوا على الكفر لا يجوز الدعاء لهم ولا الترحم عليهم لقول الله تعالى {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} وهم لا ينفعون أحدًا ولا يضرونه ولا يجوز لأحد أن يتعلق بهم وإن قدر أن أحدًا رأى كرامات لهم مثل يتراءى له أن في قبورهم نورًا أو أنه يخرج منها رائحة طيبة أو ما أشبه ذلك وهم معرفون بأنهم ماتوا على الكفر فإن هذا من خداع إبليس وغروره ليفتن هؤلاء بأصحاب هذه القبور وإنني أحذر إخواني المسلمين من أن يتعلقوا بأحد سوى الله ﷻ فإنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ولا يجيب دعوة المضطر إلا الله ولا يكشف السوء إلا الله قال تعالى {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} ونصيحتي لهم أيضًا أن لا يقلدوا في دينهم أحدًا إلا رسول الله ﷺ لقوله تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا} وقوله تعالى {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ} ويجب على جميع المسلمين أن يزنوا أعمال من يدعي الولاية بما جاء في الكتاب والسنة فإن وافق الكتاب والسنة فإنه يرجى أن يكون من أولياء الله وإن خالف الكتاب والسنة فليس من أولياء الله وقد ذكر الله في كتابه ميزان قسطًا عدلًا في معرفة أولياء الله حيث قال {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} فمن كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا ومن لم يكن كذلك فليس بولي لله وإن كان معه بعض

الإيمان والتقوى كان فيه شيء من الولاية ومع ذلك فإننا لا نجزم لشخص بعينه بشيء ولكننا نقول على سبيل العموم كل من كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا، وليعلم أن الله ﷻ قد يفتن الإنسان بشيء من مثل هذه الأمور فقد يتعلق الإنسان بالقبر فيدعو صاحبه أو يأخذ من ترابه يتبرك به فيحصل مطلوبه ويكون ذلك فتنة من الله ﷻ لهذا الرجل لأننا نعلم أن هذا القبر لا يجيب الدعاء وأن هذا التراب لا يكون سببًا لزوال ضرر أو جلب نفع نعلم ذلك لقول الله تعالى {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} وقال تعالى {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} والآيات في هذا المعنى كثيرة تدل على كل من دعي من دون الله فلن يستجيب الدعاء ولن ينفع الداعي ولكن قد يحصل المطلوب المدعو به عند دعاء غير الله فتنة وامتحان، ونقول:- إنه حصل هذا الشيء عند الدعاء - أي عند دعاء هذا الذي دعي من دون الله - لا بدعائه وفرق بين حصول الشيء بالشيء وبين حصول الشيء عند الشيء فإننا نعلم علم اليقين أن دعاء غير الله ليس سببًا لجلب النفع أو دفع الضر بالآيات الكثيرة التي ذكرها الله في كتابه ولكن قد يحصل الشيء عند هذا الدعاء فتنة وامتحانًا والله تعالى قد يبتلي الإنسان بأسباب المعصية ليعلم سبحانه من كان عبدًا لله ومن كان عبدًا لهواه ألا ترى إلى أصحاب السبت من اليهود حيث حرم الله عليهم أن يصطادوا الحيتان في يوم السبت فابتلاهم الله فكانت الحيتان تأتي يوم السبت بكثرة عظيمة وفي غير يوم السبت تختفي فطال عليهم الأمد وقالوا كيف نحرم أنفسنا هذه الحيتان ثم فكروا وقدروا وانتظروا فقالوا نجعل شبكة ونضعها يوم الجمعة ونأخذ الحيتان منها يوم الأحد فأقدموا على هذا الفعل الذي هو حيلة على محارم الله فقلبهم

الله قردة خاسئين قال تعالى {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} وقال تعالى {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} فانظر كيف يسر الله لهم هذه الحيتان في اليوم الذي منعوا من صيدها فيه ولكنهم لم يصبروا فقاموا بهذه الحيلة على محارم الله، ثم انظر إلى ما حصل لأصحاب النبي حيث ابتلاهم الله وهو محرمون بالصيود المحرمة على المحرم فكانت في متناول أيديهم ولكنهم ﭫ لم يجرؤوا على شيء منها قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} كانت الصيود في متناول أيديهم يمسكون الصيد العادي باليد وينالون الصيد الطائر بالرماح فيسهل عليهم جدًا ولكنهم خافوا الله فلم يقدموا على أخذ شيء من الصيود وهكذا يجب على المرء إذا هيئت له أسباب الفعل المحرم أن يتقي الله وأن لا يقدم على فعل هذا المحرم وأن يعلم أن تيسير أسبابه من باب الابتلاء والامتحان فليحجم وليصبر فإن العاقبة للمتقين).اهـ.

وسئل الشيخ عبدالله بن الشيخ النجدي عن بناء القباب على القبور فأجاب (أما بناء القباب على القبور فهو من علامات الكفر وشعائره لأن الله أرسل محمدًا ﷺ بهدم الأوثان ولو كانت على قبر رجلٍ صالح لأن اللات رجل صالح فلما مات عكفوا على قبره وبنوا عليه بنية وعظموها فلما أسلم أهل الطائف وطلبوا منه أن يترك هدم اللات شهرًا لئلا يروعوا نساءهم وصبيانهم حتى يدخلوهم فأبى ذلك عليهم وأرسل معهم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب وأمرهما بهدمها، قال العلماء:-

وفي هذا أوضح دلالة على أنه لا يجوز إبقاء شيء من هذه القباب التي بنيت على القبور واتخذت أوثانًا ولا يومًا واحدًا فإنها شعائر الكفر وقد ثبت أن النبي ﷺ نهى عن البناء على القبر وتجصيصه وتخليقه والكتابة عليه).اهـ.

وسئل الشيخ عبدالعزيز رحمه الله تعالى سؤالًا هذا نصه:- هل الذبح لغير الله لا يجوز؟ لأن عندنا ناسًا يذبحون لرجل اسمه (مجلى) وعندما نقول من هو (مجلى) يقولون:- إنه نبي من أنبياء الله، أفيدونا في ذلك بارك الله فيكم؟ فأجاب يرحمه الله تعالى بقوله (الذبح لغير الله منكر عظيم وشرك أكبر سواء كان ذلك لنبي أو ولي أو كوكب أو جني أو صنم أو غير ذلك لأن الله سبحانه يقول {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} فأخبر سبحانه أن الذبح لله كما أن الصلاة لله، فلو ذبح لغير الله فهو كمن صلى لغير الله، يكون شركًا بالله ﷻ وهكذا يقول الله سبحانه لنبيه ﷺ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} فالصلاة والنحر عبادتان عظيمتان فمن صرف الذبح لأصحاب القبور أو للأنبياء أو للكواكب أو للأصنام أو للجن أو للملائكة فقد أشرك بالله تعالى كما لو صلى لهم أو استغاث بهم أو نذر لهم، كل هذا شرك بالله ﷻ والله سبحانه يقول {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ويقول الله ﷻ {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ويقول سبحانه {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} فالعبادة حق الله، والذبح من العبادة وهكذا الاستغاثة من العبادة وهكذا الصلاة من العبادة وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال (لعن الله من ذبح لغير الله)"رواه مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه " فعليكم أن تنكروا على هؤلاء وأن تعلموهم بأن هذا شرك أكبر، وأن الواجب عليهم ترك ذلك فليس لهم أن يذبحوا لغير الله كما أنهم ليس لهم أن يصلوا لغير الله وهذا من باب التعاون على البر والتقوى ومن باب إنكار المنكر ومن باب الدعوة إلى

الله تعالى وإخلاص العبادة له، ومن التوحيد الذي يجب أن يكون لله وحده سبحانه وتعالى وهذا هو واجب أهل العلم وواجب طلبة العلم وواجب أئمة المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى وأن ينكروا الشرك على من فعله حتى يظهر التوحيد وحتى يقضى على أسباب الشرك).اهـ.

وسئل أبو العباس رحمه الله تعالى عن حكم رفع الصوت في الجنازة؟ فأجاب قدس الله روحه بما نصه (الحمد لله، لا يستحب رفع الصوت مع الجنازة لا بقراءة ولا ذكر ولا غير ذلك، هذا مذهب الأئمة الأربعة وهو المأثور عن السلف من الصحابة والتابعين ولا أعلم فيه مخالفًا، بل قد روي عن النبي ﷺ (أنه نهى أن يتبع بصوت أو نار)"رواه أبو داود" وسمع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما رجلًا يقول في جنازة:- استغفروا لأخيكم فقال ابن عمر:- لا غفر الله بعد، وقال قيس بن عباد وهو من أكابر التابعين من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه:- كانوا يستحبون خفض الصوت عند الجنائز وعند الذكر وعند القتال، وقد اتفق أهل العلم بالحديث والآثار أن هذا لم يكن على عهد القرون الثلاثة المفضلة، وأما قول السائل:- إن هذا صار إجماعًا من الناس، فليس كذلك، بل ما زال في المسلمين من يكره ذلك وما زالت جنائز كثيرة تخرج بغير هذا في عدة أمصار من أمصار المسلمين، وأما كون أهل بلدٍ أو بلدين أو عشر تعودوا ذلك فليس هذا بإجماع، بل أهل مدينة النبي ﷺ التي نزل فيها القرآن والسنة وهي دار الهجرة والنصرة والإيمان والعلم، لم يكونوا يفعلوا ذلك، بل لو اتفقوا في مثل زمن مالك وشيوخه على شيء ولم ينقلوه عن النبي ﷺ أو خلفائه لم يكن إجماعهم حجة عند جمهور المسلمين وبعد زمن مالك وأصحابه ليس إجماعهم حجة باتفاق المسلمين فكيف بغيرهم من أهل الأمصار، وأما قول القائل:- إن هذا - أي خفض الصوت - يشبه بجنائز اليهود والنصارى، فليس

كذلك، بل أهل الكتاب عادتهم رفع الأصوات مع الجنائز وقد شرط عليهم في شروط أهل الذمة ألا يفعلوا ذلك ثم إنما نهينا عن التشبه بهم في ما ليس هو من طريق سلفنا الأول وأما إذا اتبعنا طريق سلفنا الأول كنا مصيبين وإن شاركنا في بعض ذلك من شاركنا كما أنهم يشاركوننا في الدفن في الأرض وفي غير ذلك).اهـ.

وسئل رحمه الله تعالى عن وضع المصاحف عند القبور للقراءة فيها؟ فأجاب رحمه الله تعالى بما نصه (وأما جعل المصاحف عند القبور لمن يقصد قراءة القرآن هناك وتلاوته فبدعة منكرة، لم يفعلها أحد من السلف بل هي تدخل في معنى اتخاذ المساجد على القبور وقد استفاضت السنن عن النبي ﷺ في النهي عن ذلك حتى قال (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا، قالت عائشة:- ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدًا، وقال (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) ولا نزاع بين السلف والأئمة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ومعلوم أن المساجد بنيت للصلاة والذكر وقراءة القرآن فإذا اتخذ القبر لبعض ذلك كان داخلًا في النهي فإذا كان هذا مع كونهم يقرؤون فيها فكيف إذا جعلت المصاحف بحيث لا يقرأ فيها ولا ينتفع بها لا حي ولا ميت؟ فإن هذا لا نزاع في النهي عنه ولو كان الميت ينتفع بمثل ذلك لفعله السلف فإنهم كانوا أعلم بما يحبه الله ويرضاه وأسرع إلى ذلك وتحريه).اهـ.

وسئل الشيخ صالح حفظه الله تعالى عن بيان بعض البدع التي تقع عند قبر رسول الله ﷺ.

فأجاب (من البدع التي تقع عند قبر رسول الله ﷺ كثرة التردد عليه كلما دخل المسجد ذهب يسلم عليه وكذلك الجلوس عنده فقد قال ﷺ (لا تتخذوا قبري عيدًا)

وإنما يستحب زيارته للقادم من سفر، ومن البدع كذلك الدعاء عند قبر الرسول ﷺ أو غيره من القبور مظنة أن الدعاء عنده يستجاب وإنما المشروع السلام عليه ﷺ وإذا أراد الدعاء فإنه يكون في أي مكانٍ من المسجد وإن كان بعد صلاةٍ فهو أفضل، ومن المنكرات التي تفعل عند قبر النبي ﷺ رفع الصوت وطلب الحوائج منه وهذا شرك أكبر فالواجب الحذر من ذلك).اهـ.

وسئل الشيخ محمد رحمه الله تعالى عن حكم الاجتماع عند القبر وقراءة القرآن؟ وهل ذلك ينفع الميت؟ فأجاب (هذا العمل من الأمور المنكرة التي لم تكن معروفة في عهد السلف الصالح وهو الاجتماع عند القبر والقراءة، وأما كون الميت ينتفع بها فنقول:- إن كان المقصود انتفاعه بالاستماع فهذا منتفٍ لأنه قد مات وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال (إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولدٍ صالح يدعو له) فهو وإن كان يسمع إذا قلنا إنه يسمع في هذه الحال فإنه لا ينتفع، لأنه لو انتفع لزم منه أن لا ينقطع عمله، والحديث صريح في حصر انتفاع الميت بعمله بالثلاث التي ذكرت في الحديث، وأما إن كان المقصود انتفاع الميت بالثواب الحاصل للقارئ بمعنى أن القارئ ينوي بثوابه أن يكون لهذا الميت، فإذا تقرر أن هذا من البدع فالبدع لا أجر فيها (كل بدعةٍ ضلالة) كما قال النبي ﷺ، ولا يمكن أن تنقلب الضلالة هداية، ثم إن هذه القراءة في الغالب تكون بأجرة والأجرة على الأعمال المقربة إلى الله تعالى باطلة، والمستأجر للعمل الصالح إذا نوى بعمله الصالح أجرًا في الدنيا فإن عمله هذا لا ينفعه ولا يقربه إلى الله تعالى ولا يثاب عليه، لقوله تعالى {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} فهذا القارئ الذي نوى بقراءته أن يحصل على أجر

دنيوي نقول له:- هذه القراءة غير مقبولة، بل هي حابطة ليس فيها أجر ولا ثواب، وحينئذٍ لا ينتفع الميت بما أهدي إليه من ثوابها لأنه لا ثواب فيها إذًا فالعملية إضاعة مال، وإتلاف وقت وخروج عن سبيل السلف الصالح رضي الله عنهم لاسيما إذا كان هذا المال من تركة الميت وفيها حق صغار وقُصَّرْ وسفهاء، فيؤخذ من أموالهم ما ليس بحق فيزداد الإثم إثمًا والله المستعان).اهـ.

وسئل أيضًا رحمه الله تعالى عن حكم الاجتماع للعزاء فأجاب (الاجتماع في بيت الميت ليس له أصل من عمل السلف الصالح وليس بمشروع ولاسيما إذا اقترن بذلك إشعال الأضواء وصف الكراسي وإظهار البيت وكأنه في ليلة زفاف عرس، فإن هذا من البدع التي قال عنها النبي ﷺ (كل بدعة ضلالة)).اهـ.

وسئل الشيخ عبدالعزيز رحمه الله تعالى عن حكم أخذ حفنةٍ من تراب قبر الميت وحثوها على الكفن بعد قراءة القرآن عليه؟ فأجاب (هذا شيء لا أصل له بل هو بدعة منكرة لا يجوز فعلها ولا فائدة منها، لأن النبي ﷺ لم يشرع ذلك لأمته وإنما المشروع أن يغسل المسلم إذا مات ويكفن ويصلى عليه، ثم يدفن في مقابر المسلمين ويشرع لمن حضر الدفن أن يدعو له بعد الفراغ من الدفن بالمغفرة والثبات على الحق كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك ويأمر به وبالله التوفيق).اهـ.

وسئل ابن عثيمين رحمه الله تعالى عن حكم الأذان في أذن الميت؟ فأجاب (الأذان في أذن الميت بدعة، وتلقينه عند الموت لا إله إلا الله قد أمر به النبي ﷺ، أما يلقينه إجابة الملكين بعد دفنه فهذا ورد فيه حديث لكنه ضعيف فلا يعتمد عليه).اهـ.

وسئل الشيخ عبدالعزيز رحمه الله تعالى عن حكم الأذان والإقامة في قبر الميت؟ فأجاب (لا ريب أن ذلك بدعة ما أنزل الله بها من سلطان لأن ذلك لم ينقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم والخير كله في اتباعهم وسلوك سبيلهم كما قال الله

تعالى {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ} وقال النبي ﷺ (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)"متفق على صحته" وفي لفظٍ آخر قال ﷺ (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد) وكان ﷺ يقول في خطبته للجمعة (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)"خرجه مسلم في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ").اهـ.

وسئلت اللجنة الدائمة عن حكم استئجار قارئ يقرأ القرآن على نية الميت تنفيذًا لوصية الميت فأجابوا بقولهم (استئجار من يقرأ قرآنًا على نية الميت تنفيذًا لوصيته التي أوصى بها من الأمور المبتدعة فلا يجوز ذلك ولا يصح لقوله ﷺ (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد) وقوله ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) والمال الذي وصى به هذا الميت ليدفع أجرة القارئ على نيته تصرف غلته في وجوه الخير فإن كان له ذرية فقراء تصدق عليهم منه بقدر ما يدفع حاجتهم وهكذا من يحتاج إلى المساعدة من متعلمي القرآن وطلبة العلم الشرعي فإنهم جديرون بالمساعدة من هذا المال وهكذا بقية وجوه الخير وبالله التوفيق).اهـ.

وسئل الشيخ عبدالعزيز رحمه الله تعالى عن حكم إقامة الحفلات للميت؟ فأجاب (لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولا عن السلف الصالح إقامة حفل للميت مطلقًا لا عند وفاته ولا بعد أسبوع أو أربعين يومًا أو سنة بعد وفاته، بل ذلك بدعة وعادة قبيحة كانت عند قدماء المصريين وغيرهم من الكافرين، فيجب النصح للمسلمين الذين يقيمون هذه الحفلات وإنكارها عليهم عسى أن يتوبوا إلى الله ويجتنبوها لما فيها من الابتداع في الدين ومشابهة الكافرين وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي

تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقومٍ فهو منهم "رواه أحمد في مسنده عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا" وروى الحاكم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال (لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وأصله في الصحيحين من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

وسئل سماحته أيضًا سؤالًا هذا نصه:- يوجد عندنا في بلدتنا رجل صالح متوفى قد بني له مقام على قبره وله عادة عندنا في كل عام نذهب مع الناس إليه رجالًا ونساءً ويقيمون عنده ثلاثة أيام بالمدح والتهاليل والأذكار ويستمر بالأوصاف المعروفة فنرجوا التوجيه والإرشاد؟ فأجاب رحمه الله تعالى بجواب طويل أنقله بنصه فقال رحمه الله تعالى (هذا العمل لا يجوز وهو من البدع التي أحدثها الناس، فلا يجوز أن يقام على قبر أحدٍ بناء، سوى سمي مقامًا أو قبةً أو مسجدًا أو غير ذلك، وكانت القبور على عهد الرسول ﷺ وعصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في البقيع وغيره مكشوفة ليس عليها بناء، والنبي ﷺ نهى أن يبنى على القبر أو يجصص وقال (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)"متفق على صحته" وقال جابر بن عبدالله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه) "رواه الإمام مسلم في صحيحه" فالبناء على القبور وتجصيصها ووضع الزينات عليها أو الستور كله منكر ووسيلة إلى الشرك، فلا يجوز وضع القباب أو الستور أو المساجد عليها وهكذا زيارتها على الوجه الذي ذكره السائل من الجلوس عندها والتهاليل وأكل الطعام والتمسح بالقبر والدعاء عند القبر والصلاة عنده كل هذا منكر وكله بدعة لا يجوز، وإنما المشروع زيارة القبور للذكرى والدعاء للموتى والترحم عليهم ثم ينصرف والمشروع للزائر للقبور أن يقول (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية، يرحم الله

المستقدمين منا والمستأخرين) وما أشبه ذلك من الدعوات فقط هذا هو المشروع الذي علمه النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:- مر رسول الله ﷺ على قبور المدينة فقال (السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر) وأما الإقامة عند القبر للأكل والشرب أو للتهاليل أو للصلاة أو قراءة القرآن فكل هذا منكر لا أصل له في الشرع المطهر، وأما دعاء الميت والاستغاثة به وطلب المدد منه فكل ذلك من الشرك الأكبر وهو من عمل عباد الأوثان في عهد النبي ﷺ من اللات والعزى ومناة وغيرها من أصنام الجاهلية وأوثانها فيجب الحذر من ذلك وتحذير العامة منه وتبصيرهم في دينهم حتى يسلموا من هذا الشرك الوخيم، وهذا هو واجب العلماء الذين مَنَّ الله عليهم بالفقه في الدين ومعرفة ما بعث الله به المرسلين كما قال سبحانه {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وقال سبحانه {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} وقال ﷻ {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} وقال سبحانه {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} والآيات في هذا المعنى كثيرة، ولما بعث رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له (إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) وفي رواية للبخاري رحمه الله (فادعهم إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يومٍ وليلة فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن أجابوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)"متفق على صحته" فأمره أن يبدأهم بالدعوة إلى التوحيد والسلامة من

الشرك مع الإيمان بالرسول ﷺ والشهادة له بالرسالة، فعلم بذلك أن الدعوة إلى إصلاح العقيدة وسلامتها مقدمة على بقية الأحكام لأن العقيدة هي الأساس الذي تبنى عليه الأحكام كما قال الله ﷻ {وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وقال سبحانه {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} والآيات في هذا المعنى كثيرة، فالواجب على أهل العلم في كل مكانٍ وزمان مضاعفة الجهود في ذلك حتى يبصروا العامة بحقيقة الإسلام ويبينوا لهم العقيدة الصحيحة التي بعث الله بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم إمامهم وخاتمهم وسيدهم محمد ﷺ، وفق الله علماء المسلمين وعامتهم لكل ما فيه رضاه إنه خير مسئول).اهـ.

وسئل الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى عن حكم تخصيص العيدين والجمعة لزيارة المقابر؟ فأجاب (ليس له أصل، فتخصيص زيارة المقابر في يوم العيد واعتقاد أن ذلك مشروع يعتبر من البدع لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ ولا أعلم أحدًا من أهل العلم قال به، أما يوم الجمعة فقد ذكر بعض العلماء أنه ينبغي أن تكون الزيارة في يوم الجمعة ومع ذلك فلم يذكروا في هذا أثرًا عن رسول الله ﷺ).اهـ.

وسئل أيضًا عن حكم تغطية الميت بغطاء مكتوب عليه آيات من القرآن الكريم؟ فأجاب (ليس لهذا العمل أصل في الشرع، أي ليس لكتابة الآيات القرآنية على ما يغطى به الميت فوق النعش أصل في الشرع، بل هو في الحقيقة امتهان لكلام الله ﷻ، بجعله غطاء يغطى به الميت، وهو ليس بنافع الميت بشيء وعلى هذا فالواجب تجنبه، أولًا:- لأنه ليس من عمل السلف.

وثانيًا:- لأن فيه شيئًا من امتهان القرآن الكريم.

وثالثًا:- لأن فيه اعتقادًا فاسدًا وهو أن هذا ينفع الميت وهو ليس بنافعه).اهـ.

وسئل أيضًا عن حكم التفريق في العلامة بين قبر الرجل وقبر المرأة؟ فأجاب (هذا التفريق ليس بمشروع والعلماء قالوا:- إن وضع حجرٍ أو حجرين أو لبنة أو لبنتين من أجل العلامة على أنه قبر لئلا يحفر مرة ثانية فلا بأس، وأما التفريق بين الرجل والمرأة في ذلك فلا أصل له).اهـ.

وسئلت اللجنة الدائمة عن حكم الذبح عند القبور تبركًا بأهلها والدعاء عندها وإطالة المكث عندها رجاء بركة أهلها والتوسل بجاه الأموات؟ فأجابوا بقولهم (الذبح لله عند القبور تبركًا بأهلها وتحري الدعاء عندها وإطالة المكث عندها رجاء بركة أهلها والتوسل بجاههم أو حقهم ونحو ذلك بدع محدثة بل ووسائل من وسائل الشرك الأكبر فيحرم فعلها ويجب نصح من يعمله، أما الذبيحة عند القبور تحريًا لبركات أهلها فهو منكر وبدعة لا يجوز أكلها حسمًا لمادة الشرك ووسائله وسدًا لذرائعه وإن قصد بالذبيحة التقرب إلى صاحب القبر صار شركًا بالله أكبر، ولو ذكر اسم الله عليها، لأن عمل القلوب أبلغ من عمل اللسان وهو الأساس في العبادات).اهـ.

وسئل سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى عن حكم الدين الإسلامي في زيارة القبور والتوسل بالأضرحة وأخذ خروف وأموال للتوسل بها كزيارة السيد البدوي والحسين، والسيدة زينب؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما نصه (زيارة القبور نوعان أحدهما:- مشروع ومطلوب لأجل الدعاء للأموات والترحم عليهم ولأجل تذكر الموت والإعداد للآخرة، لقول النبي ﷺ (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة) وكان يزورها ﷺ وهكذا أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا الفرع للرجال خاصة لا للنساء، أما النساء فلا يشرع لهن زيارة القبور، بل يجب نهيهن عن ذلك، لأنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ لعن زائرات القبور من النساء، ولأن زيارتهن للقبور قد يحصل بها فتنة لهن أو بهن مع قلة

الصبر وكثرة الجزع الذي يغلب عليهن وهكذا لا يشرع لهن اتباع الجنائز إلى المقبرة لما ثبت في الصحيح عن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا) فدل ذلك على أنهن ممنوعات من اتباع الجنائز إلى المقبرة لما يخشى في ذلك من الفتنة لهن أو بهن، وقلة الصبر، والأصل في النهي التحريم لقول الله سبحانه {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} أما الصلاة على الميت فمشروعة للرجال والنساء كما صحت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك، أما قول أم عطية (لم يعزم علينا) فهذا لا يدل على جواز اتباع الجنائز للنساء، لأن صدور النهي عنه ﷺ كافٍ في المنع، وأما قولها (لم يعزم علينا) فهو مبني على اجتهادها وظنها، واجتهادها لا يعارض به السنة، النوع الثاني:- بدعي وهو زيارة القبور لدعاء أهلها والاستغاثة بهم أو للذبح لهم أو للنذر لهم، وهذا منكر وشرك أكبر نسأل الله العافية، ويلتحق بذلك أن يزورها للدعاء عندها والصلاة عندها والقراءة عندها، وهذا بدعة غير مشروع ومن وسائل الشرك فصارت في الحقيقة ثلاثة أنواع:- النوع الأول:- مشروع وهو أن يزورها للدعاء لأهلها أو لتذكر الآخرة، الثاني:- أن تزار للقراءة عندها أو للصلاة عندها أو للذبح عندها فهذه بدعة ومن وسائل الشرك، الثالث:- أن يزورها للذبح للميت والتقرب إليه بذلك أو لدعاء الميت من دون الله أو لطلب المدد منه أو الغوث أو النصر فهذا شرك أكبر نسأل الله العافية، فيجب الحذر من هذه الزيارات المبتدعة، ولا فرق بين كون المدعو نبيًا أو صالحًا أو غيرهما، ويدخل في ذلك ما يفعله بعض الجهلة عند قبر النبي ﷺ من دعائه والاستغاثة به، أو عند قبر الحسين أو البدوي أو الشيخ عبدالقادر الجيلاني أو غيرهم والله المستعان).اهـ.

وسئل الشيخ صالح حفظه الله تعالى عن حكم السجود على تربة الأولياء قربة

إلى الله تعالى مع اعتقاد قدسية ذلك التراب وطهارته؟ فأجاب (السجود على التربة المسماة تربة الولي إن كان المقصود منه التبرك بهذه التربة والتقرب إلى الولي فهذا شرك أكبر وإن كان المقصود التقرب إلى الله تعالى مع اعتقاد فضيلة هذه التربة وأن في السجود عليها فضيلة كالفضيلة التي جعلها الله تعالى في الأرض المقدسة في المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى فهذا ابتداع في الدين وقول على الله تعالى بلا علم وشرع دين لم يأذن به الله ووسيلة من وسائل الشرك لأن الله لم يجعل لبقعة من البقاع خاصة على غيرها غير المشاعر المقدسة والمساجد الثلاثة وحتى هذه المشاعر وهذه المساجد لم يشرع لنا أخذ تربةٍ منها لنسجد عليها وإنما لنا حج بيته العتيق والصلاة في هذه المساجد الثلاثة وما عداها من بقاع الأرض فليس له قدسية ولا خاصية، وقد قال ﷺ (وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا) ولم يخصص بقعة دون بقعة ولا تربة دون تربة وإنما هذا من افتراء الذين لا يعلمون، ومن تضليل الدجالين والمبطلين الذين يشرعون للناس ما لم يأذن به الله وليس لهذا العمل أصل في الشرع، وهو عمل مردود على أصحابه كما قال النبي ﷺ (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)).اهـ.

وسئلت اللجنة الدائمة عن حكم السكن إلى جانب القبور عدة أيام أو أسابيع لإيناس الميت؟ فأجابوا بقولهم (ليس السكن إلى جانب القبور عدة أيام أو أسابيع من أجل الميت إيناسًا له في زعمهم، أو تعلقًا به وحبًا له مثلًا من هدي رسول الله ﷺ، ولا من هدي الخلفاء الراشدين ولا سائر الصحابة رضي الله عنهم ولا عرف عن أئمة أهل العلم والخير كل الخير في اتباعهم وترك البدع والمبيت عند القبور لما ذكر اقتداءً برسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين وسائر الصحابة ومن تبعهم بإحسان رضي الله عنهم، أما تخصيص يوم الخميس بزيارة القبور فهو ابتداع في الدين وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه

قال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أما إن كان ذلك لكون يوم الخميس أو غيره أيسر للزيارة دون اعتقاد في تخصيص ذلك اليوم للزيارة فلا حرج في ذلك لأن زيارة القبور للرجال مشروعة في جميع الأيام والليالي، وأما حكم زيارة النساء للقبور وبكائهن ولطمهن الخدود على الميت فمن كبائر الذنوب).اهـ.

وسئلت اللجنة الدائمة أيضًا عن حكم شد الرحال لزيارة قبور الأولياء والصالحين؟ فأجابوا بقولهم (لا يجوز شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء والصالحين وغيرهم، بل هو بدعة، والأصل في ذلك قوله ﷺ (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:- المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) وقال ﷺ (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد) وأما زيارتهم دون شد رحال فسنة، لقوله ﷺ (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة)"خرجه مسلم في صحيحه" وبالله التوفيق).اهـ.

وسئل الشيخ عبدالعزيز رحمه الله تعالى عن حكم الطواف على القبور؟ وعن طلب الحوائج من الموتى؟ فأجاب بقوله (طلب الحوائج من الموتى أو من الأصنام أو من الأشجار والأحجار أو من الكواكب كله شرك بالله ﷻ، وهكذا الطواف على القبور منكر، والطواف يكون بالكعبة لا يطاف بالقبور فهذا منكر عظيم، بل شرك أكبر إذا قصد التقرب به إلى صاحب القبر، فهذا شرك أكبر، وإذا ظن أنه قربة لله وأنه يتقرب إلى الله بهذا الطواف فهذا بدعة، الطواف من خصائص البيت العتيق وأما القبور فلا يطاف بها أبدًا، هذا منكر وبدعة وإذا كان فعله تقربًا لصاحب القبر صار شركًا أكبر، وهكذا دعاء الميت والاستغاثة بالميت والنذر له والذبح له كله من الشرك الأكبر).اهـ.

وسئلت اللجنة الدائمة عن حكم السجود على المقابر والذبح عليها فأجابوا بقولهم (السجود على المقابر والذبح عليها وثنية جاهلية وشرك أكبر فإن كلًا منهما

عبادة والعبادة لا تكون إلا لله وحده فمن صرفها لغير الله فهو مشرك قال الله تعالى {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} وقال تعالى {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} إلى غيره من الآيات الدالة على أن السجود والذبح عبادة وأن صرفها لغير الله شرك أكبر، ولاشك أن قصد الإنسان إلى المقابر للسجود عليها أو الذبح عندها إنما هو لإعظامها وإجلالها بالسجود والقرابين التي تذبح أو تنحر عندها وروى مسلم في حديث طويل في باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله عن علي بن أبي طالب ﵁ قال:- حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات (لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض) وروى أبو داود في سننه من طريق ثابت بن الضحاك ﵁ قال:- نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة فسأل رسول الله ﷺ فقال (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟) قالوا:- لا، فقال (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟) قالوا:- لا، فقال رسول الله ﷺ (أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملكه ابن آدم) فدل ما ذكر على لعن من ذبح لغير الله وعلى تحريم الذبح في مكان يعظم فيه غير الله من وثن أو قبر أو مكان فيه اجتماع لأهل الجاهلية اعتادوه وإن قصد بذلك وجه الله وبالله التوفيق).اهـ.

وسئلت اللجنة الدائمة أيضًا عن حكم الصلاة في مسجد فيه قبر؟

فأجابوا بقولهم (يجب نبش قبر أو قبور من دفن فيه ونقلها إلى المقبرة العامة، ودفنهم فيها، ولا تجوز الصلاة به والقبر أو القبور فيه، بل عليك أن تلتمس مسجدًا آخر لصلاة الجمعة والجماعة قدر الطاقة).اهـ.

وسئلوا عن الصلاة في المساجد التي يوجد بها قبور ومقامات؟ فأجابوا بجواب أوسع من الأول فقالوا (لا يجوز للمسلم أن يصلي في المساجد التي بنيت على القبور

والأصل في ذلك الأدلة الدالة على النهي عن بناء المساجد على القبور ومنها ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله) ومنها ما رواه أهل السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:- قال رسول الله ﷺ (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وبالله التوفيق).اهـ.

والفتاوى في ذلك كثيرة ويصعب حصرها والحر تكفيه الإشارة ولعل فيما مضى كفاية إن شاء الله تعالى لمن أراد الحق والهداية وأما المعاند والمكابر فلو ملأت له الأرض كتبًا وفتاوى لما أجاب، ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي والله أعلى وأعلم.

مسألة: حكم التصوير.

الصور جمع صورة وصوره أي جعل له صورة مجسمة وصور الشيء أو الشخص رسمه على الورق أو الحائط ونحوهما فيدخل في التصوير النقش والتجسيم والرسم بالقلم أو بآلة حديد، والتصاوير: التماثيل وقد قسم العلماء الصور إلى قسمين:

١ - الصور التي لا ظل لها وهي الرسم فقط أو الصور الشمسية أو ما تسمى بـ (الصور الفوتوغرافية) الموضوعة على الورق أو على الجدار أو على البساط والفراش أو على الأنماط والوسادة، وما إلى ذلك.

٢ - الصور التي لها ظل، وهي المصنوعة من جبس أو خشب منجورة أو

منقوشة أو من نحاس أو من جلد مدبوغ أو غير ذلك من الصور وهي ما تسمى بـ (التماثيل).

قال ابن منظور في لسان العرب: "والتمثال: الصورة، والجمع التماثيل. ومثل له الشيء: صوره حتى كأنه ينظر إليه. ومثلت له كذا تمثيلا إذا صورت له مثاله بكتابة وغيرها. وظل كل شيء تمثاله، ومثل الشيء بالشيء: سواه وشبهه به، وجعله مثله، وعلى مثاله.

والتمثال: اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى، وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيها به واسم ذلك الممثل تمثال".

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا (٥٧)} [الأحزاب: ٥٧].

قال عكرمة: "نزلت في المصورين" ذكره البغوي، في تفسيره وابن كثير، ورواه أبو نعيم في الحلية.

* الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة أو شعيرة".

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون".

وعن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم".

وروى البخاري عن أبي جحيفة قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب، وكسب البغي، ولعن آكل الربا وموكله، والواشمة، والمستوشمة، والمصور.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يقول: "من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ".

وخرج مسلم عن سعيد بن أبي الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أصور هذه الصور فأفتني فيها. فقال له: ادن مني فدنا منه. ثم قال: ادن مني فدنا حتى وضع يده على رأسه. قال: أنبئك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه في جهنم" وقال: "إن كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له".

وخرج الترمذي في جامعه، وقال حسن صحيح عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصورة في البيت ونهى أن يصنع ذلك".

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل فلما رآه هتكه وتلون وجهه وقال: "يا عائشة أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله" قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين.

وعنها قالت: قدم النبي صلى الله عليه وسلم من سفر وعلقت درنوكا فيه تماثيل، فأمرني أن أنزعه فنزعته. رواه البخاري. ورواه مسلم بلفظ: "وقد سترت على بابي درنوكا فيه الخيل ذوات الأجنحة فأمرني فنزعته".

وعن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهية فقالت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله فماذا أذنبت؟ قال: "ما بال هذه النمرقة؟ " قالت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أصحاب هذه الصور يعذبون ويقال لهم أحيوا ما خلقتم" ثم قال: "إن البيت الذي فيه الصور لا

تدخله الملائكة".

زاد مسلم في رواية: قالت: "فأخذته فجعلته مرفقتين فكان يرتفق بهما في البيت".

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ: "أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب".

وخرج مسلم عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: "أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته".

وخرج أبو داود بسند جيد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: "أمر عمر بن الخطاب زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها، فلم يدخلها النبي ﷺ حتى محيت كل صورة فيها".

وخرج أبو داود الطيالسي في مسنده عن أسامة قال دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة، ورأى صورا، فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل يمحوها، ويقول: "قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون".

وخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئا فيه تصاليب إلا نقضه". ورواه الكشميهني بلفظ: تصاوير. وترجم عليه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بـ (باب نقض الصور) وساق الحديث.

وفي الصحيحين عن بسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبي طلحة أن النبي ﷺ قال: "إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة" قال بسر: ثم اشتكى زيد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله الخولاني -ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ-: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: "إلا رقما في ثوب"، وفي رواية لهما من طريق عمرو بن الحارث بكير الأشج عن بسر فقلت لعبيد الله الخولاني: ألم يحدثنا في التصاوير؟ قال: إنه قال: إلا رقما في ثوب، ألم تسمعه؟

قلت: لا. قال: بلى قد ذكر ذلك.

وعن عبيد الله بن عبد الله أنه دخل على أبي طلحة الأنصاي يعوده، فوجد عنده سهل بن حنيف فأمر أبو طلحة إنسانا ينزع نمطا تحته، فقال له سهل: لم تنزعه؟ فقال: لأنه فيه تصاوير وقد قال فيها رسول الله ﷺ ما قد علمت. قال سهل: ألم يقل: "إلا ما كان رقما في ثوب؟ " فقال بلى ولكنه أطيب لنفسي.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "أتاني جبريل فقال لي: أتيتك البارحة، فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب، فمر برأس التمثال الذي في البيت يقطع، فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتين توطآن، ومر بالكلب فليخرج ففعل رسول الله ﷺ، وإذا الكلب لحسن أو حسين، كان تحت نضد لهم، فأمر به فأخرج" (١)، وعنه رضي الله عنه قال: "استأذن جبر عليه السلام على النبي -ﷺ، فقال: ادخل، فقال: كيف أدخل وفي بيتك ستر فيه تصاوير؟ فإما أن تقطع رؤوسها، أو تجعل بساطا يوطأ، فإنا معشر الملائكة لا ندخل بيتا فيه تصاوير".

* **أحكام وفوائد:**

١ - التصوير بداية الشرك في بني آدم:

روى ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس في قوله تعالى: {ويعوق ونسرا} [سورة نوح: الآية ٢٣] قال: "كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم".

* **علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد:**

تتضح علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد من جهتين:

١ - أن التصوير وسيلة للشرك ويدل عليه أثر ابن عباس السابق.

٢ - أن المصور يضاهي الله بفعله لأن الله هو المصور، وهو المتفرد بالخلق والتصوير وهو متعلق بتوحيد الربوبية، وقد بوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باب ما جاء في المصورين، وقال الشيخ ابن قاسم معلقا على هذا الباب: "أي من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد للمضاهاة بخلق الله، بل هو منشأ الوثنية وما دخل على القرون إنما هو من هذا الباب، لأن صورة المألوف تعظيم، وإذا ارتسمت في الحافظة وبقي ذكرها يمر على البصر الناظر إليها من رسمها لا بد أن تستولي على قلبه، وتحل فيه حلول التعبد له".

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنما عظمت عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون الله، ولأن النظر إليها يفتن وبعض النفوس إليها تميل".

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإنما كان التصوير من أشد المحرمات الموجبة لما ذكر؛ لأن فيه مضاهاة لفعل الخالق جل جلاله ولهذا سمى الشارع فعلهم خلقا وسماهم خالقين".

٢ – (تنبيه): يحسن التفريق بين قسمين مهمين:

الأول: المصور الذي يصنع الصور كنحتها أو نقشها.

الثاني: مقتني الصور ومستعملها من غير أن يصنعها.

فصانع الصور يختلف حكمه عن المقتني؛ لأن الصانع تتفق فيه الأدلة التي جاء فيها التغليظ والإيذان بشدة العذاب، ومن ذلك:

١ - الآية السابقة في سورة الأحزاب.

٢ - الأحاديث الآتية:

أ - "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة".

ب - "أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون الذين يضاهون بخلق الله".

ج - "إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم".

د- و"لعن المصور".

هـ - "من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا".

قال ابن عثيمين: "عقوبة المصور ما يلي:

١ - أنه أشد الناس عذابا أو من أشدهم عذابا.

٢ - أن الله يجعل له في كل صورة نفسا يعذب بها في نار جهنم.

٣ - أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.

٤ - أنه في النار.

٥ - أنه ملعون، كما في حديث أبي جحيفة في "البخاري" وغيره".

القسم الثاني:

أما الذي يقتني الصور ويستعملها فقد تبين لك إنكار رسول الله ﷺ على وجود الصور في البيت أو المكان المهيأ للدخول فمرة يمتنع عن الدخول ويخبر أن الملائكة لا يدخلون بسبب الصور وتارة يأمر بقوله: "أميطي" وتارة ينهى وتارة يهتك الصورة وتارة يمحوها ويضربها ويأمر بعدم إبقاء صورة إلا طمست ثم أخيرا يتبع التصاوير في منزله فينقضها وعلى ذلك ينبغي التوضيح أن أحكام التصوير تختلف من جهة صنعه ومن جهة اقتنائه واستعماله فينبغي التفريق بينهما.

٣ - أقسام صناعة التصاوير وحكم كل قسم:

سوف نتكلم عن حكم صناعة التصوير في الأقسام الآتية:

القسم الأول: قال الشيخ ابن عثيمين: "أن يصور الإنسان ما له ظل كما يقولون، أي: ما له جسم على هيكل إنسان أو بعير أو أسد أو ما أشبهها، فهذا أجمع العلماء فيما أعلم على تحريمه، فإن قلت: إذا صور الإنسان لا مضاهاة لخلق الله، ولكن صور عبثا، يعني: صنع من الطين أو من الخشب أو من الأحجار شيئا على صورة حيوان وليس قصده أن يضاهي خلق الله، بل قصده العبث أو وضعه لصبي ليهدئه به، فهل يدخل في الحديث؟

فالجواب: نعم: يدخل في الحديث، لأنه خلق كخلق الله، ولأن المضاهاة لا يشترط فيها القصد، وهذا هو سر المسألة، فمتى حصلت المضاهاة ثبت حكمها، ولهذا لو أن إنسانا لبس لبسا يختص بالكفار ثم قال: أنا لا أقصد التشبه بهم، نقول: التشبه منك بهم حاصل أردته أم لم ترده، وكذلك، لو أن أحدا بامرأة في لباسها. أو في شعرها أو ما أشبه ذلك وقال: ما أردت التشبه، قلنا له: قد حصل التشبه، سواء أردته أم لم ترده".

القسم الثاني: تصوير ما ليس له ظل مما فيه نفس من الحيوان والإنسان لكن ليس على هيئة جسم أو تمثال بل على هيئة ألوان أو رسم ونقش، والأدلة من السنة واضحة في ذمها وتحريمها.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقال بعض السلف إنما ينهى عما كان له ظل ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل. وهذا مذهب باطل فإن الستر الذي أنكر النبي ﷺ الصورة فيه لا يشك أحد أنه مذموم، وليس لصورته ظل مع باقي الأحاديث المطلقة في كل صورة".

قال الإمام ابن القيم لما ذكر الكبائر: "ومنها التصوير صورة الحيوان سواء كان

له ظل أو لم يكن".

قال الحافظ ابن حجر: "ويؤيد التعميم فيما له ظل وما لاظل له ما أخرجه أحمد من حديث علي رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: "أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره، ولا صورة إلا لطخها" أي: طمسها. الحديث وفيه: "ومن عاد إلى صنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"".

وفي رسالة من الشيخ عبد الرحمن السعدي إلى شيخنا عبد الله بن عبد العزيز العقيل ذكر أن الخلاف في حكم الصورة التي لا ظل لها معروف بين أهل العلم، ثم قال: "والصواب: تعميم النهي لأن النصوص عامة".

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: "ومن تأمل الأحاديث المتقدمة تبين له دلالتها على تعميم التحريم، وعدم الفرق بين ما له ظل وغيره كما تقدم توضيح ذلك".

وهذه المسألة قال عنها الشيخ ابن عثيمين: "اختلف السلف فيها، فمنهم من قال: إنها حرام إن كانت الصورة مجسمة؛ بأن يصنع تمثالا على صورة إنسان أو حيوان، وجائزة إن كانت بالتلوين، أي: غير مجسمة.

ومنهم من قال وهم الجمهور -وهو الصحيح-: إنها محرمة سواء كانت مجسمة، أم ملونة، فالذي يخط بيده ويصنع صورة كالذي يعملها ويصنعها بيده ولا فرق، بل هي من كبائر الذنوب؛ لحديث علي بن أبي طالب أنه قال لأبي الهياج الأسدي: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؛ أن لا تدع صورة إلا طمستها" وظاهر هذا أنه في الملون، وليس في المجسم، لأنه لو كان في المجسم لقال: إلا كسرتها أو نحو ذلك.

ومع الأسف؛ أصبح هذا في عصرنا الحاضر فنا يدرس ويقر ويمدح عليه الإنسان، فإذا صور الإنسان بقرة أو بعيرا أو إنسانا، قالوا: ما أحذقه! وما أقدره!، وما

أشبه ذلك، ولا شك أن هذا رضا بشيء من كبائر الذنوب".

القسم الثالث التصوير بالآلة:

قال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رَحَمَهُ ٱللَّهُ في رسالة ما نصه: "ومن أعظم المنكرات تصوير ذوات الأرواح واتخاذها واستعمالها، ولا فرق بين المجسدة وما في الأوراق مما أخذ بالآلة ... ".

وقال رَحَمَهُ ٱللَّهُ: "وقد زعم بعض مجيزي التصوير الشمسي أنه نظير ظهور الوجه في المرآة ونحوها من الصقيلات، وهذا فاسد فإن ظهور الوجه في المرآة ونحوها شيء غير مستقر، وإنما يرى بشرط بقاء المقابلة، فإذا فقدت المقابلة فقد ظهور الصورة في المرآة ونحوها، بخلاف الصورة الشمسية فإنها باقية في الأوراق ونحوها مستقرة، فإلحاقها بالصورة المنقوشة باليد أظهر وأضح وأصح من إلحاقها بظهور الصورة في المرآة ونحوها، فإن الصورة الشمسية وبدو الصورة في الأجرام الصقيلة ونحوها يفترقان في أمرين:

أحدهما: الاستقرار والبقاء.

الثاني: حصول الصورة عن عمل ومعالجة.

فلا يطلق لا لغة ولا عقلا ولا شرعا على مقابل المرآة ونحوها أنه صور ذلك، ومصور الصور الشمسية مصور لغة وعقلا وشرعا، فالمسوي بينهما مسو بين ما فرق الله بينه، والمانعون منه قد سووا بين ما سوى الله بينه، وفرقوا بين ما فرق الله بينه، فكانوا بالصواب أسعد، وعن فتح أبواب المعاصي والفتن أنفر وأبعد، فإن المجيزين لهذه الصور جمعوا بين مخالفة أحاديث رسول الله ﷺ ونفث سموم الفتنة بين العباد بتصوير النساء الحسان، والعاريات الفتان في عدة أشكال وألوان، وحالات يقشعر لها كل مؤمن صحيح الإيمان، ويطمئن إليها كل فاسق وشيطان".

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولقد غلط غلطا فاحشا من فرق بين التصوير الشمسي والتصوير النحتي، وبعبارة أخرى بين التصوير الذي له ظل والذي لا ظل له، لأن الأحاديث الواردة في هذه المسألة تعم النوعين وتنظمها انتظاما واحدا، ولأن المضار والمفاسد التي في التصوير النحتي وما له ظل مثل المفاسد والأضرار التي في التصوير الشمسي بل التصوير الشمسي أعظم ضررا وأكثر فسادا من وجوه كثيرة، نسأل الله أن يمن علينا وعلى المسلمين بالعافية من النوعين جميعا وأن يصلح أحوال الأمة".

وقال الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: "تعليق الصور على الجدران، سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة، لها ظل، أو لا ظل لها، يدوية أو فوتوغرافية، فإن ذلك كله لا يجوز، ويجب على المستطيع نزعها إن لم يستطع تمزيقها".

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولا فرق في التحريم بين التصوير اليدوي والتصوير الآلي والفوتوغرافي، بل التفريق بينهما جمود وظاهرية عصرية".

* وممن ذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم الشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ حمود التويجري والشيخ صالح الفوزان والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله التويجري.

ومما قاله الشيخ صالح الفوزان في كتاب (الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام): "التصوير بجميع أنواعه تماثيل أو غير تماثيل منقوشا باليد أو فوتوغرافيا مأخوذا بالآلة -كله حرام وأن كل من حاول إباحة شيء منه فمحاولة باطلة وحجته داحضة- والله المستعان".

أما كلام الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة فإنه منع من إدخال ناقل الصورة

بالآلة في اللعن ولكنه رتب الحكم على المقاصد فإذا قصد به شيئا محرما فهو حرام وإن قصد التمتع بالنظر إليها فهذا حرام عملا بالقاعدة الفقهية "الأمور بمقاصدها".

وقد كثر الكلام حول فتوى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ واضطربت فيها أفهام بعض الناس.

وقد وقفت على فتوى حررها بيده حول ذلك فقال: "من إلينا أن المحرم من الصور هو المجسم وأن غير ذلك غير حرام فقد كذب علينا، ونحن نرى أنه لا يجوز لبس ما فيه صورة سواء كان من لباس الصغار أو من لباس الكبار، وأنه لا يجوز اقتناء الصور للذكرى أو غيرها إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة إليه مثل التابعية والرخصة".

القسم الرابع: تصوير ما لا ينتج عنه منظر ولا مشهد ثابت

كما هو الحال في أشرطة الفيديو، وهذا القسم قال عنه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا لا حكم له إطلاقا، ولا يدخل في التحريم مطلقا، ولهذا أجازه أهل العلم الذين يمنعون التصوير بالآلة "الفتوغرافية" على الورق، وقالوا: إن هذا لا بأس به، حتى حصل بحث: هل يجوز أن تصور المحاضرات التي تلقى في المساجد؟ فكان الرأي ترك ذلك؛ لأنه ربما يشوش على المصلين، وربما يكون المنظر غير لائق، وما أشبه ذلك".

القسم الخامس تصوير ما لا روح فيه:

قال الإمام البغوي: "وأما صورة الأشجار والنبات فلا بأس بها. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لرجل سأله عن الصور: "عليك بهذا الشجر: كل شيء ليس له فيه روح"".

وقال النووي: "وأما تصوير صورة الشجرة ورحال الإبل وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام".

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به

سواء الشجر المثمر وغيره وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهد فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه قال القاضي: لم يقله أحد غير مجاهد واحتج بقوله تعالى: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي". واحتج الجمهور بقوله ﷺ ويقال لهم: "أحيوا ما خلقتم" -أي- اجعلوه حيوانا ذا روح كما ضاهيتم. وعليه رواية: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي". ويؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور في الكتاب: "إن كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له"".

٤ - حكم اقتناء الصور واستعمالها واتخاذها:

اقتناء الصور لغير ضرورة حرام وبعضه أشد حرمة من بعض لقوله ﷺ: "فلا يدع بها وثنا إلا كسره ولا صورة إلا لطخها".

وفي الرواية الأخرى "أن لا تدع صورة إلا طمستها".

قال ابن باز رحمه الله: "صنع التماثيل والصور واقتناؤها كبائر الذنوب للأحاديث الصحيحة التي توعد الله تعالى، وتوعد رسوله ﷺ من فعل ذلك بالنار والعذاب الأليم".

وعند التفصيل نقول: إن حكم استعمال الصور واقتناؤها ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يقتنيها لتعظيم المصور، لكونه ذا سلطان أو جاه أو علم أو عبادة أو أبوة أو نحو ذلك، فهذا حرام بلا شك، ولا تدخل الملائكة بيتا فيه هذه الصورة، لأن تعظيم ذوي السلطة باقتناء صورهم ثلم في جانب الربوبية وتعظيم ذوي العبادة باقتناء صورهم ثلم في جانب الألوهية.

وقال ابن باز: "ولا فرق في هذا بين الصور المجسمة وغيرها من المنقوش في ستر أو قرطاس أو نحوها، ولا بين صور الآدميين وغيرها من كل ذي روح، ولا بين صور الملوك والعلماء وغيرهم بل التحريم في صور الملوك والعلماء ونحوهم من

المعظمين أشد، لأن الفتنة بهم أعظم، ونصب صورهم في المجالس ونحوها وتعظيمها من أعظم وسائل الشرك وعبادة أرباب الصور من دون الله كما وقع ذلك لقوم نوح".

وقال ابن عثيمين: "أن يستعمله على سبيل التعظيم، فهذا حرام سواء كان مجسما أم ملونا، وسواء كان التعظيم تعظيم سلطان، أم تعظيم عبادة، أم تعظيم علم، أم تعظيم قرابة، أم تعظيم صحبة، أيا كان نوع التعظيم. وفي الحقيقة؛ إنه ليس فيه تعظيم، فمثلا: إذا أراد أن يصور أباه، فإن كان أبوه حيا فالتعظيم بإعطائه ما يلزمه من البر القولي والفعلي والمالي والجاهي وغير ذلك، وإن كان ميتا فلا ينتفع بهذا التعظيم، بل فيها كسب الإثم وتجديد الأحزان، ولذلك يجب على من كان عنده صورة من هذا النوع أن يمزقها، أو يحرقها، ولا يجوز له إبقاؤها؛ لأن هذا فيه خطورتان:

الخطورة الأولى: تجنب الملائكة لدخول البيت.

والخطورة الثانية: أن الشيطان قد يدخل على الإنسان من هذا التعظيم، حتى يستولي تعظيمهم على قلبه، ويسيطر عليه، ولا سيما فيما يتعلق بالعلم والعبادة، فإن فتنة قوم نوح كانت في الصور، وهذا لا فرق فيه بين الملون والمجسم، أي: سواء كان صورة على ورقة، أم على خرقة، أم كانت صورة مجسمة".

القسم الثاني: اقتناء الصور للتمتع بالنظر إليها أو التلذذ بها، فهذا حرام أيضا، لما فيه من الفتنة المؤدية إلى سفاسف الأخلاق.

القسم الثالث: أن يقتنيها للذكرى حنانا أو تلطفا كالذين يصورون صغار أولادهم لتذكرهم حال الكبر، فهذا أيضا حرام للحوق الوعيد به في قوله ﷺ: "إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة".

قال الخطابي: "والصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه ما يحرم اقتناؤه وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن".

وقال الحافظ ابن رجب: "وتصوير الصور للتأسي برؤيتها أو للتنزه بذلك والتلهي محرم وهو من الكبائر".

القسم الرابع: قال ابن باز: "إذا كانت الصورة في بساط يمتهن أو وسادة يرتفق بها فلا حرج في ذلك؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان على موعد من جبرائيل فلما جاء جبرائيل امتنع عن دخول البيت فسأله النبي ﷺ فقال: "إن في البيت تمثالا وسترا فيه تصاوير وكلبا، فمر برأس التمثال أن يقطع، وبالستر أن يتخذ منه وسادتان منتذتان توطآن، ومر بالكلب أن يخرج". ففعل ذلك النبي ﷺ فدخل جبرائيل عليه السلام ... وقصة جبرائيل هذه تدل أن الصورة في البسط ونحوه لا تمنع من دخول الملائكة، ومثل ذلك ما ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها.

أنها اتخذت من الستر المذكور وسادة يرتفق بها النبي ﷺ".

قال الشيخ ابن عثيمين: "أن يتخذه على سبيل الإهانة مثل: أن سجعله فراشا، أو مخدة، أو وسادة، أو ما أشبه ذلك، فهذا فيه خلاف بين أهل العلم:

فأكثر أهل العلم على الجواز، وأنه لا بأس به؛ لأن الرسول ﷺ اتخذ وسادة فيها صورة، ولأن هذا ضد السبب الذي من أجله حرم استعمال الصور؛ لأن هذا إهانة.

وذهب بعض أهل العلم إلى التحريم، واستدل هؤلاء بأن النبي ﷺ جاء إلى بيته ذات يوم فرأى "نمرقة" -أي: مخدة- فيها صور؛ فوقف ولم يدخل، قالت عائشة: فعرفت الكراهية في وجهه، فقلت: أتوب إلى الله ورسوله مما صنعت؟ فقال: "إن أهل هذه الصور يعذبون؛ يقال لهم: أحيوا ما خلقتم". قالوا: فنكرهها؛ لأن الرسول ﷺ كرهها وقال: "إن أهل هذه الصور يعذبون"، وقال: "إن الملائكة لا تدخل بيتا

فيه صورة" ويحمل ما ذكر عنه أنه اتكأ على مخدة فيها صورة بأن هذه الصورة قطع رأسها، وإذا قطع رأس الصورة فهي جائزة.

ولا شك أن تجنب هذا أورع وأحوط، فلا تستعمل الصور، ولو على سبيل الامتهان كالفراش والمخدة، والسلامة أسلم، وشيء كره الرسول ﷺ أن يدخل البيت من أجله، فلا ينبغي لك أن ينشرح صدرك به، فمن يستطيع أن ينشرح صدره في مكان كره النبي ﷺ دخوله. لهذا فالقول بالمنع إن لم يكن هو الصواب فإنه هو الاحتياط".

وهل يلحق بالمهانة لباس ما فيه صورة لأن في ذلك امتهانا للصورة ولا سيما إن كانت الملابس داخلية؟

يقول الشيخ ابن عثيمين: "لا يلحق بذلك، بل لباس ما فيه الصور محرم على الصغار والكبار، ولا يلحق بالمفروش ونحوه، لظهور الفرق بينهما، وقد صرح الفقهاء رحمهم الله بتحريم لباس ما فيه صورة، سواء كان قميصا أو سراويل أم عمامة أم غيرها".

القسم الخامس: أن تؤخذ لا على سبيل التعظيم ولا الامتهان، قال ابن عثيمين: "ألا يكون في استعمالها تعظيم ولا امتهان، فذهب جمهور أهل العلم إلى تحريم استعمال الصور على هذا الوجه، ونقل عن بعض السلف الإباحة إذا كان ملونا، حتى إن بعض السلف كان عندهم في بيوتهم الستائر يكون فيها صور الحيوان، ولا ينكرون ذلك، ولكن لا شك أن هؤلاء الذين فعلوه من السلف كالقاسم بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا شك أنه يعتذر عنهم بأنهم تأولوا، ولا يحتج بفعلهم؛ لأن الحجة قول الله ورسوله، أو لم يبلغهم الخبر، أو ما أشبه ذلك من الأعذار".

قال النووي: "أما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان فإن كان معلقا على حائط أو

ثوبا ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يعد ممتهنا فهو حرام، وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتهن، فليس بحرام ولكن هل يمنع دخول ملائكة الرحمة ذلك البيت فيه كلام نذكره قريبا -إن شاء الله- ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له.

هذا تلخيص مذهبنا في المسألة، وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وهو مذهب الثوري، ومالك، وأبي حنيفة وغيرهم".

أما ما جاء في حديث زيد بن خالد وفيه: "ثم اشتكى زيد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة" وفيه تعليل ذلك باستثناء الرسول ﷺ: "إلا رقما في ثواب" فظاهره يدل على أن زيدا يرى جواز تعليق الستور التي فيها الصور، وبسببه جوز بعض العلماء ما كان رقما في ثوب سواء امتهن أم لا، وسواء علق في حائط أو لا كما هو معروف من مذهب القاسم بن محمد. والجمهور على أن الصور يراد بها صورة الشجر وما لا روح فيه ذكر ذلك النووي رحمه الله حيث قال: "قوله "إلا رقما في ثوب" هذا يحتج به من يقول بإباحة ما كان رقما مطلقا كما سبق وجواب الجمهور عنه أنه محمول على رقم على صورة الشجر وغيره مما ليس بحيوان وقد قدمنا أن هذا جائز عندنا".

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: "أما تعلق من خالف في ذلك بحديث "إلا رقما في ثوب" فهو شذوذ عن ما كان عليه السلف والأئمة، وتقديم للمتشابه على المحكم، إذ أنه يحتمل أن المراد باستثناء الرقم في الثوب ما كانت الصورة فيه من غير ذوات الأرواح كصورة الشجر ونحوه، كما ذكره الإمام أبو زكريا النووي وغيره. واللفظ إذا كان محتملا فلا يتعين حمله على المعنى المشكل، بل ينبغي أن يحمل عليما يوافق الأحاديث الظاهرة في المنع التي لا تحتمل التأويل".

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله مجيبا على هذه المسألة: "أن أحاديث عائشة

المتقدمة وما جاء في معناها دالة على تحريم تعليق الستور التي فيها الصور، وعلى وجوب هتكها، وعلى أنها تمنع دخول الملائكة، ولعل زيدا ﵁ لم يعلم الصورة التي في الستر المذكور أو علمها لكن استجازه لأنه لم تبلغه الأحاديث الدالة على تحريم تعليق الستور التي فيها الصور، فأخذ بظاهر قول النبي ﷺ: "إلا رقما في ثوب" فيكون معذورا لعدم علمه بها. وأما من علم الأحاديث الصحيحة الدالة على تحريم نصب الستور التي فيها الصور فلا عذر له في مخالفتها".

وكذلك من حمل قوله: "إلا رقما في ثوب" على جواز تعليق الصور وجواز اتخاذها مع عدم التفريق بين الضرورة وغير الضرورة فقد أخطأ وجانب الصواب لا سيما إذا نظرنا للأحاديث الأخرى: "لا تدع صورة إلا طمستها"، ولم يدخل النبي ﷺ الكعبة حتى محيت كل صورة فيها وكذلك غضبه ﵇ حين ذكرت له الصور الموجودة في الكنائس في أرض الحبشة فقال: "أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة".

القسم السادس ما دعت الضرورة إلى استبقائه. قال العلامة ابن باز ﵀: "لا يجوز الاحتفاظ بالصور ولو غير معلقة على الجدران أو غيرها، إلا في تابعية أو جواز سفر أو نقود أو نحو ذلك مما تدعو الحاجة إليه".

قال ابن عثيمين: "كالصور التي تكون في بطاقة إثبات الشخصية والشهادات والدراهم فلا إثم فيه لعدم إمكان التحرز منه، وقد قال تعالى: {اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج} [الحج: ٧٨] ".

القسم السابع: ما عمت به البلوى الآن وقد عرفها الشيخ ابن عثيمين بقوله: "أن يقتني الصور لا لرغبة فيها إطلاقا، ولكنها تأتي تبعا لغيرها كالتي تكون في المجلات والصحف ولا يقصدها المقتني، وإنما يقصد ما في هذه المجلات والصحف من

الأخبار والبحوث العلمية ونحو ذلك، فالظاهر أن هذا لا بأس به؛ لأن الصور فيها غير مقصودة، لكن إن أمكن طمسها بلا حرج ولا مشقة فهو أولى".

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولكن الأشياء الضرورية التي دخلت على الناس، وعمت بها البلوى كالصور التي في النقود والكبريت ونحوها، وكذلك الجوازات؛ فالذي يظهر لي ان هذا من باب الاضطرار، وأحوال الضرورات وعموم البلوى يرجى فيه عفو الله، ويسهل الأمر فيه".

وقال ابن باز: "المجلات والجرائد التي بها أخبار مهمة ومسائل علمية نافعة وبها صور لذوات الأرواح يجوز شراؤها، والانتفاع بها من علم مفيد، وأخبار مهمة لأن المقصود منها ما فيها من العلم والأخبار، والصور تابعة، والحكم يتبع الأصل المقصود إليه دون التابع، ويجوز وضعها في المصلى مع إخفاء ما فيها من الصور بأي شكل لينتفع بما فيها من مقالات، أو طمس رؤوس الصور بما يذهب بمعالمها".

٥ - اللعب المصورة للبنات وتنقسم إلى قسمين:

الأول: ما يوضع على هيئة لعبة ليس فيها أثر للصورة والتجسيم فهذا لا بأس فيه.

الثاني: ما وضع على صورة شيء من ذوات الأرواح.

قال النووي: "قوله: عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كانت لنا تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبلته فقال لي رسول الله ﷺ: "حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا" هذا محمول على أنه كان قبل تحريم اتخاذ ما فيه صورة فلهذا كان رسول الله ﷺ يدخل ويراه ولا ينكره قبل هذه المرة الأخيرة".

وحديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب، فقال: "ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي

أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه".

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأجمعوا على منع ما كان له ظل ووجوب تغييره قال القاضي إلا ما ورد في اللعب بالبنات لصغار البنات والرخصة في ذلك لكن كره مالك شراء الرجل ذلك لابنته، وادعى بعضهم أن إباحة اللعب لهن بالبنات منسوخ بهذه الأحاديث -والله أعلم-".

قال ابن باز: "وأما اللعب المصورة على صورة شيء من ذوات الأرواح فقد اختلف العلماء في جواز اتخاذها للبنات وعدمه.

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة، قالت: "كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن إلي يلعبن معي".

قال الحافظ في الفتح: استدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض، ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع لعب البنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن. قال: وذهب بعضهم إلى أنه منسوخ، وإليه مال ابن بطال، وحكئ عن أبي زيد عن مالك: أنه كره أن يشتري الرجل لبنته الصور، ومن ثم رجح الداودي أنه منسوخ.

وقد ترجم ابن حبان: "الإباحة لصغار النساء اللعب باللعب" وترجم له النسائي: "إباحة الرجل لزوجته اللعب بالبنات". فلم يقيد بالصغر وفيه نظر.

قال البيهقي: ثبت النهي عن اتخاذ الصور، فيحمل على أن الرخصة لعائشة في

ذلك كانت قبل التحريم، وبه جزم ابن الجوزي -إلى أن قال- وأخرج أبو داود والنسائي من وجه آخر عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر -فذكر الحديث في هتكه الستر الذي نصبته على بابها- قالت: فكشف ناحية الستر على بنات لعب لعائشة، فقال: "ما هذا يا عائشة؟ " قالت: بناتي. قالت: ورأى فيها فرسا مربوطا له جناحان، فقال: "ما هذا؟ ". قلت: فرس له جناحان. قلت: ألم تسمع أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة؟ فضحك -إلى أن قال- قال الخطابي في هذا الحديث: أن اللعب بالبنات ليس كالتلهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد، وإنما أرخص لعائشة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغة.

قلت: وفي الجزم به نظر، لكنه محتمل لأن عائشة كانت في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة، إما أكملتها أو جاوزتها أو قاربتها. وأما في غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعا، فيترجح رواية من قال: خيبر وجمع بما قال الخطابي، لأن ذلك أولى من التعارض.

إذا عرفت ما ذكره "الحافظ" فالأحوط ترك اتخاذ اللعب المصورة لأن في حلها شك لاحتمال أن يكون إقرار النبي ﷺ لعائشة على اتخاذ اللعب المصورة قبل الأمر بطمس الصور فيكون ذلك منسوخا بالأحاديث التي فيها الأمر بمحو الصور وطمسها إلا ما قطع رأسه، أو كان ممتهنا كما ذهب إليه البيهقي وابن الجوزي، ومال إليه ابن بطال.

ويحتمل أنها مخصوصة من النهي كما قاله الجمهور لمصلحة التمرين، ولأن في لعب البنات بها نوع امتهان، ومع الاحتمال المذكور والشك في حلها الأحوط تركها، وتمرين البنات بلعب غير مصورة حسما لمادة بقاء الصور المجسدة، وعملا بقوله ﷺ: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" ".

قال الشيخ ابن عثيمين: "الصور التي يلعب بها الأطفال، وهذه تنقسم إلى قسمين:

الأول: قسم من الخرق والعهن وما أشبه ذلك، فهذه لا بأس بها؛ لأن عائشة كانت تلعب بالبنات على عهد النبي ﷺ ولم ينكر عليها.

الثاني: قسم من "البلاستيك" وتكون على صورة الإنسان الطبيعي إلا أنها صغيرة، وقد يكون لها حركة، وقد يكون لها صوت، فقد يقول لقائل: إنها حرام؛ لأنها دقيقة التصوير، وعلى صورة الإنسان تماما، أي: ليست صورة إجمالية ولكن صورة تفصيلية، ولها أعين تتحرك، وقد نقول: إنها مباحة؛ لأن عائشة كانت تلعب بالبنات، ولم ينكر عليها النبي ﷺ.

ولكن قد يقول القائل: إن الصور التي عند عائشة ليست كهذه الصور الموجودة الآن، فبينهما فرق عظيم، فمن نظر إلى عموم الرخصة وأنه قد يرخص للصغار ما لا يرخص للكبار، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية باب السبق، لما ذكر بعض آلات اللهو قال: "إنه يرخص للصغار ما لا يرخص للكبار"، لأن طبيعة الصغار اللهو، ولهذا تجد هذه الصور عند البنات الصغار كالبنات حقيقة، كأنها ولدتها، وربما تكون وسيلة لها لتربي أولادها في المستقبل وتجدها تسميها أيضا هذه فلانة وهذه فلانة، فقد يقول قائل: إنه يرخص لها. فأنا أتوقف في تحريمها، لكن يمكن التخلص من الشبهة بأن يطمس وجهها".

والذي يظهر مما سبق إباحة اللعب للبنات ولكن كما قرره المنذري والحليمي من عدم وجود تفاصيل الصورة. قال الحليمي: "إن كانت صورة كالوثن لم يجز وإلا جاز".

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن زعم أن لعب عائشة صور حقيقية

لذوات الأرواح فعليه إقامة الدليل، ولن يجد إلى ذلك سبيلا فإنها ليست منقوشة ولا منحوتة ولا مطبوعة من المعادن المنطبعة ولا نحو ذلك، بل الظاهر أنها من عهن أو قطن أو خرق أو قصبة أو عظم مربوط في عرضه عودا معترضا بشكل يشبه الموجود في اللعب في أيدي البنات الآن في البلدان العربية البعيدة عن التمدن والحضارة مما لا تشبه الصورة المحرمة إلا بنسبة بعيدة جدا".

وقال الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأما تسمية اللعب بنات كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فلا يلزم منه أنها كانت صورا حقيقية كما قد يظن ذلك من قصر فهمه بل الظاهر والله أعلم أنها كانت على نحو لعب بنات العرب في زماننا فإنهن يأخذن عودا أو قصبة أو خرقة ملفوفة أو نحو ذلك فيضعن قريبا من أعلاه عودا معترضا ثم يلبسنه ثيابا ويضعن على أعلاه خمار المرأة وربما جعلنه على هيئة الصبي في المهد ثم يلعبن بهذه اللعب ويسمينهن بنات لهن على وفق ما هو مروي عن عائشة وصواحباتها رضي الله عنهن.

وقد رأينا البنات يتوارثن اللعب بهذه اللعب اللاتي وصفنا زمانا بعد زمان ولا يبعد أن يكون هذا التوارث قديما ومستمرا في بنات العرب من زمن الجاهلية إلى زماننا هذه -والله أعلم-".

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فأما اللعب اللاتي على ما وصفنا فلا بأس بعملهن واتخاذهن واللعب بهن لأنهن لسن بصور حقيقية. وأما اللعب اللاتي على صور البنات وأنواع الحيوانات فصناعتهن حرام وبيعهن حرام وشراؤهن واتخاذهن حرام والتلهي بهن حرام وإتلافهن واجب على من قدر على ذلك لأنهن من الأصنام وقد أمر رسول الله ﷺ بطمس الأصنام كما تقدم في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والقول في الفرس الذي كان مع لعب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كالقول في لعبها سواء. ومن ادعى أنها كانت صورة حقيقية لها رأس

ووجه فعليه إقامة الدليل على ذلك ولن يجد إليه سبيلا".

حكم المحنط وهذا ليس تصويرا بل يلحق بالتصوير لأنه وسيلة وسبب للتساهل في أمر التصوير ولذلك حذر العلماء من اقتنائه وقد سمعت الشيخ عبد العزيز بن باز يذكر ثلاثة أسباب لتحريم اقتناء المحنط منها أن شراءه إسراف وتبذير ومنها أنه سبب مفض إلى التساهل في أمر التصوير الذي جاء الوعيد والنكير في حقه.

٦ - الصورة الرأس:

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "التصوير النصفي لا إشكال عندي في أنه محرم، وإن كان ذهب نزر قليل إلى القول بعدم التحريم، وربما يكون أخف من الكامل لأجل هذا القول، وأما أنا فلا إشكال عندي فيه؛ لأن الوجه هو المقصود".

وقال الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ: "والأصل في هذا قول جبريل للنبي ﷺ مر بالرأس فليقطع فيصير كهيئة الشجرة.

فدل على أن المحذور كله في تصوير الرأس.

ودل على أن قطع غيره لا يقوم مقامه ولا يكفي في التغيير ولو كان المقطوع مما لا تبقى الحياة بعد ذهابه كصدره أو بطنه.

وعلى هذا فتحريم التصوير والاتخاذ متعلق بوجود الرأس.

وكذلك وجوب الطمس متعلق بوجود الرأس -والله أعلم-.

وأما قياس قطع الصدر أو البطن على قطع الرأس فهو قياس مع وجود الفارق لأنها وإن شاركاه في ذهاب الحياة بذهابهما فقد اختص هو دونهما ودون سائر الأعضاء بشيئين.

أحدهما: أنه إذا قطع صار باقي الجسم كهيئة الشجرة وخرج عن شكل ذوات الأرواح.

الثاني: أنه مشتمل على الوجه الذي هو أشرف الأعضاء، ومجمع المحاسن، وأعظم فارق بين الحيوان وبين غيره من النباتات والجمادات، وبطمسه تذهب بهجة الصورة ورونقها، وتعود إلى مشابهة النباتات والجمادات؛ ولهذا قال جبريل للنبي ﷺ: مر برأس التمثال فليقطع فيصير كهيئة الشجرة.

وبهذا يعرف أن غير الرأس لا يساويه وإن من قاس شيئا من الأعضاء على الرأس فقياسه غير صحيح فلا يعتد به -والله أعلم-".

وعلق الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قول جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: "فمر برأس التمثال الذي في البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة" فقال: رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا نص صريح في أن التغيير الذي يحل به استعمال الصورة إنما هو الذي يأتي على معالم الصورة فيغيرها بحيث أنه يجعلها في هيئة أخرى وقد عبر بعض الفقهاء عن هذا التغيير بقوله: "إذا كانت بحيث لا تعيش جاز استعمالها"، وهذا تعبير قاصر كما لا يخفى ولهذا كان عمدة لبعض المحتالين على النصوص، الذين يحاولون الخلاص منها بتأويلها أو بتحكيم آراء الرجال فيها وأصدق مثال على ذلك مقال طويل لبعضهم كنت قرأته منذ سنين في "مجلة نور الإسلام" التي سميت فيما بعد "مجلة الأزهر" خلاصته أنه يجوز للمسلم الفنان! أن ينحت صنما كاملا على أن يحفر حفرة في الرأس تصل إلى الدماغ بحيث أنه لا يعيش لو كان حيا، ثم تفنن حضرة الشيخ فذكر أنه لكي لا يظهر عيب الصنم من الناحية الفنية للناظرين فإنه بإمكان الفنان أن يضع الشعر المستعار على الرأس المحفور وبذلك تنستر الفجوة ويبدو تمثالا كاملا لا عيب فيه يرضي الفنانين! وفي الوقت نفسه يكون قد أرضى الشارع بزعمه! فهل رأيت أيها المسلم تلاعبا بالشريعة ونصوصها ما يشابه هذا التحريف المنشور في مجلة محترمة! تاالله إن هذا لأشبه شيء بعمل من ضربت عليهم الذلة والمسكنة الذين قال الله فيهم: {واسألهم

عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣)} [الأعراف: ١٦٣]. وقال فيهم رسول الله ﷺ: "قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم شحومها جملوه -أي ذوبوه- ثم باعوه وأكلوا ثمنه"، ولهذا حذرنا ﷺ من اتباع سننهم فقال: "لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل" رواه ابن بطة: "جزء إبطال الحيل" ص ٢٤ بسند جيد كما قال ابن تيمية وابن كثير، ولكن ذلك كله ما أغنى شيئا بعض هؤلاء المتشبهين بهم، لهوى في نفوسهم".

وقال الشيخ ابن باز: "ويستدل بالحديث المذكور أيضا على أن قطع غير الرأس من الصورة كقطع نصفها الأسفل ونحوه لا يكفي ولا يبيح استعمالها، ولا يزول به المانع من دخول الملائكة، لأن النبي ﷺ أمر بهتك الصور ومحوها، وأخبر أنها تمنع من دخول الملائكة إلا ما امتهن منها، أو قطع رأسه، فمن ادعى مسوغا لبقاء الصورة في البيت غير هذين الأمرين فعليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ولأن النبي ﷺ أخبر أن الصورة إذا قطع رأسها كان باقيها كهيئة الشجرة. وذلك يدل على أن المسوغ لبقائها: خروجها عن شكل ذوات الأرواح ومشابهتها للجمادات. والصورة إذا قطع أسفلها وبقي رأسها لم تكن بهذه المثابة لبقاء الوجه وفيه من بديع الخلقة والتصوير ما ليس في بقية البدن، فلا يجوز قياس غيره عليه عند من عقل عن الله ورسوله مراده.

وبذلك يتبين لطالب الحق أن تصوير الرأس وما يليه من الحيوان داخل في التحريم والمنع لأن الأحاديث الصحيحة المتقدمة تعمه، وليس لأحد أن يستثني من عمومها إلا ما استثناه الشارع".

٧ - سبب امتناع الملائكة دخول بيت فيه صورة:

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال العلماء سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطانا كما جاء به الحديث والملائكة ضد الشياطين ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه وفي بيته ودفعها أذى الشيطان وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون باحصاء أعمالهم وكتابتها قال الخطابي: وإنما لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزراعة والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه وأشار القاضي إلى نحو ما قاله الخطابي والأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث ولأن الجرو الذي كان في بيت النبي ﷺ تحت السرير كان له فيه عذر ظاهر فإنه لم يعلم به ومع هذا امتنع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من دخول البيت وعلل بالجرو فلو كان العذر في وجود الصورة والكلب لا يمنعهم لم يمتنع جبريل -والله أعلم-".

فأما القرطبي فقال في المفهم: "إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه الصورة لأن متخذها قد تشبه بالكفار لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل بيته هجرا له لذلك".

(باب ذكر مسائل أشراط الساعة)

مسائل في فقه أشراط الساعة:

مسألة: معنى الأشراط والعلامات.

لغة: الأشراط جمع شرط بالتحريك، والشرط العلامة، وأشراط الساعة أي علاماتها، وأشراط الشيء أوائله، ومنه شُرَط السلطان وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من مجموع جنده.

الأشراط في اللغة هي علامات الشيء المتقدمة عليه والدالة عليه، ومما يدل على تسمية هذه الأشراط في السنة بالعلامات ما جاء في حديث جبريل المشهور عند النسائي، قال: (يا محمد، أخبرني متى الساعة؟ قال: فنكس، فلم يجبه شيئا ثم أعاد فلم يجبه شيئا ثم أعاد فلم يجبه شيئا ورفع رأسه فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن لها علامات تعرف بها...) الحديث والساعة: هي جزء من أجزاء الليل أو النهار وجمعها ساعات وساع. والساعة: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وقد سميت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفاجئ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة.

وأما معنى الأشراط والعلامات شرعا فهي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها. يقول الحليمي: أما انتهاء الحياة الأولى فإن لها مقدمات تسمى أشراط الساعة وهي أعلامها. ويقول البيهقي في تحديد المراد من الأشراط: أي: ما يتقدمها من العلامات الدالة على قرب حينها. ويقول الحافظ ابن حجر المراد بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة[1].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٩).

وتنقسم أشراط السَّاعة إلى قسمين: أشراط صغرى وهي التي تتقدم السَّاعة بأزمان، وتكون من نوع المعتاد؛ كقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول في البنيان... ونحوها، وقد يظهر بعضها مصاحبًا للأشراط الكبرى، أو بعدها، وأشراط كبرى وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام السَّاعة، وتكون غير معتادة الوقوع؛ كظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وقسم بعض العلماء أشراط السَّاعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام، قسم ظهر وانقضى، وقسم ظهر ولا زال يتتابع ويكثر، وقسم لم يظهر إلى الآن، فأما القسمان الأولان؛ فهما من أشراط السَّاعة الصغرى، وأما القسم الثالث؛ فيشترك في الأشراط الكبرى وبعض الأشراط الصغرى.

وأشراط السَّاعة الصغرى التي ذكرها العلماء كثيرة جدًا، وقد ذكرت هنا منها ما ثبت وصح في السنة أنه من أشراط السَّاعة الصغرى.

الباب الأول: أشراط السَّاعة الصغرى

١ - بعثة النبي ﷺ: أخبر ﷺ أن بعثته دليل على قرب قيام السَّاعة، وأنه نبي السَّاعة: ففي الحديث عن سهل رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثت أنا والسَّاعة كهاتين"، ويشير بإصبعيه فيمدهما) أخرجه البخاري.

وعن أنس رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثت أنا والسَّاعة كهاتين". قال: وضم السبابة والوسطى) أخرجه مسلم.

وعن قيس بن أبي حازم عن أبي جُبيرة مرفوعًا: (بعثت في نسم السَّاعة)[1].

(١) أخرجه البزار (٣٢١٥ - كشف)، وابن منده في المعرفة (٢/ ٢٣٤/ ٢)، والدولابي في الكنى (١/ ٢٣) وإسناده رواته ثقات، إلا أن رواية قيس بن أبي حازم عن أبي جبيرة مرسلة، والحديث قال عنه العلامة الألباني في الصحيحة (٨٠٨): هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات وفي صحبة أبي جبيرة خلاف، ورجح الحافظ في التقريب أن له صحبة =

قوله (نسم الساعة): قال ابن الأثير: "وهو من النسيم، أول هبوب الريح الضعيفة؛ أي: بعثت في أول أشراط الساعة، وضعف مجيئها. وقيل: هو جمع نسمة؛ أي: بعثت في ذوي أرواح خلقهم الله تعالى قبل اقتراب الساعة؛ كأنه قال: في آخر النشء في بني آدم"[١].

فأول أشراط السَّاعة بعثة المصطفى ﷺ، فهو النبي الأخير، فلا يليه نبي آخر، وإنما تليه القيامة كما يلي السبابة والوسطى، وليس بينهما إصبع أخرى، أو كما يفضل إحداهما الأخرى، ويدلُّ على ذلك رواية الترمذي: "بعثت أنا والسَّاعة كهاتين - وأشار أبو داود بالسبابة والوسطى - فما فضل إحداهما على الأخرى"، وفي رواية مسلم: "قال شعبةُ: وسمعت قتادة يقول في قصصه: "كفضل إحداهما على الأخرى". فلا أدري أذكره عن أنس أو قاله قتادة".

قال القرطبي في التذكرة (ص٦٢٦): "أولها النبي ﷺ: لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي".

قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠].

٢- موت النبي ﷺ: من أشراط السَّاعة موتُ النبي ﷺ، ففي الحديث عن عوف بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (اعدد ستًا بين يدي السَّاعة: موتي... الحديث) أخرجه البخاري. فقد كان موت النبي ﷺ من أعظم المصائب التي وقعت على المسلمين، فقد أظلمت الدُّنيا في عيون الصحابة رضي الله عنهم عندما مات عليه الصلاة

=

وذكر في الإصابه أنه روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وهذا هو الصواب خلافا لقول العجلي في الثقات: ليس له إلا حديث واحد.

(١) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٤٩، ٥٠).

والسلام، قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة؛ أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه؛ أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي - وإنا لفي دفنه - حتى أنكرنا قلوبنا).

قال الحافظ في الفتح (٨/ ١٤٩): "يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الألفة، والصفاء، والرق؛ لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأديب".اهـ. فبموته ﷺ انقطع الوحي من السماء؛ كما في جواب أم أيمن لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عندما زاراها بعد موت النبي ﷺ، فلما انتهيا إليها؛ بكت، فقالا لها: (ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله. فقلت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها) أخرجه مسلم. فقد مات عليه الصلاة والسلام كما يموت الناس: لأن الله تعالى لم يكتب الخلود في هذه الحياة الدُّنيا لأحد من الخلق، بل هي دار ممر لا دار مقر؛ كما قال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)} [الأنبياء: ٣٤- ٣٥]. إلى غير ذلك من الآيات التي تبين أن الموت حق، وأن كل نفس ذائقة الموت، حتى ولو كان سيد الخلق وإمام المتقين محمد ﷺ.

وكان موته كما قال القرطبي: "أول أمر دهم الإسلام... ثم بعده موت عمر، فبموت النبي ﷺانقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير، وأول نقصانه.

٣- فتح بيت المقدس: ومن أشراط السَّاعة فتح بيت المقدس، فقد جاء في حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اعدد ستًا بين يدي السَّاعة... (فذكر منها:) فتح بيت المقدس) رواه البخاري، ففي عهد عمر بن

الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تم فتح بيت المقدس سنة ست عشرة من الهجرة؛ كما ذهب إلى ذلك أئمة السير، فقد ذهب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسه، وصالح أهلها، وفتحها، وطهرها من اليهود والنصارى، وبنى بها مسجدًا في قبلة بيت المقدس. وروى الإمام أحمد من طريق عبيد بن آدم؛ قال: "سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب الأحبار: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني؛ صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة، فصلى، ثم جاء، فبسط رداءه، فكنس الكناسة في ردائه، وكنس الناس.

٤- طاعون عمواس: وعمواس بلدة في فلسطين، على ستة أميال من الرملة، على طريق بيت المقدس. انظر: "معجم البلدان" (٤/ ١٥٧).

جاء في حديث عوف بن مالك السابق قوله ﷺ: "اعدد ستًا بين يدي السَّاعة:.... (فذكر منها:) ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم. قال احافظ في الفتح (٦/ ٢٧٨): "يقال: إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافه عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس".اهـ.

ففي سنة ثمان عشرة للهجرة على المشهور الذي عليه الجمهور وقع طاعون في كورة عمواس، ثم انتشر في أرض الشام، فمات فيه خلق كثير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن غيرهم؛ قيل: بلغ عدد من مات فيه خمسة وعشرون ألفًا من المسلمين، ومات فيه من المشهورين: أبو عبيدة عامر بن الجراح، أمين هذه الأمة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥- استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺقال: (لا تقوم السَّاعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبله منه صدقة، ويدعى إليه الرجل، فيقول: لا أرب لي فيه) أخرجه البخاري

ومسلم.

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ؛ قال: (ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه) أخرجه مسلم، فسيكثر المال في آخر الزمان، حتى يعرض الرجل ماله، فيقول الذي يعرض عليه: لا إرب لي به.

٦- ظهور الفتن: الفتن: جمع فتنة، وهي الابتلاء والامتحان والاختبار، ثم كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه؛ كالإثم؛ والكفر، والقتل، والتحريق، وغير ذلك من الأمور المكروهة.

وقد أخبر النبي ﷺ أن من أشراط السَّاعة ظهور الفتن العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل، فتزلزل الإيمان، حتى يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، كلما ظهرت فتنة؛ قال المؤمن: هذه مهلكتي. ثم تنكشف ويظهر غيرها، فيقول: هذه، هذه، ولا تزال الفتن تظهر في الناس إلى أن تقوم السَّاعة، ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن بين يدي السَّاعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا بسيوفكم الحجارة؛ فإن دخل على أحدكم؛ فليكن كخير ابني آدم) أخرجه الإمام أحمد وأبو داو وابن ماجه وغيرهم.

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدُّنيا).

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ و رضي الله عنها؛ قال: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا؛ يقول: "سبحان الله! ما أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل الله من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات - يريد أزواجه - لكي يصلين؟ رب كاسية في الدُّنيا عارية في الآخرة) رواه البخاري.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ قال: نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدلُّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء الفتنة، فيرقق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه، هذه... فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة؛ فلتأته منيته، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر". رواه مسلم وأحاديث الفتن كثيرة جدًا، فقد حذر النبي ﷺ أمته من الفتن، وأمر بالتعوذ منها، وأخبر أن آخر هذه الأمة سيصيبها بلاء وفتن عظيمة، وليس هنالك عاصم منها؛ إلا الإيمان بالله واليوم الآخر، ولزوم جماعة المسلمين، وهم أهل السنة - وإن قلوا -، والابتعاد عن الفتن، والتعوذ منها، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (وتعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن) رواه مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(تنبيهات)

أ- ظهور الفتن من المشرق: أكثر الفتن التي ظهرت في المسلمين كان منبعها من المشرق، من حيث يطلع قرن الشيطان، وهذا مطابق لما أخبر به نبي الرحمة ﷺ. فقد جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: (ألا إن الفتنة ها هنا، ألا إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان). رواه الشيخان، وفي رواية لمسلم أنه قال: (رأس الكفر من ها هنا، من حيث يطلع قرن

الشيطان"؛ يعني: المشرق)، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: دعا النبي ﷺ: (اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وبارك لنا في شامنا ويمننا فقال رجل من القوم: يا نبي الله! وفي عراقنا. قال: "إن بها قرن الشيطان، وتهيج الفتن، وإن الجفاء بالمشرق) أخرجه الطبراني، قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٧): "وأول الفتن كان منبعها من قبل المشرق، فكان ذلك سببًا للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة".اهـ.

فمن العراق ظهر الخوارج، والشيعة، والروافض، والباطنية، والقدرية، والجهمية، والمعتزلة، وأكثر مقالات الكفر كان منشؤها من المشرق؛ من جهة الفرس المجوس؛ كالزردشتية، والمانوية، والمزدكية، والهندوسية، والبوذيَّة، وأخيرًا وليس آخرًا: القاديانية، والبهائية... إلى غير ذلك من المذاهب الهدَّامة.

وسيكون ظهور الدجال ويأجوج ومأجوج من جهة المشرق، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. ولا بد لي هنا من أن أنبه على أن بعض الفتن هو من أشراط السَّاعة التي نص عليها رسول الله ﷺ؛ كوقعة صفين، وظهور الخوارج، وسأتكلم بإيجاز عن بعض الفتن العظيمة التي كانت سببًا في تفريق المسلمين، وظهور الشر العظيم.

ب- مقتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد كان ظهور الفتن في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه كان بابًا مغلقًا دون الفتن، فلما قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ظهرت الفتن العظيمة، وظهر دُعاتُها ممن لم يتمكن الإيمان من قلبه، وممن كان من المنافقين الذي يظهرون للناس الخير، ويبطنون الشر والكيد لهذا الدين. ففي "الصحيحين" عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال. قال: هاتِ؛ إنك لجرئ. قال

رسول الله ﷺ: "فتنةُ الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". قال: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر. قال: يا أمير المؤمنين! لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا. قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا، بل يكسر. قال: ذلك أحرى أن لا يغلق. قلنا: علم الباب؟ قال: نعم؛ كما أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأله، وأمرنا مسروقًا، فسأله، فقال: من الباب؟ قال: عمر) أخرجه البخاري ومسلم، وكان ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، فقد قُتِلَ عمر، وكُسِرَ الباب، وظهرت الفتن، ووقع البلاء، فكان أول فتنة ظهرت هي قتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد طائفة من دُعاة الشر، الذين تألبوا عليه من العراق ومصر، ودخلوا المدينة، وقتلوه وهو في داره رضي الله عنه، وقد ذكر النبي ﷺ لعثمان رضي الله عنه أنه سيصيبه بلاءٌ، ولهذا صبر ونهى الصحابة عن قتال الخارجين عليه؛ كي لا يُراقَ دَمٌ مِن أجله رضي الله عنه.

ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال (خرج النبي ﷺإلى حائطٍ من حوائطِ المدينة... (فذكر الحديث إلى أن قال:) فجاء عثمان، فقلتُ: كما أنت؛ حتى أستأذن لك. فقال النبي ﷺ: "ائذن له، وبشِّره بالجنة معها بلاءٌ يُصيبُهُ) أخرجه البخاري، وخصَّ النَّبي ﷺ عثمان بذكر البلاء مع أن عمر قتل أيضًا؛ لكون عمر لم يمتَحَن بمثل ما امتُحِنَ به عثمان؛ من تسلُّط القوم الذين أرادوا منه أن ينخلع من الإمامة بسبب ما نسبوه إليه من الجَور والظلم؛ بعد إقناعه لهم، ورده عليهم، وبمقتل عثمان رضي الله عنه انقسم المسلمون، ووقع القتال، وانتشرت الفتن والأهواء، وكَثُر الاختلاف، وتشعَّبت الآراء، ودارت المعارك الطاحنة في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وكان النبي ﷺ يعلم ما سيقع من الفتن في زمنهم؛ فإنه أشرف على أطم من أطام المدينة، فقال: (هل ترون ما أرى؟" قالوا: لا. قال: "فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع

القطر) أخرجه مسلم، قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٨): "والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم؛ أي: أنها كثير، تعمُّ الناس، لا تختصُّ بها طائفةٌ، وهذا إشارةٌ إلى الحروب الجارية بينهم؛ كوقعة الجمل، وصفِّين، والحرَّة، ومقتل عثمان والحسين رضي الله عنهما.. وغير ذلك، وفيه معجزة ظاهرة له ﷺ.

ج- موقعة الجمل: ومن الفتن التي وقعت بعد قتل عثمان رضي الله عنه ما وقع في معركة الجمل المشهورة بين علي رضي الله عنه وعائشة وطلحة والزبُّير رضي الله عنهم؛ فإنه لما قتل عثمان؛ أتى الناس عليا وهو في المدينة، فقالوا له: ابسُط يَدَكَ نُبايعك. فقال: حتى يتشاور الناس. فقال بعضهم: لئن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان، ولم يقم بعده قائم؛ لم يؤمن الاختلاف وفساد الأمة، فألحوا على علي رضي الله عنه في قبول البيعة، فبايعوه، وكان ممن بايعه طلحة والزبير رضي الله عنهما، ثم ذهبا إلى مكة للعمرة، فلقيتهم عائشة رضي الله عنها، وبعد حديث جرى بينهم في مقتل عثمان توجهوا إلى البصرة، وطلبوا من علي أن يسلم لهم قتلة عثمان، فلم يجبهم؛ لأنه كان ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه، فإذا ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان؛ اقتص منه، فاختلفوا بسبب ذلك، وخشي من نسب إليهم القتل - وهم الخارجون على عثمان - أن يصطلحوا على قتلهم، فأنشبوا الحرب بين الطائفتين، ومما يدلُّ على أن عائشة وطلحة والزبير لم يخرجوا للقتال، وإنما للصلح بين المسلمين ما رواه الحاكم من طريق قيس بن أبي حازم؛ قال: لما بلغت عائشة رضي الله عنها بعض ديار بني عامر؛ نبحت عليها الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوآب - موضع قريب من البصرة- قالت: ما أظنني إلا راجعة. فقال لها الزبير: لا بعدُ، تقدَّمي، فيراك الناس، فيصلح الله ذات بينهم. فقالت: ما أظنني إلا راجعة؛ سمعتُ رسول الله ﷺيقول: "كيفَ بإحداكُنَّ إذا نبحتها كلاب الحواب)، وفي رواية للبزار عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: (أيتكن

صاحبة الجمل الأدبب، تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة، وتنجو من بعد ما كادت).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية منهاج السنة (٢/ ١٨٥): "إن عائشة لم تخرج للقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها؛ تبكي حتى تَبُلَّ خِمارَها، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي رضي الله عنهم أجمعين. ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم؛ فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير، وقصدوا الاتفاق على المصلحة، وأنهم إذا تمكنوا؛ طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة، وكان علي غير راض بقتل عثمان، ولا معينًا عليه؛ كما كان يحلف، فيقول: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله. وهو الصادق البار في يمينه، فخشي القتلة أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن عليًا حمل عليهم، فحملوا دفعًا عن أنفسهم، فظن علي أنهم حملوا عليه، فحمل دفعًا عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة راكبة؛ لا قاتلت ولا أمرت بالقتال، وهكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار.اهـ.

د- موقعة صفين: ومن الفتن التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم غير حرب الجمل ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: (لا تقوم السَّاعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة) رواه البخاري ومسلم فالفئتان هما طائفة علي ومن معه، وطائفة معاوية ومن معه، على ما ذكر الحافظ في الفتح (١٣/ ٨٥)، وقد وقعت الحرب بين الطائفتين في الموقعة المشهور بـ(صفين) في ذي الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة، وكان بين الفريقين أكثر من سبعين زحفًا، قتل نحو سبعين ألفًا من

الفريقين، وما حصل من قتل بين علي ومعاوية لم يكن يريده واحد منهما، بل كان في الجيشين من أهل الأهواء متغلبون يحرضون على القتال، الأمر الذي أدَّى إلى نُشوب تلك المعارك الطاحنة، وخروج الأمر من يد علي ومعاوية رضي الله عنهما. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢/ ٢٢٤): "وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليا ولا معاوية، وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين، لكن غلبا فيما وقع، والفتنة إذا ثارت؛ عجز الحكماء عن إطفاء نارها. وكان في العسكرين مثل الأشتر النخعي، وهاشم بن عتبة المرقال، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبي الأعور السلمي، ونحوهم من المحرِّضين على القتال، قومٌ ينتصرون لعثمان غاية الانتصار، وقوم ينفرون عنه، وقوم ينتصرون لعلي، وقوم ينفرون عنه، ثم قتال أصحاب معاوية لم يكن لخصوص معاوية، بل كان لأسباب أخرى، وقتال الفتنة مثل قتال الجاهلية، لا تنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم؛ كما قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أُصيب بتأويل القرآن؛ فإنه هدر، أنزلوهم منزلة الجاهلية".اهـ.

هـ- ظهور الخوراج: ومن الفتن التي وقعت ظهور الخوارج على علي رضي الله عنه، وكان بداية ظهورهم بعد انتهاء معركة (صفين)، واتفاق أهل العراق والشام على التحكيم بين الطائفتين، وفي أثناء رجوع علي رضي الله عنه إلى الكوفة فارقه الخوارج - وقد كانوا في جيشه -، ونزلوا مكانًا يقال له (حروراء)، ويبلغ عددهم ثمانية آلاف، وقيل: ستة عشر ألفًا، فأرسل علي إليهم ابن عباس رضي الله عنه، فناظرهم، ورجع معه بعضهم، ودخلوا في طاعة علي.

وأشاع الخوارج أن عليًا تاب من الحكومة، ولذلك رجع بعضهم إلى طاعته، فخطبهم علي رضي الله عنه في مسجد الكوفة، فتنادوا من جوانب المسجد: لا حكم إلا لله.

وقالوا: أشركتَ وحكَّمتَ الرجال ولم تحكِّم كتاب الله. فقال لهم عليٌّ: لكم علينا ثلاث: أن لا نمنَعَكُم من المساجد، ولا من رزقكم في الفيء، ولا نبدؤكم بقتال ما لم تحدثوا فسادًا. ثم إنهم تجمعوا وقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين ومر بهم عبد الله بن خباب بن الأرت ومعه زوجته، فقتلوه وبقروا بطن زوجته عن ولدها، فلما علم بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسألهم من قتله؟ فقالوا: كلنا قتله. فتجهز علي للقتال، والتقى بهم في الموقعة المشهورة بـ(النهروان)، فهزمهم شر هزيمة، ولم ينج منهم إلا القليل. وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخروج هذه الطائفة في هذه الأمة، فقد تواترت الأحاديث بذلك، ذكر منها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٢٩٠-٣٠٧) أكثر من ثلاثين حديثًا وردت في الصحاح والسنن والمسانيد، منها ما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق) رواه مسلم.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما سئل عن الحرورية؟ قال: لا أدري ما الحرورية؟ سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية) رواه البخاري، وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتال الخوراج، وبين أن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم، وهذا دليل على فساد هذه الطائفة، وبعدها عن الإسلام، وضررها العظيم على الأمة؛ بما تثيره من فتن وقلاقل. ففي الصحيحين عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة) قال الإمام البخاري (١٢/ ٢٨٢-فتح): (كان ابن عمر يراهم شرار خلق الله،

وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين) قال الحافظ في الفتح (١٢/ ٢٨٥) عن الخوارج: "عظم البلاء بهم، وتوسَّعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رجم المحصن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادرًا ان وإن لم يكن قادرًا؛ فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكفوا عن أموال أهل الذمة وعن التعرض لهم مطلقًا، وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب.اهـ.

ولا يزال الخوارج يَظهرون حتى يدرك آخرهم الدجال، ففي الحديث عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ؛ قال: (ينشأ نشء يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيَهُم، كلما خرج قرن؛ قطع (أكثر من عشرين مرة) حتى يخرج في عراضهم الدجال) أخرجه ابن ماجة.

و- موقعة الحرَّة: ثم تتابع وقوع الفتن بعد ذلك، ومن هذه الفتن موقعة الحرة المشهورة في عهد يزيد بن معاوية، والتي استبيحت فيها مدينة رسول الله ﷺ، وقُتِل فيها كثيرٌ من الصحابة رضي الله عنهم.

ز- فتنة القول بخلق القرآن: ثم ظهر بعد ذلك في عهد العباسيين فتنة القول بخلق القرآن، وقد تزعم هذه المقالة الخليفة العباسي المأمون، وناصرها، وتبع في ذلك الجهمية والمعتزلة الذين روجوها عنده، حتى امتحن بسببها علماء الإسلام، ووقع على المسلمين بذلك بلاء عظيم، فقد شغلتهم ردحًا طويلًا من الزمن، وأدخل بسببها في عقيدة المسلمين ما ليس منها. هذا؛ والفتن التي وقعت كثيرة لا حصر لها، ولا تزال الفتن تظهر وتتتابع وتزداد، وبسبب هذه الفتن وغيرها من الفتن افترق المسلمون إلى فرق كثيرة، كل فرقة تدعو إلى نفسها، وتدعي أنها على الحق، وأن غيرها على الباطل. وقد أخبر الهادي البشير عليه الصلاة والسلام بافتراق هذه الأمة

كما افترقت الأمم قبلها، ففي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) رواه أصحاب "السنن"؛ إلا النسائي.

وعن أبي عامر عبد الله بن لحي؛ قال: حججنا مع معاوية بن أبي سيفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلما قدمنا مكة؛ قام حين صلى صلاة الظهر فقال: إن رسول الله ﷺقال: (إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني: الأهواء -؛ كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله". والله يا معشر العرب! لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ؛ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به) أخرجه أحمد وأبي دواد وغيرهما.

ح- اتباع سنن الأمم الماضية: ومن الفتن العظيمة اتباع سنن اليهود والنصارى وتقليدهم، فقد قلد بعض المسلمين الكفار، وتشبهوا بهم، وتخلقوا بأخلاقهم، وأعجبوا بهم، وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ، ففي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تقوم السَّاعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع". فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ فقال: "ومن الناس إلا أولئك) رواه البخاري وفي رواية عن أبي سعيد: (قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!) رواه البخاري ومسلم.

قال ابن بطال كما في الفتح (١٣/ ٣٠١): "أعلم ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء؛ كما وقع للأمم قبلهم، وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر، والسَّاعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائمًا عند خاصة من

الناس. وقال الحافظ: "وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ، وسيقع بقية" ذلك.اهـ.

وقال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٢١٩): "والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ".اهـ.

هذا؛ والفتن ليس لها حصرٌ، ففتنة النساء، وفتنة المال، وحب الشهوات، وحب السلطان والسيادة والزعامة؛ كلها فتنٌ ربما تهلك الإنسان، وتعصف به إلى مهاوي الرَّدى، نسأل الله العافية والسلامة.

٧- ظهور مدَّعي النبوَّة: ومن العلامات التي ظهرت: خروج الكذَّابين الذين يدعون النبوة، وهم قريبٌ من ثلاثين كذابًا، وقد خرج بعضهم في الزمن النبويِّ وفي عهد الصحابة، ولا يزالون يظهرون. وليس التحديد في الأحاديث مرادًا به كل من ادعى النبوة مطلقًا؛ فإنهم كثيرٌ لا يُحصون، وإنما المراد من قامت له شوكة، وكَثُر أتباعه، واشتهر بين الناس كما في الفتح (٦/ ٦١٧).

ففي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين؛ كلهم يزعم أنه رسول الله)، وعن ثوبان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم السَّاعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون من أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي) أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما، والأحاديث في ظهور هؤلاء الدجاجلة كثيرة، وفي بعضها وقع أنهم ثلاثون بالجزم؛ كما في حديث ثوبان، وفي بعضها أنهم قريب من الثلاثين؛ كما في حديث الصحيحين، ولعل رواية ثوبان على طريقة جبر الكسر، وممن ظهر من هؤلاء الثلاثين مسيلمة الكذاب، فادعى النبوة في آخر زمن النبي ﷺ، وكاتبه رسول الله ﷺ، وسماه مسيلمة

الكذاب، وقد كثر أتباعه، وعظم شره على المسلمين، حتى قضى عليه الصحابة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في معركة اليمامة المشهورة، وظهر كذلك الأسود العنسي في اليمن، وادعى النبوة، فقتله الصحابة قبل موت النبي ﷺ، وظهرت سجاح، وادعت النبوة، وتزوجها مسيلمة، ثم لما قتل؛ رجعت إلى الإسلام، وتنبأ أيضًا طليحة بن خويلد الأسدي، ثم تاب ورجع إلى الإسلام، وحسن إسلامه، ثم ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأظهر محبة أهل البيت، والمطالبة بدم الحسين، وكثر أتباعه، فتغلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير، ثم أغواه الشيطان، فادعى النبوة ونزول جبريل عليه، والذي يقوي أنه من الدجالين ما رواه أبو داود بعد سياقه لحديث أبي هريرة الذي في "الصحيحين" في ذكر الكذابين: "عن إبراهيم النخعي أنه قال لعبيدة السلماني: أترى هذا منهم - يعني: المختار-؟ قال: فقال عبيدة: أما إنه من الرؤوس"، ومنهم الحارث الكذاب، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان، فقتل، وخرج في خلافة بني العباس جماعة، وظهر في العصر الحديث ميرزا أحمد القادياني بالهند، وادعى النبوة، وأنه المسيح المنتظر، وأن عيسى ليس بحي في السماء.... إلى غير ذلك من الادعاءات الباطلة، وصار له أتباع وأنصار، وانبرى له كثير من العلماء، فردوا عليه، وبينوا أنه أحد الدجالين.

ولا يزال خروج هؤلاء الكذابين واحدًا بعد الآخر، حتى يظهر آخرهم الأعور الدجال، فقد روى الإمام أحمد عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم كسفت الشمس على عهده: (وإنه والله لا تقوم السَّاعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا، آخرهم الأعور الكذاب)، ومن هؤلاء الكذابين أربع نسوة، فقد روى الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: (في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين، لا نبي بعدي).

٨- انتشار الأمن: عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم السَّاعة حتى يسير الراكب بين العراق ومكة، لا يخاف إلا ضلال الطريق) أخرجه أحمد، وهذا قد وقع في زمن الصحابة رضي الله عنهم، وذلك حينما عم الإسلام والعدل البلاد التي فتحها المسلمون، ويؤيدُهُ ما تقدم في حديث عدي رضي الله عنه حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا عدي! هل رأيت الحيرة؟". قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: "فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة؛ لا تخاف إلا الله...) وسيكون ذلك في زمن المهدي وعيسى عليه السلام حينما يعمُّ العدلُ مكان الجور والظلم.

٩- ظُهورُ نارِ الحجازِ: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم السَّاعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز؛ تضيء أعناق الإبل ببصرى) وبصرى مدينة معروفة بالشام، والحديث أخرجه البخاري ومسلم.

وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وست مئة، وكانت نارًا عظيمة، أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم في وصفها، قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٨): "خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وست مئة، وكانت نارًا عظيمة جدًا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة".اهـ.

ونقل ابن كثير في النهاية (١/ ١٤) أن غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز.اهـ.

وذكر القرطبي ظهورَ هذه النار، وأفاض في وصفها في كتابه "التذكرة (ص٦٣٦)، فذكر أنها رئيت من مكة ومن جبال بصرى.

وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٧٩): "والذي ظهر لي أن النار المذكورة... هي

التي ظهرت بنواحي المدينة؛ كما فهمه القرطبي وغيره.اهـ.

وهذه النار ليست هي النار التي تخرج في آخر الزمان، تحشر الناس إلى محشرهم؛ كما سيأتي في الكلام عليها في الأشراط الكبرى.

١٠- قِتالُ التُّرك: روى مسلم عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى يقاتل المسلمون الترك؛ قومًا وجوههم كالمجان المطرق، يلبسون الشعر، ويمشون في الشعر)، وللبخاري عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة)، وعند البخاري عن عمرو بن تغلب؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من أشراط السَّاعة أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة)، وقد قاتل المسلمون الترك من عصر الصحابة ﵃، وذلك في أول خلافة بني أمية، في عهد معاوية ﵁، فقد روى أبو يعلى عن معاوية بن خديج؛ قال: كنت عند معاوية بن أبي سفيان حين جاءه كتاب من عامله يخبره أنه وقع بالترك وهزمهم، وكثرة من قتل منهم، وكثرة من غنم، فغضب معاوية من ذلك، ثم أمر أن يكتب إليه: قد فهمت مما قلت ما قتلت وغنمت، فلا أعلمن ما عدت لشيء من ذلك ولا قاتلتهم حتى يأتيك أمري. قلت: لم يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعتُ رسول اله ﷺ يقول: (لتظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيخ والقيصوم، فأنا أكره قتالهم لذلك) وإسناده ضعيف، ولكن له شواهد، منها حديث: (اتركوا الترك ما تركوكم) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٦٠٩/ ٦١٠)::كان ما بينهم وبين المسلمين مسدودًا إلى أن فتح ذلك شيئًا بعد شيء، وكثر السبي منهم، وتنافس الملوك فيهم، لما يتصفون به من الشدة والبأس، حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم، ثم غلب الأتراك على الملك، فقتلوا ابنه المتوكل، ثم أولاده

واحدًا بعد واحد، إلى أن خالط المملكة الديلم، ثم كان الملوك السامانية من الترك أيضًا، فملكوا بلاد العجم، ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين، ثم آل سلجوق، وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم، ثم كان بقايا أتباعهم بالشام - وهم آل زنكي -، وأتباع هؤلاء - وهم بيت أيوب -، واستكثر هؤلاء أيضًا من الترك، فغلبوهم على المملكة بالديار المصرية والشامية والحجازية، وخرج على آل سلجوق في المئة الخامسة الغز، فخربوا البلاد، وفتكوا في العباد، ثم جاءت الطامة الكبرى بالططر (التتار)، فكان خروج جنكز خان بعد الست مئة، فأسعرت بهم الدُّنيا نارًا، خصوصًا المشرق بأسره، حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم، ثم كان خراب بغداد وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم في سنة ست وخمسين وست مئة، ثم لم تزل بقاياهم يخربون إلى أن كان آخرهم (اللنك)، ومعناه: الأعرج، واسمه (تمر)؛ بفتح المثناة، وضم الميم، وربما أشبعت، فطرق الديار الشامية، وعاش فيها، وحرق دمشق حتى صارت على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك، وطالت مدته إلى أن أخذه الله، وتفرق بنوه في البلاد وظهر بجميع ما أوردته مصداق قوله ﷺ: "إن بني قنطوراء أول من سلب أمتي ملكهم"... وكأنه يريد بقوله: "أمتي" أمة النسب، لا أمة الدعوة؛ يعني: العرب، والله أعلم.اهـ. وعلى هذا يكون التتار الذين يظهرون في القرن السابع الهجري هم من الترك؛ فإن الصفات التي جاءت في وصف الترك تنطبق على التتار (المغول)، وقد كان ظهورهم في زمن الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال فيهم في شرح مسلم (١٨/ ٣٧): "قد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ: صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الآنف، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن".اهـ.

وقد دخل كثير من الترك في الإسلام، ووقع على أيديهم خير كثير للإسلام والمسلمين، وكونوا دولة إسلامية قوية، عز بها الإسلام، وحصل في عهدهم كثير من الفتوحات العظيمة، ومنها: فتح القسطنطينية عاصمة الروم، وهو تهيئة للفتح العظيم آخر الزمان قبل ظهور الدجال؛ كما سيأتي، ودخل الإسلام إلى أوروبا وكثير من البلدان في الشرق والغرب، وهذا مصداق لما قاله المصطفى ﷺ كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري بعد ذكره ﷺ لقتال الترك؛ قال: (وتجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر، حتى يقع فيه، والناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام)

١١- قتال العجم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى تقاتلوا خوزًا وكِرمان من الأعاجم؛ حُمرُ الوجوه، فُطسُ الأنوف، صغار الأعين؛ كأن وجوهَهُم المجانُّ المُطرَقة، نعالهم الشعر).

وقد مضى في الكلام على قتال الترك ذكر صفاتهم التي جاء ذكرها في أحاديث قتالهم، وذكر هنا في هذا الحديث قتال خوز وكرمان، وهما ليسا من بلاد الترك، بل من بلاد العجم، ومع هذا جاء وصفهم كوصف الترك.

قال الحافظ في الفتح (٦/ ٦٠٧): "يمكِن أن يُجاب بأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك، ويجتمع منهما الإنذار بخروج الطائفتين.اهـ.

قلت: ويؤيد هذا ما رواه سمرة رضي الله عنه عند أحمد ولكن بسند ضعيف؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن يملأ الله عز وجل أيديكم من العجم، ثم يكونون أسدًا لا يفرون، فيقتلون مقاتلتكم، ويأكلون فيئكم)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن يكثر فيكم من العجم أسد لا يفرون، فيقتلون مقاتلتكم، ويأكلون فيئكم) وعلى هذا فقتال العجم من أشراط السَّاعة.

١٢- ضياعُ الأمانَة:عن أبي هريرة ﵁ عند البخاري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا ضيعت الأمانة؛ فانتظر السَّاعة". قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: "إذا أسند الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر السَّاعة)، وبيَّن النبي ﷺ كيف تُرفع الأمانة من القلوب، وأنه لا يبقى منها في القلب إلا أثرها، كما في حديث حذيفة ﵁ عند البخاري؛ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت إحداهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها؛ قال: "ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكتِ، ثم ينام النومة فتُقبَضُ، فيبقى أثرها مثل المجل؛ كجمر دحرجته على رجلك، فنفط، فتراه منتبرًا، وليس فيه شيءٌ، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أبالي أيَّكُم بايعتُ، لئن كان مسلمًا؛ ردَّه الإسلام، وإن كان نصرانيًا، ردَّه عليَّ ساعيه، فأما اليوم؛ فما كنتُ أُبايعُ إلا فلانًا وفلانًا) ففي هذا الحديث بيان أن الأمانة ستُرفع من القلوب، حتى يصير الرجل خائنًا بعد أن كان أمينًا، وهذا إنما يقع لمن ذهبت خشيته لله، وضعُف إيمانُه، وخالطَ أهلَ الخيانة، فيصير خائنًا؛ لأن القرين يقتدي بقرينه.

قال الحافظ في الفتح (١/ ١٤٣): "ومناسبةُ هذا المتن لكتاب العلم أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غَلَبَة الجهل، ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط".اهـ. وقد أخبر ﷺ أنه ستكون هناك سنون خدَّاعة؛ تنعكس فيها الأمور؛ يُكَّذب فيها الصادق، ويُصَّدق فيها الكاذب، ويخوَّن الأمين، ويؤتمن الخائن؛ كما سيأتي الحديث عنه في أن من أشراط السَّاعة ارتفاع الأسافل.

١٣- قبض العلم وظهور الجهل: ومن أشراطها قبض العلم وفشوُّ الجهل، ففي

الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (من أشراط السَّاعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل)، وروى البخاري عن شقيق؛ قال: كنت مع عبد الله وأبي موسى، فقالا: قال النبي ﷺ: (إن بين يدي السَّاعة لأيامًا ينزل فيها الجهل، ويرفع العلم)، وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج).

قال ابن بطال كما في الفتح (١٣/ ١٦): "وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عيانًا، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقي الشح في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل" وعقب على ذلك الحافظ بقوله: "الذي يظهر أن الذي شاهده كان منه الكثير، مع وجود مقابله، والمراد من الحديث استحكام ذلك، حتى لا يبقى ما يقابله إلا النادر، وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم، فلا يبقى إلا الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم؛ لأنهم يكونون حينئذ مغمورين في أولئك.اهـ.

وقبض العلم يكون بقبض العلماء، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عند البخاري ومسلم؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا؛ اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا؟ فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا) قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٢٢٣): "هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه: أن يموت حملته، ويتخذ الناس جهالًا يحكمون بجهالاتهم، فيضلون ويضلون.اهـ. والمراد بالعلم هنا علم الكتاب والسنة، وهو العلم الموروث عن الأنبياء عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ؛ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وبذهابهم يذهب العلم، وتموت السنن، وتظهر البدع، ويعم

الجهل، وأما علم الدُّنيا؛ فإنه في زيادة، وليس هو المراد في الأحاديث؛ بدليل قوله ﷺ: (فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)، والضلال إنما يكون عند الجهل بالدين، والعلماء الحقيقيون هم الذين يعملون بعلمهم، ويوجهون الأمة، ويدلُّونها على طريق الحق والهدى؛ فإن العلم بدون عمل لا فائدة فيه، بل يكون وبالًا على صاحبه، وقد جاء في رواية للبخاري: (وينقص العمل) قال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣١) بعد ذكره لطائفة من العلماء: "وما أوتوا من العلم إلا قليلًا، وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل في أناس قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل..اهـ. وإذا كان هذا في عصر الذهبي؛ فما بالك بزماننا؟ فإنه كلما بعد الزمان من عهد ا لنبوة؛ قل العلم، وكثر الجهل؛ فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أعلم هذه الأمة، ثم التابعين، ثم تابعيهم، وهم خير القرون؛ كما قال ﷺ في حديث مسلم: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)

ولا يزال العلم ينقص، والجهل يكثر، حتى لا يعرف الناس فرائض الإسلام، فقد روى حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة؟ ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز؛ يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة؛ يقولون: (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها". فقال له صلة ما تغني عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة! تنجيهم من النار ثلاثًا) أخرجه ابن ماجة وغيره، وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لينزعن القرآن من بين أظهركم؛ يسرى عليه ليلًا، فيذهب من أجواف الرجال، فلا يبقى في الأرض منه

شيء) أخرجه الطبراني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٨): "يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف.اهـ.

وأعم من هذا أن لا يذكر اسم الله تعالى في الأرض؛ كما في الحديث عن أنس ﵁ عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله) وفي معناه قولين:

أحدهما: أن معناه أن أحدًا لا ينكر منكرًا، ولا يزجر أحدًا إذا رآه قد تعاطى منكرًا، وعبر عن ذلك بقوله: (حتى لا يقال: الله، الله"؛ كما تقدم في حديث عبد الله بن عمر: "فيبقى فيها عجاجة؛ لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا).

والقول الثاني: حتى لا يذكر الله في الأرض، ولا يعرف اسمه فيها، وذلك عند فساد الزمان، ودمار نوع الإنسان، وكثرة الكفر والفسوق والعصيان.

١٤- كثرة الشرط وأعوان الظلمة: روى الإمام أحمد عن أبي أمامة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال - أو قال: يخرج رجال من هذه الأمة في آخر الزمان - معهم سياط؛ كأنها أذناب البقر، يغدون في سخط الله، ويروحون في غضبه)، وفي رواية الطبراني في الكبير: (سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله، فإياك أن تكون من بطانتهم) وقد جاء الوعيد بالنار لهذا الصنف من الناس الذين يتسلطون على المسلمين، ويعذبونهم بغير بحق عند الإمام مسلم عن أبي هريرة ﵁؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس...).

قال النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٩٠): "وهذا الحديث من معجزات النبوة،

فقد وقع ما أخبر به ﷺ، فأما أصحاب السياط؛ فهم غلمان والي الشرطة.اهـ.

وقال ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه (إن طالت بك مدة؛ أوشكت أن ترى قومًا يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذناب البقر) أخرجه مسلم.

١٥- انتشار الزنا: ومن العلامات التي ظهرت فُشُوُّ الزنا وكثرته بين الناس، فقد أخبر النبي ﷺبأن ذلك من أشراط السَّاعة.

فقد ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أشراط السَّاعة.. (فذكر منها:) ويظهر الزنا)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (سيأتي على الناس سنوات خدَّاعاتٌ.. (فذكر الحديث، وفيه:) وتشيع فيها الفاحشة) وأعظم من ذلك استحلال الزنا، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: (ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير)

وفي آخر الزمان بعد ذهاب المؤمنين يبقى شرار الناس؛ يتهارجون تهارج الحمر؛ كما جاء في حديث النواس رضي الله عنه عند مسلم: (ويبقى شرار ا لناس، يتهارجون فيها تهارُجَ الحُمُرِ، فعليهم تقوم السَّاعة)، وعند عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما (لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمير، قلت: إن ذلك لكائن؟ قال: نعم ليكونن) أخرجه البزار، وله شاهد عند أبي يعلى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده؛ لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة، فيفترشها في الطريق، فيكون خيارهم يومئذ من يقول: لو واريتَها وراء هذا ا لحائط!).

قال القرطبي في كتابه المفهم كما في الفتح (١/ ١٧٩) على حديث أنس السابق: "في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع، فوقعت، خصوصًا في هذه الأزمان.اهـ. وإذا كان هذا في زمان القرطبي؛ فهو في زماننا هذا أكثر ظهورًا؛ لعظم غلبة الجهل، وانتشار الفساد بين الناس.

١٦- انتشار الربا: ومنها ظهور الربا، وانتشاره بين الناس، وعدم المبالاة بأكل الحرام، ففي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (بين يدي السَّاعة يظهر الربا) وهو مخرج في الصحيحة (٣٤١٥/ ٢) وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام)

وهذه الأحاديث تنطبق على كثير من المسلمين في هذا الزمن، فتجدهم لا يتحرون الحلال في المكاسب، بل يجمعون المال من الحلال والحرام، وأغلب ذلك بدخول الربا في معاملات الناس، فقد انتشرت المصارف المتعاملة بالربا، ووقع كثير من الناس في هذا البلاء العظيم، ومن فقه الإمام البخاري رحمه الله أنه أورد حديث أبي هريرة السابق في باب قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً} [آل عمران: ١٣٠]؛ ليبين أن أكل الأضعاف المضاعفة من الربا يكون بالتوسع فيه عند عدم مبالاة الناس بطرق جمع المال، وعدم التمييز بين الحلال والحرام.

١٧- ظُهور المعازف واستحلالها: عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: (سيكون في آخر الزمان خسف، وقذف، ومسخ". قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا ظهرت المعازف والقينات) وهذه العلامة قد وقع شيءٌ كبيرٌ منها في العصور السابقة، وهي الآن أكثر ظهورًا، فقد ظهرت المعازف في هذا الزمان، وانتشرت انتشارًا عظيمًا، وكثر المغنون والمغنيات، وهم المشار إليهم في هذا الحديث بـ(القينات)، وأعظم من ذلك استحلال كثير من الناس للمعازف، وقد جاء الوعيد لمن فعل ذلك بالمسخ والقذف والخسف؛ كما في الحديث السابق، ولما ثبت في في الحديث الصحيح عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: (ليكونن

من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم - يعني: الفقير - لحاجة، فيقولوا: ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة).

١٨- كثرة شرب الخمر واستحلالها: ظهر في هذه الأمة شرب الخمر، وتسميتها بغير اسمها، والأدهى من ذلك استحلال بعض الناس لها، وهذا من أمارات السَّاعة، فقد روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: (من أشراط السَّاعة:... (وذكر منها) ويشرب الخمر)، ومضى ذكر بعض الأحاديث في الكلام على المعازف، وفيها أنه سيكون من هذه الأمة من يستحل شرب الخمر، ومنها ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن عباة بن الصامت؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه) فقد أطلق على الخمر أسماء كثيرة، حتى سميت بـ(المشروبات الروحية)!! ونحو ذلك، والأحاديث في بيان أن هذه الأمة سيفشو فيها شرب الخمر، وأن فيهم من يستحلها ويغير اسمها كثيرة.

وفسر ابن العربي استحلال الخمر بتفسيرين كما في الفتح (١٠/ ٥١):

الأول: اعتقاد حل شربها.

الثاني: أن يكون المراد بذلك الاسترسال في شربها؛ كالاسترسال في الحلال.

وذكر أنه سمع ورأى من يفعل ذلك.اهـ.

وهو في زمننا هذا أكثر، فقد فتن بعض الناس بشربها، وأعظم من ذلك بيعها جهارًا، وشربها علانية في بعض البلدان الإسلامية، وانتشار المخدرات انتشارًا عظيمًا لم يسبق له مثيل؛ مما ينذر بخطر عظيم، وفساد كبير، والأمر لله من قبل ومن بعد.

١٩- زخرفة المساجد والتباهي بها: ومنها زخرفة المساجد، ونقشها، والتفاخر بها، فقد روى الإمام أحمد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة

حتى يتباهى الناس في المساجد)، وفي رواية للنسائي وابن خزيمة عنه ﵁ أن النبي ﷺقال: (من أشراط السَّاعة أن يتباهى الناس في المساجد)، قال البخاري (١/ ٥٣٩-فتح): (قال أنس: يتباهون بها، ثم لا يعمرونها إلا قليلًا، فالتباهي بها: العناية بزخرفتها. قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى)، وقد نهى عمر بن الخطاب ﵁ -كما في صحيح البخاري (١/ ٥٣٩-فتح) معلقا مجزوما به- عن زخرفة المساجد؛ لأن ذلك يشغل الناس عن صلاتهم، وقال عندما أمر بتحديد المسجد النبوي: (أكن الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر، فتفتن الناس) ورحم الله عمر؛ فإن الناس لم يأخذوا بوصيته، ولم يقتصروا على التحمير والتصفير، بل تعدوا ذلك إلى نقش المساجد كما ينقش الثوب، وتباهى الملوك والخلفاء في بناء المساجد، وتزويقها، حتى أتوا في ذلك بالعجب، ولا زالت هذه المساجد قائمة حتى الآن؛ كما في الشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس وغيرها، وحتى الآن لا يزال المسلمون يتباهون في زخرفة الساجد، ولا شك أن زخرفة المساجد علامة على الترف والتبذير، وعمارتها إنما تكون بالطاعة والذكر فيها، ويكفي الناس ما يكنهم من الحر والقر والمطر، وقد جاء الوعيد بالدمار إذا زخرفت المساجد، وحليت المصاحف، فقد روى الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء ﵁ قال: (إذا زوقتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم؛ فالدمار عليكم) قال المناوي في الفيض (١/ ٧): "فزخرفة المساجد وتحلية المصاحف منهي عنها؛ لأن ذلك يشغل القلب، ويلهي عن الخشوع والتدبر والحضور مع الله تعالى، والذي عليه الشافعية أن تزويق المسجد - ولو الكعبة - بذهب أو فضة: حرام مطلقًا، وبغيرهما مكروه. ٢٠- التطاول في البنيان: هذا من العلامات التي ظهرت قريبًا من عصر النبوة، وانتشرت بعد ذلك، حتى تباهى الناس في العمران، وزخرفة البيوت، وذلك أن الدُّنيا بسطت

على المسلمين، وكثرت الأموال في أيديهم بعد الفتوحات، وامتد بهم الزمان حتى ركن كثير منهم إلى الدُّنيا، ودب إليهم داء الأمم قبلهم، وهو التنافس في جمع الأموال وصرفها في غير ما ينبغي أن تصرف فيه شرعًا، حتى إن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفقر بسطت لهم الدُّنيا؛ كغيرهم من الناس، وأخذوا في بناء الأبنية ذوات الطوابق المتعددة، وتنافسوا في ذلك، وكل هذا قد وقع كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لجبريل عندما سأله عن وقت قيام السَّاعة: (ولكن سأحدثك عن أشراطها.. (فذكر منها): وإذا تطاول رعاء البهائم في البنيان؛ فذاك من أشراطها)، وفي رواية لمسلم: (وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)، وجاء في رواية للإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال (يا رسول الله! ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال: العرب)، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة... حتى يتطاول الناس في البنيان).

قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٨٨): "ومعنى التطاول في البنيان أن كلا ممن كان يبني بيتًا يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر، ويحتمل أن يكون المراد بالمباهاة به في الزينة والزخرفة، أو أعم من ذلك، وقد وجد الكثير من ذلك، وهو في ازدياد".اهـ.

وقد ظهر هذا جليًا في هذا العصر، فتطاول الناس في البنيان، وتفاخروا في طولها وعرضها وزخرفتها، بل وصل بهم الأمر إلى أن بنوا ما يشبه ناطحات السحاب المشهورة في بلدان العالم.

٢١- ولادة الأمة لربتها: جاء في حديث جبريل الطويل قوله النبي ﷺ: (وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها). متفق عليه، وفي روية لمسلم: (إذا

ولدت الأمة ربها) قال الحافظ في الفتح (١/ ١٢٢): قد اختلف العلماء قديما وحديثا في معنى ذلك: قال ابن التين: اختلف فيه على سبعة أوجه، فذكرها لكنها متداخلة، وقد لخصتها بلا تداخل فإذا هي أربعة أقوال: الأول: قال الخطابي: معناه اتساع الإسلام، واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها، كان الولد منها بمنزلة ربها لأنه ولد سيدها. قال النووي وغيره: إنه قول الأكثرين. قلت: لكن في كونه المراد نظر. لأن استيلاد الإماء كان موجودا حين المقالة، والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري، وقع أكثره في صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة، وقد فسره وكيع في رواية ابن ماجه بأخص من الأول. قال: أن تلد العجم العرب، ووجهه بعضهم بأن الإماء يلدن الملوك، فتصير الأم من جملة الرعية والملك سيد رعيته، وهذا لإبراهيم الحربي، وقربه بأن الرؤساء في الصدر الأول كانوا يستنكفون غالبا من وطء الإماء ويتنافسون في الحرائر، ثم انعكس الأمر ولا سيما في أثناء دولة بني العباس، ولكن رواية ربتها بتاء التأنيث قد لا تساعد على ذلك. ووجهه بعضهم بأن إطلاق ربتها على ولدها مجاز، لأنه لما كان سببا في عتقها بموت أبيه أطلق عليه ذلك، وخصه بعضهم بأن السبي إذا كثر، فقد يسبى الولد أولا وهو صغير، ثم يعتق ويكبر ويصير رئيسا بل ملكا، ثم تسبى أمه فيما بعد فيشتريها عارفا بها، أو وهو لا يشعر أنها أمه، فيستخدمها أو يتخذها موطوءة أو يعتقها ويتزوجها. وقد جاء في بعض الروايات: "أن تلد الأمة بعلها " وهي عند مسلم فحمل على هذه الصورة، وقيل المراد: بالبعل المالك وهو أولى لتتفق الروايات. الثاني: أن تبيع السادة أمهات أولادهم، ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة حتى يشتريها ولدها ولا يشعر بذلك، وعلى هذا فالذي يكون من الأشراط، غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد،

أو الاستهانة بالأحكام الشرعية. فإن قيل: هذه المسألة مختلف فيها فلا يصلح الحمل عليها، لأنه لا جهل ولا استهانة عند القائل بالجواز، قلنا: يصلح أن يحمل على صورة اتفاقية كبيعها في حال حملها، فإنه حرام بالإجماع. الثالث: وهو من نمط الذي قبله، قال النووي: لا يختص شراء الولد أمه بأمهات الأولاد، بل يتصور في غيرهن بأن تلد الأمة حرا من غير سيدها بوطء شبهة، أو رقيقا بنكاح أو زنا، ثم تباع الأمة في الصورتين بيعا صحيحا، وتدور في الأيدي حتى يشتريها ابنها أو ابنتها. ولا يعكر على هذا تفسير محمد بن بشر، بأن المراد السراري لأنه تخصيص بغير دليل. الرابع: أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام. فأطلق عليه ربها مجازا لذلك. أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة، وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه، ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة. ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربي مربيا والسافل عاليا، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى: أن تصير الحفاة ملوك الأرض.اهـ.

وهناك قول خامس للحافظ ابن كثير في النهاية (١/ ١٧٧) وهو: "أن الإماء تكون في آخر الزمان هن المشار إليهن بالحشمة، فتكون الأمة تحت الرجل الكبير دون غيرها من الحرائر، ولهذا قرن ذلك بقوله: "وأن ترى الحفالة العراة العالة يتطاولون في البنيان.اهـ.

٢٢- كثرة القتل: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى يكثر الهرج"، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: "القتل، القتل). رواه مسلم، وفي رواية للبخاري عن عبد الله بن مسعود: (بين يدي السَّاعة أيام الهرج؛ يزول فيها العلم، ويظهر فيها الجهل". قال أبو موسى: والهرج: القتل؛ بلسان الحبشة)، وعن

أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (إن بين يدي السَّاعة الهرج"، قالوا: وما الهرج؟ قال: "القتل"، قالوا: أكثر مما نقتل؛ إنا نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفًا. قال: "إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا". قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ. قال: "إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس؛ يحسب أكثرهم أنه على شيء، وليسوا على شيء) رواه أحمد وابن ماجة، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده؛ لا تذهب الدُّنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل؟". فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: "الهرج، القاتل والمقتول في النار) رواه مسلم.

وما أخبر به ﷺ في هذه الأحاديث قد وقع بعض منه، فحدث القتال بين المسلمين في عهد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم صارت الحروب تكثر في بعض الأماكن دون بعض، وفي بعض الأزمان دون بعض، ودون أن تعرف أسباب أكثر تلك الحروب، وقد جاء أن هذه الأمة أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، وأن الله تعالى جعل عذابها في الدُّنيا الفتن والزلازل والقتل، ففي الحديث عن أبي بردة؛ قال: بينا أنا واقف في السوق في إمارة زياد إذ ضربت بإحدى يدي على الأخرى تعجبًا، فقال رجل من الأنصار قد كانت لوالده صحبة مع رسول الله ﷺ: مما تعجب يا أبا بردة؟ قلت: أعجب من قوم دينهم واحد ونبيهم واحد، ودعوتهم واحدة، وحجهم واحد، وغزوهم واحد؛ يستحل بعضهم قتل بعض. قال: فلا تعجب! فإني سمعت والدي أخبرني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن أمتي أمة مرحومة، ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب، إنما عذابها في القتل والزلازل والفتن) رواه الحاكم وغيره، وفي رواية عن أبي موسى عند أحمد: (إن أمتي أمة مرحومة، ليس عليها في الآخرة عذاب، إنما عذابها في الدُّنيا: القتل، والبلابل، والزلازل).

٢٣- تقارب الزمان: ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم السَّاعة حتى..يتقارب الزمان)، وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم السَّاعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالسَّاعة، وتكون السَّاعة كاحتراق السعفة) أخرجه أحمد والترمذي، وللعلماء أقوال في المراد بتقارب الزمان؛ منها:

١- أن المراد بذلك قلة البركة في الزمان.

قال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٦): "قد وجد في زماننا هذا، فإننا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا.اهـ.

٢- أن المراد بذلك هو ما يكون في زمان المهدي وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ من استلذاذ الناس للعيش، وتوفر الأمن، وغلبة العدل، وذلك أن الناس يستقصرون أيام الرخاء وإن طالت، وتطول عليهم مدة الشدة وإن قصرت.

٣- أن المراد تقارب أحوال أهله في قلة الدين، حتى لا يكون منهم من يأمر بمعروف، وينهى عن منكر، لغلبة الفسق، وظهور أهله، وذلك عند ترك طلب العلم خاصة، والرضى بالجهل، وذلك لأن الناس لا يتساوون في العلم، فدرجات العلم تتفاوت؛ كما قال تعالى: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم} [يوسف: ٧٦]، وإنما يتساوون إذا كانوا جهالًا.

٤- أن المراد تقارب أهل الزمان بسبب توفر وسائل الاتصالات والمراكب الأرضية والجوية السريعة التي قربت البعيد.

٥- أن المراد بذلك هو قصر الزمان، وسرعته حقيقة، وذلك في آخر الزمان.

وهذا لم يقع إلى الآن، ويؤيد ذلك ما جاء أن أيام الدجال تطول حتى يكون اليوم كالسنة، وكالشهر، وكالجمعة في الطول، فكما أن الأيام تطول؛ فإنها تقصر، وذلك

لاختلال نظام العالم، وقرب زوال الدُّنيا.

قال ابن أبي جمرة كما في الفتح (١٣/ ١٧): "يحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان: قصره؛ على ما وقع في حديث: "لا تقوم السَّاعة حتى تكون السنة كالشهر"، وعلى هذا؛ فالقصر يحتمل أن يكون معنويًا. أما الحسي؛ فلم يظهر بعد، ولعله من الأمور التي تكون قرب قيام السَّاعة، وأما المعنوي؛ فله مدة منذ ظهر؛ يعرف ذلك أهل العلم الديني ومن له فطنة من أهل السبب الدنيوي؛ فإنهم يجدون أنفسهم لا يقدر أحدهم أن يبلغ من العمل قدر ما كانوا يعملونه قبل ذلك، ويكون ذلك، ولا يدرون العلة فيه، ولعل ذلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان؛ لظهور الأمور المخالفة للشرع من عدة أوجه، وأشد ذلك الأقوات، ففيها من الحرام المحض ومن الشبه ما لا يخفى، حتى إن كثيرًا من الناس لا يتوقف في شيء، ومهما قدر على تحصيل شيء؛ هجم عليه ولا يبالي، والواقع أن البركة في الزمان وفي الرزق وفي النبت إنما تكون من طريق قوة الإيمان، واتباع الأمر، واجتناب النهي، والشاهد لذلك قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعرف: ٩٦].

٢٤- تقارب الأسواق: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق) أخرجه أحمد، قال الشيخ حمود التويجري في إتحاف الجماعة (١/ ٤٩٨، ٤٩٩): "وأما تقارب الأسواق؛ فقد جاء تفسيره في حديث ضعيف بأنه كسادها، وقلة أرباحها، والظاهر - والله اعلم- أن ذلك إشارة إلى ما وقع في زماننا من تقارب أهل الأرض؛ بسبب المراكب الجوية والأرضية والآلات الكهربائية التي تنقل الأصوات؛ كالإذاعات والتلفونات الهوائية التي صارت أسواق الأرض متقاربة بسببها، فلا يكون تغيير في

الأسعار في قطر من الأقطار إلا ويعلم به التجار - أو غالبهم - في جميع أرجاء الأرض، فيزيدون في السعر إن زاد، وينقصون إن نقص، ويذهب التاجر في السيارات إلى أسواق المدائن التي تبعد عنه مسيرة أيام، فيقضي حاجته منها، ثم يرجع في يوم أو بعض يوم، ويذهب في الطائرات إلى أسواق المدائن التي تبعد عنه مسيرة شهر فأكثر، فيقضي حاجته منها، ويرجع في يوم أو بعض يوم، فقد تقاربت الأسواق من ثلاثة أوجه:

الأول: سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه.

الثاني: سرعة السير من سوق إلى سوق، ولو كانت مسافة الطريق بعيدة جدًا.

الثالث: مقاربة بعضها بعضًا في الأسعار، واقتداء بعض أهلها ببعض في الزيادة والنقصان، والله أعلم".

٢٥- ظهور الشرك في هذه الأمة: هذا من العلامات التي ظهرت، وهي في ازدياد، فقد وقع الشرك في هذه الأمة، ولحقت قبائل منها بالمشركين، وعبدوا الأوثان، وبنوا المشاهد على القبور، وعبدوها من دون الله، وقصدوها للتبرك والتقبيل والتعظيم، وقدموا لها النذور، وأقاموا لها الأعياد، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة أو أعظم شركًا، روى أبو داود والترمذي عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا وضع السيف في أمتي؛ لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم السَّاعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وروى الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم السَّاعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة) و(ذو الخلصة): طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية، وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث؛ فإن قبيلة دوس وما حولها من العرب قد افتتنوا بذي الخلصة عندما عاد الجهل إلى تلك البلاد، فأعادوا سيرتها

الأولى، وعبدوها من دون الله، حتى قام الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بالدعوة إلى التوحيد، وجدد ما اندرس من الدين، فقام الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، وبعث جماعة من الدعاة إلى ذي الخلصة، فخربوها -، وهدموا بعض بنائها - ولما انتهى حكم آل سعود على الحجاز في تلك الفترة، عاد الجهال إلى عبادتها مرة أخرى، ثم لما تمكن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ من بلاد الحجاز؛ أمر عامله عليها، فأرسل جماعة من جيشه، فهدموها، وأزالوا أثرها، ولله الحمد والمنة.

ولا يزال هناك صور من الشرك في بعض البلدان، وصدق الرسول ﷺإذ يقول: (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقالت عائشة: يا رسول الله! إن كنت لأظن حين أنزل الله: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف: ٩] أن ذلك تامًا، قال: "إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبة، فتوفي كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم) أخرجه مسلم، ومظاهر الشرك كثيرة، فليست محصورة في عبادة الأحجار والأشجار والقبور، بل تتعدى ذلك إلى من نبذوا الإسلام وراءهم ظهريًا، واعتنقوا المذاهب الإلحادية؛ من علمانية، وشيوعية، واشتراكية، وقومية، ثم يزعمون أنهم مسلمون.

٢٦- ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار: روى الإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى يظهر الفحش، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة)،

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (من أشراط السَّاعة الفحش والتفحش وقطعية الرحم)، وللإمام أحمد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن

النبي ﷺأنه قال: (إن بين يدي السَّاعة... قطع الأرحام) وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ، فانتشر الفحش بين كثير من الناس؛ غير مبالين بالتحدث بما يرتكبون من معاصي، وما يترتب عليه من عقاب شديد، وقطعت الأرحام، فالقريب لا يصل قريبه، بل حصل بينهم التقاطع والتدابر، فتمر الشهور والسنون وهم في بلد واحد، فلا يتزاورون، ولا يتواصلوان، وهذا لا شك أنه من ضعف الإيمان، فإن رسول الله ﷺ حث على صلة الرحم، وحذر من قطيعتها، وقال: (إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم؛ قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم؛ أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك" ثم قال رسول الله ﷺ: "اقرأوا إن شئتم: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٢- ٢٤]" أخرجه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: (لا يدخل الجنة قاطع رحم) أخرجه مسلم، وأما سوء الجوار؛ فحدث عنه ولا حرج، فكم من جار لا يعرف جاره، ولا يتفقد أحواله؛ ليمد يد العون إليه إن احتاج! بل ولا يكف شره عنه.

وقد نهى النبي ﷺعن أذى الجار، فقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤذي جاره) أخرجه مسلم، وأمر بالإحسان إلى الجار، فقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليحسن إلى جاره) أخرجه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) أخرجه مسلم.

٢٧- تشبب المشيخة: عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة) أخرجه أحمد وغيره، وما جاء في هذا الحديث واقع في هذا الزمن؛ فإنه انتشر بين الرجال

صبغ لحاهم ورؤوسهم بالسواد، والذي يظهر لي -والله اعلم- أن قوله ﷺ: "كحواصل الحمام" تشبيه لحال بعض المسلمين في هذا العصر، فتجدهم يصنعون بلحاهم كهيئة حواصل الحمام، يحلقون عوارضهم، ويدعون ما على أذقانهم من الشعر، ثم يصبغونه بالسواد، فيغدو كحواصل الحمام.

٢٨- كثرة الشح: عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: (من أشراط السَّاعة أن يظهر الشح) أخرجه البخاري في تاريخه وابن حبان وغيرهما، وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: (يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح) أخرجه البخاري، والشح خلق مذموم؛ نهى عنه الإسلام، وبين أن من وقي شح نفسه؛ فقد فاز وأفلح؛ كما قال تعالى: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩، والتغابن: ١٦].

٢٩- كثرة التجارة: ومنها كثرة التجارة، وفشوها بين الناس، حتى تشارك النساء فيها الرجال، روى الإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺأنه قال: بين يدي السَّاعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تشارك المرأة زوجها في التجارة)، وروى النسائي عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أشراط السَّاعة أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التحارة) وقد وقع هذا، فكثرت التجارة، وشاركت فيها النساء، وافتتن الناس بجمع المال، وتنافسوا فيه.

٣٠- كثرة الزلازل: عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم السَّاعة حتى تكثر الزلازل) أخرجه البخاري، وعن سلمة بن نفيل السكوني رضي الله عنه؛ قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ... (فذكر الحديث، فيه): (وبين يدي السَّاعة موتان شديد، وبعده سنوات الزلازل) أخرجه أحمد.

قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٨٧): "قد وقع في كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثير من الزلازل، ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها".اهـ.

ويؤيد ذلك ما روي عن عبد الله بن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: وضع رسول الله ﷺيدي على رأسي - أو على هامتي -، فقال: (يا ابن حوالة! إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة؛ فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والسَّاعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك) أخرجه أحمد وغيره.

٣١- ظهور الخسف والمسخ والقذف: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: (يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف". قالت: قلت: يا رسول! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم؛ إذا ظهر الخبث) أخرجه الترمذي، وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ؛ قال: (بين يدي السَّاعة مسخ وخسف وقذف) أخرجه ابن ماجة، وعند للترمذي: (في هذه الأمة - أو في أمتي - خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر)، وعن محمد بن إبراهيم التيمي؛ قال: سمعت بقيرة امرأة القعقاع بن أبي حدرد تقول: سمعت رسول الله ﷺعلى المنبر وهو يقول: (إذا سمعتم بجيش قد خسف به قريبًا؛ فقد أظلت السَّاعة) أخرجه أحمد، والخسف قد وجد في مواضع في الشرق والغرب قبل عصرنا هذا، ووقع في هذا الزمن كثير من الخسوفات في أماكن متفرقة من الأرض، وهي نذير بين يدي عذاب شديد، وتخويف من الله لعباده، وعقوبة لأهل البدع والمعاصي؛ كي يعتبر الناس، ويرجعوا إلى ربهم، ويعلموا أن السَّاعة قد أزفت، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

٣٢- ذهاب الصالحين: ومن أشراطها: ذهاب الصالحين، وقلة الأخيار، وكثرة الأشرار، حتى لا يبقى إلا شرار الناس، وهم الذين تقوم عليهم السَّاعة ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم السَّاعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض، فيبقى فيها عجاجة؛ لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا) أخرجه أحمد ورجاله ثقات رجال الشيخين إلا أن فيه عنعنة الحسن -وهو البصري-

، وقد روي مرفوعا وموقوفا، والأشبه وقفه. ومعنى الحديث أي: يأخذ الله أهل الخير والدين، ويبقى غوغاء الناس وأراذلهم ومن لا خير فيهم، وهذا عند قبض العلم واتخاذ الناس رؤوسًا جهالًا يفتون بغير علم، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: (يأتي على الناس زمان يغربلون فيه غربلة، يبقى منهم حثالة قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا، فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه) أخرجه أحمد.

وذهاب الصالحين يكون عند كثرة المعاصي، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإن الصالحين إذا رأوا المنكر ولم يغيروا وكثر الفساد؛ عمهم العذاب مع غيرهم إذا نزل؛ كما جاء في الحديث لما قيل للنبي ﷺ (أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم؛ إذا كثر الخبث) رواه البخاري.

٣٣- ارتفاع الأسافل: ومن أشراطها ارتفاع أسافل الناس عن خيارهم، واستئثارهم بالأمور دونهم، فيكون أمر الناس بيد سفهائهم وأراذلهم ومن لا خير فيهم، وهذا من انعكاس الحقائق، وتغير الأحوال، وهذا أمر مشاهد في هذا الزمن، فترى أن كثيرًا من رؤوس الناس وأهل العقد والحل هم أقلُّ الناس صلاحًا وعلمًا، مع أن الواجب أن يكون أهل الدين والتقى هم المقدمون على غيرهم في تولي أمور الناس؛ لأن أفضل الناس وأكرمهم هم أهل الدين والتقوى؛ كما قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]. ولذلك لم يكن النبي ﷺ يولي الولايات وأمور الناس إلا مَن هم أصلح الناس وأعلمهم، وكذلك خلفاؤه من بعده، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها ما رواه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأهل نجران: (لأبعثن إليكم رجلًا أمينًا حق أمين"، فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ، فبعث أبا عبيدة).

وهذه بعض الأحاديث الدالَّة على ارتفاع أسافل الناس، وأن ذلك من أمارات السَّاعة: فمنها ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال رسول الله ﷺ: (إنها ستأتي على الناس سنون خداعة؛ يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرُّوَيبِضَة، قيل: وما الرُّوَيبِضَة؟ قال: "السفيه يتكلم في أمر العامة)، وفي حديث جبريل الطويل عند مسلم قوله: (ولكن سأحدثك عن أشراطها.. وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس؛ فذاك من أشراطها)، وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (من أشراط السَّاعة: أن يغلب على الدُّنيا لكع أبن لكع، فخير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين) أخرجه الطبراني في الأوسط والطحاوي، وفي صحيح البخاري: (إذا أسند الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر السَّاعة)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (من أشراط السَّاعة:... أن يعلو التحوت الوعول"، أكذلك يا عبد الله بن مسعود سمعته من حبي؟ قال: نعم؛ ورب الكعبة. قلنا: وما التحوت؟ قال: فسول الرجال، وأهل البيوت الغامضة يرفعون فوق صالحيهم. والوعول: أهل البيوت الصالحة) أخرجه الطبراني في الأوسط، وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تذهب الدُّنيا حتى تصير للكعابن لكع) أي: حتى يصير نعيمها وملاذها والوجاهة فيها له، وفي رواية للإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى يكون أسعد الناس بالدينا لكع ابن لكع)، وفي الصحيحين عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما رواه عن النبي ﷺ في قبض الأمانة: (حتى يقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من أيمان)، وهذا هو الواقع بين المسلمين في هذا العصر؛ يقولون للرجل: ما أعقله! ما أحسن خلقه! ويصفونه بأبلغ الأوصاف الحسنة، وهو من أفسق

الناس، وأقلهم دينًا وأمانة، وقد يكون عدوًا للمسلمين، ويعمل على هدم الإسلام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣٤- أن تكون التحية للمعرفة: ومن أشراطها أن الرجل لا يلقي السلام إلا على من يعرفه، ففي الحديث عن ابن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أشراط السَّاعة أن يسلم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة". رواه أحمد، وفي رواية له: (إن بين يدي السَّاعة تسليم الخاصة) وهذا أمر مشاهد في هذا الزمن، فكثير من الناس لا يسلمون إلا على من يعرفون، وهذا خلاف السنة؛ فإن النبي ﷺ حث على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف، وأن ذلك سبب في انتشار المحبة بين المسلمين التي هي سبب للإيمان الذي به يكون دخول الجنة؛ كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم) رواه مسلم.

٣٥- التماس العلم عند الأصاغر: روى الإمام عبد الله بن المبارك بسنده عن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن من أشراط السَّاعة ثلاثًا: إحداهن: أن يلتمس العلم عند الأصاغر..) وسئل الإمام عبد الله بن المبارك عن الأصاغر؟ فقال: "الذين يقولون برأيهم، فأما صغير يروي عنه كبير؛ فليس بصغير"، وقال في ذلك أيضًا: "أتاهم العلم من قبل أصاغرهم؛ يعني أهل البدع" وروى ابن المبارك في الزهد أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم، وتفرقت أهواؤهم؛ هلكوا).

٣٦- ظهور الكاسيات العاريات: ومنها خروج النساء على الآداب الشرعية،

وذلك بلبس الثياب التي لا تستر عوراتهن، وإظهارهن لزينتهن وشعورهن وما يجب ستره من أبدانهن، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال؛ ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف، العنوهن؛ فإنهن ملعونات، لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساؤكم نساءهم كما يخدمنكم نساء الأمم قبلكم) رواه الإمام أحمد، وفي رواية للحاكم: (سيكون في آخر هذه الأمة رجال يركبون على المياثر، حتى يأتوا أبواب مساجدهم، نساؤهم كاسيات عاريات)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر؛ يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) أخرجه مسلم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: (من أشراط السَّاعة:... أن تظهر ثياب تلبسها نساء كاسيات عاريات) وهو مخرج في الصحيحة (٣٢١١)، وهذه الأحاديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ قبل عصرنا هذا، وهو في زمننا هذا أكثر ظهورًا.

وقد سمى النبي ﷺ هذا الصنف من النساء بـ(الكاسيات العاريات)؛ لأنهن يلبسن الثياب، ومع هذا فهن (عاريات)؛ أن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر؛ لرقتها وشفافيتها؛ كأكثر ملابس النساء في هذا العصر.

وقيل: إن معنى (الكاسيات العاريات)؛ أي: كاسية جسدها، ولكنها تشد خمارها، وتضيق ثيابها، حتى تظهر تفاصيل جسمها، فتبرز صدرها وعجيزتها، أو تكشف بعض جسدها، فتعاقب على ذلك في الآخرة، وقد جمع النبي ﷺ في وصف هؤلاء النسوة بأنهن: "كاسيات عاريات"، وأيضًا: "مائلات مميلات، رؤوسهن

كأسنمة البخت المائلة"، وهذا إخبار عن شيء مشاهد في هذا العصر؛ كأنه ﷺ ينظر إلى عصرنا هذا، ويصفه لنا، فقد أصبح في عصرنا هذا أماكن لتصفيف شعور النساء وتجميلها وتنويع أشكالها في محلات تسمى (كوافير)، يشرف عليها غالبًا رجال يتقاضون الأجور، وليس ذلك فحسب، فكثير من النساء لا يكتفين بما وهبهن الله من شعر طبيعي، فيلجأن إلى شراء شعر صناعي، تصله المرأة بشعرها؛ ليبدو أكثر نعومة ولمعانًا وجمالًا؛ لتجذب إليها الرجال.

٣٧- صدق رؤيا المؤمن: ومنها صدق رؤيا المؤمن في آخر الزمان، وكلما كان المرء صادقًا في إيمانه، كانت رؤياه صادقة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا اقترب الزمان؛ لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوة". هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري: (لم تكد رؤيا المؤمن تكذب.... وما كان من النبوة فإنه لا يكذب). قال ابن أبي جمرة كما في الفتح (١٢/ ٤٠٦): "معنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب: أنها تقع غالبًا على الوجه الذي لا يحتاج إلى تعبير، فلا يدخلها الكذب؛ بخلاف ما قبل؛ فإنها قد يخفى تأويلها، فيعبرها العابر، فلا يقع كما قال، فيصدق دخول الكذب فيها بهذا الاعتبار". قال: "والحكمة في اختصاص ذلك بآخر الزمان أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريبًا؛ كما في الحديث: (بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا) أخرجه مسلم، فيقل أنيس المؤمن ومعينه في ذلك الوقت، فيكرم بالرؤيا الصالحة".اهـ.

وقد اختلف العلماء في تحديد الزمن الذي يقع فيه صدق رؤيا المؤمن على أقوال كما في الفتح (١٢/ ٤٠٦، ٤٠٧): الأول: أن ذلك يقع إذا اقتربت السَّاعة، وقبض أكثر العلم، ودرست معالم الشريعة؛ بسبب الفتن وكثرة القتال، وأصبح الناس على مثل

الفترة، فهم محتاجون إلى مجدد ومذكر لما درس من الدين؛ كما كانت الأمم تذكر بالأنبياء، لكن لما كان نبينا ﷺ آخر الأنبياء، وتعذرت النبوة في هذه الأمة؛ فإنهم يعوضون بالمرائي الصادقة، التي هي جزء من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار، ويؤيد هذا القول حديث أبي هريرة عند مسلم: (يتقارب الزمان، ويقبض العلم) ورجَّح ابن حجر هذا القول، الثاني: أن ذلك يقع عند قلة عدد المؤمنين، وغلبة الكفر والجهل والفسق على الموجودين، فيؤنس المؤمن، ويعان بالرؤيا الصادقة؛ إكرامًا له وتسلية، وهذا القول قريبٌ من قول ابن أبي جمرة السابق، وعلى هذين القولين لا يختص صدق رؤيا المؤمن بزمان معين، بل كلما قرب فراغ الدُّنيا، وأخذ أمر الدين في الاضمحلال؛ تكون رؤيا المؤمن الصادق صادقة. الثالث: أن ذلك خاص بزمان عيسى بن مريم عليه السلام؛ لأن أهل زمنه أحسن هذه الأمة حالًا بعد الصدر الأول، وأصدقهم أقوالًا، فكانت رؤياهم لا تكذب. والله أعلم.

٣٨- كثرة الكتابة وانتشارها: جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: (إن بين يدي السَّاعة... ظهور القلم) والمراد بظهور القلم -والله اعلم- ظهور الكتابة وانتشارها، ووقع في رواية الطيالسي والنسائي عن عمرو بن تغلب؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن من أشراط السَّاعة.. أن يكثر التجار، ويظهر العلم) ومعناه -والله اعلم- ظهور وسائل العلم، وهي كتبه، وقد ظهرت في هذا الزمن ظهورًا باهرًا، وانتشرت في جميع أرجاء الأرض، بسبب توفر آلات الطابعة والتصوير التي سهلت انتشارها، ومع هذا؛ فقد ظهر الجهل في الناس، وقل فيهم العلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة، والعمل بهما، ولم تغن عنهم كثرة الكتب شيئًا.

٣٩- التهاون بالسنن التي رغَّب فيها الإسلام: ومنها التهاون بشعائر الله تعالى؛ كما جاء في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يقول:

(إن من أشراط السَّاعة أن يمر الرجل بالمسجد؛ لا يصلي فيه ركعتين) وهو مخرج في الصحيحة (٦٤٩)، وفي رواية: (أن يجتاز الرجل بالمسجد، فلا يصلي فيه)، وعن ابن مسعود أيضًا؛ قال: (إن من أشراط السَّاعة أن تتخذ المساجد طرقًا) أخرجه الطيالسي، وعن أنس رَضِوَاللَّهُعَنْهُ يرفعه إلى النبي ﷺ؛ قال: (إن من أمارات السَّاعة أن تتخذ المساجد طرقًا) وهو مخرج في الصحيحة (٦٤٩)، وهذا أمر لا يجوز؛ فإن تعظيم المساجد من تعظيم شعائر الله تعالى، وإن ذلك علامة الإيمان والتقوى؛ كما قال تعالى: {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: ٣٢].

٤٠- انتفاخُ الأهلَّة: عن عبد الله بن مسعود رَضِوَاللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (من اقتراب السَّاعة انتفاخ الأهلة) رواه الطبراني في الكبير.

وعن أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (من اقتراب السَّاعة انتفاخ الأهلية، وأن يرى الهلال لليلة، فيقال: لليلتين) رواه الطبراني في الصغير.

وعن أنس بن مالك رَضِوَاللَّهُعَنْهُ يرفعه إلى النبي ﷺ؛ قال: (إن من أمارات السَّاعة أن يرى الهلال لليلة، فيقال لليلتين) رواه الطبراني في الصغير، والأوسط، فقد جاء في هاتين الروايتين تفسير انتفاخ الأهلة بأن ذلك عبارة عن كبر الهلال حين طلوعه عما هو معتاد في أول الشهر، فيرى وهو ابن ليلة؛ كأنه ابن ليلتين. والله أعلم.

٤١- كثرة الكذب وعدم التثبت في نقل الأخبار: عن أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ عن رسول الله ﷺأنه قال: (سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم) أخرجه مسلم، وفي رواية: (يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم)، وروى مسلم عن عامر بن عبدة؛ قال: قال عبد الله: (إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل، فيأتي القوم، فيحدثهم بالحديث من الكذب، فيتفرقون،

فيقول الرجل منهم: سمعت رجلًا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث)، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: (إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان، يوشك أن تخرج، فتقرأ على الناس قرآنًا) قال النووي في شرح مسلم (١/ ٨٠): "معناه: تقرأ شيئًا ليس بقرآن، وتقول إنه قرآن؛ لتغر به عوام الناس، فلا يتغرون.اهـ. وما أكثر الأحاديث الغربية في هذا الزمان، فقد أصبح بعض الناس لا يتورع عن كثرة الكذب ونقل الأقوال بدون تثبت من صحتها، وفي هذا إضلال للناس، وفتنة لهم، ولهذا حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تصديقهم، وقد جعل علماء الحديث هذه الأحاديث أصلًا في وجوب التثبت من نقل الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتمحيص الرواة؛ لمعرفة الثقة من غيره.

٤٢- كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق: جاء في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن بين يدي السَّاعة:... شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق) وهو مخرج في الصحيحة (٦٤٧)، وشهادة الزور هي الكذب متعمدًا في الشهادة، فكما أن شهادة الزور سبب لإبطال الحق، فكذلك كتمان الشهادة سبب لإبطال الحق، قال الله تعالى: {وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ} [البقرة: ٢٨٣]، وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثًا)؟ الإشراك بالله، وعقوق ا لوالدين، وشهادة الزور - أو قول الزور-، وكان متكئًا فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت) أخرجه البخاري ومسلم، وما أكثر شهادة الزور وكتمان شهادة الحق في هذا الزمن! ولعظم خطرها قرنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشرك وعقوق الوالدين؛ فإن شهادة الزور سبب للظلم والجور وضياع حقوق الناس في الأموال والأعراض، وظهورها دليل على ضعف الإيمان، وعدم الخوف من الرحمن.

٤٣- كثرة النساء وقلة الرجال: عن أنس ﵁ قال: لأحدثنكم حديثًا لا يحدثكم أحد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أشراط السَّاعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد) أخرجه البخاري ومسلم، قيل: إن سبب ذلك كثرة الفتن، فيكثر القتل في الرجال؛ لأنهم أهل الحرب دون النساء، وقيل: إن سبب ذلك كثرة الفتوح، فتكثر السبايا، فيتخذ الرجل عدة موطوءات، قال الحافظ في الفتح (١/ ١٧٩): "فيه نظر؛ لأنه صرح بالقلة في حديث أبي موسى عند مسلم... فقال: (من قلة الرجال وكثرة النساء)، والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يقدر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم.اهـ.

قلت: ولا يمنع أن يكون ذلك بما ذكره الحافظ ابن حجر، وبغيره من الأسباب التي ينشأ عنها قلة الرجال وكثرة النساء؛ كوقوع الفتن التي تكون سببًا في القتال، فقد جاء في رواية الإمام مسلم ما يدلُّ على أن كثرة النساء وقلة الرجال يكون بسبب ذهاب الرجال وبقاء النساء، والذي يذهب الرجال غالبًا يكون كثرة القتال، ولفظ مسلم هو قوله ﷺ: (ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد) وليس المراد هنا حقيقة العدد (خمسين)، فقد جاء في حديث أبي موسى ﵁ عند مسلم: (ويرى الرجل يتبعه أربعون امرأة يلذن به)، فيكون ذلك مجازًا على الكثرة كما في الفتح (١/ ٤٧٩)، والله أعلم.

٤٤- كثرة موت الفجأة: عن أنس بن مالك ﵁ يرفعه إلى النبي ﷺ؛ قال: (إن من أمارات السَّاعة... أن يظهر موت الفجأة) رواه الطبراني في الأوسط، وهذا أمر مشاهد في هذا الزمن، حيث كثر في الناس موت الفجأة، فترى الرجل صحيحًا معافى،

ثم يموت فجأة، وهذا ما يسميه الناس في الوقت الحاضر بـ: (السكتة القلبية)، فعلى العاقل أن يتنبه لنفسه، ويرجع ويتوب إلى الله تعالى قبل مفاجأة الموت.

٤٥- وقوع التناكر بين الناس: عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: سئل رسول الله ﷺ عن السَّاعة؟ فقال: (علمها عند ربي، لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بمشاريطها، وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجًا". قالوا: يا رسول الله! الفتنة قد عرفناها فالهرج ما هو؟ قال: "بلسان الحبشة: القتل. ويلقى بين الناس التناكر، فلا يكاد أحد أن يعرف أحدًا) وهو مخرج في الصحيحة (٢٧٧١) فوقوع التناكر عند كثرة الفتن والمحن وكثرة القتال بين الناس، وحينما تستولي المادة على الناس، ويعمل كل منهم لحظوظ نفسه؛ غير مكترث بمصالح الآخرين، ولا بحقوقهم، فتنتشر الأنانية البغيضة، ويحيا الإنسان في نطاق أهوائه وشهواته، فلا تكون هناك قيم أخلاقية يعر ف بعض الناس بها بعضًا، ولا يكون هناك من الأخوة الإيمانية ما يجعلهم يلتقون على الحب في الله، والتعاون على البر والتقوى.

٤٦- عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا: ومنها أن تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا، ففي الحديث عند مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺقال: (لا تقوم السَّاعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا) ففي هذا الحديث دلالة على أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا، وأنها ستعود كما كانت مروجًا وأنهارًا.

قال النووي في شرح مسلم (٧/ ٩٧) في معنى عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا: "معناه -والله اعلم- أنهم يتركونها ويعرضون عنها، فتبقى مهملة؛ لا تزرع، ولا تسقى من مياهها، وذلك لقلة الرجال، وكثرة الحروب، وتراكم الفتن، وقرب السَّاعة، وقلة الآمال، وعدم الفراغ لذلك والاهتمام به.اهـ. والذي يظهر لي أن ما ذهب إليه النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لهذا الحديث فيه نظر؛ فإن أرض العرب أرض قاحلة شحيحة المياه،

قليلة النبات، غالب مياهها من الآبار والأمطار، فإذا تركت واشتغل عنها أهلها؛ مات زرعها - ولم تعد مروجًا وأنهارًا، وظاهر الحديث يدلُّ على أن بلاد العرب ستكثر فيها المياه، حتى تكون أنهارًا، فتنبت بها النباتات، فتكون مروجًا وحدائق وغابات، والذي يؤيد هذا أنه ظهر في هذا العصر عيون كثيرة تفجرت كالأنهار، وقامت عليها زراعات كثيرة، وسيكون ما أخبر به الصادق ﷺ، فقد روى معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في غزوة تبوك: "إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم؛ فلا يمس من مائها شيئًا حتى آتي"، فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء؛ قال: فسألهما رسول الله ﷺ: "هل مسستما من مائها شيئًا؟"، قالا: نعم. فسبهما رسول الله ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول. قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلًا قليلًا، حتى اجتمع في شيء. قال: ثم غسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر، أو قال: غزير... حتى استقى الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: "يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هُنا مُلِئ جِنانًا) رواه مسلم.

٤٧- كثرة المطر وقلة النبات: عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم السَّاعة حتى تمطر السماء مطرًا لا تكن منها بيوت المدر، ولا تكن منها إلا بيوت الشعر) أخرجه أحمد، وعن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم السَّاعة حتى يمطر الناس مطرًا عامًا، ولا تنبت الأرض شيئًا) أخرجه أحمد، فإذا كان المطر سببًا في إنبات الأرض؛ فإن الله تعالى أن يوجد ما يمنع هذا السبب من ترتب المسبب عليه، والله تعالى خالق الأسباب ومسبباتها، لا يعجزه شيء، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ليست السنة بأن لا تمطروا، ولكن السنة أن تمطروا وتمطروا ولا تنبت الأرض شيئًا) أخرجه مسلم.

٤٨ – حسر الفرات عن جبل من ذهب: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مئة تسعة وتسعون، ويقول كل رجلٍ منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو) أخرجه البخاري ومسلم، وليس االمقصود بهذا الجبل من ذهب (النفط/ البترول الأسود)؛ كما يرى ذلك بعضهم وذلك من وجوه:

أولها: أن النص جاء فيه: "جبل من ذهب"، والبترول ليس بذهب على الحقيقة؛ فإن الذهب هو المعدن المعروف، وثانيها: أن النبي ﷺ أخبر أن ماء النهر ينحسر عن جبل من ذهب، فيراه الناس، والنفط أو (البترول) يستخرج من باطن الأرض بالآلات من مسافات بعيدة، وثالثها: أن النبي ﷺ خص الفرات بهذا دون غيره من البحار والأنهار، والنفط نراه يستخرج من البحار كما يستخرج من الأرض، وفي أماكن كثيرة متعددة، ورابعها: أن النبي ﷺ أخبر أن الناس سيقتتلون عند هذا الكنز، ولم يحصل أنهم اقتتلوا عند خروج النفط من الفرات أو غيره، بل إن النبي ﷺ نهى من حضر هذا الكنز أن يأخذ منه شيئًا؛ كما في الرواية الأخرى عند مسلم عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدُّنيا.... إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يوشك الفرات أن يحسر عن جبلٍ من ذهبٍ، فمن حضره، فلا يأخذ منه شيئًا)، ومن حمله على النفط؛ فإنه يلزمه على قوله هذا النهي عن الأخذ من النفط، ولم يقل به أحد.

وقد رجح الحافظ في الفتح (١٣/ ٨١) أن سبب المنع من الأخذ من هذا الذهب لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه.

٤٩ – كلام السباع والجمادات للإنس: ومن أشراط السَّاعة كلام السباع للإنس، وكلام الجمادات للإنسان، وإخبارها بما حدث في غيابه، وتكلم بعض أجزاء

الإنسان؛ كالفخذ يخبر الرجل بما أحدث أهله بعده، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﵁؛ قال (جاء ذئب إلى راعي الغنم، فأخذ منها شاةً، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه. قال: فصعد الذئب على تل، فأقعى واستذفر، فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله ﷻ انتزعته مني. فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئبًا يتكلم! قال الذئب: أعجب من هذا الرجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم - وكان الرجل يهوديًا-، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ، وأخبره، فصدقه ا لنبي ﷺ، ثم قال النبي ﷺ: "إنها أمارة من أمارات بين يدي السَّاعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده). رواه الإمام أحمد، وفي رواية له عن أبي سعيد الخدري ﵁ فذكر القصة إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ: (صدق والذي نفسي بيده؛ لا تقوم السَّاعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده) أخرجه أحمد.

٥٠- تمنِّي الموت من شدَّة البلاء: عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه) أخرجه البخاري ومسلم، وعنه ﵁؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده؛ لا تذهب الدُّنيا حتى يمر الرجل على القبر، فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين؛ إلا البلاء) أخرجه مسلم، قال الحافظ العراقي كما في الفيض (٦/ ٤١٨): "ولا يلزم كونه في كل بلد، ولا كل زمن، ولا في جميع الناس، بل يصدق اتفاقه للبعض في بعض الأقطار في بعض الأزمان، وفي تعليق تمنيه بالمرور إشعار بشدة ما نزل بالناس من فساد الحال حالتئذ، إذ المرء قد يتمنى الموت من غير استحضار لهيئته، فإذا شاهد الموتى، ورأى القبور؛ نشز بطبعه، ونفر بسجيته من تمنيه، فلقوة الشدة لم يصرفه عنه ما شاهده من وحشة القبور، ولا يناقض هذا النهي

عن تمني الموت؛ لأن مقتضى هذا الحديث الإخبار عما يكون، وليس فيه تعرُّض لحكم شرعي.اهـ. وأخبر النبي ﷺ أنه سيأتي على الناس شدة وعناء، حتى يتمنون الدجال، ففي الحديث عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان يتمنون فيه الدجال". قلت: يا رسول الله! بأبي وأمي مم ذاك؟ قال: "مما يلقون من العناء والعناء) وهو مخرج في الصحيحة (٣٠٩٠).

٥١- كثرة الروم وقتالهم للمسلمين: فعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (تقوم السَّاعة والروم أكثر الناس". فقال له عمرو: أبصر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ) أخرجه مسلم، وجاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (اعدد ستًا بين يدي السَّاعة... (فذكر منها): ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا) أخرجه البخاري، وعن جابر بن سمرة عن نافع بن عُتبة؛ قال: كنا مع رسول الله ﷺ... فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي؛ قال: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله"قال: فقال نافع: "يا جابر! لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم) أخرجه مسلم، وقد جاء وصفٌ للقتال الذي يقع بين المسلمين والروم، ففي الحديث عن يسير بن جابر؛ قال: هاجت ريحٌ حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد الله بن مسعود! جاءت السَّاعة. قال: فقعد - وكان متكئًا -، فقال: إن السَّاعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا، ونحاها نحو الشام، فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز

بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، ثم تفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع؛ نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتتلون مقتلة؛ إما قال: لا يرى مثلها، وإما قال: لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليس بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يخر ميتًا، فيتعاد بنو الأب كانوا مئة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح، أو أي ميراث يقاسم؟ فبينما هم كذلك؛ إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ) أخرجه مسلم، وهذا القتال يقع في الشام في آخر الزمان، قبل ظهور الدجال، كما دلَّت على ذلك الأحاديث، ويكون انتصار المسلمين على الروم تهيئة لفتح القسطنطينية، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا؛ قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا

جاؤوا الشام؛ خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم ﷺ) أخرجه مسلم، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة في أرضٍ بالغوطة، في مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام) أخرجه أبوداود.

قال ابن المنير كما في الفتح (٦/ ٢٧٨): "أما قصة الروم؛ فلم تجتمع إلى الآن، ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد، فهي من الأمور التي لم تقع بعد، وفيه بشارة ونذارة، وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين، مع كثرة ذلك الجيش، وفيه بشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه.

٥٢- فتح القسطنطينية: ومنها فتح مدينة القسطنطينية - قبل خروج الدجال - على يدي المسلمين، والذي تدلُّ عليه الأحاديث أن هذا الفتح يكون بعد قتال الروم في الملحمة الكبرى، وانتصار المسلمين عليهم، فعندئذ يتوجهون إلى مدينة القسطنطينية، فيفتحها الله للمسلمين بدون قتال، وسلاحهم التكبير والتهليل، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟". قالوا: نعم يا رسول الله قال: "لا تقوم السَّاعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم؛ قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها - قال ثور (احد رواة الحديث): لا أعلمه إلا قال: - الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيفرج لهم، فيدخلوها، فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، يتركون كل شيء ويرجعون) أخرجه مسلم.

وقد أشكل قوله في هذا الحديث: "يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق"، والروم

من بني إسحاق؛ لأنهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، فكيف يكون فتح القسطنطينية على أيديهم؟! قال القاضي عياض كما في شرح مسلم "(١٨/ ٤٣، ٤٤): "كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم: من بني إسحاق. ثم قال: "قال بعضهم: المعروف المحفوظ: "من بني إسماعيل"، وهو الذي يدلُّ عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما أراد العرب.اهـ. وذهب الحافظ ابن كثير إلى أن هذا الحديث يدلُّ على أن الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية يكون على أيدي طائفة منهم؛ كما نطق به الحديث المتقدم، أنه يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق". واستشهد على ذلك بأنهم مدحوا في حديث المستورد القرشي المتقدم عند مسلم، فقد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تقوم السَّاعة والروم أكثر الناس". فقال له عمرو بن العاص: أبصر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالًا أربع: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة، وأمنعهم من ظلم الملوك) قلت: ويدلُّ أيضًا على أن الروم يسلمون في آخر الزمان حديث أبي هريرة السابق عند مسلم في قتال الروم، وفيه أن الروم يقولون للمسلمين: (خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا)، فالروم يطلبون من المسلمين أن يتركوهم يقاتلون من سبي منهم؛ لأنهم أسلموا، فيرفض المسلمون ذلك، ويبينون للروم أن من أسلم منهم فهو من إخواننا، لا نسلمه لأحد، وكون غالب جيش المسلمين ممن سبي من الكفار ليس بمستغرب.

قال النووي في شرح مسلم" (١٨/ ٢١): "وهذا موجود في زماننا، بل معظم عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سبوا ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار، وقد

سبوهم في زماننا مرارًا كثيرة، يسبون في المرة الواحدة من الكفار ألوفًا، ولله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه.اهـ.

قال الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير (٢/ ٢٥٦): "فتح القسطنطينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد يعلمه الله ﷿، وهو الفتح الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا؛ فإنه كان تمهيدًا للفتح الأعظم، ثم هي قد خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين، منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية، وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها إن شاء الله كما بشر به رسول الله ﷺ.

٥٣- خروج القحطاني: في آخر الزمان يخرج رجل من قحطان، تدين له الناس بالطاعة، وتجتمع عليه، وذلك عند تغير الزمان، ولهذا ذكره الإمام البخاري في باب تغير الزمان، روى الإمام أحمد والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه). قال القرطبي في التذكرة (ص٦٣٥): "قوله: "يسوق الناس بعصاه" كناية عن استقامة الناس، وانعقادهم إليه، واتفقاهم عليه، ولم يرد نفس العصا، وإنما ضرب بها مثلًا لطاعتهم له، واستيلائه عليهم؛ إلا أن في ذكرها دليلًا على خشونته عليهم، وعنفه بهم.اهـ. قلت: نعم؛ سوقه الناس بعصاه كناية عن طاعة الناس له، ورضوخهم لأمره؛ إلا أن ما أشار إليه القرطبي من خشونته عليهم ليس بالنسبة للجميع؛ كما يظهر من كلامه، بل إنما يقسو على أهل المعصية منهم، فهو رجل صالح، يحكم بالعدل، ويؤيد ذلك ما نقله ابن حجر عن نعيم بن حماد في الفتح (٦/ ٥٣٥) أنه روى من وجه قوي عن عبد الله بن عمرو أنه ذكر الخلفاء، ثم قال: (ورجل من قحطان)، وأيضًا ما أخرجه بسند

جيد عن ابن عباس أنه قال فيه: (ورجل من قحطان، كلهم صالح).اهـ. ولما حدث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأنه سيكون ملك من قحطان؛ غضب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقام، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد؛ فإنه بلغني أن رجالًا منكم يتحدثون بأحاديث ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ، فأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد؛ إلا كبه الله على وجهه؛ ما أقاموا الدين) رواه البخاري، وإنما أنكر معاوية خشية أنة يظن أحد أن الخلافة تجوز في غير قريش، وعلى كال حال خروج القحطاني ثابت فسيخرج ويملك.

وهذا القحطاني ليس هو الجهجاه خلافًا للقرطبي؛ فإنه قال في التذكرة (ص٦٣٦): "ولعل هذا الرجل القحطاني هو الرجل الذي يقال له الجهجاه".اهـ. فإن القحطاني من الأحرار؛ لأنه نسبه إلى قحطان الذي تنتهي أنساب أهل اليمن من حمير وكندة وهمدان وغيرهم إليه، وأما الجهجاه؛ فهو من الموالي.

ويؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي؛ يقال له: جهجاه) أخرجه أحمد.

٥٤- قتال اليهود: ومنها قتال المسلمين لليهود في آخر الزمان، وذلك أن اليهود يكونون من جند الدجال، فيقاتلهم المسلمون الذين هم جند عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي ورائي، تعال فاقتله.

وقد قاتل المسلمون اليهود من زمن النبي ﷺ، وانتصروا عليهم، وأجلوهم من جزيرة العرب؛ امتثالًا لقول النبي ﷺ: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع إلا مسلمًا) أخرجه مسلم.

ولكن هذا القتال ليس هو القتال الذي هو من أشراط السَّاعة، وجاءت به الأحاديث الصحيحة؛ فإن النبي ﷺ أخبر أن المسلمين سيقاتلونهم إذا خرج الدجال، ونزل عيسى عليه السلام، فقد روى الإمام أحمد عن سمرة بن جندب رضي الله عنه حديثًا طويلًا في خطبة النبي ﷺ يوم كسفت الشمس... (وفيه أنه ذكر الدجال، فقال): (وإنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس، فيزلزلون زلزالًا شديدًا، ثم يهلكه الله تبارك وتعالى وجنوده حتى أن جذم الحائط – أو قال: أصل الحائط، وقال حسن الأشيب: وأصل الشجرة – لينادي – أو قال: يقول: – يا مؤمن! – أو قال: يا مسلم –هذا يهودي– أو قال: هذا كافر تعال فاقتله" قال: "ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أمورًا يتفاقم شأنها في أنفسكم، وتسألون بينكم: هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرًا؟) أخرجه أحمد وفي إسناده ضعف، ولكن له ما يشهد له، وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، فتعال، فاقتله؛ إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود) وهذا لفظ مسلم، والذي يظهر من سياق الأحاديث أن كلام الحجر والشجر ونحوه حقيقة، وذلك لأن حدوث تكلم الجمادات ثابت في غير أحاديث قتال اليهود، وقد سبق أن أفردت لهذا مبحثًا خاصًا به؛ لأنه من علامات السَّاعة.

وإذا كانت الجمادات تتكلم في ذلك الوقت؛ فلا داعي لحمل كلام الشجر والحجر على المجاز؛ كما ذهب إلى ذلك البعض؛ فإنه ليس هناك دليل يوجب حمل اللفظ على خلاف حقيقته، ونطق الجماد قد ورد في آيات من القرآن: منها قوله تعالى: {أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} [فصلت: ٢١]. وقوله: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء: ٤٤]. وجاء في الحديث عن أبي

أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فكان أكثر خطبته عن الدجال، وحذرناه، فذكر خروجه، ثم نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقتله، وفيه: (قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: افتحوا الباب، فيفتح، ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي؛ كلهم ذو سيف محلىً وساج، فإذا نظر إليه الدجال؛ ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هاربًا، ويقول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء؛ لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة؛ إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق) فالحديث فيه التصريح بنطق الجمادات، وأيضًا؛ فإن استثناء شجر الغرقد من الجمادات بكونها لا تخبر عن اليهود؛ لأنها من شجرهم، يدلُّ على أنه نطق حقيقي، ولو كان المراد بنطق الجمادات المجاز؛ لما كان لهذا الاستثناء معنى، ولو حملنا كلام الجمادات على المجاز؛ لم يكن ذلك بالأمر الخارق في قتال اليهود في آخر الزمان، وكانت هزيمتهم أمام المسلمين كهزيمة غيرهم من الكفار الذين قاتلهم المسلمون وظهروا عليهم، ولم يرد في قتالهم مثل ما ورد في قتال اليهود من الدلالة على المختبئ

بنطق الجمادات، فإذا لا حظنا أن الحديث في أمر مستغرب يكون آخر الزمان هو من علامات السَّاعة؛ دل ذلك على أن النطق في قتال اليهود حقيقي، وليس مجازًا عن انكشافهم أمام المسلمين، وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم؛ كما قيل، والله أعلم(١).

---

(١) قال تعالى {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرآيته خاشعًامتصدعًامن خشية الله} {الحشر:٢١}، في الآية دليل على أن للجبل إحساسًا؛ لأنه يخشع ويتصدع، والأمر كذلك، لذا قال النبي، ﷺ في أحد: "هذا أحد جبل يحبنا ونحبه"، فإن الجمادات فاضت عليها ما يناسبها من الحياة، ولما حن الجذع، لفقده رسول الله ﷺ أتاه النبي

=

ﷺ، وضمه إلى صدره كما يضم الحبيب حبيبه فسكن الجذع لأن له حياة خاصة، كذلك الأشجار لها حياة خاصة، حياة النماء وأيضا حياة أخرى بها تسبح وبها توحد الله جل وعلا، كذاك الصخور لها حياة خاصة، يقول عليه الصلاة والسلام (إن بمكة حجر لم ألقه إلا سلم عليّ)، ويقول ابن مسعود كما في البخاري (كنا نسمع التسبيح على عهد رسول الله ﷺ من الطعام).

قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية (ص ١٣٦): وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات. أليس الله قال للسموات والأرض: {ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: ١١] تراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟ وقال: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ} [الأنبياء: ٧٩]. أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟ والجوارح إذ شهدت على الكفار. فقالوا: {لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} [فصلت: ٢١]. أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء.

وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان. ا. هـ

وقال العلامة الشنقيطي كما في أضواء البيان (٨/ ٦): والصحيح من هذا كله الأول الذي قاله ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وهو أن لفظ التسبيح محمول على حقيقته- وهو الذي يشهد له القرآن الكريم لعدة أمور:

أولا لصريح قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [١٧/ ٤٤].

ثانيا أن الحامل لهم على القول بتسبيح الدلالة هو تحكيم الحس والعقل حينما لم يشاهدوا ذلك ولم تتصوره العقول ولكن الله تعالى نفي تحكيم العقل الحسي هنا وخطر على العقل بقوله تعالى {وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}.

ثالثا قوله تعالى في حق نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ} [٢١/ ٧٩] وقوله تعالى: {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَشْرَاقِ} [٣٨/ ١٨] فلو كان تسبيحها معه تسبيح دلالة كما يقولون لما كان لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ خصوصية على غيره.

رابعا أخبر الله تعالى أن لهذه العوالم كلها إدراكا تاما كإدراك الإنسان أو أشد منه قال تعالى عن السماوات والأرض والجبال: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

=

وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْأِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوما جَهُولًا} [٣٣/ ٧٢] فأثبت تعالى لهذه العوالم إدراكا وإشفاقا من تحمل الأمانة بينما سجل على الإنسان ظلما وجهالة في تحمله إياها ولم يكن هذا العرض مجرد تسخير ولا هذا الإباء مجرد سلبية بل عن إدراك تام كما في قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السماء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًاأَوْ كَرْهًاقَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [٤١/ ١١]، فهما طائفتان لله وهما يأبين أن يحملن الأمانة إشفاقا منها.

وفي أواخر هذه السورة الكريمة سورة الحشر قوله تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًامُتَصَدِّعًامِنْ خَشْيَةِ اللهِ} [٥٩/ ٢١] ومثله قوله تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ} [٢/ ٧٤] وهذا هو عين الإدراك أشد من إدراك الإنسان.

وفي الحديث: "لا يسمع صوت المؤذن من حجر ولا مدر ولا شجر إلا شهد له يوم القيامة" فبم سيشهد إن لم يك مدركا الأذان والمؤذن.

وعن إدراك الطير قال تعالى عن الهدهد يخاطب نبي الله سليمان: {أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ} [٢٧/ ٢٢ - ٢٤].

ففي هذا السياق عشر قضايا يدركها الهدهد ويفصح عنها لنبي الله سليمان.

الأولى: إدراكه أنه أحاط بما لم يكن في علم سليمان.

الثانية: معرفته لسبإ بعينها دون غيرها ومجيؤه منها بنبأ يقين لا شك فيه.

الثالثة: معرفته لتولية المرأة عليهم مع إنكاره ذلك عليهم.

الرابعة: إداركه ما أوتيته سبأ من متاع الدنيا من كل شيء.

الخامسة: أن لها عرشا عظيما.

السادسة: إدراكه ما هم عليه من السجود للشمس من دون الله.

السابعة: إدراكه أن هذا شرك بالله تعالى.

الثامنة: أن هذا من تزيين الشيطان لهم أعمالهم.

التاسعة: أن هذا ضلال عن السبيل القويم.

=

العاشرة: أنهم لا يهتدون.

وقد اقتنع سليمان بإدراك الهدهد لهذا كله فقال له: {سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [٢٧/ ٢٧] وسلمه رسالة وبعثه سفيرا إلى بلقيس وقومها: {اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ماذَا يَرْجِعُونَ} [٢٧/ ٢٨]، وكانت سفارة موفقة جاءت بهم مسلمين في قوله تعالى عنها {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [٢٧/ ٤٤]

وكذلك ما جاء عن النملة في قوله تعالى عنها {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} [٢٧/ ١٨]، فقد أدركت مجيء الجيش وأنه لسليمان وجنوده وأدركت كثرتهم وأن عليها وعلى النمل أن يتجنبوا الطريق ويدخلوا مساكنهم وهذا الإدراك منها جعل سليمان عليه السلام يتبسم ضاحكا من قولها وأن لها قولا علمه سليمان عليه السلام فقد جاء في السنة إثبات إدراك الحيوانات للمغيبات فضلا عن المشاهدات كما في حديث الموطأ في فضل يوم الجمعة "وإن فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة" إلى قوله ﷺ "وفيه تقوم الساعة وما من دابة في الأرض إلا وهي تصيخ بأذنها من فجر يوم الجمعة حتى طلوع الشمس إشفاقا من الساعة إلا الجن والإنس" فهذا إدراك وإشفاق من الحيوان وإيمان بالمغيب وهو قيام الساعة وإشفاق من الساعة أشد من الإنسان، وقصة الجمل الذي ند على أهله وخضع له ﷺ حتى قال الصديق لكأنه يعلم إنك رسول الله فقال ﷺ: "نعم إنه ما بين لابتيها إلا وهو يعلم أني رسول الله".

فهذا كله يثبت إدراكا للحيوان بالمحسوس وبالمغيب إدراكا لا يقل عن إدراك الإنسان فما المانع من إثبات تسبيحها حقيقة على ما يعلمه الله تعالى منها وقد جاء النص صريحا في التسبيح المثبت لها في أنه تسبيح تحميد لا مطلق دلالة كما في قوله تعالى {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} [١٣/ ١٣]، بحمده وقرنه مع تسبيح الملائكة {وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ} [١٣/ ١٣]، وهذا نص في محل النزاع وإثبات لنوع التسبيح المطلوب.

خامسا لقد شهد المسلمون منطق الجماد بالتسبيح وسمعوه بالتحميد حسا كتسبيح الحصا في كفه ﷺ وكحنين الجذع للنبي ﷺ حتى سمعه كل من في المسجد وما أخبر به ﷺ "إني لأعلم حجرا في مكة ما مررت عليه إلا وسلم علي" وما ثبت بفرد يثبت لبقية أفراد جنسه كما هو معلوم في قاعدة الواحد بالجنس والواحد بالنوع.

=

=

ومن هذا القبيل في أعظم من ذلك ما رواه البخاري في كتاب المناقب عن أنس ﵁ أن النبي ﷺ صعد أحدا وأبو بكر وعمرو عثمان فرجف بهم فقال: "أثبت أحد فإن عليك نبيا وصديقا وشهيدين".

وفي موطأ مالك لما رجع ﷺ من سفر طلع عليهم أحد فقال: "هذا جبل يحبنا ونحبه"، فهذا جبل من كبار جبال المدينة يرتجف لصعود النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فيخاطبه ﷺ خطاب العاقل المدرك "أثبت أحد فإن عليك نبيا وصديقا وشهيدين" فيعرف النبي ويعرف الصديق والشهيد فيثبت فبأي قانون كان ارتجافه وبأي معقول كان خطابه وبأي معنى كان ثبوته ثم ها هو يثبت له ﷺ المحبة المتبادلة بقوله: "يحبنا ونحبه"، وإذا ناقشنا أقوال القائلين بتخصيص هذا العموم من إثبات التسبيح للجمادات ونحوها لما وجدنا لهم وجهة نظر إلا أن الحس لم يشهد شيئا من ذلك وقد أوردنا الأمثلة على إثبات ذلك لسائر الأجناس وتقدم تنبيه الشيخ على تأكيد ذلك بقوله تعالى: {وَكُنَّا فَاعِلِينَ} [٢١/ ٢٩] ردا على استبعاده.

ومن الأدلة القرآنية في هذا المقام ما جاء في سياق قوله تعالى {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [١٧/ ٤٤] جاء بعدها قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًامَسْتُورًا} [١٧/ ٤٥] جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالا خرة حجابا مستورا وهذا نص يكذب المستدلين بالحس لأن الله تعالى أخبر بأنه جعل بين الرسول ﷺ في تلك الحالة وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبه عنهم وهذا الحجاب مستور عن أعينهم فلا يرون رسول الله ﷺ لأنه محجوب عنهم ولا يرون الحجاب لأنه مستور وهذا هو الصحيح في هذه الآية.

وقد قال فيها بعض البلاغيين إن {مستورا} هنا بمعنى ساترا ويقال لهم إن جعل مستورا بمعنى ساتر تكرار لمعنى حجاب لأن قوله تعالى: {جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا} [١٧/ ٤٥] هو بمعنى ساتر أي يستره عن الذين لا يؤمنون بالآخرة وليس في ذلك زيادة معنى ولا كبير معجزة ولكن الإعجاز في كون الحجاب مستورا عن أعينهم وفي هذا تحقيق وجود المعنيين وهما حجبه ﷺ وسلم عنهم وستر الحجاب عن أعينهم وهذا أبلغ في حفظه ﷺ منهم لأنه لو كان الحجاب مرئيا أي ساترا فقط مع كونه مرئيا لربما اقتحموه عليه وأقوى في الإعجاز لأنه لو كان الحجاب مرئيا لكان كاحتجاب غيره من سائر الناس ولكن حقيقة الإعجاز فيه هو كونه مستورا عن أعينهم وهذا ما

=

=

رجحه ابن جرير.

وقد جاءت قصة امرأة أبي لهب مفصلة هذا الذي ذكرناه كما ساقها ابن كثير قال لما قرأ رسول الله ﷺ سورة {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} إلى قوله {وَامْرَأَتُهُ حَمالَةَ الْحَطَبِ} {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} [١١١/ ٥ - ١] جاءت امرأة أبي لهب وفي يدها فهر ولها ولولة ورسول الله ﷺ جالس مع أبي بكر رضي الله عنه عند الكعبة فقال له إني أخاف عليك أن تؤذيك فقال ﷺ "إن الله تعالى عاصمني منها" وتلا قرآنا فجاءت ووقفت على أبي بكر وقالت إن صاحبك هجاني قال لا ورب هذه البنية إنه ليس بشاعر ولا هاج فقالت إنك مصدق وانصرفت أي ولم تره وهو جالس مع أبي بكر رضي الله عنه، فهل يقال بعدم وجود الحجاب لأنه مستور لم يشاهد أم أننا نثبته كما أخبر تعالى وهو القادر على كل شيء وعليه وبعد إثباته نقول ما الفرق بين إثبات حقيقة قوله تعالى هنا {حِجَابًامَسْتُورًا} وقوله تعالى {وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [١٧/ ٤٤]؟ ففي كلا المقامين إثبات أمر لا ندركه بالحس فالتسبيح لا نفقهه والحجاب لا نبصره

وقد أوردنا هذه النماذج ولو مع بعض التكرار لما يوجد من تأثر البعض بدعوى الماديين أو العلمانيين الذين لا يثبتون إلا المحسوس لتعطي القارىء زيادة إيضاح ويعلم أن المؤمن بإيمانه يقف على علم ما لم يعلمه غيره ويتسع أفقه إلى ما وراء المحسوس ويعلم أن وراء حدود المادة عوالم يقصر العقل عن معالمها ولكن المؤمن يثبتها.

وقد رسم لنا النبي ﷺ الطريق الصحيح في مثل هذا المقام من إثبات وإيمان كما في صحيح البخاري أن النبي ﷺ صلى صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال "بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت إنا لم نخلق لهذا وإنما خلقنا للحرث" فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال "فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كأنه استنقذها منه فقال له الذئب هذا استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري" فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم قال "فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم"

ففي هذا النص الصريح نطق البقرة ونطق الذئب بكلام معقول من خصائص العقلاء على غير العادة مما استعجب له الناس وسبحوا الله إعظاما لما سمعوا ولكن الرسول ﷺ يدفع هذا الاستعجاب بإعلان إيمانه وتصديقه ويضم معه أبا بكر وعمر وإن كانا

=

٥٥- نفي المدينة لشرارها ثم خرابها آخر الزمان: حث النبي ﷺ على سكنى المدينة، ورغب في ذلك، وأخبر أنه لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله فيها من هو خير منه، وأخبر أن من علامات السَّاعة نفي المدينة لخبثها، وهم شرار الناس؛ كما ينفي الكير خبث الحديد.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده؛ لا يخرج منهم أحد رغبة عنها؛ إلا أخلف الله فيها خيرًا منه، ألا إن المدينة كالكير يخرج الخبيث، لا تقوم السَّاعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد) أخرجه مسلم، وقد حمل القاضي عياض نفي المدينة لخبثها على زمن النبي ﷺ، لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام في المدينة إلا من كان ثابت الإيمان، وأما المنافقون وجهلة الأعراب؛ فلا يصبرون على شدة المدينة ولأوائها، ولا يحتسبون من الأجر في ذلك، وحمله النووي على زمن الدجال، واستبعد ما اختاره القاضي عياض، وذكر أنه يحتمل أن يكون

=

غائبين عن المجلس لعلمه منهما أنهما لا ينكران ما ثبت بالسند الصحيح لمجرد استبعاده عقلا

وهنا يقال لمنكري التسبيح حقيقة وما المانع من ذلك؟ أهو متعلق القدرة أم استبعاد العقل لعدم الإدراك الحسي؟ فأما الأول فممنوع لأن الله تعالى على كل شيء قدير وقد أخرج لقوم صالح ناقة عشراء من جوف الصخرة الصماء وأنطق الحصا في كفه ﷺ

وأما الثاني فلا سبيل إليه حتى ينتظر إدراكه وتحكيم العقل فيه فإن الله تعالى قال: {وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [١٧/ ٤٤]، فلم يبق إلا الإيمان أشبه ما يكون بالمغيبات وإيمان تصديق وإثبات لا تكييف وإدراك وخالق الكائنات أعلم بحالها وبما خلقها عليه، فيجب أن نؤمن بتسبيح كل ما في السماوات والأرض وإن كان مستغربا عقلا ولكن أخبر به خالقه سبحانه وشاهدنا المثال مسموعا من بعض أفراده.

ذلك في أزمان متفرقه كما في شرحه على مسلم (٩/ ١٥٤).

وذكر الحافظ في الفتح (٤/ ٨٨): أنه يحتمل أن يكون المراد كلًا من الزمنين زمن النبي ﷺ؛ بدليل قصة الأعرابي؛ كما في البخاري عن جابر رضي الله عنه: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد محمومًا، فقال: أقلني. فأبى؛ ثلاث مرار. فقال: (المدينة كالكير، تنفي خبثها، وينصح طيبها) والزمن الثاني زمن الدجال؛ كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر الدجال، ثم قال: (ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله إليه كل كافر ومنافق) رواه البخاري وأما ما بين ذلك من الأزمان؛ فلا؛ فإن كثيرًا من فضلاء الصحابة قد خرجوا بعد النبي ﷺ من المدينة؛ كمعاذ بن جبل، وأبي عبيدة، وابن مسعود، وطائفة، ثم خرج علي، وطلحة، والزبير، وعمار، وغيرهم، وهم من أطيب الخلق، فدل على أن المراد بالحديث تخصيص ناس دون ناس، ووقت دون وقت؛ بدليل قوله تعالى: (**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**) [التوبة: ١٠١]، والمنافق خبيث بلا شك.اهـ.

وأما خروج الناس بالكلية من المدينة؛ فذلك في آخر الزمان، قرب قيام السَّاعة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي- يريد عوافي السباع والطير - وآخر من يحشر راعيان من مزينة، يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما، فيجدانها وحشًا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع؛ خرا على وجوههما). رواه البخاري، قال ابن كثير في النهاية (١/ ١٥٧): "والمقصود أن المدينة تكون باقية عامرةً أيام الدجال، ثم تكون كذلك في زمان عيسى بن مريم رسول الله عليه الصلاة والسلام، حتى تكون وفاته بها، ثم

تخرب بعد ذلك.

وقال الحافظ في الفتح (٤/ ٩٠): "روى عمر بن شبة بإسناد صحيح عن عوف بن مالك؛ قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، ثم نظر إلينا فقال: أما والله ليدعنها أهلها مذللة أربعين عامًا للعوافي، أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع"، ثم قال ابن حجر: "وهذا لم يقع قطعًا".اهـ. فدل هذا على أن خروج الناس من المدينة بالكلية يكون في آخر الزمان، بعد خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، ويحتمل أن يكون ذلك عند خروج النار التي تحشر الناس، وهي آخر أشراط السَّاعة، وأول العلامات الدالَّة على قيام السَّاعة، فليس بعدها إلا السَّاعة.

ويؤيد ذلك كون آخر من يحشر يكون منها؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "وآخر من يحشر راعيان من مزينة، يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما، فيجدانها وحشًا"؛ أي: خالية من الناس، أو أن الوحوش قد سكنتها، والله أعلم.

٥٦- بعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين: ومنها هبوب الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى على ظهر الأرض من يقول: الله، الله. ويبقى شرار الناس، وعليهم تقوم السَّاعة. وقد جاء في صفة هذه الريح أنها ألين من الحرير، ولعل ذلك من إكرام الله لعباده المؤمنين في ذلك الزمان المليء بالفتن والشرور.

فقد جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل في قصة الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج: (إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس؛ يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم السَّاعة) أخرجه مسلم، وروى مسلم أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال.. (فذكر الحديث، وفيه): فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه، فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين

اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه) فقد دلَّت الأحاديث أن ظهور هذه الريح يكون بعد نزول عيسى عليه السلام، وقتله الدجال، وهلاك يأجوج ومأجوج، وأيضًا؛ فإن ظهورها يكون بعد طلوع الشمس من مغربها، وبعد ظهور الدابة، وسائر الآيات العظام، وعلى هذا؛ فظهورها قريب جدًا من قيام السَّاعة، ولا يتعارض أحاديث ظهور هذه الريح مع حديث: (لا تزال طائفة من أمتي؛ يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة) أخرجه مسلم، وفي رواية عند مسلم أيضا: (ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)؛ فإن المعنى أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة، ويكون المراد بـ(أمر الله) وهو هبوب تلك الريح، وجاء في حديث عبد الله بن عمرو أن ظهور هذه الريح يكون من الشام كما سبق. وجاء في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يبعث ريحًا من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمانٍ؛ إلا قبضته) ويجاب عن هذا بوجهين:

الأول: يحتمل أنهما ريحان: شامية، ويمانية، والثاني: يحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين، ثم تصل الآخر، وتنتشر عنده والله أعلم.

٥٧- استحلال البيت الحرام، وهدم الكعبة: لا يستحل البيت الحرام إلا أهله، وأهله هم المسلمون، فإذا استحلوه؛ فإنه يصيبهم الهلاك، ثم يخرج رجل من أهل الحبشة؛ يقال له: ذو السويقتين، فيخرب الكعبة، وينقضها حجرًا حجرًا، ويسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها، وذلك في آخر الزمان، حين لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله، الله، ولذلك لا يعمر البيت بعد هدمه أبدًا؛ كما جاءت بذلك الأحاديث

الصحيحة. فقد روى الإمام أحمد بسنده عن سعيد بن سمعان؛ قال: سمعت أبا هريرة يخبر أبا قتادة أن رسول الله ﷺ قال: (يبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحله؛ فلا يسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة، فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنزه)، وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة)، وروى الإمام أحمد والبخاري أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (كأني أنظر إليه أسود، أفحج، ينقضها حجرًا حجرًا يعني: الكعبة).

الباب الثاني: أشراط السَّاعة الكبرى

أولًا: ترتيب أشرأط السَّاعة الكبرى: لم أجد نصًا صريحًا يبين ترتيب أشراط السَّاعة الكبرى حسب وقوعها، وإنما جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب، إذ كان ترتيبها في الذكر لا يقتضي ترتيبها في الوقوع، فقد جاء العطف فيها بالواو، وذلك لا يقتضي الترتيب، ومن النصوص ما خالف ترتيبها فيه ترتيبها في نص آخر، ولكي يتبين هذا، فسأذكر نماذج من ذلك بذكر بعض الأحاديث التي تعرضت لذكر الأشراط الكبرى جملة أو ذكر بعضها: روى الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه؛ قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: (ما تذاكرون"؟ قالوا: نذكر السَّاعة. قال: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات"، فذكر: الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)، وروى مسلم هذا الحديث عن حذيفة بن أسيد بلفظ آخر، وهو: (إن السَّاعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدُّخان،

والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس). وفي رواية: (والعاشرة: نزول عيسى بن مريم) فهذا حديث واحد عن صحابي واحد جاء بلفظين مختلفين في ترتيب الأشراط.

وروى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدُّخان، أو الدجال، أو الدابة، أو الخاصة أحدكم، أو أمر العامة)، وروى مسلم هذا الحديث عن أبي هريرة بلفظ آخر: (بادروا بالأعمال ستًا: الدجال، والدُّخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم) وهذا أيضًا حديث واحد عن صحابي واحد جاء بلفظين مختلفين في ترتيب بعض الأشراط وفي أداة العطف، حيث جاء مرة بـ(أو) والأخرى بـ(الواو)، وهما لا يدلُّان على الترتيب، والذي يمكن معرفته هو ترتيب بعض الأشراط من خلال حدوث بعضها إثر بعض؛ كما ورد في بعض الروايات؛ مثل ما جاء في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كما سيأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى، فقد ذكر فيه بعض الآيات مرتبة؛ حسب وقوعها؛ فإنه ذكر أولًا خروج الدجال على الناس، ثم نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقتله، ثم خروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكر دعاءه عليهم بالهلاك، وكذلك جاء في بعض الروايات أن أول الآيات كذا، وفي بعضها آخر الآيات كذا، ومع هذا؛ فإن هناك اختلافًا في هذه الأولية بين العلماء، وهذا الاختلاف موجود في عصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد روى الإمام أحمد ومسلم عن أبي زرعة؛ قال: جلس إلى مروان بن الحكم بالمدينة ثلاثة نفر من المسلمين، فسمعوه وهو يحدث عن الآيات أن أولها خروجًا الدجال، فقال عبد الله بن عمر: لم يقل مروان شيئًا، قد حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما

ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على إثرها قريبًا". هذا لفظ مسلم، وزاد الإمام أحمد في روايته: "قال عبد الله - وكان يقرأ الكتب-: وأظن **أولاها** خروجًا طلوع الشمس من مغربها"، نعم؛ جمع الحافظ في الفتح (١١/ ٣٥٣): بين أولية الدجال وأولية طلوع الشمس من مغربها، فقال: "الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى عليه السلام، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام السَّاعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب". ثم قال: "والحكمة في ذلك أنه عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة؛ تميز المؤمن من الكافر؛ تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام السَّاعة النار التي تحشر الناس".اهـ.

ويرى الحافظ ابن كثير في النهاية (١/ ١٦٤- ١٦٨) أن خروج الدابة هو أول الآيات الأرضية التي ليست بمألوفة؛ فإن الدابة التي تكلم الناس وتعين المؤمن من الكافر أمر مخالف للعادة المستقرة، وأما طلوع الشمس من مغربها، فهو أمر باهر جدًا، وذلك أول الآيات السماوية، أما ظهور الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، وخروج يأجوج ومأجوج؛ فإنهم وإن كان ظهورهم قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل ظهور الدابة؛ إلا أنهم بشر، مشاهدتهم وأمثالهم من الأمور المألوفة؛ بخلاف ظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها، فهو ليس من الأمور المألوفة.اهـ.

والذي يظهر أن المعول عليه ما ذهب إليه ابن حجر؛ فإن خروج الدجال من حيث كونه بشرًا ليس هو الآية، وإنما الآية خروجه في حالته التي هو عليها من حيث كونه بشرًا، ومع ذلك يأمر السماء أن تمطر، فتمطر، والأرض أن تنبت، فتنبت،

ويكون معه كذا وكذا مما ليس مألوفًا؛ كما سيأتي في الكلام على الدجال، فالدجال في الحقيقة هو أول الآيات الأرضية التي ليست بمألوفة.

وقال الطيبي كما في الفتح (١١/ ٣٥٢): "الآيات أمارات للساعة، إما على قربها، وإما على حصولها، فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف. ومن الثاني: الدُّخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس".اهـ. وهذا ترتيب بين جملة من الآيات وجملة أخرى منها؛ دون تعرض لترتيب ما اندرج تحت هاتين الجملتين، مع أنه يظهر لي أن الطيبي يرى ترتيب الآيات حسب ما ذكره في كل قسم؛ فإن هذا التقسيم - الذي ذهب إليه - تقسيم حسن ودقيق؛ فإنه إذا خرج القسم الأول الدال على قرب السَّاعة قربًا شديدًا؛ كان فيه إيقاظ للناس؛ ليتوبوا ويرجعوا إلى ربهم، ولم يكن هنالك تمييز بين المؤمن والكافر، وهذه العلامات التي ذكرها في القسم الأول سبق أن ذكرت أنه جاء ترتيبها حسب وقوعها، وأضاف إليها الخسوفات، وذلك مناسب لها.

وأما إذا ظهر القسم الثاني -الدال على حصول السَّاعة- فإن الناس يتميزون إلى مؤمن وكافر؛ كما سيأتي أنه عند ظهور الدُّخان يصيب المؤمن كهيئة الزكام، والكافر ينتفخ من ذلك الدُّخان، ثم تطلع الشمس من مغربها، فيقفل باب التوبة، فلا ينفع الكافر إيمانه، ولا التائب توبته، ثم تظهر بعد ذلك الدابة، فتميز بين الناس، فيعرف الكافر من المؤمن؛ لأنها تسم المؤمن وتخطم الكافر؛ كما سيأتي ذكر ذلك، ثم يكون آخر ذلك ظهور النار التي تحشر الناس، وقد جريت في ذكري لأشراط السَّاعة الكبرى على هذا الترتيب الذي ذكره الطيبي؛ لأنه - في نظري- أقرب إلى الصواب، والله أعلم.

ثانيًا: تتابع ظهور الأشراط الكبرى: إذا ظهر أول علامات السَّاعة الكبرى؛

تتابعت الآيات كتتابع الخرز في النظام، يتبع بعضها بعضًا.

روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: (خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام) والنظام: العقد من الجوهر والخرز ونحوهما. و(سلكه): خيطه.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (الآيات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك؛ يتبع بعضها بعضًا) ويشهد له ما قبله، والذي يظهر لي -والله اعلم- أن المراد بهذه الآيات هي علامات السَّاعة الكبرى؛ فإن ظاهر هذه الأحاديث يدلُّ على تقارب ظهورها تقاربًا شديدًا، ويؤيد ذلك ما سبق ذكره في الكلام على ترتيب أشراط السَّاعة الكبرى؛ من بعض الأحاديث ذكرت أن بعض هذه العلامات تظهر في زمن متقارب؛ فإن أول العلامات الكبرى بعد المهدي ظهور الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله، ثم ظهور يأجوج ومأجوج، ودعاء عيسى عليه السلام عليهم، فيهلكهم.

قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٧٧): "وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك، إذا انقطع؛ تناثر الخرز بسرعة، وهو عند أحمد.

(باب ما جاء في المَهدِي)

وقبل ذكر العلامات العشر الكبرى نتحدث عن المهدي؛ لأن ظهوره يكون سابقًا لهذه العلامات، فهو الذي يجتمع عليه المؤمنون لقتال الدجال، ثم ينزل عيسى عليه السلام، ويصلي خلفه؛ كما سيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

في آخر الزمان يخرج رجل من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط؛ تخرج الأرض نباتها،

وتمطر السماء قطرها، ويعطى المال بغير عدد.

قال ابن كثير في النهاية (١/ ٣١): "في زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدو راغم، والخير في أيامه دائم.اهـ.

* اسمه وصفته: وهذا الرجل اسمه كاسم رسول الله ﷺ، واسم أبيه كاسم أبي النبي ﷺ، فيكون اسمه محمد -أو أحمد- بن عبد الله، وهو من ذرية فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثم من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهم.

ثبت في الحديث عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقومُ الساعة حتى يَمْلِكَ الناس رجلٌ مِن أهل بيتي يُوَاطِىءُ اسمُهُ اسمي واسمُ أبيه اسم أبي فَيَمْلأُها قِسْطًا وعَدْلًا) قال ابن كثير في النهاية (١/ ٢٩) في المهدي: وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني رضي الله عنه.اهـ.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا (المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع سنين) أخرجه أبو داود.

* مكان خروجه: قيل يكون ظهور المهدي من قبل المشرق، فقد جاء في الحديث عند ابن ماجة عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (يقتتل عند كنزكم ثلاثة؛ كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلًا لم يقتله قوم... (ثم ذكر شيئًا لا أحفظه، فقال): فإذا رأيتموه؛ فبايعوه، ولو حبوًا على الثلج؛ فإنه.. المهدي)[1] قال ابن كثير في النهاية

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٠٨٤) والحاكم (٤/ ٥١٠)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٦) وغيرهم والحديث ضعفه البيهقي وقال المناوي في الفيض (١/ ٤٦٩): نقل في الميزان عن أحمد وغيره تضعيفه ثم قال الذهبي أراه حديثا منكرا وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٣٩) قال ابن حجر ولم يصب إذ ليس فيه متهم بالكذب انتهى وقال العلامة الألباني في الضعيفة (٨٥) منكر.

(١/ ٢٩): "والظاهر أن المراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان وقسط كثير من الخذلان وهوس شديد من الشيطان إذ لا دليل عليه ولا برهان لا من كتاب ولا من سنة ولا من معقول صحيح ولا استحسان.

وقال أيضًا: "ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سود أيضًا وهو زي عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها: العقاب".

إلى أن قال: "والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل خروجه وظهوره من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك نص الحديث، وقد أفردت في ذكر المهدي جزءا على حدة ولله الحمد".

* الأدلَّة من السنة على ظهوره: جاءت الأحاديث الصحيحة الدالَّة على ظهور المهدي، وهذه الأحاديث منها ما جاء فيه النص على المهدي، ومنها ما جاء فيه ذكر صفته فقط، وأحاديث المهدي متواترة، قال صاحب كتاب تحذير أولي النهى من الأحاديث التي لا أصل لها (٢/ ١١٦): تحت حديث (لا مهدي إلا عيسى) أخرجه ابن ماجه والحاكم وابن عبد البر في جامع العلم وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن والسلفي في الطيوريات والخطيب وأورده ابن الجوزي في الواهيات وقال الذهبي في الميزان: إنه خبرمنكر، وقال الصغاني: موضوع، وقال القرطبي في التذكرة: ضعيف، وقال شيخ الإسلام في منهاج السنة: حديث ضعيف وضعفه ابن القيم في المنار المنيف، وقال صاحب عون المعبود: ضعفه البيهقي والحاكم، وقال العلامة

الألباني في السلسلة الضعيفة: منكر.

قلت يرده أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر.... قال أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم السحري في كتاب مناقب الشافعي قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيتي وإنه سيملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلا وإنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وإنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه في طول من قصته وأمره.

وقال الشوكاني في رسالته المسماة بالتوضيح في تواتر ما جاء في الأحاديث في المهدي والدجال والمسيح فتقرر بجميع ما سقناه أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة والأحاديث الواردة في الدجال متواترة.

وقال صديق حسن القنوجي في كتابه الاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: "والاحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدًا، تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الاسلام من المعاجم والمسانيد"

وقال العلامة الألباني في الصحيحة (١٥٢٩): فهؤلاء خمسة من كبار أئمة الحديث قد صححوا أحاديث خروج المهدي، ومعهم أضعافهم من المتقدمين والمتأخرين أذكر أسماء من تيسر لي منهم:

١ - أبو داود في " السنن " بسكوته على أحاديث المهدي.

٢ - العقيلي.

٣ - ابن العربي في " عارضة الأحوذي ".

٤ - القرطبي كما في " أخبار المهدي " للسيوطي.

٥ - الطيبي كما في " مرقاة المفاتيح " للشيخ القاريء ؟

٦- ابن قيم الجوزية في " المنار المنيف "، خلافا لمن كذب عليه.

٧- الحافظ ابن حجر في " فتح الباري ".

٨- أبو الحسن الآبري في " مناقب الشافعي " كما في " فتح الباري ".

٩- الشيخ علي القارئ في " المرقاة ".

١٠- السيوطي في " العرف الوردي ".

١١- العلامة المباركفوري في " تحفة الأحوذي " وغيرهم كثير وكثير جدا.

بعد هذا كله أليس من العجيب حقا قول الشيخ الغزالي في مشكلاته التي صدرت عنه حديثا (ص١٣٩): "من محفوظاتي وأنا طالب أنه لم يرد في المهدي حديث صريح، وما ورد صريحا فليس بصحيح "! فمن هم الذين لقنوك هذا النفي وحفظوك إياه وأنت طالب؟ أليسوا هم علماء الكلام الذين لا علم عندهم بالحديث، ورجاله، وإلا فكيف يتفق ذلك مع شهادة علماء الحديث بإثبات ما نفوه؟! أليس في ذلك ما يحملك على أن تعيد النظر فيما حفظته طالبا، لاسيما فيما يتعلق بالسنة والحديث تصحيحا وتضعيفا، وما بني على ذلك من الأحكام والآراء، ذلك خير من أن تشكك المسلمين في الأحاديث التي صححها العلماء لمجرد كونك لقنته طالبا، ومن غير أهل الاختصاص والعلم؟! .

(باب المسيح الدَّجَّال[1])

(١) (تنبيه): سوق المعارضات الفكرية المعاصرة للأحاديث المتعلقة بالدجال

أورد المخالفون عدة شبهات عقلية متعلقة بحقيقة الدجال وتشخصه، ومتعلقة أيضا بصفاته الثابتة في السنة، أبرزها مجمل في سبعة معارضات:

المعارضة الأولى: أن أحاديث الدجال تنافي حكمة إنذار القرآن الناس بقرب الساعة وإتيانها بغتة، «فالمسلمون المنتظرون لها -أي للساعة- يعلمون أن لها أشراطا تقع =

=

بالتدريج، فهم آمنون من مجيئها بغتة في كل زمن، وإنما ينتظرون قبلها ظهور الدجال، والمهدي، والمسيح عليه السلام، ويأجوج ومأجوج».

المعارضة الثانية: أن هذه الأحاديث نسبت جملة من الخوارق للدجال؛ تضاهي أكبر الآيات التي أيد الله بها أولي العزم من الرسل، أو تفوقها، وإثبات هذه الأحاديث يعد شبهة على آيات الأنبياء، مما يسقط الثقة بها، والانتفاع بهدايتها.

المعارضة الثالثة: أن هذه الخوارق مخالفة لسنن الله في خلقه، ونصوص القرآن قاطعة في أنه لا تبديل لسنة الله تعالى ولا تحويل.

وهذه الشبهات الثلاث تولى كبرها ومصادمة الأدلة القاطعة بثبوت المسيح الدجال: (محمد رشيد رضا) في «تفسيره»، فأجلب على أحاديثه بأوقار من الشبهات من جهة الرواية والدراية.

وقد ساق غيره معارضا لصفة من صفات الدجال الواردة في الحديث؛ وهي ما ورد من أنه مكتوب بين عينيه (كافر)، فزعم منع حمل هذه الكتابة على حقيقتها، ومناط المنع عنده:

المعارض الرابع: أنه لو حملت تلك الكتابة على حقيقتها، لاستوى في إدراك ذلك المؤمن والكافر، ولم يقع الاختصاص بإدراك ذلك للمؤمن فقط، ثم إن من المؤمنين من هو أمي لا يقرأ ولا يكتب، أو من هو أعمى؛ فكيف يتحصل له إدراك ذلك؟

وفي تقرير هذه الشبهة، يقول (حسن حنفي) ساخرا مما صح من أمر هذه الكتابة: «.. ومكتوب بين العين العوراء والعين العمياء كافر! وكأن الجبين سبورة أو قرطاس! وبأي لون تكون الكتابة؟ وبأية لغة؟ وما حجمها؟ وماذا عن المؤمن الذي لا يعرف القراءة أو اللغة؟ أو المؤمن الأعمى؟.. ».

المعارضة الخامسة: أن بين أحاديث المسيح الدجال عدة تعارضات في تحديد شخص الدجال، وفي زمان خروجه ومكانه، وفي خوارقه التي تكون معه، وكل هذه التعارضات يوجب تساقطها بالمرة.

يفصل هذه التعارضات (رشيد رضا) في «تفسيره» فيقول:

«إنها متعارضة تعارضا كثيرا يوجب تساقطها كما ترى فيما يلي؛ فمن ذلك التعارض:.. أنه كان يشك في ابن صياد من يهود المدينة هل هو الدجال أم لا، وأنه وصف ﷺ الدجال بصفات لا تنطبق على ابن صياد، كما قال ابن صياد لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

=

=

ومن التعارض أيضا: أنه يصرح في بعض الروايات بأنه يكون معه -أي الدجال- جبل أو جبال من خبز ونهر أو أنهار من ماء وعسل،.. مع ما رواه الشيخان -واللفظ للبخاري- من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء، قال ﷺ: بل هو أهون على الله من ذلك.

ومن التعارض أيضا: ما ورد من اختلاف الروايات في المكان الذي يخرج منه، ففي بعض الرويات أنه يخرج من قبل المشرق على الإبهام، وفي حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم: أنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، وفي رواية أخرى لمسلم: أنه يخرج من أصبهان، وفي حديث الجساسة عنده: أنه محبوس بدير أو قصر في جزيرة بحر الشام -أي البحر المتوسط وهو في الشمال- أو بحر اليمين، وهو في الجنوب، وأنه يخرج منها».

المعارضة السادسة: أن المسيح الدجال لو كان حقيقة لورد ذكره في القرآن تحذيرا للناس من فتنه، يقول (نيازي): «ليس في كل القرآن ذكر لأي مسيح دجال،.. وإنما هي من محرفات أهل الكتاب جميعا»

المعارضة السابعة: أن في الأحاديث الواردة في وصف المسيح الدجال تجسيما لله تعالى وتشبيها له بصفات خلقه، فهي تثبت ضمنا أن لله عينين.

يقول إسماعيل الكردي: «الإشكال الكبير في الحديث أنه عندما يميز الدجال المدعي للألوهية عن الله الحق المتعال، يقول: إن الدجال أعور، بعكس الله الذي ليس بأعور، وهذا يفيد أن لله تعالى عين أو عينين! إذ لو لم تكن العينان ثابتتان لله تعالى أصلا لما كان هنالك وجه لمثل هذه المقارنة!

وهذا بالضبط ما يذهب إليه الحشوية، فيجعل هذا الحديث دليلا على ما يسميه صفة العينين أو الأعين لله! ومن هنا فإن فخر المتكلمين الإمام محمد بن عمر الرازي طعن في كتابه (أساس التقديس) في صحة هذا الحديث، وقال: لا يصح متنه وإن كان مخرجا في الصحيح، لأن فيه تجسيما وتشبيها لله تعالى».

* دفع دعوى المعارضات الفكرية المعاصرة للأحاديث المتعلقة بالدجال

قبل التصدي لدحض مجموع المعارضات للأحاديث المتعلقة بالدجال، يحسن في هذا المقام التأكيد على جملة من المسائل دلت عليها هذه الأحاديث المسوقة آنفا:

أولا: إثبات أن للمسيح الدجال وجودا موضوعيا.

=

ثانيا: أن خروجه أعظم الفتن التي توارد أنبياء الله تعالى على التحذير منها، وكان أشدهم تحذيرا منه، وبيانا لنعوته، وكشفا عن العصم التي تقي منه: نبينا محمد ﷺ.

ثالثا: أن خروجه من أعظم دلائل قرب الساعة وأشراطها الكبرى.

تلك الأحاديث المروية في شأن الدجال فيما أفاد هذه المسائل قد تواترت تواترا معنويا، ونظمها غير واحد من أهل العلم بمخارج الأحاديث في سلك الأخبار المقطوع بثبوتها.

قال أبو العباس القرطبي: «الذي يجب الإيمان به: أنه لا بد من خروج الدجال يدعي الإلهية، وأنه كذاب أعور؛ كما جاء في الأحاديث الصحيحة الكثيرة، التي قد حصلت لمن عاناها العلم القطعي بذلك».

وممن حكم بتواتر أحاديث الدجال: أبو الحسن الأشعري، وابن قيم الجوزية، وابن كثير الدمشقي.

ولثبوت أحاديث الدجال، والقطع بنسبتها إلى الرسول ﷺ، درج أهل العلم على عد الإيمان بما تضمنته تلك الأحاديث من جمل عقائدهم؛ سواء كان ذلك في مطاوي معلماتهم الجامعة لأحرف الاعتقاد، أو ضمن أسفارهم التي عقدوها على جهة الإفراد لبيان أشراط الساعة والفتن الحاصلة في آخر الزمان.

يقول أحمد بن حنبل: «الإيمان أن المسيح الدجال خارج، مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل، فيقتله بباب لد».

ثم إجماع أهل السنة منعقد على ما تضمنته هذه المتواترات من أخبار؛ كما حكاه ابن عبد البر في تقريره لعقد أهل السنة والجماعة، بعد أن أسند إلى سفيان بن عيينة قوله: «الإيمان قول وعمل ونية، والإيمان يزيد وينقص، والإيمان بالحوض، والشفاعة، والدجال»، قال: «على هذا جماعة المسلمين، إلا من ذكرنا فإنهم لا يصدقون بالشفاعة، ولا بالحوض، ولا بالدجال».

يشير ابن عبد البر بمن ذكر إلى طوائف من الخوارج، والجهمية، والمعتزلة.

وهذا ما وافقه عليه أبو محمد ابن حزم، حيث أشار إلى المنكرين للدجال وأحاديثه بقوله: «أما ضرار بن عمرو وسائر الخوارج: فإنهم ينفون أن يكون الدجال جملة، فكيف أن يكون له آية؟!».

وقال القاضي عياض: «هذه الأحاديث التي أدخلها مسلم في قصة الدجال، حجة أهل

=

الحق في صحة وجوده، وأنه شخص معين، ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من قدرته؛ ليتميز الخبيث من الطيب.. هذا مذهب أهل السنة، وجماعة أهل الفقه والحديث ونظارهم».

وقال أبو العباس القرطبي: «فائدة الإنذار -أي بالدجال-: الإيمان بوجوده، والعزم على معاداته، ومخالفته، وإظهار تكذيبه، وصدق الالتجاء إلى الله تعالى في التعوذ من فتنته؛ وهذا مذهب أهل السنة، وعامة أهل الفقه والحديث؛ خلافا لمن أنكره».

فأما جواب المعارضة الأولى لكل هذا الذي قررناه من دعوى المخالف أن أحاديث الدجال تنافي الحكمة من إنذار القرآن بقرب الساعة، وإتيانها إلى الناس بغتة:

فإن من مثارات الغلط في هذه الدعوى نصب التلازم بين التصديق بهذه الأشراط، وبين انتفاء ما اختصت به الساعة من مجيئها بغتة؛ والواقع أن التلازم منتف؛ فإن هذه الأشراط التي يقطع علماء المسلمين بصحة الخبر بها، غايتها أن تتميز بها الساعة قدرا من التمييز، وأما التحديد التام فهو من الغيب المطلق الذي اختص الله به.

ولعل ما أوقع (رشيد رضا) في هذه المغالطة: ظنه أن ترتيب حدث بعد وقوع حدث قبله، يمنع حدوث الأخير منهما في الترتيب أن يكون بغتة؛ وهذا فهم خاطئ، يتبين زغله إذا علمنا:

أن معنى (البغتة) في اللغة: المفاجأة بالشيء، أي: نفي علمك بمجيء وقت ذاك الشيء بالتعيين، فأما علمك بقرب وقته لعلامة ما، لا يعني معرفتك بوقته تحديدا، فلا تلازم.

هذا ما قرره ابن جرير الطبري بفصيح عبارة في معرض حديثه عن الساعة وأشراطها الكبرى، فقال:

«إن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراطها، لاستئثار الله بعلم ذلك.. وكان نبينا محمد ﷺ إذا ذكر شيئا من ذلك لم يدل عليه إلا بأشراطه، دون تحديده بوقت، كالذي روي عنه ﷺ أنه قال لأصحابه إذا ذكر الدجال: «إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه، وإن يخرج بعدي، فالله خليفتي عليكم»، وما أشبه ذلك من الأخبار.. الدالة على أنه ﷺ لم يكن عنده علم أوقات شيء منه بمقادير السنين والأيام، وأن الله -جل ثناؤه- إنما كان عرفه مجيئه بأشراطه، ووقته بأدلته».

والذي أعجب منه، ليست غفلة (رشيد رضا) عن هذا الفرق اللغوي المهم، ولكن عجبي من أنه -وهو المعترض على هذه الأحاديث بدعوى أن خروج الدجال وأشراط

=

=

الساعة قاضية على الحكمة من إخفاء الساعة- هو نفسه قبل موضع اعتراضه هذا بصفحات يسيرة، يقرر «أن للساعة أشراطا ثبتت في الكتاب والسنة.. وأعظمها بعثة خاتم النبيين، بآخر هداية الوحي الإلهي للناس أجمعين؛ لأن بعثته ﷺ قد كمل بها الدين.. وبكماله تكمل الحياة»!

ومهما يكن حصر (رشيد رضا) لتلك الأشراط في بعضها القليل -كبعثة النبي ﷺ فإن ما أورده من إشكال في الأشراط الأخرى وارد على ما أثبته من ذاك القليل، فما كان جوابه عنها فهو جوابنا عن سائرها.

ثم هذا الاعتراض وإن راشه (رشيد رضا) على أحاديث أشراط الساعة، فقد فاته أن ذلك يسري إلى الآيات الناصة على أن للساعة أشراطا -بإقراره هو أنها في القرآن- سواء بسواء! من ذلك -مثل- قوله تعالى: {فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها} [محمد: ١٨].

فلا محيص للمعترض عن الوقوع في مخاضة هذا الإلزام إلا باتهام الرأي قبل التسارع في الطعن في الدلائل ببادي الرأي.

ومحصل التحقيق في هذا الباب:

أن هذه الأشراط -ومنها خروج الدجال الأكبر- إنما تدل على قرب الساعة، لا على تحقق العلم بوقوعها، وعلة ذلك: انتفاء العلم بالمدة الزمنية المحددة بين تلك الأشراط وبين وقوع الساعة، «وبهذا يكون الأمر نقيض ما ذكره المعترضون؛ بأن يكون العلم بهذه الأشراط: باعثا على العمل، موقظا من الغفلة، زاجرا عن التمادي في المعاصي.

وهل قطع قلوب الصالحين، وأذاب أكبادهم، كمثل تذكر تلك الأهوال العظام، وما فيها من فتن تفزع منها القلوب».

وأما المعارضة الثانية: وهو دعواهم أن هذه الأحاديث نسبت جملة من الخوارق للدجال تضاهي أكبر الآيات التي أيد الله بها أولي العزم ... إلخ؛ فالجواب عنها أن يقال:

إن منشأ الخطأ عند هؤلاء راجع في حقيقته إلى إغفال أمرين مهمين:

الأمر الأول: النظر في حقيقة دعوى الدجال التي يدعيها لنفسه:

فإن دعوى الدجال التي تصحبها تلك الخوارق هي دعوى الربوبية، لا النبوة والرسالة! وعلى هذا، فاقتران هذه الخوارق بدعواه، ومضاهاتها لآيات الأنبياء ليست مثار إشكال؛

=

=

لكونه لم يدع الرسالة أصلا حتى يقال: إن هذه الخوارق معجزات وآيات قامت مقام تصديق الله تعالى له.

الأمر الثاني: النظر في ما اقترن بالدجال من أحوال وصفات، تبرهن على حقيقة أمره، وتكشف عن زيف دعواه:

وهو أن الدجال موسوم بصفات وعلامات تقوم مقام تكذيبه فيما يدعيه؛ سواء من أمر الربوبية أو الألوهية، وهذه الأمور المقترنة معه تبطل أثر تلك الخوارق، وتزيد اليقين عند المؤمنين بكذبه؛ وإلا لما كان للنبي ﷺ فضل ومزية على غيره من الرسل في الإبانة عن أمر الدجال، ولا في قوله لهم: «ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه؟.. » الحديث، ولما كان في قوله ﷺ: «إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فأمرؤ حجيج نفسه» فائدة تذكر.

فإن المقصود من قوله ﷺ: «.. فامرؤ حجيج نفسه» أن الدجال إن خرج ولست فيكم «فليحتج كل امرئ عن نفسه بما أعلمته من صفته، وبما يدل عليه العقل من كذبه في دعوى الإلهية؛ وهو خبر بمعنى الأمر، مع ما فيه من التنبيه على النظر عند المشكلات، والتمسك بالأدلة الواضحات».

والمؤمن ببصيرته يسدده الله تعالى، فينكشف له في أزمان الفتن ما لا ينكشف لغيره، ويتبين له صدق الصادق، وافتراء المفتري، والدجال أكذب الخلق، وكذبه ظاهر، لا ينفق على أهل اليقين.

يصدق هذا قول ابن تيمية: «المؤمن يتبين له ما لا يتبين لغيره؛ لا سيما في الفتن، وينكشف له حال الكذاب الوضاع على الله ورسوله؛ فإن الدجال أكذب خلق الله، مع أن الله يجري على يديه أمورا هائلة، ومخاريق مزلزلة؛ حتى أن من رآه افتتن به، فيكشفها الله للمؤمن، حتى يعتقد كذبها وبطلانها، وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطلها؛ بخلاف القلب الخراب المظلم».

فإن قيل: لكن مع وجود هذه الصفات المخبر عنها في الأحاديث الدالة على كذب الدجال؛ فإن وجود ما يضادها من الخوارق التي يجريها الله على يديه، يبعث إلى الافتتان به، والحيرة في أمره!

فيقال: نعم هذا حق، فإن ما يجريه الله على يديه فتنة عظيمة، لا يخلص منها إلا أهل الإيمان؛ كما قال ذلك الشاب المؤمن الذي قتله الدجال ثم أحياه: «ما كنت فيك أشد

=

=

بصيرة من اليوم»؛ وكما يحصل لمن في قلوبهم مرض، وأهل النفاق والكفرة من ازدياد الارتياب والفتنة به؛ فهذا الأمر -كما يقرره الخطابي- «جائز على سبيل الامتحان لعباده؛ إذ كان منه ما يدل على أنه مبطل، غير محق في دعواه؛ وهو أن الدجال أعور عين اليمنى، مكتوب على جبهته كافر، يقرؤه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر، ونقص العور، الشاهدين بأنه لو كان ربا لقدر على رفع العور عن عينه، ومحو السمة عن وجهه، وآيات الأنبياء التي أعطوها بريئة عما يعارضها ونقائضها، فلا يشتبهان بحمد الله».

وأما المعارضة الثالثة: وهي زعمهم أن هذه الخوارق مخالفة لسنن الله ... إلخ:

فالجواب عنها: ما أبنت عنه في المبحث المنعقد لدفع المعارض العقلي عن الآيات الحسية للأنبياء؛ والذي يأتي في مبحث مستقل.

وأما المعارض الرابع: وهو قولهم أن الكتابة لو حملت على حقيقتها، لاستوى في إدراك ذلك المؤمن والكافر، وأن من المؤمنين من هو أمي أو أعمى.. إلخ:

فالذي يتحققه العقلاء الأسوياء في درء هذه الشبهة، أن العقل لا يحيل ذلك، فهم يعلمون أن الرب تبارك وتعالى الذي قدر على أن يصرف الكافر عن إدراك هذه الكتابة، لا يعجزه سبحانه أن يمكن المؤمن الأمي والأعمى من إدراكها! وكلا الفعلين الإلهيين -من الصرف عن تلمح الكتابة والتمكين من إدراكها- أمران غيبيان نجهل كيفيتهما على التحقيق.

وعلى هذا؛ فحملهم الخاطئ للوارد في هذا الحديث من أمر الكتابة على معنى ما ثبت من شواهد عجزه وظهور نقصه: هو «عدول وتحريف عن حقيقة الحديث من غير موجب لذلك، وما ذكره المعترض من لزوم المساواة بين المؤمن والكافر في قراءة ذلك، لا يلزم من وجهين:

أحدهما: أن الله يمنع الكافر من إدراكه؛ ولا سيما وذلك الزمان قد انخرقت فيه عوائد؛ فليكن هذا منها! وقد فهم ذلك مما جاء في بعض طرقه: «يقرؤه كل مؤمن؛ كاتب وغير كاتب.."، وقراءة غير الكاتب خارقة للعادة.

وثانيهما: أن المؤمن إنما يدركه لتثبته ويقظته، ولسوء ظنه بالدجال، وتخوفه من فتنته، فهو في كل حال يستعيد النظر في أمره، ويستزيد بصيرة في كذبه؛ فينظر في تفاصيل أحواله، فيقرأ سطور كفره وضلاله، ويتبين عين محاله.

=

=

وأما الكافر: فمصروف عن ذلك كله؛ بغفلته وجهله، وكما انصرف عن إدراك نقص عوره، وشواهد عجزه؛ كذلك يصرف عن فهم قراءة سطور كفره ورمزه».

فالصحيح الذي عليه المحققون من أهل العلم: أن الكتابة المذكورة حقيقة، جعلها الله علامة قاطعة يكذب بها الدجال، فيظهر الله المؤمنين عليها، ويخفيها على من أراد شقاوته.

والقاضي عياض وإن حكى في ذلك خلافا، أن بعضهم قال: هي مجاز عن سمة الحدوث عليه؛ فهذا مذهب ضعيف.

يقول فيه ابن حجر: «ولا يلزم من قوله: «يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب.. » أن لا تكون الكتابة حقيقة، بل يقدر الله على غير الكاتب علم الإدراك، فيقرأ ذلك، وإن لم يكن سبق له معرفة بالكتابة؛ وكأن السر اللطيف في أن الكاتب وغير الكاتب يقرأ ذلك: لمناسبة أن كونه أعور يدركه كل من رآه».

فبهذا يتبين أن من ذهب إلى تأويل الأحاديث الدالة على الوجود العيني للدجال، بحملها على الرمز والإشارة؛ وأنها ترمز إلى الخرافة والدجل، التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها -كما ذهب إلى ذلك (محمد عبده) -، أو أنها ترمز على الشر واستعلائه - كما تأولها (محمد أسد)، وارتضاه (مصطفى محمود) -: كل هذه التأويلات لا تثبت على قدم، وبطلانها بين من وجوه:

الوجه الأول: أن هذه التأويلات مؤسسة فيما يظهر على الإحالة العقلية، ولا إحالة تمنع من قبول أحاديث الدجال والتسليم بها؛ بل هي جارية على سنن العقل، والشرع مثبت لها، وما أثبته الشرع فهو يقينا موافق للعقل، ومن تأمل هذا في جميع ما أخبر به الرسول ﷺ، فمحال أن تزل قدمه عند ورود بعض ما يشكل على هذا الأصل.

الوجه الثاني: أن هذه التأويلات قدح في تبليغ النبي ﷺ؛ لأنه من المتقرر شرعا وعقلا أن من أراد النصح والبيان لأحد من الخلق، فإنه لابد أن يعمد إلى أقرب الطرق للإفهام، ويتخير من الألفاظ ما تحصل به الإبانة، وتقع به النصيحة، فإن تحاشى مريد النصيحة هذا السبيل بأن عمد إلى الإبهام، مع الحاجة إلى البيان: استدل الناظر في حال هذا المتنكب عن هذا السبيل على أنه: جاهل عاجز عن الإبانة، أو قاصد لتضليل المخاطب، وإيقاعه في الحيرة!

ولا ريب أن المتأولين لأحاديث الدجال ونحوها على خلاف الظاهر المتبادر منها، وإن

=

لـم يتقـصدوا أحـد هـذين الاحتمـالين: فـإنهم واقعـون في وصـف الرسـول ﷺ بأحـدهما لزوما.

الوجه الثالث: أن حمل هـذه الأحاديـث الدالـة عـلى تـشخص الـدجال، وخروجـه عـلى الرمز والتخييل، بلا قرينة توجب ذلك: هو عدول عن الظاهر المتبادر بلا ضرورة عقلية ولا شرعية تستدعيه.

وطرق باب التأويل لأدنى إشكال ينقدح في عقل النـاظر في مثـل هـذه الأحاديـث، يبعـث على فتح الباب على مصراعيه لتأويـل أحـرف الـشريعة كلهـا، فـلا يوثـق بعـد بخـبر، ولا ينعقد القلب على دين؛ وهذا هو الانحلال بعينه، وهدم الشريعة وتقويضها.

وأمـا المعـارض الخـامس: في دعـوى المخـالف تنـاقض أحاديـث الـدجال في تحديـد شخـصه، أو في زمـان خروجـه ومكانـه، أو في خوارقـه التـي تكـون معـه؛ فإنـا نبـين زيـف دعاوي التناقض هذه كلا على حدة:

فأما دعواه أنه ﷺ كان يشك في ابن صياد هل هو الـدجال أم لا، مـع أنـه وصـف الـدجال بصفات لا تنطبق على ابن صياد: فالحق أن الاختلاف في ابن الصياد لا ينكر وقوعه بـين العلماء، «وأشكل أمره، حتى قيل فيه كل مقيل».

والذي يقتضيه المنهج العلمي الصحيح هنا: الرجوع بهذا الاختلاف وأدلتـه إلـى قواعـد الجمع، ثـم الترجيح بضوابطه إن تعذرت الأولى، أما أن يقدم المخالف عـلى قفـز تلكـم المراحل المنهجيـة، والرضـا بعـد بإسـقاط الأدلـة كلهـا بـدعوى الاضـطراب: فنـأي عـن الجادة التي توالى الأصوليون على التوصية بسلوكها في مثل هذه القضايا النقلية.

فمن ذلك: ذهاب بعض أهل العلم إلى كون ابن الـصياد هـو المـسيح الـدجال، وأنـه هـو الخـارج آخر الزمان، واستشهدوا بما مر عن محمـد بـن المنكـدر قـال: «رأيـت جـابر بـن عبد الله رضي الله عنه يحلف بالله أن ابن الصائد الدجال، قلت: تحلف بـالله؟! قـال: إني سـمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ، فلـم ينكـره النبـي ﷺ»، وبقـول جـابر رضي الله عنه أيـضا: «فقدنا ابن الصياد يوم الحرة»، وتأولوا فقده هذا برجوعه إلى جزيرته التي رآه فيها تمـيم الداري موثقا!

يقول النـووي: «أمـا احتجاجـه هـو -أي ابـن الـصياد عـلى مـن اتهمـه بأنـه الـدجال- بأنـه مـسلم، والـدجال كـافر، وبأنـه لا يولـد للـدجال، وقـد ولـد لـه هـو، وأن لا يـدخل مكـة والمدينة، وأن بن صياد دخل المدينة، وهو متوجه إلى مكة: فلا دلالة له فيـه، لأن النبـي

=

ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض».

وذهب غير هؤلاء إلى أن المسيح الدجال الخارج آخر الزمان غير ابن الصياد الذي عاش في المدينة زمن النبوة، فإن هذا «كان دجالا من الدجاجلة، ثم تيب عليه بعد ذلك، فأظهر الإسلام، والله أعلم بضميره وسريرته».

ودليلهم على ذلك: حديث تميم الداري رضي الله عنه الطويل المشهور في «صحيح مسلم»، وقد مر أنه أخبر النبي ﷺ بلقياه المسيح الدجال -بتقدير من الله تعالى- موثقا في دير بإحدى الجزر النائية في البحر، فذكره له بأوصاف تخالف ما عليه ابن الصياد.

وحمل بعض هؤلاء جزم عمر رضي الله عنه على أن ابن الصياد هو المسيح الدجال على عدم اطلاعه على حديث تميم وقت حلفه، وحملوا جزم جابر رضي الله عنه لما رأى سكوت النبي ﷺ عند حلف عمر رضي الله عنه بأنه اجتهاد منه منقوض، وذلك أن «الظاهر أن النبي ﷺ لم يكن قد أوحي إليه وقتئذ في أمره بشيء، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان ﷺ لا يقطع في أمره بشيء».

فكان سر سكوته ﷺ على حلف عمر: عدم تحققه من بطلان ما حلف عليه، فلا يعد هذا السكوت في هذه الحالة تقريرا، خصوصا إذا علم أن من شرط العمل بالتقرير: ألا يعارضه تصريح يخالفه.

فبهذا يرجح عندي أن قول من نفى أن يكون المسيح الدجال هو ابن الصياد هو الأصوب.

ومهما يكن أحد القولين هو الصواب، فكلا قائليه من أهل العلم قد أصاب المنهج الصحيح، بسلوكهم لسبيل الجمع والترجيح بين أدلة الباب، بدل الإقدام على خطيئة الطعن في الباب جملة.

وأما عن التعارض الثاني: في دعوى (رشيد رضا) أن بعض الروايات تصرح بأنه يكون مع الدجال جبال من خبز ونهر أو أنهار من ماء وعسل.. إلخ، في حين أن ما رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ينفي ذلك عنه، حيث قال للنبي ﷺ: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء، فقال ﷺ: هو أهون على الله من ذلك.

فجوابه: سائر على منوال ما سبق تقريره من الجواب على دعوى التعارض قبله، ذلك أن «إعمال الدليلين أولى من إهمالها»، ثم الترجيح إن استحكم العجز عن الجمع، وقد سبق تقريره.

=

=

فنقول: إن قوله ﷺ: «هو أهون على الله من ذلك» محتمل معنيين:

المعنى الأول: أن الدجال أهون من أن يجري الله على يديه هذه الخوارق؛ وإنما هو تخييل، وسحر يسحر به أعين الناس.

وهذا المعنى اختاره الطحاوي في تفسير الحديث، فقرر أن ما يظهره الدجال ليس إلا تخييلا ومخرقة لا حقيقة تحتها، واستدل تأييدا لذلك بحديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه مرفوعا: «.. ثم يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفسا ثم يحييها فيما يرى الناس».

وعلى الطريقة نفسها في الجمع سار ابن حبان البستي، فقرر أن «إنكار المصطفى ﷺ على المغيرة بأن مع الدجال أنهار الماء، ليس يضاد خبر أبي مسعود رضي الله عنه الذي ذكرناه، لأنه أهون على الله من أن يكون معه نهر الماء يجري، والذي معه يرى أنه ماء ولا ماء، من غير أن يكون بينهما تضاد».

والمعنى الثاني: أنه أهون من أن يجعل ما يخلقه الله تعالى على يديه مضلا للمؤمنين، ومشككا لقلوب الموقنين.

يقول القاضي عياض: «قوله في هذا الحديث: «.. هو أهون على الله من ذلك»، أي: من أن يجعل ما يخلقه على يده مضلا للمؤمنين، ومشككا لقلوب الموقنين؛ بل يزيد الذين آمنوا إيمانا، وليرتاب الذين في قلوبهم مرض والكافرون».

وقال ابن حجر: «.. فدل ما ثبت من ذلك على أن قوله ﷺ: «.. هو أهون على الله من ذلك» ليس المراد به ظاهره، وأنه لا يجعل على يديه شيئا من ذلك؛ بل هو على التأويل المذكور»، يعني: تفسير القاضي عياض السالف الذكر.

فلما أن كان هذا اللفظ من رسول الله ﷺ محتملا لكلا هذين المعنيين؛ كان المتعين البحث عما يزيح أحد الاحتمالين؛ فوجدنا أن الأحاديث الأخرى قد أبانت عن أن ما مع الدجال من الخوارق على بابها وظاهرها، فلم يسعنا حينئذ إلا المصير إليها، واتخاذها أصلا محكما يرد إليها ما تشابه من الألفاظ.

فأما استدلال الطحاوي بحديث جابر رضي الله عنه: فلا يستقيم له إلا بعد التسليم بصحة ثبوته؛ وهذا ما لا يتم له؛ لتفرد أبي الزبير عن جابر ﷺ بتلك الزيادة التي لم تقع في الأحاديث الأخرى، أعني قوله: «فيما يرى الناس»، فهي زيادة تخالف روايات الثقات للحديث، لا أعلمها إلا من رواية أبي الزبير عن جابر.

=

=

فكيف تثبت هذه الزيادة أن الإمطار مجرد تخيل لا حقيقة له، وقد أنبتت الأرض منه حقيقة، وأكل الناس مما أخرجت؟!

وإن كان الدجال قد خيل للناس شق الشاب المؤمن فلقتين، ثم أرجعه كما كان حيا، فهل يعقل أن الشاب المفعول به ذاك قد شمله ذاك التخييل وقد صرخ بوقوعه؟! وإلا فما منعه أن يجهر في الناس أن ما أجراه الدجال عليه مجرد تخييل وتدليس لا حقيقة له لم يمس فيه بسوء؟! في حين أن الروايات الصحيحة تثبت أن الشاب قد تيقن أنه قد أحيي بعد مقتله، فزاد بذلك يقينه بما كان أخبر النبي ﷺ من كون ذلك على الحقيقة!

من هنا نتبين: أن ما ذهب إليه الطحاوي وابن حبان من تأويل لما مع الدجال من الخوارق على معنى التمويه والتخييل ترده تلك الأحاديث البينة الدالة على أن ما يظهره الله على يديه من أمر السماء بالإمطار فتمطر، والأرض فتنبت، واتباع كنوز الأرض له كيعاسيب النحل، وقتله ذلك الشاب ثم إحيائه له: كله حقيقة لا مخرقة، وليس هناك ما يمنع من جريان تلك الخوارق على يديه، والزمن زمن انخراق السنن.

ولذا قال أبو العباس القرطبي: «أما من قال: إن ما يأتي به الدجال حيل ومخارق فهو معزول عن الحقائق؛ لأن ما أخبر به النبي ﷺ من تلك الأمور حقائق لا يحيل العقل شيئا منها، فوجب إبقاؤها على حقائقها».

ولا ريب أن مثل الطحاوي وابن حبان لا يشملهما كلام القرطبي هذا، لأن مرد تأويل هذين الإمامين ليس عن شبهة عقلية -كما دأب المحدثين- بل كان عن شبهة نقلية؛ كما مر معنا من استدلالهم برواية: «.. فيما يرى الناس»، مع ما يعلمانه من الأحاديث التي فيها ذكر لتلك الخوارق.

هذا كي لا يظن ظان أن تأويلهم نابع عن استشكال عقلي محض فيتخذ ذلك وليجة للاعتضاد به، وبيان مآخذ أهل العلم، ونفي موارد الظنون عنهم، مما يتغياه هذا البحث؛ لقطع علائق المتأولين المتعلقين بأذيالهم؛ فضلا عن كون ذلك من لوازم الديانة.

وأما عن التعارض الثالث: في دعوى اختلاف الروايات في المكان الذي يخرج منه المسيح الدجال:

فإن الدجال خارج من المشرق قولا واحدا، وهو ما أشارت إليه أكثر الأحاديث في هذا الباب، «ثم جاء في رواية أنه يخرج من خراسان، أخرج ذلك أحمد والحاكم من حديث أبي بكر رضي الله عنه، وفي أخرى أنه يخرج من أصبهان، أخرجها مسلم».

=

=

ولا تعارض بين هذه الجهات الثلاثة، لأن أصبهان جزء من بلاد خراسان، وخراسان واقعة شرق الجزيرة العربية.
والذي يظهر أن النبي ﷺ ذكر في حديث الجساسة خروج الدجال من بحر الشام أو بحر اليمن قد رجع عنه النبي ﷺ في آخر الرواية نفسها، حيث قال ﷺ: «ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن،.. لا بل من قبل المشرق ما هو! من قبل المشرق ما هو! من قبل المشرق ما هو!»، وأومأ بيده إلى المشرق.
يقول أبو العباس القرطبي في هذه الجمل النبوية: «كله كلام ابتدئ على الظن، ثم عرض الشك أو قصد الإبهام، ثم نفى ذلك كله، وأضرب عنه بالتحقيق، فقال: لا، بل من قبل المشرق؛ ثم أكد ذلك بـ (ما) الزائدة، وبالتكرار اللفظي، وهذا لا بعد فيه؛ لأن النبي ﷺ بشر يظن ويشك، كما يسهو وينسى، إلا أنه لا يتمادى، ولا يقر على شيء من ذلك، بل يرشد إلى التحقيق، ويسلك به سواء الطريق».
والحاصل من هذا: أنه ﷺ ظن أن الدجال المذكور في بحر الشام؛ لأن الظن أن تميما ركب في بحر الشام، ثم عرض له احتمال أنه في بحر اليمن؛ لقربه من أرض الشام، ثم أطلعه العليم الخبير على تحقيق ذلك فحقق.
أما ما جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه من أن الدجال سيخرج من خلة بين العراق والشام: فيحمل على تعدد خروجه، فيكون «مبتدأ خروج الدجال من خراسان، ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام» خروجه الأكبر، قصد استئصال جذر من جذور الإسلام من أصله.
أما جواب المعارض السادس: في دعوى المعترض أن الدجال لو كان حقيقة، لورد ذكره في القرآن الكريم، تحذيرا للناس من فتنه:
فلقد جاء في القرآن الكريم الإخبار عن أشراط الساعة بإجمال، كما في قوله تعالى: {فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم} [محمد: ١٨]، ولا شك أن مهمة الرسول تفصيل هذا الإجمال وبيانه، وقد تواتر عن النبي ﷺ إدراج الدجال في جملة هذه الأشراط التي ذكرتها الآية الكريمة، فوجب التسليم له به.
وخفاء حكمة عدم التصريح بأمر الدجال في القرآن لا يعكر على ما دلت عليه الأحاديث القطعية من ثبوت أمره؛ وإلا لاقتضى ذلك التجاري في إنكار كل ما يثبت في السنن من

=

=

معاقد الدين، بدعوى سكوت القرآن عنه!

وأما جواب المعارض السابع: من دعوى تضمن الأحاديث الواردة في وصف الدجال تجسيما لله تعالى وتشبيها بخلقه، حيث لازمها إثبات العين له سبحانه:

فقد تقدم الكلام على أن إثبات الصفات لله تعالى الواردة في الكتاب والسنة، من غير تكييف لها ولا تمثيل، لا يعد ذلك تجسيما للباري سبحانه، ولا تشبيها له بخلقه.

وقد جرى مذهب أهل السنة والجماعة على حمل ما جاء في الحديث الوارد في عور الدجال على إثبات صفة العين لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلال ذاته وعظمته، حيث ذكر النبي ﷺ الدجال بـ «أنه أعور، وأن ربكم ليس بأعور»، و«الأعور عندهم ضد البصير بالعينين».

يقول البيهقي تعليقا على هذا الحديث:

«في هذا نفي نقص العور عن الله سبحانه وإثبات العين له صفة، وعرفنا بقوله ﷻ: {ليس كمثله شيء} [الشورى: ١١]، وبدلائل العقل أنها ليست بحدقة، وأن اليدين ليستا بجارحتين، وأن الوجه ليس بصورة؛ وأنها صفات ذات أثبتناها بالكتاب والسنة بلا تشبيه».

وعلى هذا مشى الأشاعرة المتقدمون في إثبات تلكم الصفات الذاتية الخبرية، ولم يزيدوا على ذلك، اقتفاء لمذهب من سلف من علماء الأمة، مع تنزيههم له تعالى عن المثيل والشبيه؛ يكفي في هذا ما نقله عنهم أبو الحسن الأشعري وهو يقرر عقائد أهل السنة، حيث قال: «قال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم، ولا يشبه الأشياء، وأنه على العرش.. وأن له عينين».

وقال في موضع آخر من كتبه: «.. وأن له -سبحانه- عينين بلا كيف».

أما من تأول هذا الخبر النبوي من منتسبي هذا الإمام، بأن المراد منه مجرد نفي النقص والعيب عنه سبحانه، أو كناية عن صفة البصر لا العين؛ فعلى قول هذا الفريق أيضا يسلم الحديث من تهمة التجسيم أو التشبيه؛ إذ أنه كما كانت ظواهر كثير من آيات الصفات أولوها بكونها غير مرادة لظاهرها، فكذلك الشأن عندهم مع ما صح من أحاديث الصفات الخبرية.

فالمثبتون لصفة العين يجعلون الحديث دليلا لهم ينضاف إلى أدلة صحة مذهبهم في ذلك، ومن تأول الحديث على غير ظاهره، فإن تأويله فرع عن تصحيحه له.

=

* اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى البالغة أن تتعرض الأمة الإسلامية، والفرد المسلم إلى شتى أنواع الفتن، لمعرفة معادن النفوس وحقيقتها، والله سبحانه وتعالى يعلم حقيقة النفوس قبل الابتلاء، هذا الابتلاء يكشف هذه النفوس حتى لأصحابها.

قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾.

وبعض هذه الفتن تكون شديدة مظلمة ويبلغ من شدتها أن تخرج المسلم عن دينه والعياذ بالله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا". وبعضها تكون خفيفة.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: "والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسر إلي في ذلك شيئا لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسًا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن: منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا، ومنهن فتن كرياح الصيف، ومنها صغار، ومنها كبار".

ومن الفتن التي تواجه الأمة في آخر الزمان هي فتنة المسيح الدجال، وهي من أعظم الفتن منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى قيام الساعة.

فعن أبي الدهماء وأبي قتادة، قالوا: كنا نمر على هشام بن عامر، نأتي عمران بن حصين، فقال ذات يوم: إنكم لتجاوزوني إلى الرجال، ما كانوا بأحضر إلى رسول الله ﷺ مني، ولا أعلم بحديثه مني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما بين خلق آدم إلى

=

وبهذا تنتفي كل دعاوي الاعتراضات عن أخبار الدجال، ولله الحمد.

قيام الساعة خلق أكبر من الدجال". وفي رواية: "أمر أكبر من الدجال".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأعظم الدجاجلة فتنه الدجال الكبير الذي يقتله عيسى بن مريم، فإنه ما خلق الله من لدن آدم إلى قيام الساعة أعظم من فتنته، وأمر المسلمين أن يستعيذوا من فتنته في صلاتهم.

والمسيح الدجال يكاد أن ينساه الناس، بل تذهل عنه، حتى الخاصة منهم، كما جاء في السنة النبوية المطهرة.

فعن راشد بن سعد قال: لما فتحت اصطخر نادى منادٍ: ألا إن الدجال قد خرج.

قال: فلقيهم الصعب بن جثامة، قال: فقال: لولا ما تقولون لأخبرتكم أني سمعت رسول الله يقول: "لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر".

قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: ولقد صدق هذا الخبر على أئمة المساجد، فتركوا ذكر الدجال على المنابر وهم خاصة الناس، فماذا يكون حال عامتهم؟!.

فمن تمام النصح للمسلمين، ومن باب التعاون على البر والتقوى، أحببت أن أكتب في هذا الموضوع، ليكون المسلمون على حذر منه، وأن يتسلحوا بسلاح العلم والإيمان لصده، وعدم اتباعه والاغترار به، لنكون على بصيرة، كما حذرنا رسول الله ﷺ، فقد أتم الله سبحانه وتعالى نعمه علينا، وبعث لنا رسولًا حريصًا علينا، بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، فدلنا هذا الرسول الكريم على الخير، وحذرنا من الشر، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع ﷺ خيرًا إلا ودلنا عليه، ولا شرًا إلا وحذرنا منه، ومن جملة ما حذرنا منه المسيح الدجال، لأن فتنته أعظم فتنة تواجه الأمة إلى قيام الساعة، وكل نبي حذر أمته منه، وكل نبي أنذر أمته الأعور الدجال، فحذرنا نبينا ﷺ منه، وأرشدنا إلى ما يعصمنا منه، وأمرنا

بالتعوذ منه عند كل صلاة.

فعن محمد بن أبي عائشة أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: "إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال".

قال الإمام السفاريني: "مما ينبغي لكل عالم أن يبثَّ أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال ... وقد ورد أن علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر".

ثم قال: "ولا سيما في زماننا هذا الذي أشربت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن، وصارت السنن فيه كالبدع، والبدعة شرعٌ يُتَّبع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

وهذا الكلام في زمانه فكيف في زماننا هذا! والله المستعان.

* معنى المسيح: ذكر أبو عبد الله القرطبي في التذكرة (ص٦٧٩): ثلاثة وعشرين قولًا في اشتقاق هذا اللفظ، وأوصلها صاحب ترتيب القاموس (٤/ ٢٣٩): إلى خمسين قولًا.

قال ابن منظور: وسمي الدجال مسيحًا لأَن عينه ممسوحة عن أَن يبصر بها، وسمي عيسى مسيحًا اسم خصَّه الله به، ولمسح زكريا إِياه؛ وروي عن أَبي الهيثم أَنه قال: المسيح ابن مريم الصِّدِّيق، وضِدُّ الصِّدِّيق المسيحُ الدجالُ أَي الضِّلِّيلُ الكذاب.

خلق الله المَسِيحَيْنِ: أَحدهما ضد الآخر، فكان المسِيحُ بن مريم يبرىء الأَكمه والأَبرص ويحيي الموتى بإِذن الله.

وكذلك الدجال يُحْيي الميتَ ويُمِيتُ الحَيَّ ويُنْشِىءُ السحابَ ويُنْبِتُ النباتَ بإِذن الله.

فهما مسيحان: مسيح الهُدَى ومسيح الضلالة.

وقال ابن حجر في الفتح: والمسيح بفتح الميم وتخفيف المهملة المكسورة وآخره حاء مهملة يطلق على الدجال وعلى عيسى بن مريم عليه السلام لكن إذا أريد الدجال قيد به.

ثم قال: من قاله بالخاء المعجمة صحف.

وبالغ القاضي بن العربي فقال ضل قوم فرووه المسيخ بالخاء المعجمة، وشدد بعضهم السين ليفرقوا بينه وبين المسيح عيسى بن مريم بزعمهم، وقد فرق النبي ﷺ بينهما بقوله في الدجال مسيح الضلالة، فدل على أن عيسى مسيح الهدى فأراد هؤلاء تعظيم عيسى فحرفوا الحديث.

وقال الجوهري :من قاله بالتخفيف فلمسحه الأرض ومن قاله بالتشديد فلكونه ممسوح العين. اهـ.

قال الخطابي في "إصلاح غلط المحدثين" (ص٣٦): مما سبيله أن يخفَّف وهم يثقلونه "المسيح الدجال" فقد أولعت العامة بتشديد السين، وكسر الميم ليكون – فيما زعموا – فصلًا بين مسيح الضلالة وبين عيسى عليه السلام، وليس ما ادعوه بشيء، وكلاهما مسيح، مفتوحة الميم خفيفة السين، فعيسى عليه السلام مسيح بمعنى ماسح لأنه كان إذا مسح ذا عاهة عوفي، والدجال مسيح لأنه ممسوح إحدى العينين، ويقال في الدجال: مِسِّيح أي كذاب.

قال ابن الأعرابي: وأما المسيحُ عيسى عليه الصلاة والسلام سمي مسيحًا لأنه كان لا يمسح بيده ذَا عَاهَةٍ إلا بَرَأ.

فعن ابن عبَّاسٍ: أنه سُمّي لأنه كان لا يمسح بيده ذَا عَاهَةٍ إلا بَرَأ.

وعن عَطَاء: كان أَمْسَحَ الرِّجْلِ لا أَخْمَصَ له. وعنه ﷺ: خرج من البطن

مَمْسُوحا بالدّهن.

وقال ثعلب: كان يمسح الأرض؛ أي يقطعها.

وقيل: هو بالعبرانية مَشِيحًا ، فعُرِّب كما قيل في مُوشَى مُوسَى. الدَّفَا: الانحناء. وشاةٌ دَفْوَاء: مال قَرْنَاهَا ممَّا يَلِي الْعِلبَاوين.

قال ذو الرّمَّةِ: يحاذِرْنَ من أَدْفَى إذا ما هُوَ انتحى عليهنَّ لم يَنْجُ الفَرُود المُشَايِح.

معنى الدجال.

الدجال هو الذي يخادع، ويلبس الأمور على الناس.

قال في النهاية: وأصل الدَّجْل الخَلْطُ يقال دجَّل إذا لَبَّسَ ومَوَّهَ، ومنه الحديث يكونُ في آخر الزمان دَجّالون أي كَذَّابون مُمَوِّهُون،وقد تكرر ذكر الدّجال في الحديث وهو الذي يَظهرُ في آخرِ الزمانِ يَدَّعِي الأُلوهيَّة وفَعَّال من أبْنية المبالغة أي يَكْثُرُ منه الكَذِبُ والتَّلْبِيس.

وقال النووي: فالدجالون جمع دجال، قال ثعلب كل كذاب فهو دجال، وقيل الدجال المموه، يقال دجل فلان إذا موه ودجل الحق بباطله إذا غطاه، وحكى ابن فارس هذا الثاني عن ثعلب أيضا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ،عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله".

وعن ابن عمر رضي الله عنهما فال: قال رسول الله ﷺ: "إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالًا كذابًا".

وروى أبو يعلى بإسناد حسن، عن عبد الله بن الزبير تسمية بعض الكذابين المذكورين بلفظ: "لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا منهم مسيلمة، والعنسي والمختار".

قال ابن حجر: قلت وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ، فخرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي ظاهرا، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسجاح التميمية في بني تميم، وفيها يقول شبيب بن ربعي، وكان مؤدبها:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا.

وقتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر، وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر.

ونقل أن سجاح أيضا تابت وأخبار هؤلاء مشهورة ثم الأخباريين، ثم كان أول من خرج منهم المختار بن أبي عبيد الثقفي غلب على الكوفة في أول خلافة بن الزبير فأظهر محبة أهل ا لبيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فتبعهم فقتل كثيرا ممن باشر ذلك أو أعان عليه فأحبه الناس ثم إنه زين له الشيطان أن ادعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه. اهـ.

ومن الذين ظهروا كذلك: الشقي غلام أحمد القادياني المولود بالهند والذي ادعى النبوة وأنه المسيح المنتظر، وغيرهم، فكل هؤلاء زنادقة كذبة.

فالمسيح الدجال ليس بدعًا من الدجاجلة، ولا هو أول دجال يظهر، بل هو خاتم هذه القافلة الملعونة.

* **صفة الدجال والأحاديث الواردة في ذلك**.

الدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث؛ لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج؛ عرفه المؤمنون، فلا يفتنون به، بل يكونون على علم بصفاته التي أخبر بها الصادق ﷺ، وهذه الصفات تميزه عن غيره من الناس، فلا يغتر به إلا الذي سبقت عليه الشقوة، نسأل الله العافية، ومن هذه الصفات

أنه رجل، شاب، أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئ، ولا جحراء؛ كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو (كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له، وهذه بعض الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها ذكر صفاته السابقة، وهي من الأدلَّة على ظهور الدجال:

١- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قا: (بينا أنا نائم أطوف بالبيت...فذكر أنه رأى عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم رأى الدجال، فوصفه، فقال: فإذا رجل جسيم، أحمر، جعد الرأس، أعور العين، كأن عينه عنبة طافئة؛ قالوا هذا الدجال أقرب الناس به شبهًا ابن قطن"؛ رجل من خزاعة) أخرجه البخاري.

٢- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس، فقال: (إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن ا لمسيح الدجال أعو رالعين اليمنى؛ كأن عينة عنبة طافية) أخرجه البخاري ومسلم.

٣- وفي حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال ﷺ في وصف الدجال: (إنه شاب، قطط، عينه طافية، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن) أخرجه مسلم(١).

(١) لفظ الحدي مطولا عن النواس بن سمعان: قال: "ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: "غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم؛ فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم؛ فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة (الكهف) إنه خارجٌ خلةً بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فأثبتوا، قلنا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوما؛ يوم كسنة، =

=

ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنة؛ أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا؛ اقدروا له قدره، قلنا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم؛ فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعا وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم ،فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغَرَضِ، ثم يدعوه، فيقبل، ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك؛ إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل ثم المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مَهْرُودَتَيْنِ، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب (لُدِّ) فيقتله، ثم يأتي عيسى ابنَ مريمَ قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجتُ عبادًا لي لا يَدَانِ لأحدٍ بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه؛ حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرا كأعناق البُخْتِ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسْل؛ حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس. فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة".

=

=

شرح غريب ألفاظ هذا الحديث مع شرح كلمات بعض طرق الحديث.

قال الإمام النووي: فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل: هو بتشديد الفاء فيهما وفي معناه قولان: أحدهما أن خفض بمعنى حقر.

وقوله رفع أي عظمه وفخمه فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره، ومنه قوله ﷺ هو أهون على الله من ذلك، وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل ثم يعجز عنه، وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة، وأنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه.

والوجه الثاني: أنه خفض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه، فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد.

قوله: خلة: بفتح الخاء المعجمة واللام وتنوين الهاء، وقال القاضي المشهور فيه حلة بالحاء المهملة ونصب التاء منونة، قيل معناه سمت ذلك وقبالته، وفي كتاب العين الحلة موضع حزن وصخور، قال ورواه بعضهم حلة بضم اللام وبها الضمير، أي نزوله وحلوله، قال وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين، قال وذكره الهروي خلة بالخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحتين وفسره بأنه ما بين البلدين. هذا آخر ما ذكره القاضي.

قوله: فعاث يمينا وعاث شمالا: هو بغين مهملة وثاء مثلثة مفتوحة وهو فعل ماض، والعيث الفساد أو أشد الفساد والإسراع فيه يقال منه عاث يعيث.

وقوله ﷺ: "يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم" قال العلماء هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله ﷺ وسائر أيامه كأيامكم.

وأما المهروذتان فروى: معناه لابس مهروذتين، أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران، وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة.

ينتهوا إلى جبل الخمر :هو بخاء معجمة وميم مفتوحتين، والخمر الشجر الملتف الذي يستر من فيه، وقد فسره في الحديث بأنه جبل بيت المقدس.

قوله ﷺ: "محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة" هو بكسر النون أي طرقها وفجاجها، وهو جمع نقب وهو الطريق بين جبلين.

قوله ﷺ: "فيقتله ثم يحييه" قال المازري: إن قيل إظهار المعجزة على يد الكذاب ليس

=

=

بممكن وكيف ظهرت هذه الخوارق للعادة على يده فالجواب أنه إنما يدعى الربوبية، وأدلة الحدوث تخل ما ادعاه وتكذبه، وأما النبي ﷺ فإنما يدعى النبوة وليست مستحيلة في البشر فإذا أتى بدليل لم يعارضه شيء صدق.

وأما قول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر، فيقولون: لا: فقد يستشكل لأن ما أظهره الدجال لادلالة فيه لربوبيته لظهور النقص عليه ودلائل الحدوث وتشويه الذات وشهادة كذبة وكفره المكتوبة بين عينيه وغير ذلك، ويجاب بنحو ما سبق في أول الباب هو أنهم لعلهم قالوا خوفا منه وتقية لا تصديقا، ويحتمل أنهم قصدوا لا نشك في كذبك وكفرك فان من شك في كذبه وكفره كفر وخادعوه بهذه التورية خوفا منه، ويحتمل أن الذين قالوا لا نشك هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله تعالى شقاوته.

قوله: "فأنا حَجِيجُه": أي مُحَاجِجُه ومُغالِبُه بإظْهار الحُجَّة عليه ، والحُجّةُ الدليل والبُرهانُ.

قوله ﷺ: "فيقطعه جزلتين رمية الغرض": بفتح الجيم على المشهور، وحكى ابن دريد كسرها، أي قطعتين.

ومعنى رمية الغرض: أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته، هذا هو الظاهر المشهور، وحكى القاضي: هذا ثم قال وعندي أن فيه تقديما وتأخيرها وتقديره فيصيبه إصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين، والصحيح الأول.

قوله: "فينزل ثم المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين": أما المنارة فبفتح الميم، وهذه المنارة قوما اليوم شرقي دمشق.

ودمشق بكسر الدال وفتح الميم وهذا هو المشهور وحكى صاحب المطالع كسر الميم.

وهذا الحديث من فضائل دمشق،

وأما المهروذتان :فروى بالدال المهملة والذال المعجمة والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم ومعناه: لابس مهروذتين، أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران، وقيل هما شقتان، والشقة نصف الملاءة.

قوله ﷺ: "تحدر منه جمان كاللؤلؤ الجمان": بضم الجيم وتخفيف الميم، هي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار.

والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته، فسمى الماء جمانا لشبهه به في الصفاء.

=

٤- وفي حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: (إن مسيح الدجال رجل، قصير، أفجع، جعد، أعور، مطموس العين، ليس بناتئه ولا جحراء، فإن ألبس عليكم؛ فاعلموا أن ربكم ليس بأعور) رواه أبو داود.

=

قوله ﷺ: "فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات": هكذا الرواية فلا يحل هكذا الرواية فلا يحل بكسر الحاء ونفسه بفتح الفاء، ومعنى لا يحل: لا يمكن ولا يقع، وقال القاضي: معناه عندي حق وواجب.

قوله ﷺ: "يدركه بباب لد": هو بضم اللام وتشديد الدال مصروف، وهو بلدة المساجد من بيت المقدس.

قوله ﷺ: "ثم يأتي عيسى ﷺ قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم": قال القاضي: يحتمل أن هذا المسح حقيقة على ظاهره فيمسح على وجوههم تبركا وبرا، ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ما هم فيه من الشدة والخوف.

قوله تعالى: "أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور": فقوله لا يدان: بكسر النون تثنية يد، قال العلماء: معناه لا قدرة ولا طاقة، يقال مالي بهذا الأمر يد، ومالي به يدان لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه.

ومعنى حرزهم إلى الطور: أي ضمهم واجعله لهم حرزا، يقال أحرزت الشيء أحرزه إحرازا إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ، ووقع في بعض النسخ حرب بالحاء والزاي والباء أي أجمعهم، قال القاضي: وروى حوز بالواو والزاي ومعناه: نحهم وأزلهم عن طريقهم إلى الطور.

قوله: "وهم من كل حدب ينسلون": الحدب النشز، وينسلون يمشون مسرعين. قوله ﷺ: "فيرسل الله تعالى عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى": النغف بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء، وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة.

والفرسى: بفتح الفاء مقصور، أي قتلى، واحدهم فريس.

قوله: "ملأه زهمهم ونتنهم": هو بفتح الهاء، أي دسمهم ورائحتهم الكريهة.

قوله: "ينتهوا إلى جبل الخمر"، هو بخاء معجمة وميم مفتوحتين، والخمر الشجر الملتف الذي يستر من فيه، وقد فسره في الحديث بأنه جبل بيت المقدس.

٥- وعن الفلتان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ (أريت ليلة القدر ثم أنسيتها، وأريت مسيح الضلالة، فرأيت رجلين يتلاحيان فحجزت بينهما فأنسيتها فاطلبوها في العشر الأواخر وترا، فأما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة، ممسوح العين اليسرى، عريض النحر كأنه عبد العزى بن قطن) أخرجه البزار.

٦- وفي حديث حذيفة رضي الله عنه؛ قال ﷺ: (الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر) أخرجه مسلم.

٧- وفي حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين؛ قال ﷺ: (وإن بين عينيه مكتوب كافر)، وفي رواية: (ثم تهجاها (ك ف ر)؛ يقرؤه كل مسلم)، وفي رواية عن حذيفة عند مسلم: (يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب)

وهذه الكتابة حقيقة على ظاهرها، ولا يشكل رؤية بعض الناس لهذه الكتابة دون بعض، وقراءة الأمي لها، "وذلك أن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء، فهذا يراه المؤمن بعين بصره، وإن كان لا يعرف الكتابة، ولا يراه الكافر، ولو كان يعرف الكتابة؛ كما يرى المؤمن الأدلَّة بعين بصيرته، ولا يراه الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم؛ لأن ذلك الزمن تنخرق فيه العادات.

قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦٠): "الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية، جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله؛ يظهرها الله تعالى لكل مسلم؛ كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته، ولا امتناع في ذلك.اهـ.

٨- ومن صفاته أيضًا ما جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها عند مسلم في قصة الجساسة، وفيه قال تميم رضي الله عنه: (فانطلقنا سراعًا، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط، وأشده وثاقًا).

٩- وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عند مسلم؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: (ما بين خلق آدم إلى قيام السَّاعة خلق أكبر من الدجال).

١٠- وأما أن الدجال لا يولد له؛ فما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصته مع ابن صياد، فقد قال لأبي سعيد: (ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنه لا يولد له؟" قال: قلت: بلى) أخرجه مسلم.

والملاحظ في الروايات السابقة أن في بعضها وصف عينه اليمنى بالعور، وفي بعضها وصف عينه اليسرى بالعور، وكل الروايات صحيحة، وهذا فيه إشكال.

فذهب الحافظ في الفتح (١٣/ ٩٧): إلى أن حديث ابن عمر الوارد في الصحيحين والذي جاء فيه وصف اليمنى بالعور أرجح من رواية مسلم التي جاء فيه وصف عيه اليسرى بالعور؛ لأن المتفق على صحته أقوى من غيره.اهـ.

وذهب القاضي عياض كما في شرح مسلم (٢/ ٢٣٥) إلى أن عيني الدجال كلتيهما معيبة؛ لأن الروايات كلها صحيحة، وتكون العين المطموسة والممسوحة هي العوراء الطافئة -بالهمز-؛ أي: التي ذهب ضوؤها، وهي العين اليمنى؛ كما في حديث ابن عمر. وتكون العين اليسرى التي عليها ظفرة غليظة، وهي الطافية - بلا همز - معيبة أيضًا، فهو أعور العين اليمنى واليسرى معًا، فكل واحدة منهما عوراء؛ أي: معيبة؛ فإن الأعور من كل شيء: المعيب، لا سيما ما يختص بالعين، فكلا عيني الدجال معيبة عوراء، إحداهما بذهابها، والأخرى بعيبها. قال النووي في هذا الجمع: "هو في نهاية من الحسن.اهـ. ورجحه أبو عبد الله القرطبي في التذكرة (ص٦٦٣).

*** هل الدجال حي؟ وهل كان موجودًا في زمن النبي ﷺ؟**

وقبل الجواب عن هذين السؤالين لا بد من معرفة حال ابن صياد؛ هل هو الدجال أو غيره؟ وإذا كان الدجال غير ابن صياد؛ فهل هو موجود قبل أن يظهر بفتنته أو لا؟ وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة نعرف بابن صياد.

ابن صياد: هو رجل من يهود المدينة، وقيل: إنه من الأنصار، واسمه " صاف " بمهملة وفاء وزن باع، وقيل: اسمه " عبد الله"، ذكره الذهبي في كتابه تجريد أسماء الصحابة (١ / ٣١٩) فقال: عبد الله بن صياد أورده ابن شاهين، وقال هو ابن صائد كان أبوه يهوديًا فولد عبد الله أعور مختونا، وهو الذي قيل إنه الدجال ثم أسلم، فهو تابعي له رؤية، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر كلام الذهبي السابق في الإصابة (٣ / ١٣٣): ومن ولده عمارة بن عبد الله بن صياد، وكان من خيار المسلمين من أصحاب سعيد بن مالك، روى عنه مالك وغيره، وقال الحافظ بن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (١ / ١٧٣): وقد كان ابن صياد من يهود المدينة، ولقبه " عبد الله " ويقال " صاف"، وقد جاء هذا وهذا، وقد يكون أصل اسمه " صاف " ثم تسمى لما أسلم بعبد الله، وقد كان ابنه عمارة بن عبد الله من سادات التابعين، وروى عنه مالك وغيره، وللمزيد انظر: مشكل الآثار للطحاوي (٤ / ٩٦ - ١٠٣)، وتهذيب التهذيب (٧ / ٤١٨، ٤١٩).

هل ابن صياد هو الدجال؟ - فقد اختلف العلماء في ذلك اختلافا شديدا، واضطربت فيه الروايات والآراء، وقبل الدخول في ذكر أقوال العلماء في ذلك أحب أن أشير إلى بعض الروايات الواردة في شأنه، من ذلك: رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انطلق مع رسول الله ﷺ في رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده، ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد: "أتشهد أني رسول الله "؟ فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه رسول الله ﷺ وقال: "آمنت بالله وبرسله"، ثم قال له رسول الله ﷺ: "ماذا ترى "؟ قال ابن صياد: يأتيني صادق

وكاذب، فقال له رسول الله ﷺ: "خلط عليك الأمر"، ثم قال له رسول الله ﷺ: "إني خبأت لك خبيئا " فقال ابن صياد: هو الدخ فقال له رسول الله ﷺ: "اخسأ فلن تعدو قدرك ". فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله أن أضرب عنقه، فقال له رسول الله ﷺ: "إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله» أخرجه مسلم.

وقال سالم بن عبد الله: سمعت عبد الله بن عمر يقول: «انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زمزمة فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع، فقالت لابن صياد: يا صاف (وهو اسم ابن صياد) هذا محمد، فثار ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ " لو تركته بين» أخرجه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر - يعني ابن صياد - في بعض طرق المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: "أتشهد أني رسول الله "؟ فقال هو: أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: "آمنت بالله وملائكته وكتبه، ما ترى "؟ قال: أرى عرشا على الماء، فقال رسول الله ﷺ: "ترى عرش إبليس على البحر، وما ترى "؟ قال: أرى صادقين وكاذبا - أو كاذبين وصادقا - فقال رسول الله ﷺ: "لبس عليه، دعوه» أخرجه مسلم.

وعنه أيضا: «خرجنا حجاجا أو عمارا ومعنا ابن صياد، قال: فنزلنا منزلا، فتفرق الناس وبقيت أنا وهو. فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه، قال: وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي، فقلت: إن الحر شديد، فلو وضعته تحت تلك الشجرة. قال: ففعل، قال: فرفعت لنا غنم، فانطلق فجاء بعس فقال: اشرب أبا سعيد! فقلت:

إن الحر شديد واللبن حار، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده - أو قال آخذ عن يده - فقال: أبا سعيد! لقد هممت أن آخذ حبلا فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لي الناس، يا أبا سعيد: من خفي عليه حديث رسول الله ﷺ ما خفي عليكم معشر الأنصار، ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: هو عقيم لا يولد له، وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ: لا يدخل المدينة ولا مكة، وقد أقبلت من المدينة، وأنا أريد مكة؟. قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: حتى كدت أن أعذره، ثم قال: أما والله إني لأعرف مولده وأين هو الآن. قال: قلت له: تبا لك سائر اليوم» أخرجه مسلم.

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها (....فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر، وهو يضحك، فقال: «ليلزم كل إنسان مصلاه»، ثم قال: «أتدرون لم جمعتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرا في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت [ص:٢٢٦٣]: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعا، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا، وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟

قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعا، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحدا - منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله ﷺ، وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة» - يعني المدينة - «ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟» فقال الناس: نعم، «فإنه أعجبني حديث تميم، أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشأم، أو بحر اليمن، لا بل من قبل

المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق، ما هو» وأومأ بيده إلى المشرق، قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ) أخرجه مسلم.

ومن أقوال العلماء في ابن صياد هل هو الدجال الأكبر أم لا، قول البيهقي كما في الفتح (١٣ / ٣٢٦ - ٣٢٧) في سياق كلامه على حديث تميم الداري السابق: فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد، وكان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر ﷺ بخروجهم، وقد خرج أكثرهم، وكأن الذين يجزمون بأن ابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جدا؛ إذ كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شبه محتلم، ويجتمع به النبي ﷺ ويسأله أن يكون في آخرها شيخا كبيرا مسجونا في جزيرة من جزائر البحر موثقا بالحديد يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا؟ فالأولى أن يحمل على عدم الاطلاع، أما عمر فيحتمل أن يكون ذلك منه قبل أن يسمع قصة تميم ثم لما سمعها لم يعد إلى الحلف المذكور، وأما جابر فشهد حلفه عند النبي ﷺ فاستصحب ما كان اطلع عليه من عمر بحضرة النبي ﷺ.اهـ.

وقال النووي في المنهاج (١٨ / ٤٦، ٤٧): قال العلماء: وقصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره، ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة. قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوصف إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه: إن يكن هو فلن تستطيع قتله. وأما احتجاجه هو بأنه مسلم والدجال كافر، وبأنه لا يولد للدجال وقد ولد له هو، وأنه لا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة، فلا دلالة له فيه؛ لأن النبي ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته

وخروجه في الأرض، ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين قوله للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب، وأنه يرى عرشا فوق الماء، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال، وأنه يعرف موضعه، وقوله: إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن، وانتفاخه حتى ملأ السكة، وأما إظهاره الإسلام وحجه وجهاده وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح في أنه غير الدجال ".

* **أقوال العلماء في ابن صياد**.

قال أبو عبد الله القرطبي في التذكرة (٢ / ٨٢٢): "الصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم، وما يبعد أن يكون بالجزيرة في ذلك الوقت، ويكون بين أظهر الصحابة في وقت آخر ".

ويفهم من كلام النووي والقرطبي السابق أنهما يرجحان كون ابن صياد هو الدجال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص (١٦٦) في معرض كلامه على الأحوال الشيطانية: "وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية مثل حال عبد الله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه من جنس الكهان ".

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النهاية (١/ ١٧٣) بعد أن ساق الأحاديث الواردة في ابن صياد وهل هو الدجال الأكبر أم لا، قال: وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالا من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام، والله أعلم بضميره وسيرته.

ولعل ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ والحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو

الراجح في ابن صياد، وأنه دجال من الدجاجلة وليس هو الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان - والله أعلم.

* **مكان خروج الدجال:**

يخرج الدجال من جهة المشرق؛ من خراسان، من يهودية أصبهان، ثم يسير في الأرض، فلا يترك بلدًا إلا دخله؛ إلا مكة والمدينة، فلا يستطيع دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما، ففي حديث فاطمة بنت قيس السابق عند مسلم أن النبي ﷺ قال في الدجال: (ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو وأومأ بيده إلى المشرق).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ قال: حدثنا رسول الله ﷺ؛ قال: (الدجال يخرج من أرض بالمشرق؛ يقال لها: خراسان) أخرجه الترمذي، وعن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود) أخرجه أحمد.

قال في الفتح (١٣/ ٩١): "وأما من أين يخرج؟ فمن قبل المشرق جزمًا".اهـ.

وقال ابن كثير في النهاية (١/ ١٢٨): "فيكون بدء ظهوره من أصبهان، من حارة يقال لها: اليهودية.

* **الأحداث التي تسبق الدجال وموعد خروجه**.

جعل الله سبحانه وتعالى خروج المسيح الدجال علامة على نهاية العالم، وعلامة على قرب نهاية الدنيا وفنائها، وجعل الله تعالى سببًا لخروجه، وفك قيوده في آخر الزمان أمورًا تكون سببًا لظهوره وخروجه.

قبيل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد وجوع شديد ويكون طعام الناس التهليل، والتكبير، والتحميد، فيسبق خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، ويصيب

الناس جوع شديد، ويكون ذلك سببًا لاتباعهم الدجال.

فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: "وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء فلا يبقى ذات ظِلف إلا هلكت إلا ما شاء الله، قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل، والتكبير، والتحميد، ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام".

* **خروج الدجال بعد فتح القسطنطينية**.

ويكون موعد خروج الدجال بعد قتال الروم، وبعد فتح القسطنطينية من قبل المسلمين، وبعد ظهور المهدي.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سَبُوا منا نقاتلهم.

فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء ثم الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية. فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل.

فإذا جاؤوا الشام خرج.

فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم ﷺ فأمهم.

فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته".

قوله: "فينزل الروم بالأعماق أوبدابق": ولعله جاء بلفظ الجمع، والمراد به العمق، وهي كورة قرب دابق بين حلب وانطاكية.

وهما موضعان قرب الشام.

وفتح القسطنطينية هذا هو الفتح الأخير غير الذي تم على يد محمد الفاتح.

* **خروج الدجال بعد الملحمة مع الروم وبعد خراب يثرب وعمران بيت المقدس.**

أخبرنا النبي ﷺ أن هناك ملحمة ستقع بين المسلمين والروم، ثم يفتح المسلمون القسطنطينية، وبعدها يخرج الدجال، ويكون خروجه كذلك بعد عمران بيت المقدس، وخراب يثرب.

فعن معاذ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال ثم ضرب بيده على فخذه الذي حدث أو منكبه ثم قال إن هذا لحق كما أنك هاهنا أو كما أنك قاعد يعني معاذ بن جبل ".

يثرب: هي المدينة النبوية المنورة.

وفي رواية عن أبي بحرية عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: "الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر".

وحديث عبد الله بن بسر رفعه: "بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال في السابعة" قال ابن حجر: وإسناده أصح من إسناد حديث معاذ.

وخراب المدينة يكون في آخر الزمان والله أعلم، قرب قيام الساعة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يتركون المدينة على

خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي - يريد عوافي الطير والسباع - وآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ،ينعقان بغنمهما ،فيجدانها وحشا ،حتى إذا بلغا ثنية الوداع ،خرًا على وجوههما".

العوافي: جمع عافية، وهي التي تطلب أقواتها ويقال للذكر عاف.

قوله: ينعقان بكسر المهملة بعدها قاف النعيق زجر الغنم يقال نعق ينعق بكسر العين وفتحها نعيقا ونعاقا ونعقانا إذا صاح بالغنم.

قال الحافظ ابن حجر: وقال النووي: المختار أن هذا الترك يكون في آخر الزمان ثم قيام الساعة ويؤيده قصة الراعيين فقد وقع ثم مسلم بلفظ ثم يحشر راعيان وفي البخاري أنهما آخر من يحشر، قلت ويؤيده ما روى مالك عن بن حماس بمهملتين وتخفيف عن عمه عن أبي هريرة رفعه: "لتتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الذئب فيعوي على بعض سواري المسجد أو على المنبر، قالوا فلمن تكون ثمارها، قال للعوافي الطير والسباع".

ثم قال الحافظ: روى عمر بن شبة بإسناد صحيح عن عوف بن مالك قال: "دخل رسول اللهﷺ المسجد ثم نظر إلينا فقال أما والله ليدعنها أهلها مذللة أربعين عاما للعوافي أتدرون ما العوافي الطير والسباع"، قلت وهذا لم يقع قطعا.اهـ. فتح الباري (٤/ ٩١).

قال الحافظ ابن كثير: والمقصود أن المدينة تكون باقية عامرةً أيام الدجال، ثم تكون كذلك في زمان عيسى بن مريم رسول الله عليه الصلاة والسلام، حتى تكون وفاته بها، ودفنه، ثم تخرب بعد ذلك. اهـ.

فعلى هذا يكون خروج الناس من المدينة بالكلية وخرابها في آخر الزمان، وبعد خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام.

ويؤيد هذا القول كما جاء في رواية البخاري السابقة عن أبي هريرة رضي الله عنه: "وآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ،ينعقان بغنمهما ،فيجدانها وحشا ... ". أي خالية من الناس، أو أن الناس تكون قد سكنتها. والله أعلم.

* **خروج الدجال من غضبة يغضبها**.

فعن أيوب عن نافع قال: لقي بن عمر رضي الله عنه بن صائد في بعض طرق المدينة، فقال له قولا أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل بن عمر على حفصة رضي الله عنها، وقد بلغها فقالت له: رحمك الله ما أردت من بن صائد أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال إنما يخرج الدجال من غضبة يغضبها".

وعن نافع قال: "كان نافع يقول عن بن صياد، قال: قال بن عمر: لقيته مرتين، قال: فلقيته، فقلت لبعضهم هل تحدثون أنه هو، قال لا والله، قال قلت: كذبتني والله لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالا وولدا فكذلك هو زعموا اليوم، قال فتحدثنا ثم فارقته، قال فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه، قال فقلت متى فعلت عينك ما أرى، قال لا أدري، قال قلت لا تدري وهي في رأسك، قال إن شاء الله خلقها في عصاك هذه، قال فنخر كأشد نخير حمار سمعت، قال فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت وأما أنا فو الله ما شعرت، قال وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها، فقالت: ما تريد إليه، ألم تعلم أنه قد قال إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه".

قال المناوي: من غضبة، أي لأجل غضبة يتحلل بها سلاسله.

يغضبها قال الطيبي: قيل يغضبها في محل صفة غضبة والضمير للغضبة وهو في محل نصب على المصدر، أي أنه يغضب غضبة فيخرج بسبب غضبه، والقصد الإشعار بشدة غضبه حيث أوقع خروجه على الغضبة، وهي المرة من الغضب

ويحتمل جعله مفعولًا مطلقًا على رأي من يجوز كونه ضميرًا. اهـ. فيض القدير.

* **مدة مكثه في الأرض**.

الدجال يمكث أربعين يومًا.

سأل الصحابة الرسول ﷺ قالوا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض؟ قال: "أربعون يوما: يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم" قالوا: يا رسول الله فذلك اليوم كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، أقدروا له قالوا: قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: "كالغيث إذا استدبرته الريح".

قال النووي رحمه الله تعالى: وأما قولهم يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره، فقال القاضي وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع، قالوا ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس ثم الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

ومعنى أقدروا له قدره أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها، وأما الثاني الذي كشهر، والثالث الذي كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه والله أعلم. اهـ.

وعن الحضرمي بن لاحق، أن ذكوان أبا صالح أخبره أن عائشة أخبرته قالت: "دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال لي ما يبكيك، قلت يا رسول الله ذكرت الدجال فبكيت، فقال رسول الله ﷺ أن يخرج الدجال وأنا حي كفيتكموه وأن يخرج الدجال بعدي فان ربكم ﷻ ليس بأعور انه يخرج في يهودية أصبهان حتى يأتي المدينة فينزل

ناحيتها، ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان فيخرج إليه شرار أهلها حتى الشام مدينة بفلسطين بباب لد".

وقال أبو داود مرة: "حتى يأتي فلسطين باب لد فينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إماما عدلا وحكما مقسطا".

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، قال سمعتها من رسول الله ﷺ، قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير لا يعرفون معروفا ولا ينكرون بنو فيتمثل لهم الشيطان، فيقول ألا تستجيبون، فيقولون فما تأمرنا، فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال، فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل نعمان الشاك، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤلون، قال ثم يقال أخرجوا بعث النار، فيقال من كم، فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق".

قوله: "في كبد جبل": أي وسطه وداخله، وكبد كل شيء وسطه.

قوله ﷺ: "فيبقى شرار الناس في خفة الطير": قال العلماء معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير وفى العدوان وظلم بعضهم بعضا في

العادية.

قوله ﷺ: "أصغى ليتا ورفع ليتا": الليت بكسر اللام وآخره مثناة فوق، وهى صفحة العنق وهى جانبه، وأصغى أمال.

قوله ﷺ: "وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله": أي يطينه ويصلحه.

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في "قصة المسيح الدجال" (ص١١٠): اتفقت جميع الأحاديث على أن أيام الدجال التي يسيح فيها في الأرض إنما هي أربعون. ولكنها اختلفت في هذه الأيام، هل هي أربعون سنة، أم أربعون يومًا وليلة؟.

والصحيح الذي يجب القطع به هو الثاني؛ لأنها أصح وأكثر. اهـ.

*** الدجال لا يدخل مكة والمدينة:**

حرم على الدجال دخول مكة والمدينة حين يخرج في آخر الزمان؛ لورود الأحاديث الصحيحة لذلك، وأما ما سوى ذلك من البلدان؛ فإن الدجال سيدخلها واحدًا بعد الآخر، جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها عند مسلم أن الدجال قال: (فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة؛ غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدًا- منهما؛ استقبلني ملك بيده السيف صلتًا يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها)، وثبت أيضًا أن الدجال لا يدخل أربعة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، والمسجد الأقصى.

روى الإمام أحمد عن جنادة بن أبي أمية الأزدي؛ قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ، فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدجال.... (فذكر الحديث، وقال): (وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحًا، يبلغ فيها كل منهل، ولا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة،

ومسجد الطور، ومسجد الأقصى) أخرجه أحمد.

*** الدجال من علامات الساعة.**

ثبت في الكتاب والسنة أن المسيح الدجال يخرج بين يدي الساعة، وهو من علامات الساعة الكبرى، إذا ظهرت علامة منها تتابعت سراعًا.

قال الله تعالى: ﴿يومَ يأتي بعضُ آياتِ ربِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمانها لَم تَكنْ آمنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كسَبَتْ في إيمانِها خَيْرًا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض".

قال المناوي: ثلاث إذا خرجن: أي ظهرن.

لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، طلوع الشمس من مغربها، فلا ينفع كافرًا قبل طلوعها إيمانه بعده، ولا مؤمنًا لم يعمل صالحًا قبل عمله بعده، لأن حكم الإيمان والعمل حالتئذ يكون عند الغرغرة.

والدجال: أي ظهوره.

ودابة الأرض: أي ظهورها فإن قيل هذه الثلاث غير مجتمعة في الوجود فإذا وجد إحداها لم ينفع نفسًا إيمانها بعد فما فائدة ذلك الآخرين قلنا لعله أراد أن كلًا من الثلاثة مستبد في أن الإيمان لا ينفع بعد مشاهدتها فأيتها تقدمت ترتب عليها عدم النفع. اهـ. فيض القدير.

قال ابن حجر: فالذي يترجح من مجموع الأخبار إن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وإن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال

العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب. اهـ. فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

عشر علامات قبل قيام الساعة.

ويكون آخر الزمان عشر علامات، وهي من علامات الساعة الكبرى، إذا خرجت واحدة تبعتها الأخرى.

فعن أبي سريحة حذيفة بن أسيد قال: "كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا، فقال ما تذكرون قلنا الساعة، قال إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس".

قال شعبة وحدثني عبد العزيز بن رفيع، عن أبي الطفيل عن أبي سريحة مثل ذلك لا يذكر النبي ﷺ، وقال أحدهم في العاشرة: نزول عيسى بن مريم ﷺ، وقال الآخر وريح تلقى الناس في البحر".

وعن عبد الرحمن بن نعم أو نعيم الأعرجي، شك أبو الوليد قال: سأل رجل بن عمر عن المتعة النساء وأنا عنده، قال: والله ما كنا على عهد رسول الله ﷺ زانين ولا مسافحين، ثم قال: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون أو أكثر".

*** الآيات الكبرى خرزات منظومات في سلك.**

والمعلوم أن علامات الساعة الكبرى كأنها خرزات عقد فإذا انقطع سلكه انفرطت حباته كلها، أي توالت سراعًا.

عن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الآيات خرزات منظومات في

سلك فانقطع السلك فيتبع بعضها بعضا".

قال المناوي في فيض القدير: الآيات خرزات: بالتحريك جمع خرزة كقصب وقصبة.

"منظومات في سلك فانقطع" أي فإذا انقطع "السلك فيتبع بعضها بعضا" أي فيقع بعضها أثر بعض من غير فصل بزمن طويل ،قال ابن حجر: حديث ابن عمرو هذا ورد عنه ما يعارضه وهو ما أخرجه عنه عبد بن حميد في فسيره بسند جيد موقوفًا، وخرّجه عنه البالسي مرفوعًا: "يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة". هذا لفظه قال: ويمكن الجواب بأن المدة ولو كانت عشرين ومائة سنة لكنها تمر مرًا سريعًا كمقدار عشرين ومائة شهر من قبل ذلك أو دون ذلك، كما ثبت في مسلم عن أبي هريرة رفعه: "لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر". الحديث. اهـ.

ذكر البيهقي في البعث والنشور فقال في باب خروج يأجوج ومأجوج، فصل ذكر الحليمي إن أول الآيات الدجال، ثم نزول عيسى لأن طلوع الشمس من المغرب لو كان قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه ولكنه ينفعهم إذ لو لم ينفعهم لما صار الدين واحدا بإسلام من أسلم منهم. قال البيهقي وهو كلام صحيح لو لم يعارض الحديث الصحيح المذكور أن أول الآيات طلوع الشمس من المغرب، وفي حديث عبد الله بن عمرو طلوع الشمس أو خروج الدابة، وفي حديث أبي حازم عن أبي هريرة الجزم بهما وبالدجال في عدم نفع الإيمان، قال البيهقي: إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون المراد نفى النفع عن أنفس القرن الذين شاهدوا ذلك، فإذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليفه الإيمان بالغيب، وكذا في قصة الدجال لا ينفع إيمان من آمن بعيسى ثم مشاهدة

الدجال وينفعه بعد انقراضه، وإن كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى، احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث عبد الله بن عمرو آيات الدجال ونزول عيسى إذ ليس في الخبر نص على أنه يتقدم عيسى، قلت وهذا الثاني هو المعتمد والأخبار الصحيحة تخالفه ففي صحيح مسلم من رواية محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رفعه: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه" فمفهومه أن من تاب بعد ذلك لم تقبل. اهـ.

* **قتال الروم لأهل الإسلام من علامات الساعة وبعدها ظهور الدجال**.

وعن يسير بن جابر قال: "هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيري إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة. قال: فقعد - وكان متكئا - فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام، فقال عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت الروم تعني، قال نعم، وتكون ثم ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتلون مقتلة إما قال لا يرى مثلها وإما قال لم ير مثلها حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون

ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ".

وعن طلحة بن عبد الله بن عوف عن أبي بكرة قال: أكثر الناس في مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئا، فقام رسول الله ﷺ خطيبا فقال: "أما بعد ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه، وإنه كذاب من ثلاثين كذابا يخرجون بين يدي الساعة، وإنه ليس من بلدة إلا يبلغها رعب المسيح إلا المدينة، على كل نقب من نقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح".

قال ابن حجر في الفتح: ثبت أنه يخرج بعد أمور ذكرت، وأن عيسى يقتله بعد أن ينزل من السماء فيحكم بالشريعة المحمدية، والجواب أنه كان وقت خروجه أخفى على نوح ومن بعده فكأنهم أنذروا به ولم يذكر لهم وقت خروجه فحذروا قومهم من فتنته، ويؤيده قوله ﷺ في بعض الإشارة: "إن يخرج فأنا حجيجه"، فإنه محمول على أن ذلك كان قبل أن يتبين له وقت خروجه، وعلاماته فكان يجوز أن يخرج في حياته ﷺ ثم بين له بعد ذلك حاله ووقت خروجه فأخبر به، فبذلك تجتمع الأخبار، وقال بن العربي إنذار الأنبياء قومهم بأمر الدجال تحذير من الفتن وطمأنينة لها حتى لا يزعزعها عن حسن الاعتقاد وكذلك تقريب النبي ﷺ له زيادة في التحذير وأشار مع ذلك إلى أنهم إذا كانوا على الإيمان ثابتين دفعوا الشبه باليقين، قوله ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه قيل أن السر في اختصاص النبي ﷺ بالتنبيه المذكور مع إنه أوضح الأدلة في تكذيب الدجال إن الدجال إنما يخرج في أمته دون غيرها ممن تقدم من الأمم، ودل الخبر على أن علم كونه يختص خروجه بهذه الأمة كان طوى هذه الأمة كما طوي عن الجميع علم وقت قيام الساعة.

قوله: انه أعور وان الله ليس بأعور، إنما اقتصر على ذلك مع أن أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعامي ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية فإذا ادعى الربوبية وهو ناقص الخلقة والإله يتعالى عن النقص علم انه كاذب.

وزاد مسلم في رواية يونس، والترمذي في رواية معمر، قال الزهري فأخبرني عمرو بن ثابت الأنصاري، أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ، أن النبي ﷺ قال يومئذ للناس وهو يحذرهم: "تعلمون انه لن ير أحد منكم ربه حتى يموت"، وعند بن ماجة نحو هذه الزيادة من حديث أبي أمامة، وعند البزار من حديث عبادة بن الصامت، وفيه تنبيه على إن دعواه الربوبية كذب لأن رؤية الله تعالى مقيدة بالموت، والدجال يدعي أنه الله ويراه الناس مع ذلك، وفي هذا الحديث رد على من يزعم انه يرى الله تعالى في اليقظة تعالى الله عن ذلك، ولا يرد على ذلك رؤية النبي ﷺ له ليلة الإسراء لأن ذلك من خصائصه ﷺ فأعطاه الله تعالى في الدنيا القوة التي ينعم بها على المؤمنين في الآخرة الحديث السادس. اهـ.

* **فتنة الأحلاس قبل ظهور الدجال.**

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "فتنة الأحلاس هرب وحرب، ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتطروا الدجال من يومه أو غده"

الأحلاس: جَمْع حِلْس ، وهو الكِسَاء الذي يَلِي ظَهْر البعير تحت القَتَب ، شَبَّهَها

به لِلزُومها ودَوامها. ومنه حديث أبي موسى قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال: كُونوا أحْلاس بيُوتِكم أي الزْموها. اهـ. ومنه حديث أبي بكر ﵁: "كُنْ حِلْس بَيْتك حتى تأتِيَك يَدٌ خاطِئة أو مَنيَّة قاضيَة.

وفي كتاب الغريب للخطابي: قوله فتنة الأحلاس إنما شبهها بالحلس لظلمتها والتباسها أو لأنها تركد وتدوم فلا تقلع يقال فلان حلس بيته إذا كان يلازم قعر بيته لا يبرح، وهم أحلاس الخيل إذا كانوا يلزمون ظهورها ويتعهدونها بالركوب.

وقوله: دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي: فإن الدخن الدخان يريد أنه سبب إثارتها وهيجها.

وأما قوله: كورك على ضلع: فإنه مثل يريد والله أعلم أنهم يجتمعون على رجل غير خليق للملك ولا مستقل به، وذلك لأن الورك لا يستقر على الضلع ولا يلائمها، وإنما يقال في باب المشاكلة والملاءمة هو كرأس في جسد أو كف في ذراع أو نحوهما من الكلام.

وقوله: أَتتكم الدُّهَيْماءُ: الدهيماء تصغير الدهماء، يعني الفتنة المظلمة فصغَّرها تهويلًا لها.

والدهيماء: الداهية التي تدهم الناس بشرها.

وعن مجمع بن جارية ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "ليقتلن ابن مريم الدجال بباب لد"..

ليقتلن عيسى ابن مريم الدجال بباب لد، أي أنه ينزل في آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيجده بباب لد فيقتله، لا أنه ينزل لقتله.

ليقتلن: أي عيسى.

ابن مريم الدجال بباب لد: أي أنه ينزل في آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام فيوافق

خروج الدجال فيجده بباب لد فيقتله لا أنه ينزل لقتله.

* **خروج الدجال بعد فتح القسطنطينية**.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر قالوا نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها.

قال ثور: لا أعلمه إلا قال الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها، فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون".

وعن معاذ رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال ثم ضرب بيده على فخذه الذي حدث أو منكبه ثم قال إن هذا لحق كما أنك هاهنا أو كما أنك قاعد يعني معاذ بن جبل ".

يثرب: هي المدينة النبوية المنورة.

قال المناوي: قوله: عمران بين المقدس: المكان أي بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة والثانية بمعنى المطهر وتطهره إخلاؤه من الأصنام أو الذنوب وإضافته من إضافة الموصوف بصفته مسجد الجامع.

"خراب يثرب": أي عمران بيت المقدس يكون خراب يثرب.

"وخراب يثرب خروج الملحمة": أي وما به خراب يثرب خروج الملحمة وهي معترك القتال اسم لموضعه، أي موضع التحام القتال، ذكره ابن قرقول. وفي النهاية

هي الحرب وموضعه يعني أنها اسم لمجموع ذلك. قال الجوهري: الوقعة العظيمة فزاد الوصف بالعظم.

"وخروج الملحمة فتح القسطنطينية": وهو لخروج الدجال جعل المصطفى ﷺ كل واحد منهما عين ما بعده وعبر به عنه.

* **فرار الناس إلى الجبال من الدجال**.

وفتنة الدجال من أعظم الفتن التي تمر على البشرية عبر تاريخها، حتى أن الناس يفرون منه في الجبال.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: أخبرتني أم شريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول: "ليفرن الناس من الدجال في الجبال قالت أم شريك يا رسول الله فأين العرب يومئذ قال هم قليل".

من أجل ذلك حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أقوامهم من فتنته، ونبهوا على ما فيه من نقص وعيب، ودلائل إبطال دعواه؛ كي لا ينخدع به أهل الإيمان، ومن أمثال ذلك الشاب المؤمن الذي يقتله الدجال ثم يحييه من جديد فيقول له الشاب: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ونبينا الكريم كان أشد تحذيرًا لأمته منه، والمسيح الدجال يفتن الناس بما معه وبما يُعطاه من الآيات، كقتل هذا الشاب المؤمن ثم إحياءه، وكإنزال المطر، وإحياء الأرض بالنبات، وغيرهما من خوارق العادات.

وعن عائشة قالت: "جاءت يهودية فاستطعمت على بابي فقالت: أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت: فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية، قال وما تقول، قلت تقول أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر قالت عائشة فقام رسول الله ﷺ

فرفع يديه مدا يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا قد حذر أمته، وسأحذركموه تحذيرا لم يحذره نبي أمته انه أعور والله ﷻ ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن".

وقال النووي: باب استحباب التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال ومن المأثم والمغرم بين التشهد والتسليم حاصل.

وأوجب هذا الدعاء بعض العلماء كطاووس بن كيسان، والجمهور على الاستحباب، ونقل الإمام النووي أقوالًا لبعض العلماء منهم من قال واجب ومنهم من قال مستحب.

ثم قال النووي رحمه الله تعالى: هذا كله يدل على تأكيد هذا الدعاء، والتعوذ، والحث الشديد عليه.اهـ.

وفتنة الدجال هي فتنة شبهات وشهوات، فيكون معه جبالًا من خبز، وأنهار الماء، ويأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فيفتن الناس والعياذ بالله.

* **استجابة الشياطين والجماد للدجال.**

أخبرنا النبي ﷺ بأن الدجال يفتن الناس بما يُعطى من الخوارق، حتى أن الشياطين والجمادات تستجيب له.

فعن سفينة مولى رسول الله ﷺ، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: "ألا إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد حذر الدجال أمته هو أعور عينه اليسرى، بعينه اليمنى ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يخرج معه واديان: أحدهما جنة، والآخر نار، فناره جنة، وجنته نار، معه ملكان من الملائكة يشبهان نبيين من الأنبياء لو شئت سميتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما، واحد منهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وذلك فتنة، فيقول الدجال: ألست بربكم، ألست أحي وأميت، فيقول له أحد الملكين كذبت، ما

يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه، فيقول له صدقت فيسمعه الناس فيظنون إنما يصدق الدجال، وذلك فتنة، ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها، فيقول هذه قرية ذلك الرجل، ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله ﷻ، عند عقبة أفيق".

ولقد ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع (قال الراوي) "حتى ظنناه في طائفة النخل". وذلك لما يكون معه من الفتن الشديدة فمنها :

* **الدجال معه جنة ونار.**

عن ربعي بن حراش قال: قال عقبة بن عمرو لحذيفة ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: "إني سمعته يقول إن مع الدجال إذا خرج ماء ونارا، فأما الذي يرى الناس أنها النار فماء بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد فنار تحرق فمن أدرك منكم فليقع في الذي يرى أنها نار فإنه عذب بارد".

وقال رسول الله ﷺ: "معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار".

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال وإن الله ﷻ لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يمينا وشمالا يا عباد الله! أيها الناس! فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه قبلي نبي: إنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي ثم يثني فـ) يقول: أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإنه مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب؛ وإن من فتنته أن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف؛ فتكون بردا وسلاما كما كانت النار

على إبراهيم؛ وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها ينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه ثم يزعم أن له ربا غيري، فيبعثه الله ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله وأنت عدو الله أنت الدجال والله ما كنت قط أشد بصيرة بك مني اليوم؛ وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت؛ وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت؛ وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعا؛ وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة حتى ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فتنفي الخبيث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص قيل: فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل (وجلهم ببيت المقدس)؛ وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصل بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب فيفتحون ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء؛ وينطلق هاربا (ويقول عيسى: إن لي فيك ضربة لن تسبقني) فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى

شيء مما خلق الله ﷻ يتواقى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله، فيكون عيسى بن مريم في أمتي حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره وتضر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفا ثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم يجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ويكون الفرس بالدريهمات، قالوا: يا رسول الله وما يرخص الفرس؟ قال: لا تركب لحرب أبدا، قيل: فما يغلي الثور، قال: تحرث الأرض كلها، وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله، قيل: فما يُعيش الناس في ذلك الزمان؟ فقال: التهليل، والتكبير، والتحميد، ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام".

قوله ﷺ: "معه جنة ونار، فجنته نار وناره جنة"، وفي رواية نهران، وفي رواية ماء ونار، قال العلماء هذا من جملة فتنته امتحن الله تعالى به عباده ليحق الحق ويبطل الباطل ثم يفضحه ويظهر للناس عجزه. اهـ.

وعن حذيفة: "يخرج الدجال ومعه نهر ونار فمن دخل نهره وجب وزره وحط أجره ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره ثم إنما هي قيام الساعة".

وعن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه عرض ما بين اليسرى أربعون ذراعا فيقول للناس أنا ربكم وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر (ك ف ر) مهجاة يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه وقامت الملائكة بأبوابها، ومعه جبال من خبز والناس في جَهد إلا من تبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول الجنة، ونهر يقول النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة.

قال: ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ويقتل نفسا ثم يحيها فيما يرى الناس لا يسلط على غيرها من الناس، ويقول أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب ﷻ قال: فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا، ثم ينزل عيسى بن مريم فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث، فيقولون هذا رجل جني فينطلقون فإذا هم بعيسى بن مريم ﷺ فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه قال فحين يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله حتى إن الشجرة والحجر ينادي يا روح الله هذا زفر فلا يترك ممن كان يتبعه أحدا إلا قتله".

وعنه ﷺ قال: "... معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد".

* **أتباع الدجال:**

أكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاط من الناس، غالبهم الأعراب والنساء، روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة). وفي رواية للإمام أحمد: (سبعون ألفًا عليهم السيجان). وجاء في حديث أبي بكر الصديق عند الترمذي: (يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة).

قال ابن كثير في النهاية(١/ ١١٧): "والظاهر -والله اعلم- أن المراد هؤلاء الترك أنصار الدجال.اهـ.

وأما كون أكثر أتباعه من الأعراب؛ فلأن الجهل غالب عليهم، ولما جاء في حديث أبي أمامة الطويل قوله ﷺ: (وإن من فتنته - أي: الدجال - أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! اتبعه؛ فإنه ربك) أخرجه ابن ماجة.

وأما النساء؛ فحالهن أشد من حال الأعراب؛ لسرعة تأثرهن، وغلبة الجهل عليهن، ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال النبي ﷺ: (ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل يرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطًا؛ مخافة أن تخرج إليه) أخرجه أحمد وإسناده حسن لولا عنعنة محمد بن إسحاق.

* **فتنة الدجال:**

فتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله آدم إلى قيام السَّاعة، وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتحير الألباب.

فقد ورد أن معه جنة ونارًا، وجنته نار، وناره جنة، وأن معه أنهار الماء، وجبال الخبز، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة؛ كسرعة الغيث استدبرته الريح... إلى غير ذلك من الخوارق، وكل ذلك جاءت به الأحاديث الصحيحة:

فمنها ما رواه الإمام مسلم عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (الدَّجَّال أعور العين اليسرى، جفال الشعر، معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار)، ولمسلم أيضًا عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (لأنا أعلم بما مع الدَّجَّال منه، معه نهران يجريان، أحد هما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد؛ فليأت النهر الذي يراه نارًا، وليغمض، ثم ليطأطئ رأسه، فيشرب منه؛ فإنه ماء بارد).

وجاء في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذكر الدَّجَّال أن الصحابة قالوا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض؟ قال: (أربعون يومًا: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم". قالوا: وما إسراعه في الأرض؟ قال: "كالغيث إذا استدبرته الريح، فيأتي على القوم، فيدعوهم، فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا، وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك)

أخرجه مسلم، وجاء في رواية البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن هذا الرجل الذي يقتله الدَّجَّال من خيار الناس، أوخير الناس؛ يخرج إلى الدَّجَّال من مدينة رسول الله ﷺ، فيقول للدجال: (أشهد أنك الدَّجَّال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه. فيقول الدَّجَّال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته؛ هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله، ثم يحييه، فيقول (أي: الرجل): والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد الدَّجَّال أن يقتله، فلا يسلط عليه)، وسبق ذكر رواية ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه... وفيها قول النبي ﷺ في الدَّجَّال: (إن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! اتبعه؛ فإنه ربك)، نسأل الله العافية، ونعوذ به من الفتن.

*** الرد على منكري ظهور الدَّجَّال:**

ما تقدم من الأحاديث يدلُّ على تواتر خروج الدَّجَّال في آخر الزمان، وأنه شخص حقيقة، يعطيه الله ما شاء من الخوارق العظيمة، ومما سبق يتضح لنا أن خروج الدجال من أشراط الساعة الكبرى الثابتة، ومن الأخبار المتواترة التي يجب الإيمان بها، وفي ما مضى من الأدلة رد على من أنكر خروج الدجال بالكلية من الخوارج والجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن سار على نهجهم قديما وحديثا، أو قال إن ما يأتي به الدجال خيالات لا حقيقة لها، فكل هؤلاء قد ردوا ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ كما تقدم، ويخشى أن لا ينطبق على هؤلاء المنكرين لظهور الدَّجَّال قوله ﷺ «سيكون فيكم قوم من هذه الأمة يكذبون بالرجم، ويكذبون بالدجال، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا،

فلئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود».

قال العلامة الألباني في ظلال الجنة (٣٤٣): إسناده ضعيف من أجل علي بن زيد وهو ابن جدعان سيء الحفظ، وقال في كتاب المسيح الدجال (ص٣٠) أخرجه الداني في الفتن (ق٢٣/ ٢)، وأحمد (١/ ٢٣) مختصرًا، وإسناده حسن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في النهاية (١ / ١٦٤ - ١٦٦) في معرض رده على هؤلاء: "وقد تقدم حديث حذيفة وغيره أن ماءه نار وناره ماء بارد، وإنما ذلك في رأي العين، وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء كابن حزم، والطحاوي وغيرهما في أن الدجال ممخرق مموه لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه بل كلها خيالات عند هؤلاء ".

وقال الشيخ أبو علي الجبائي - شيخ المعتزلة -: لا يجوز أن يكون كذلك حقيقة؛ لئلا يشتبه خارق السحر بخارق النبي، وقد أجابه القاضي عياض وغيره بأن الدجال إنما يدعي الإلهية، وذلك مناف للبشرية فلا يمتنع إجراء الخارق على يديه والحالة هذه. وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية، وردوا الأحاديث الواردة فيه فلم يصنعوا شيئا، وخرجوا بذلك عن حيز العلماء لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ كما تقدم، وإنما أوردنا بعض ما ورد في هذا الباب؛ لأن فيه كفاية ومقنعا، والله المستعان.

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه، كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء فتمطرهم والأرض فتنبت لهم زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم سمانا، ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجدب والقحط والعلة وموت

الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه، وهذا كله ليس بمخرقة بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذلك الزمان، فيضل به كثيرا ويهدي به كثيرًا، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيمانا، وقد حمل القاضي عياض وغيره على هذا المعنى معنى الحديث «هو أهون على الله من ذلك» أي هو أقل من أن يكون معه ما يضل به عباده المؤمنين، وما ذاك إلا لأنه ظاهر النقص والفجور والظلم، وإن كان معه من الخوارق.

*** الوقاية من فتنة الدَّجَّال:**

أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدَّجَّال، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع ﷺ خيرًا إلا دل أمته عليه، ولا شرًا إلا حذرها منه، ومن جملة ما حذر منه فتنة المسيح الدَّجَّال؛ لأنها أعظم فتنة تواجهها الأمة إلى قيام السَّاعة، وكان كل نبي ينذر أمته الأعور الدَّجَّال، واختص محمد ﷺ بزيادة التحذير والإنذار، وقد بين الله له كثيرًا من صفات الدَّجَّال؛ ليحذر أمته؛ فإنه خارج في هذه الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ومحمد ﷺ خاتم النبيين، وهذه بعض الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى ﷺ أمته؛ لتنجو من هذه الفتنة العظيمة التي نسأل الله العظيم أن يعافينا ويعيذنا منها:

أ - التمسك بهذا الدين العظيم وهو الإسلام، والعمل على تقوية الإيمان، أو الارتقاء في مدارج الإيمان، والتسلح بسلاح العلم، ومعرفة العقيدة الصحيحة السليمة التي عليها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم جميعًا، ومعرفة أسماء الله تعالى وصفاته، والتي لا يشاركه فيها أحد، فإذا تسلح العبد بهذا السلاح عَلِمَ أن المسيح الدجال بشر يأكل ويشرب، وفيه صفات النقص والعيب، وأن الله جل في علاه منزَّه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله سبحانه وتعالى ليس بأعور، والدجال يراه الناس

عند خروجه، مؤمنهم وكافرهم، ولا أحد يرى ربه سبحانه وتعالى في هذه الحياة، كما ثبت ذلك في السنة الصحيحة.

عن أسماء بن عميس رضي الله عنها، أن النبي ﷺ دخل عليها لبعض حاجته، ثم خرج، فشكت إليه الحاجة، فقال: "كيف بكم إذا ابتليتم بعبد قد سخرت له أنهار الأرض وثمارها، فمن اتبعه أطعمه وأكفره، ومن عصاه حرمه ومنعه؟ ".

قلت: يا رسول الله! إن الجارية لتجلس عند التنور ساعة لخبزها، فأكاد أفتتن في صلاتي، فكيف بنا إذا كان ذلك؟

قال: "إن الله يعصم المؤمنين يومئذٍ بما عصم به الملائكة من التسبيح، إن بين عينيه: كافر؛ يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب".

فعلى المرء المسلم أن يتسلح بسلاح الإيمان والتقوى، وعليه بالعلم، وهو من أقوى الأسلحة لمحاربة أعداء الله، والعلم هو طريق الإيمان، فبالعلم تُوزن الأمور، ويميز الخبيث من الطيب، والغث من السمين.

وإذا ظهر على يد أحد من الناس أي خارق تستطيع بإذن الله أن تميزه بالعلم إذا كان حقًا أم باطلًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وإذا كان القلب معمورا بالتقوى انجلت له الأمور وانكشفت بخلاف القلب الخراب المظلم قال حذيفة بن اليمان: "إن في قلب المؤمن سراجا يزهر"، وفى الحديث الصحيح: "إن الدجال مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارىء وغير قارىء"، فدل على أن المؤمن يتبين له مالا يتبين لغيره ولا سيما في الفتن وينكشف له حال الكذاب الوضاع على الله ورسوله، فإن الدجال أكذب خلق الله مع أن الله يجري على يديه أمورا هائلة ومخاريقًا مزلزلة حتى إن من رآه افتتن به فيكشفها الله للمؤمن حتى يعتقد كذبها وبطلانها، وكلما قوي

الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له وعرف حقائقها من بواطلها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف وذلك مثل السراج القوي والسراج الضعيف في البيت المظلم. اهـ.

ب- الاستعاذة بالله تعالى من شر فتنته، ولا سيما في التشهد الأخير من الصلاة.

فعن محمد بن أبي عائشة أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: "إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال".

وكان الإمام طاوس رحمه الله تعالى قد أمر ابنه حين لم يدع بهذا الدعاء في صلاته أن يعيدها.

قال النووي: هذا كله يدل على تأكيد هذا الدعاء، والتعوذ، والحث الشديد عليه، وظاهر كلام طاوس رحمه الله تعالى أنه حمل الأمر به على الوجوب، فأوجب إعادة الصلاة لفواته، وجمهور العلماء على أنه مستحب ليس بواجب، ولعل طاوسًا أراد تأديب ابنه وتأكيد هذا الدعاء عنده لا أنه يعتقد وجوبه، والله أعلم.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعصم إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه والافتقار إليه ولتقتدي به أمته، وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه، والله أعلم. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأعظم الدجاجلة فتنه الدجال الكبير الذي يقتله عيسى بن مريم؛ فإنه ما خلق الله من لدن آدم إلى قيام الساعة أعظم من فتنته وأمر المسلمين أن يستعيذوا من فتنته في صلاتهم وقد ثبت انه يقول للسماء أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت وانه يقتل رجلا مؤمنا ثم يقول له: قم فيقوم، فيقول: أنا ربك فيقول له كذبت بل أنت الأعور الكذاب الذي أخبرنا عنه رسول الله

ﷺ والله ما ازددت فيك إلا بصيرة فيقتله مرتين فيريد أن يقتله في الثالثة فلا يسلطه الله عليه وهو يدعى الإلهية وقد بين النبي ﷺ أن له ثلاث علامات تنافى ما يدعيه: أحدهما: أنه أعور وان ربكم ليس بأعور، والثانية: أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن من قارىء وغير قارىء، والثالثة: قوله: "واعلموا أن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت". اهـ.

والشاهد من كلام شيخ الإسلام هو قوله: وأمر المسلمين أن يستعيذوا من فتنته في صلاتهم.

قال ابن القيم: فهذا دعاء أمرهم النبي ﷺ أن يدعوا به في آخر صلاتهم، وقد اتفقت الأمة على أنه مشروع يحبه الله ورسوله ويرضاه، وتنازعوا في وجوبه، فأوجبه طاووس، وطائفة قالوا: هذا مستحب، والأدعية التي كان النبي ﷺ يدعو بها لا تخرج عن أن تكون واجبة أو مستحبة، وكل واحد من الواجب والمستحب يحبه الله ويرضاه، ومن فعله رضي الله عنه وأرضاه، فهل يكون من الرضا ترك ما يحبه ويرضاه. اهـ.

وعن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: "أن رسول الله ﷺكان يدعو في الصلاة اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم"، فقال له قائل ما أكثر ما تستعيذ من المغرم، فقال: "إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف".

وقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال".

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن رسول الله ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال اللهم اغسل عني

خطاياي بالماء والثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب".

وعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له -ونحن معه- إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة، أو خمسة، أو أربعة فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك (وفي رواية: في الجاهلية) فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال".

وعن عائشة قالت: "جاءت يهودية فاستطعمت على بابي فقالت أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية، قال وما تقول، قلت تقول أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر قالت عائشة فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مدا يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا قد حذر أمته وسأحذركموه تحذيرا لم يحذره نبي أمته انه أعور والله عَزَّ وَجَلَّ ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن".

ج- حفظ أول عشر آيات من أول سورة الكهف، أو آخرها.

فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال". ال شعبة: "من آخر الكهف". قال همام: "من أول

الكهف" كما قال هشام.

وفي حديث النواس بن سمعان، قال رسول الله ﷺ: "فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف"، ي رواية لمسلم وأبي داود: "من آخر الكهف"، ي رواية: "الآيات الثلاث من أول سورة الكهف"[1].

(١) الحديث رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (١/ ٥٥٦)، وأحمد في "المسند" (٥/ ١٩٦)، وأبو داود في الملاحم، باب خروج الدجال (٤/ ٤٩٧ - ٤٩٨) رقم (٤٣٢٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة" ص ٥٢٨ رقم (٩٥١)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" ص ١٦١ - ١٦٢ رقم (٢٠٦)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٣٦٨)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٥/ ٣٧٧) رقم (٢٢١٩)، والبغوي في "شرح السنة" (٤/ ٤٦٩) رقم (١٢٠٤)، من طريق همام بن يحيى، عن قتادة، عن سالم، عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي الدرداء مرفوعا بلفظ: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال".
ورواه مسلم في الموضع السابق (١/ ٥٥٥) رقم (٨٠٩)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٣/ ٢٤٩)، من طريق معاذ بن هشام الدستوائي، عن أبيه، عن قتادة، عن سالم، عن معدان، عن أبي الدرداء مرفوعا بلفظ الطريق السابق.
وقد تابع هماما وهشاما على روايتهما للحديث بلفظ: "من أول الكهف": سعيد بن أبي عروبة عند الإمام أحمد في "المسند" (٦/ ٤٤٩)، وعند ابن السني في "عمل اليوم والليلة" ص ٣١٨ - ٣١٩ رقم (٦٧٦).
كما تابعهما: (شيبان بن عبد الرحمن التميمي) عند الإمام أحمد في "المسند" (٦/ ٤٤٩).
ورواه مسلم في الموضع السابق، وأحمد في "المسند" (٦/ ٤٤٦)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" ص ٥٢٧ رقم (٩٥٠)، من طريق شعبة، عن قتادة، عن سالم، عن معدان، عن أبي الدرداء مرفوعا بلفظ: "من قرأ العشر الأواخر من الكهف عصم من فتنة الدجال".
ورواه النسائي في كتابه "فضائل القرآن" ص ٨٠ رقم (٥٠)، وفي "عمل اليوم والليلة" ص رقم (٩٤٩)، من طريق شعبة، عن قتادة، عن سالم، عن معدان، عن أبي الدرداء =

=

مرفوعا بلفظ: "من قرأ عشر آيات من الكهف عصم من فتنة الدجال".
ورواه الترمذي في فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الكهف (٥/ ١٦٢) رقم (٢٨٨٦)، من طريق شعبة، عن قتادة، عن سالم، عن معدان، عن أبي الدرداء مرفوعا بلفظ: "من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال". وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".
أقول: الظاهر أن رواية همام بن يحيى، عن قتادة بذكر: "من أول الكهف"، هي الرواية المحفوظة، لمتابعة من تقدم ذكرهم من الثقات له على لفظه، بخلاف رواية شعبة فقد اختلف عليه في ذلك.
فالخلاصة أن هكذا قال شعبة: (عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ: «مَنْ قرأ عشر آيات من آخر سورة الكهف»).
وخالفه هشام الدستوائي، وهمام بن يحيى، وسعيد بن أبي عروبة، وشيبان النحوي.
هؤلاء الأربعة خالفوا شعبة فرووه عن قتادة بنفس الإسناد.
فقالوا: «مَنْ حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف».
خالفوه فقالوا: (حفظ)، وقال شعبة: (قرأ)، قالوا: (من أول سورة الكهف).
وقال شعبة: «من آخر سورة الكهف».
وقد تابعهم معمر فرواه عن قتادة من قوله كما سيأتي.
وقد أشار إلى خلاف شعبة الإمام مسلم في صحيحه وأبو عوانة وغيرهما.
قال مسلم عقب الحديث: (قال شعبة: «من آخر الكهف»، وقال همام: «من أول الكهف» كما قال هشام). كأنه يشير إلى ترجيح رواية هشام وهمام.
وقال أبو عوانة: (هؤلاء يعني هشامًاوهمامًاقالوا: «أول الكهف»، وقال شعبة: «آخر الكهف»، والله أعلم). وقال أبو نعيم: كذا قال شعبة من آخرها، قلت: وقد تابعهما سعيد بن أبي عروبة، وشيبان النحوي كما تقدم.
وخالفهم أبو داود، فقال بعد أن أورد حديث همام (وكذا قال هشام الدستوائي عن قتادة إلا أنه قال: «مَنْ حفظ من خواتيم سورة الكهف»، وقال شعبة عن قتادة: «من آخر الكهف»).
كذا قال أبو داود إنَّ هشامًاقال في حديثه: «من خواتيم سورة الكهف» ولم يسق إسناد الحديث، وقد أخرجه مسلم وغيره كما سبق من طرق عن هشام أنه قال: «أول سورة

=

قال الإمام النووي: "قيل سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال وكذا في آخرها قوله تعالى أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا".

وقيل ما فيها من العجائب من تأمين الله سبحانه وتعالى أولئك الفتية من الطاغية الجبار في زمانهم وهروبهم منه، وما فيها من ذكر قصة موسى والخضر عليهما السلام، وفيها ذكر ذي القرنين وبنائه السد، وقصة يأجوج ومأجوج، وكذلك ما فيها من

=

الكهف».

ويدل على وهم شعبة في هذا الحديث ما يلي:

١ اضطراب شعبة في هذا الحديث على أوجه:

فتارة يقول: «آخر سورة الكهف» كما هو في هذا الحديث، وتارة يقول: «عشر آيات من الكهف» ولا يقول أولها ولا آخرها، وثالثة قال: «مَنْ قرأ ثلاث آيات من أول الكهف»، وفي هذه الرواية الثالثة وافق الجماعة على كونها «من أول الكهف» إلا أنه قال: «ثلاث آيات» بدلًا من «عشر».

٢ مخالفته لأربعة من الثقات، منهم: هشام وسعيد بن أبي عروبة وهما من أحفظ الناس عن قتادة.

٣ جاء في أحاديث أخرى بيان أنها من أوائل سورة الكهف وأنها عصمة من الدجال، منها:

حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال، فقال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته».

وفي حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، قال: «مَنْ قرأ عشر آيات من أول الكهف عُصم من فتنة الدجال، ومَن قرأ آخرها أو: قرأها إلى آخرها كانت له نورًا من قرنه إلى قدمه».

أولئك الذين يظنون أنهم يحسنون صنعا، وهم الأخسرين أعمالًا كما أخبر الله تعالى عنهم. والله أعلم.

وقيل: لأن في أولها من العجائب والآيات التي تثبت قلب من قرأها بحيث لا يفتن بالدجال، ولا يستغرب ما جاء به الدجال، ولم يلهه ذلك، ولم يؤثر فيه.

وهذا من فضائل وخصوصيات سورة الكهف، فقد حثنا نبينا ﷺ على قراءتها وخاصة في يوم الجمعة.

فعلى المسلم أن يحرص على حفظ هذه السورة وعليه أن يتعاهد قراءتها بين الحين والأخر، وخاصة في يوم الجمعة.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: "من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له نورًا يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه ومن توضأ ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، كتب في رق ثم طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة".

د-الفرار منه والنأي عنه، وعدم التقرب منه، وأن لا يتعرض له.

فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: "من سمع بالدجال فلينأ عنه فو الله إن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث من الشبهات".

س -ومنها سكنى مكة والمدينة.

فعن طلحة بن عبد الله بن عوف، عن أبي بكرة قال: أكثر الناس في مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئا، فقام رسول الله ﷺ خطيبا فقال: "أما بعد ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه وإنه كذاب من ثلاثين كذابا يخرجون بين يدي الساعة وإنه ليس من بلدة إلا يبلغها رعب المسيح إلا المدينة على كل نقب من نقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح".

قال النووي: قوله: "نقاب المدينة": هو بكسر النون، أي طرقها وفجاجها، وهو جمع نقب وهو الطريق بين جبلين.

وقال ابن حجر: قال بن وهب المراد بها المداخل، وقيل الأبواب، وأصل النقب الطريق بين الجبلين، وقيل: الأنقاب الطرق التي يسلكها الناس، ومنه قوله تعالى: "فنقبوا في البلاد".

وقوله: "لا يدخل المدينة رعب المسيح ": المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره والخوف من عتوه لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص وحمل بعض العلماء الحديث الذي فيه أنها تنفى الخبث على هذه الحالة دون غيرها.

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان".

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ: "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال".

وفي حديث أبي أمامة: "و إنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة لا يأتيهما، وليس نقب من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة، حتى ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبيث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص".

السبخة: هي الأرض الرملية التي لا تنبت لملوحتها.

وفي رواية عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق".

قوله: ليس من بلد إلا سيطؤه: أي ليس من بلد إلا وسيدخله الدجال اللعين، إلا مكة والمدينة.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا به أن قال: "يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ينزل بعض السباخ التي بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم، فيقول الدجال أقتله، فلا يسلط عليه".

قوله: "ثم ترجف المدينة": أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصا في إيمانه ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال، ولا يعارض هذا ما في حديث أبي بكرة الماضي أنه لا يدخل المدينة رعب الدجال لأن المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره والخوف من عتوه لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص، وحمل بعض العلماء الحديث الذي فيه أنها تنفى الخبث على هذه الحالة دون غيرها، وقد تقدم أن الصحيح في معناه أنه خاص بناس وبزمان، فلا مانع أن يكون هذا الزمان هو المراد، ولا يلزم من كونه مرادا نفى غيره.اهـ. فتح الباري (٤/ ٩٦).

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: العبرة بالإيمان والعمل الصالح، فذلك هو السبب الأكبر في النجاة، وأما في دار الهجرة وغيرها؛ فهو سبب ثانوي؛ فمن لم يأخذ بالسبب الأكبر؛ لم يفده تمسكه بالسبب الأصغر، وقد أشار إلى هذا النبي ﷺ بقوله للذي سأله عن الهجرة: يحك! إن شأن الهجرة لشديد! فهل لك من إبل؟.

قال: نعم قال: "فهل تؤتي صدقتها؟" قال: نعم قال: "فاعمل من وراء البحار، فإن الله لن يَتِرَكَ من عملك شيئًا".

وما أحسن ما روى الإمام مالك في "الموطأ" (٢/ ٢٣٥) عن يحيى بن سعيد:

أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي: أن هلمَّ إلى الأرض المقدسة.

- يعني: الشام -. فكتب إليه سلمان :إن الأرضَ لا تقدسُ أحدًا، وإنما يقدسُ الإنسان عملُهُ.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

من أجل ذلك؛ لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام، وإقامة دولته على وجه الأرض؛ انتظارًا منهم لخروج المهدي ونزول عيسى عليهما الصلاة والسلام؛ يأسًا منهم؛ أو توهمًا أن ذلك غير ممكن قبلهما! فإن هذا توهم باطل، ويأس عاطل، فإن الله تعالى أو رسوله ﷺ لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام ولا سلطان له على وجه الأرض إلا في زمانهما، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛

لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾..

وقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.. اهـ. قصة المسيح الدجال (ص٣٥-٣٦).

*** مكة والمدينة لا يدخلها الدجال.**

إن من تفضيل الله سبحانه وتعالى لمكة والمدينة أن حرسهما من كل شر، ومن هذا الشر الذي بعده عنهما المسيح الدجال، فإن الله حرم عليه دخول واحدة منهما، وجعل الله سبحانه على كل نقب من نقابهما ملكان يذبان عنها رعب المسيح.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق".

وفي حديث أبي أمامة: "و إنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة لا يأتيهما، وليس نقب من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة، حتى ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبيث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص".

السبخة: هي الأرض الرملية التي لا تنبت لملوحتها.

وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق".

قوله: ليس من بلد إلا سيطؤه: أي ليس من بلد إلا وسيدخله الدجال اللعين، إلا مكة والمدينة.

وعن طلحة بن عبد الله بن عوف، عن أبي بكرة قال: أكثر الناس في مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئا، فقام رسول الله ﷺ خطيبا فقال: "أما بعد ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه وإنه كذاب من ثلاثين كذابا يخرجون بين يدي الساعة وإنه ليس من بلدة إلا يبلغها رعب المسيح إلا المدينة على كل نقب من نقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح".

على كل نقب من نقابها: المراد بالنقب هو الطريق بين الجبلين، ويسمى الفج.

فمكة والمدينة من أسباب حفظ المسلم من المسيح الدجال، وأن الله فضلهما على غيرهما من المدن.

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان".

قال ابن حجر: المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره، والخوف من عتوه لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص. فتح الباري (٤/ ٩٦).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: "الإيمان يمان، والكفر من قبل المشرق، وإن السكينة في أهل الغنم، وإن الرياء والفخر في أهل الفدادين: أهل الوبر وأهل الخيل، ويأتي المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى إذا جاء دبر أحد تلقته الملائكة فضربت وجهه قبل الشام، هنالك يهلك،هنالك يهلك".

* **مكة والمدينة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**.

ومن حفظ الله تعالى للمدينة كذلك أن منع الطاعون من دخولها.

تقدم حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: "... ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافين تحرسها.

وعن مالك، عن نعيم بن عبد الله المجمر، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال".

قال المناوي في فيض القدير: وذكر النووي في الأذكار أن الطاعون لم يدخل المدينة ولا مكة أصلًا، لكن ذكر جمع أن الطاعون العام دخل مكة أما المدينة فلم يذكر أنه دخلها، وهذا من معجزاته لأن الأطباء عجزوا عن دفع الطاعون عن بلد بل عن قرية، وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه العصور المتطاولة. اهـ.

* **المدينة ترجف بأهلها ثلاث رجفات**.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق".

قوله: ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال: أي ما من بلد إلا وسيدخله الدجال ويضع قدمه فيها، والوطئ هو موضع القدم.

قال النووي: قوله: "نقاب المدينة": هو بكسر النون، أي طرقها وفجاجها، وهو جمع نقب وهو الطريق بين جبلين.

وقال ابن حجر: قال بن وهب المراد بها المداخل، وقيل الأبواب، وأصل النقب الطريق بين الجبلين، وقيل: الأنقاب الطرق التي يسلكها الناس، ومنه قوله تعالى: "فنقبوا في البلاد".

قوله: "ثم ترجف المدينة": أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى، ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصا في إيمانه ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال، ولا يعارض هذا ما في حديث أبي بكرة الماضي أنه لا يدخل المدينة رعب الدجال لأن المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره، والخوف من عتوه لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص، وحمل بعض العلماء الحديث الذي فيه أنها تنفى الخبث على هذه الحالة دون غيرها، وقد تقدم أن الصحيح في معناه أنه خاص بناس وبزمان، فلا مانع أن يكون هذا الزمان هو المراد، ولا يلزم من كونه مرادا نفى غيره.اهـ. فتح الباري (٤/ ٩٦).

* **على كل نقب من أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها**.

وجاء في تمام حديث الجساسة أن الدجال قال: "فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما

أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلدًا يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها".

طيبة: هي المدينة النبوية المنورة.

صلدًا: أي يبرق ويلمع.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ "المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله".

* **الدجال ينزل بعض السباخ التي بالمدينة**.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا به أن قال: "يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، ينزل بعض السباخ التي بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس، فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر، فيقولون لا فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم، فيقول الدجال أقتله، فلا يسلط عليه".

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يأتي المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى إذا جاء دُبُر أحد تلقته الملائكة، فضربت وجهه قبل الشام، هنالك يهلك"

* **الدجال لا يدخل مسجد الطور والمسجد الحرام**.

وكذلك حرم الله سبحانه وتعالى على الدجال دخول مسجد الطور ولا المسجد الأقصى.

فعن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال: ذهبتُ أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من

أصحاب النبي ﷺ، فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر الدجال، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا فقال: "أنذركم الدجال، أنذركم الدجال، أنذركم الدجال، فإنه لم يكن نبي إلا وقد أنذره أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جعد أدم ،ممسوح العين اليسرى، وإن معه جنة ونارا ،فناره جنة وجنته نار، وإن معه نهر ماء، وجبل خبز، وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها، لا يسلط على غيرها، وإنه يمطر السماء ولا تنبت الأرض، وإنه يلبث في الأرض أربعين صباحا حتى يبلغ منها كل منهل، وإنه لا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد المقدس والطور، وما شبه عليكم من الأشياء، فإن الله ليس بأعور (مرتين)".

قال القاضي عياض: في هذه الأحاديث حجة لأهل السنة في صحة وجود الدجال، وأنه شخص معين يبتلي الله به العباد ويقدره على أشياء كإحياء الميت الذي يقتله، وظهور الخصب، والنهار، والجنة، والنار، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء فتمطر والأرض فتنبت، وكل ذلك بمشيئة الله، ثم يعجزه الله فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ثم يبطل أمره ويقتله عيسى بن مريم، وقد خالف في ذلك بعض الخوارج، والمعتزلة، والجهمية، فأنكروا وجوده وردوا الأحاديث الصحيحة، وذهب طوائف منهم كالجبائي إلى أنه صحيح الوجود، لكن كل الذي معه مخاريق وخيالات لا حقيقة لها، وألجأهم إلى ذلك أنه لو كان ما معه بطريق الحقيقة لم يوثق بمعجزات الأنبياء وهو غلط منهم لأنه لم يدع النبوة فتكون الخوارق تدل على صدقه، وإنما ادعى الإلهية وصورة حاله تكذبه لعجزه ونقصه فلا يغتر به إلا رعاع الناس، إما لشدة الحاجة والفاقة، وإما تقية وخوفا من أذاه وشره مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكث حتى يتأمل الضعفاء حاله، فمن صدقه في تلك الحال لم يلزم منه بطلان معجزات الأنبياء، ولهذا يقول له الذي يحيه بعد أن يقتله ما ازددت فيك إلا

بصيرة قلت، ولا يعكر على ذلك ما ورد في حديث أبي أمامة ثم بن ماجة انه يبدأ فيقول: أنا نبي ثم يثني فيقول أنا ربكم، فإنه يحمل على أنه إنما يظهر الخوارق بعد قوله الثاني، ووقع في حديث أبي أمامة المذكور: وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك، فيقول نعم فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه يقولان له يا بني اتبعه فإنه ربك، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، ويمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت فتمطر وتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظم وأمده خواصر وأدره ضروعا. اهـ.

عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الدجال لا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة".

قال المناوي في فيض القدير: الدجال لا يولد له، أي بعد خروجه أو مطلقًا ولا يدخل المدينة النبوية، ولا مكة، فإن الملائكة تقوم على أنقابهما تطرده عن الدخول تشريفًا للبلدين فينزل بقربهما فيخرج له من في قلبه مرض، وألحق البسطامي بمكة والمدينة بيت المقدس فجزم بأنه لا يدخله أيضًا، وفي رواية لمسلم: أنه يهودي وأنه لا يولد له وأنه لا يدخل مكة ولا المدينة.

تنبيه: عدّوا من خصائص نبينا أنه بين له في أمر الدجال ما لم يبين لأحد.اهـ.

وفي حديث أبي أمامة: "و إنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة لا يأتيهما، وليس نقب من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة، حتى ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبيث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص".

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال".

"على أنقاب المدينة": جمع نقب بالسكون بفتح الهمزة وسكون النون مداخلها وفوهات طرقها، ملائكة، موكلون بها للحرس.

"لا يدخلها الطاعون": الموت الذريع الناشئ عن وخز الجن أي لا يكون كالذي يكون بغيرها، كطاعون عمواس والجارف، وقد أظهر اللّه صدق رسوله فم ينقل أنه دخلها طاعون ولا يدخلها الدجال، فإنه يجيء ليدخلها فتمنعه الملائكة.

"فينزل بالسبخة": اسم محل قريب من المدينة، وهي أرض رملية لا تنبت لملوحتها.

"فترجف المدينة بأهلها": أي تحركهم وتزلزلهم فيخرج إليه من كان في قلبه مرض قال الطيبي: وجملة لا يدخلها مستأنفة بيان لموجب استقرار الملائكة على الأنقاب، وقد عد عدم دخول الطاعون من خصائصها وهو لازم دعاء المصطفى ﷺ لها بالصحة، واحتج ابن الحاج على أن المدينة أفضل من مكة لأنه لم يأت مثل ذلك في مكة، واستشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كونه شهادة وكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بعدم دخولهما، وأجيب بأن المراد بكونه شهادة أن ذلك يترتب عليه وينشأ عنه لكونه سببه وإذا كان الطاعون طعن الجن، حسن مدح المدينة بعدم دخولها. فيض القدير.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح، مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد، فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج قال فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا، فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا

دونه، قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن، قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيشج، فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا، قال: فيقول أو ما تؤمن بي، قال: فيقول أنت المسيح الكذاب قال: فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي قائما، قال: ثم يقول له أتؤمن بي، فيقول ما ازددت فيك إلا بصيرة قال: ثم يقول يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس قال :فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار وإنما ألقى في الجنة فقال رسول الله ﷺهذا أعظم الناس شهادة ثم رب العالمين".

وفي رواية عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن أبا سعيد الخدري قال: حدثنا رسول الله ﷺ يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال: "يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس، فيقول له أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر، فيقولون لا، قال فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه".

وعن محجن بن الأدرع، أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: "يوم الخلاص وما يوم الخلاص، يوم الخلاص وما يوم الخلاص، يوم الخلاص وما يوم الخلاص ثلاثا، فقيل له وما يوم الخلاص، قال يجئ الدجال فيصعد أحد فينظر المدينة فيقول لأصحابه أترون هذا القصر الأبيض هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملكا مصلتا فيأتي سبخة الحرف فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث

رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، فذلك يوم الخلاص".

* الفرار من الدَّجَّال، والابتعاد منه، والأفضل سكنى مكة والمدينة، فقد سبق أن الدَّجَّال لا يدخل الحرمين، فينبغي للمسلم إذا خرج الدَّجَّال أن يبتعد منه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فتنة للناس؛ فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدَّجَّال، نسأل الله أن يعيذنا من فتنته وجميع المسلمين، روى الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي الدهماء قال: سمعت عمران بن حصين يحدث؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "من سمع بالدَّجَّال؛ فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات).

* ذكر الدَّجَّال في القرآن: تساءل العلماء عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدَّجَّال في القرآن مع عظم فتنته، وتحذير الأنبياء منه، والأمر بالاستعاذة من فتنته في الصلاة، وأجابوا عن ذلك بأجوبة؛ منها:

١- أنه مذكور ضمن الآيات التي ذكرت في قوله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: ١٥٨]، وهذه الآيات هي: الدَّجَّال، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، وهي المذكورة في تفسير هذه الآية، فقد روى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث إذا خرجن لاينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدَّجَّال، ودابة الأرض).

٢- أن القرآن ذكر نزول عيسى عليه السلام، وعيسى هو الذي يقتل الدَّجَّال، فاكتفى بذكر مسيح الهدى عن ذكر مسيح الضلالة، وعادة العرب أنها تكتفي بذكر أحد

الضدين دون الآخر.

٣- أنه مذكور في قوله تعالى: {لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر: ٥٧]، وإن المقصود بالناس هنا الدَّجَّال؛ من إطلاق الكل على البعض.

قال أبو العالية: "أي: أعظم من خلق الدَّجَّال حين عظمته اليهود، قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٩٢): "وهذا - إن ثبت - أحسن الأجوبة، فيكون من جملة، ما تكفل النبي صلى الله عليه وسل مببيانه، والعلم عند الله".

٤- أن القرآن لم يذكر الدَّجَّال احتقارًا لشأنه؛ لأنه يدعي الربوبية وهو بشر ينافي حاله جلال الرب وعظمته وكماله وكبريائه وتنزه عن النقص، فلذلك كان أمره عند الله أحقر وأصغر من أن يذكر، ومع هذا حذرت الأنبياء منه، وبيَّنتُ خطره وفتنته، كما سبق أن كل نبي أنذر أمته منه، وحذرها من فتنته، فإن اعترض بأن القرآن ذكر فرعون وهو قد ادعى الربوبية والألوهية، فيقال: إن أمر فرعون انقضى وانتهى، وذكر عبرة للناس وعظة، وأما أمر الدَّجَّال؛ فسيحدث في آخر الزمان، فترك ذكره امتحانًا به، مع أن ادعاءه الربوبية أظهر من أن ينبه على بطلانه؛ لأن الدَّجَّال ظاهر النقص، واضح الذم، أحقر وأصغر من المقام الذي يدعيه، فترك الله ذكره، لما يعلم تعالى من عباده المؤمنين؛ أن مثل هذا لا يخيفهم ولا يزيدهم إلا إيمانًا وتسليمًا لله ورسوله؛ كما يقول الشاب الذي يقتله الدَّجَّال ويجيبه: (والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم) أخرجه البخاري، وقد يترك ذكر الشيء لوضوحه؛ كما ترك النبي ﷺ في مرض موته أن يكتب كتابًا بخلافة الصديق رضي الله عنه لوضوحه، وذلك لعظم قدر أبي بكر عند الصحابة رضي الله عنهم، ولذلك قال النبي ﷺ: (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) أخرجه البخاري، وذكر الحافظ في الفتح (١٣/ ٩١) أن السؤال عن عدم ذكر الدَّجَّال في القرآن لا يزال واردًا؛ وأجاب شيخنا الإمام البلقيني بأنه اعتبر كل من ذكر في القرآن

من المفسدين فوجد كل من ذكر إنما هم ممن مضى وانقضى أمره، وأما من لم يجئ بعد فلم يذكر منهم أحدا، انتهى. وهذا ينتقض بيأجوج ومأجوج.اهـ. هذا؛ ولعل الجواب الأول هو الأقرب، والله أعلم، فيكون الدَّجَّال قد ذكر ضمن بعض الآيات، ويكون النبي ﷺ تكفل ببيان ذلك المجمل.

* **هلاك الدَّجَّال**.

عندما يكثر أتباع المسيح الدجال، ويظهر على الأرض كلها إلا مكة، والمدينة، ومسجد الطور، والمسجد الأقصى، فتعم الفتنة، ويعم الفساد، ولا ينجو منها أحد إلا قلة من المؤمنين الذين يثبتهم الله تعالى، ففي هذه الحال ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام إلى الأرض، ويكون هلاك الدجال على يديه، فمن عقيدة أهل السن والجماعة أن عيس عليه الصلاة والسلام سينزل آخر الزمان، ويلتف حوله المؤمنون، وسيحكم بالقرآن، وبشريعة نبينا محمد ﷺ، وسيكون حجة على الروم، ويقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

قال أهل التفسير: أي: نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة.

قال رسول الله ﷺ: "فبينما هو كذلك – يعني الدجال – إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل ثم المنارة البيضاء شرقي دمشق".

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية

ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها".

ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

وفي رواية لمسلم: "والله ثم لينزلن بن مريم حكما عادلا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء، والتباغض، والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد".

وقال رسول الله ﷺ: "كيف أنتم إذا أنزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم".

قال النووي رحمه الله تعالى: ليوشكن: فهو بضم الياء وكسر الشين، ومعناه ليقربن، أي في هذه الأمة وان كان خطابا لبعضها ممن لا يدرك نزوله.

وقوله ﷺ: "حكما": أي ينزل حاكما بهذه الشريعة، لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة. والمقسط: العادل، والقسط بكسر القاف العدل، وقسط يقسط قسطا بفتح القاف فهو قاسط إذا جار.

وقوله ﷺ: "فيكسر الصليب": معناه يكسره حقيقة ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه، وفيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل وقتل الخنزير من هذا القبيل، وفيه دليل للمختار من مذهبنا ومذهب الجمهور أنا إذا وجدنا الخنزير في دار الكفر أو غيرها وتمكنا من قتله قتلناه، وإبطال لقول من شذ من أصحابنا وغيرهم فقال يترك إذا لم يكن فيه ضراوة.

وأما قوله ﷺ: "ويضع الجزية": فالصواب في معناه أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى.

وأما قوله ﷺ: "ويفيض المال": فهو بفتح الياء، ومعناه يكثر وتنزل البركات وتكثر الخيرات بسبب العدل.

وأما قوله في الرواية الأخرى: "حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها": فمعناه والله أعلم أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث.

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معناه أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها لفيض المال حينئذ وهوانه وقلة الشح وقلة الحاجة إليه للنفقة في الجهاد، قال والسجدة هي السجدة بعينها أو تكون عبارة عن الصلاة والله أعلم.

وأما قوله: ثم يقول أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اقرؤا إن شئتم: "وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته": ففيه دلالة ظاهرة على أن مذهب أبى هريرة في الآية أن الضمير في موته يعود على عيسى عليه السلام، ومعناها وما من أهل الكتاب يكون في زمن عيسى عليه السلام إلا من آمن به وعلم أنه عبد الله وابن أمته، وهذا مذهب جماعة من المفسرين.

وقوله: "ولتتركن القلاص": القلاص جَمْع قَلُوص، وهي الناقة الشابّة، وهي من الإبل كالفتاة من النساء، والحدث من الرجال، وقيل لا تزال قَلُوصًا حتى تصير بازِلًا وتُجْمَع على قِلاص وقُلُص أيضًا، ومنه الحديث لتُتْرَكَنّ القِلاصُ فلا يُسْعى عليها أي لا يَخْرج ساعٍ إلى زكاة لِقلّة حاجة الناس إلى المال واسْتِغْنائهم عنه.

والمعنى: أن يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها أحد لكثرة الأموال، وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل، وأنفس الأموال عند العرب.

* **صفة نزوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقتله للدجال.**

ثبت في السنة المطهرة صفة وكيفية نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "ليس بيني وبينه نبي - يعني عيسى - وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون [ويدفنونه]".

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم ﷺ فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته".

وقال رسول الله ﷺ: "ينزل عيسى ابن مريم، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله عزوجل في زمانه الدجال، وتقوم الكلمة لله رب العالمين".

قوله: "فينزل عيسى بن مريم ﷺ فأمهم": ليس المراد هنا في الصلاة، فقد ورد في بعض الروايات "فأمكم منكم"، قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم عزوجل، وسنة نبيكم ﷺ.

وقوله ﷺ: "تحدر منه جمان كاللؤلؤ الجمان": بضم الجيم وتخفيف الميم،

هي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار.

والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللولؤ في صفائه، فسمى الماء جمانا لشبهه به في الصفاء.

وقوله ﷺ: "فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات": هكذا الرواية، فلا يحل بكسر الحاء ونفسه بفتح الفاء، ومعنى لا يحل: لا يمكن ولا يقع.

وقال القاضي: معناه عندي حق وواجب.

وقوله ﷺ: "ثم يأتي عيسى ﷺ قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم": قال القاضي: يحتمل أن هذا المسح حقيقة على ظاهره فيمسح على وجوههم تبركا، وبرا ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ما هم فيه من الشدة والخوف.

وقوله تعالى: "أخرجت عبادا لي لايدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور": فقوله لايدان بكسر النون تثنية يد، قال العلماء معناه لا قدرة ولا طاقة، يقال مالي بهذا الأمر يد ومالي به يدان لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه.

ومعنى حرزهم إلى الطور أي ضمهم واجعله لهم حرزا، يقال أحرزت الشيء أحرزه احزازا إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ.

قوله: "وهم من كل حدب ينسلون": الحدب النشز وينسلون يمشون مسرعين.

وقوله ﷺ: "فيرسل الله تعالى عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى" النغف بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء، وهو دود يكون في أنوف الأبل والغنم، الواحدة نغفة.

والفرسى بفتح الفاء مقصور أي قتلى، واحدهم فريس.

وقوله: "ملأه زهمهم ونتنهم": هو بفتح الهاء، أي دسمهم ورائحتهم الكريهة

قوله ﷺ: "لايكن منه بيت مدر" أي لا يمنع من نزول الماء بيت المدر بفتح الميم والدال وهو الطين الصلب.

وقوله ﷺ: "فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة" قال القاضي روى بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها وكلها صحيحة، قال في المشارق والزاي مفتوحة، واختلفوا في معناه فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون معناه كالمرآة، وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضا شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها، وقيل كمصانع الماء أي إن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء.

وقوله ﷺ: "تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها": العصابة الجماعة، وقحفها بكسر القاف هو مقعر قشرها، شبهها بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ وقيل ما انفلق من جمجمته وانفصل.

وقوله ﷺ: "ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الأبل لتكفى الفئام من الناس": الرسل بكسر الراء وإسكان السين هو اللبن واللقحة بكسر اللام وفتحها لغتان مشهورتان الكسر أشهر، وهى القريبة العهد بالولادة، وجمعها لقح بكسر اللام وفتح القاف كبركة وبرك، واللقوح ذات اللبن وجمعها لقاح.

والفئام بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة وهى الجماعة الكثيرة. اهـ.

ثم يسير عيسى ﷺ بالمؤمنين لقتال المسيح الدجال، ويكون الدجال عند نزول عيسى قد ذهب قاصدًا بيت المقدس، فيلحق به عيسى عليه السلام عند باب لد – وهي بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس – فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، فيقول له عيسى عليه السلام: "إن لي فيك ضربة لن تفوتني، فيتداركه عيسى عليه السلام فيقتله بحربته، وينهزم أتباعه، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي تعال فاقتله؛ إلا الغرقد؛ فإنه

من شجر اليهود".

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا زفر خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود".

الغرقد: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل اليهود.

وفي النهاية: هو ضَرْب من شجر العِضاه وشَجَر الشَّوك، والغَرْقَدَة واحدتُه، ومنه قيل للمَقْبَرة أهل المدينة "بَقِيع الغَرْقَد" لأنه كان فيه غَرْقَدٌ وقُطِع .

وعنه ﷺ أنه قال: "إذا بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه – أي: يطلب الدجال – حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة".

وعن مجمع بن جارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "ليقتلن ابن مريم الدجال بباب لد"..

ليقتلن عيسى ابن مريم الدجال بباب لد، أي أنه ينزل في آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيجده بباب لد فيقتله، لا أنه ينزل لقتله.

وعنه ﷺ أنه قال: "يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم (وذكر فيه) ثم ينزل عيسى بن مريم فينادى من السَّحَر فيقول: أيها الناس! ما يمنعكم أن تخرجوا

إلى الكذاب الخبيث فيقولون: هذا رجل جني فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم ﷺ فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله! فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه قال: فحين يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله حتى إن الشجرة والحجر ينادي: يا روح الله! هذا يهودي فلا يترك ممن كان يتبعه أحدًا إلا قتله".

ينماث كما ينماث الملح في الماء: أي يذوب كما يذوب الملح في الماء.

وعنه ﷺ قال: في زمن عيسى: "يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون في قحفها، ويبارك في الرسل حتى أن اللقمة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقمة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس".

وقال ﷺ: "وتقع الأمنة كل الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ولا تضرهم".

وقال ﷺ: "والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلًا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء، والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد".

جاء عن أحمد: "يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون".

وعن يونس بن عبيد، عن الحسن عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: "ما أهبط الله إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة اعظم من فتنة الدجال، وقد قلت فيه قولا لم يقله أحد قبل، إنه آدم جعد ممسوح عين اليسار، على عينه طفرة غليظة، وإنه يبرىء الأكمه والأبرص، ويقول أنا ربكم فمن قال ربى الله فلا

فتنة عليه، ومن قال أنت ربى فقد افتتن ما شاء الله، ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد ﷺ على ملته، إماما مهديا، وحكما عدلا، فيقتل الدجال".

فكان الحسن يقول: ونرى ذلك عند الساعة.

وعن الحضرمي بن لاحق، أن ذكوان أبا صالح أخبره أن عائشة أخبرته قالت: "دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال لي ما يبكيك، قلت يا رسول الله ذكرت الدجال فبكيت، فقال رسول الله ﷺ أن يخرج الدجال وأنا حي كفيتكموه وأن يخرج الدجال بعدي فان ربكم ﷻ ليس بأعور انه يخرج في يهودية أصبهان حتى يأتي المدينة فينزل ناحيتها، ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان فيخرج إليه شرار أهلها حتى الشام مدينة بفلسطين بباب لد".

وفي رواية: "حتى يأتي فلسطين باب لد فينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إماما عدلا وحكما مقسطا".

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق يقول:

يخرج أعور الدجال مسيح الضلالة قِبَلَ المشرق في زمن اختلاف الناس وفرقة، فيبلغ ما شاء الله أن يبلغ من الأرض في أربعين يومًا – الله أعلم ما مقدارها – فيلقى المؤمنون شدة شديدة، ثم ينزل عيسى ابن مريم ﷺ من السماء، فيؤم الناس، فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده، قتل المسيح الدجال، وظهر المسلمون".

فأحلف أن رسول الله أبا القاسم الصادق المصدوق قال: "إنه لحق، وأما إنه قريب، فكل ما هو آتٍ قريب".

قال الشيخ الألباني "قصة المسيح الدجال" (ص٥٥): قال الهيثمي (٧/ ٣٤٩): "رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، غير علي بن المنذر، وهو ثقة".

وقال الحافظ (١٣/ ٨٥): "إسناده جيد".

والأحاديث المصرحة بخروجه كثيرة. اهـ.

وبقتل الدجال على يد عيسى عليه السلام تنتهي الفتنة العظيمة، وينجي الله سبحانه وتعالى المؤمنين من شره وشر أتباعه، والحمد لله الذي منَّ علينا بنعمه العظيمة.

قال ابن قيم الجوزية: فالمسلمون واليهود والنصارى تنتظر مسيحا يجيء في آخر الزمان، فمسيح اليهود هو الدجال، ومسيح النصارى لا حقيقة له فإنه عندهم أله، وابن أله، وخالق ومميت ومحي، فمسيحهم الذي ينتظرونه هو المصلوب المسمر المكلل بالشوك بين اللصوص، والمصفوع الذي هو مصفعة اليهود، وهو عندهم رب العالمين وخالق السموات والأرضين، ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو عبد الله ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، عيسى بن مريم أخو عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله، فيظهر دين الله وتوحيده، ويقتل أعداءه عباد الصليب الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وأعداءه اليهود الذين رموه وأمه بالعظائم، فهذا هو الذي ينتظره المسلمون وهو نازل على المنارة الشرقية بدمشق واضعا يديه على منكبي ملكين يراه الناس عيانا بأبصارهم نازلا من السماء فيحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وينفذ ما أضاعه الظلمة والفجرة والخونة من دين رسول الله ﷺ، ويحي ما أماتوه، وتعود الملل كلها في زمانه ملة واحدة وهي ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما إبراهيم وملة سائر الأنبياء وهي الإسلام الذي من يبتغي غيره دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، وقد حمل رسول الله ﷺ من أدركه من أمته السلام وأمره أن يقرئه إياه منه، فأخبر عن موضع نزوله بأي بلد وبأي مكان منه وبحاله وقت نزوله مفصلا حتى كأن المسلمين يشاهدونه عيانا قبل أن يروه، وهذا من جملة الغيوب التي أخبر بها فوقعت مطابقة لخبره حذو القذة بالقذة، فهذا منتظر

المسلمين لا منتظر المغضوب عليهم والضالين، ولا منتظر إخوانهم من الروافض المارقين، وسوف يعلم المغضوب عليهم إذا جاء منتظر المسلمين انه ليس بابن يوسف النجار، ولا هو ولد زنية، ولا كان طبيبا حاذقا ماهرا في صناعته استولى على العقول بصناعته، ولا كان ساحرا ممخرقا، ولا مكنوا من صلبه وتسميره وصفعه وقتله بل كانوا أهون على الله من ذلك، ويعلم الضالون إنه ابن البشر وإنه عبد الله ورسوله، ليس بإله ولا ابن إله وإنه بشر بنبوة محمد أخيه أولًا وحكم بشريعته ودينه آخرًا، وإنه عدو المغضوب عليهم والضالين وولي رسول الله واتباعه المؤمنين، وما كان أولياؤه الأرجاس الأنجاس عبدة الصلبان والصور المدهونة في الحيطان.اهـ.

قال القاضي رحمه الله تعالى نزول: عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح، ثم [أي عند] أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته، وأنكر ذلك بعض المعتزلة، والجهمية، ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى وخاتم النبيين، وبقوله ﷺ لا نبي بعدى، وبإجماع المسلمين أنه لانبي بعده ﷺ، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق في كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا ويحيى من أمور شرعنا ما هجره الناس.

* **إشكال وإيضاح**.

رب سائل يسأل كيف يجري الله سبحانه وتعالى هذه الخوارق على يد الدجال الكافر، أو على يد ممن لم يعرف عنه الاستقامة في دين الله؟.

الجواب: إن الله سبحانه وتعالى يجري هذه الخوارق على عباده سواء أكان

مسلمًا أو كافرًا، فالمسلم تكون له كرامات وهذا ثابت بالكتاب والسنة، وأما الكافر فتكون فتنة له ولغيره.

قال الخطابي: فان قيل كيف يجوز أن يجري الله الآية على يد الكافر، فان إحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء فكيف ينالها الدجال وهو كذاب مفتر يدعي الربوبية؟

فالجواب: إنه على سبيل الفتنة للعباد إذ كان عندهم ما يدل على أنه غير محق في دعواه، وهو أنه أعور مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر، إذ لو كان إله لأزال ذلك عن وجهه، وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة فلا يشتبهان، وقال الطبري لا يجوز أن تعطى أعلام الرسل لأهل الكذب والإفك في الحالة التي لا سبيل لمن عاين ما أتى به فيها إلا الفصل بين المحق منهم والمبطل، فأما إذا كان لمن عاين السبيل إلى ذلك علم الصادق من الكاذب فمن ظهر ذلك على يده فلا ينكر إعطاء الله ذلك للكذابين، فهذا بيان الذي أعطيه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فإنه من ظهر على يديه خارق فإنه يوزن بميزان الشرع، فإن كان على الاستقامة كان ما ظهر على يديه كرامة ومن لم يكن على الاستقامة كان ذلك فتنة كما يظهر على يدي الدجال من إحياء الميت وما يظهر من جنته وناره، فإن الله يضل من لا خلاق له بما يظهر على يدي هؤلاء، وأما من تمسك بالشرع الشريف فإنه لو رأى من هؤلاء من يطير في الهواء أو يمشي على الماء فإنه يعلم أن ذلك فتنة للعباد انتهى. اهـ.

وقال في موضع آخر: ولو كان لأحدهم من الخوارق ما كان فليس أحدهم بأعظم من مقدمهم الدجال الذي يقول للسماء أمطري فتمطر وللأرض أنبتي فتنبت

وللخربة أظهري كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة وهو مع هذا عدو الله كافر بالله وأولياء الله هم المذكورون في قوله تعالى :

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ .

هم المؤمنون المتقون، والتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه، فمن ترك ما أمر الله واتخذ عبادة نهى الله عنها كيف يكون من هؤلاء.

(باب نزول عيسى عليه السلام[1])

---

(١) مع صراحة ما دلت عليه النصوص من نزول عيسى عليه السلام، وتضافرها على ذلك، وبلوغها مبلغ القطع: إلا أن طوائف من مخالفي السنة جالدوا الدلائل، وناقضوا البراهين؛ إما برد الأدلة صراحة، أو التلفع بمرط التأويل، تلطفا منهم في ردها.
فممن نقل عنه الرد من متقدمي الخلف بعض الخوارج، وبعض المعتزلة.
ومن متأخري الخلف: (محمد عبده)، فقد نقل تلميذه (محمد رشيد رضا) موقفه من أحاديث نزول عيسى عليه السلام، ووافق أستاذه في إبطال معاني تلك الأحاديث؛ من غير أن يسلك مسلك شيخه في تحريف معانيها، بل اكتفى بتفويض معاني تلك الأحاديث إلى الله تعالى؛ وإن كان الاثنان متفقان في المآل على تعطيل مدلول تلك الأحاديث، فقد زاد (محمد عبده) أن اختار التماس غريب المعاني في تأويلها.
و (محمد عبده) وإن لم يصرح هو بأن هذا التعطيل موقف علمي له؛ إذ يعزو ذلك للعلماء بتعبيره، إلا أن ظاهر طريقته يفهم ذلك؛ فإنه جعل للقول بأن رفع عيسى عليه السلام كان بروحه دون جسده تخريجين، مفاد الأول منهما في:
المعارض الأول: إن أحاديث هذا الباب «آحاد متعلق بأمر اعتقادي؛ لأنه من أمور الغيب، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي، لأن المطلوب فيها هو اليقين، وليس في الباب حديث متواتر».
وهذا ما تبعه فيه أحمد المراغي (ت ١٣٧١ هـ) حين زعم «أن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة، والعقيدة لا تجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر.. وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى =

=
عَلَيْهِ السَّلَامُ حي بجسمه وروحه».
وكان ممن صرح بإنكار رفع المسيح ونزوله محمد شلتوت (ت ١٣٨٣ هـ)، فقد غالط هذا الحقائق وأنكر البدهيات من عقد أهل السنة؛ من ذلك ما تراه في:
المعارض الثاني: حيث زعم أن ليس في القرآن «مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء، وأنه حي إلى الآن فيها، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض».
فإذا كان المستند الذي يثبت هذه العقيدة منتفيا في نظره؛ فإن فشوها في المحيط الإسلامي هو من آثار أحد العوامل الأجنبية التي ابتغت ترسيخ مثل هذه المعتقدات بينهم -يعنون عامل الإسرائيليات - حيث تأثروا بها نتيجة للانحطاط الديني والحضاري، فتعلقت آمالهم -كحال أهل الكتاب قديما- بمخلص يرد معايشهم إلى حالتها المثلى.
وفي تقرير دعوى هذا التأثير الخارجي في المعتقد، يقول (حسن الترابي): «في بعض التقاليد الدينية تصور عقدي، بأن خط التاريخ الديني بعد عهد التأسيس الأول ينحدر بأمر الدين انحطاطا مطردا، لا يرسم نمطا روحيا، وفي ظل هذا الاعتقاد؛ تتركز آمال الإصلاح أو التجديد نحو حدث أو عهد واحد بعينه مرجو في المستقبل، يرد أمر الدين إلى حالته المثلى من جديد.
وهذه عقيدة نشأت عند اليهود، واعترت النصارى، وقوامها: انتظار المسيح يأتي أو يعود، عندما يبلغ الانحطاط ذروته بعهد الدجال؛ قبل أن ينقلب الحال صاعدا بذلك الظهور ... وقد انتقلت هذه العقيدة بأثر من دفع الإسرائيليات إلى المسلمين، وما يزال جمهور من عامة المسلمين يعولون عليها في تجديد دينهم».
وبنفس هذا المنطق العوج من التفكير، وسم (مصطفى بوهندي) الأخبار في نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بكونها «مشبعة بالمفاهيم الكتابية التي أشرنا إليها عن المسيح المنتظر، وهو ما يكشف عن مصدريتها اليهودية والمسيحية المخالفة لما في الإسلام».
المعارض الثالث: أن أصحاب تلك المرويات يزعمون أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما ينزل في آخر الزمان متبعا للشريعة المحمدية، ومن كان متبعا لغيره؛ كيف يحمل الناس على الإيمان به -حسبما جاء في تلك الروايات-؟! وكيف تكون عاقبة من لم يؤمن به القتل؟!
* دفع المعارضات الفكرية المعاصرة
=

=

لأحاديث نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

أما دعوى المعترض على أحاديث نزول المسيح أنها آحاد لا يؤخذ بها في الاعتقاد:

فإن على فرض كون تلك الأحاديث آحاد، فإن خبر الآحاد متى صح عن النبي ﷺ وتلقته الأمة بالقبول، فحجة هو في العقائد والأحكام، وجب المصير إليه، وعلى هذا انعقد إجماع أهل السنة.

على أن القائل بهذه الدعوى قد أبان عن جهله بالحديث، وأقر على نفسه بأن لا صلة له بهذا العلم؛ إذ مسلم به عند كل حديثي أن الأخبار في نزول عيسى عليه السلام قد بلغت في ذلك مبلغ التواتر، وهي وإن كانت أفرادها لا تدخل في حد التواتر اللفظي، إلا أنها بيقين قد استفاضت وتواترت تواترا معنويا بمجموعها، وبهذا صدع أهل العلم في بيانه؛ فمن أولئكم:

ابن جرير الطبري؛ حيث صرح بتواتر أحاديث نزول عيسى عليه السلام.

ثم محمد بن الحسين الآبري؛ فقد قال في كتابه «مناقب الشافعي»: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ.. أنه يخرج عيسى ابن مريم، فيساعده - يعني محمد المهدي- على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى عليه السلام يصلي خلفه».

وكذا أبو الوليد ابن رشد القرطبي (ت ٥٩٥ هـ)، حيث قال عنه: «لا بد من نزوله لتواتر الأحاديث».

ثم أبو الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)؛ حيث ساق الأحاديث المثبتة لنزوله عليه السلام، وقال: «فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ».

وعلى ثبوت أحاديث النزول وبلوغها مقام القطع في دلالتها، جرت أقاويل الأئمة على نظم مضمون تلك الأحاديث في أحرف الاعتقاد:

تجده -مثل- عند أحمد بن حنبل في قوله: «والدجال خارج في هذه الأمة لا محالة، وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، ويقتله بباب لد».

وقول أبي القاسم الأصبهاني -الملقب بقوام السنة-: «وأهل السنة يؤمنون بنزول عيسى عليه السلام».

وقول القاضي عياض: «نزول عيسى المسيح وقتله الدجال حق صحيح عند أهل السنة؛ لصحيح الآثار الواردة في ذلك؛ ولأنه لم يرد ما يبطله ويضعفه».

=

=

ونظمهم لهذه المقولة في أحرف الاعتقاد، وتضافرهم على ذلك، هو محصل الأدلة الشرعية مما سبق ذكر بعضه من دلائل السنة، وما سيأتي ذكره من دلائل الكتاب، وما تركب منهما من الإجماع الثابت على نزوله عليه السلام، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة.

فممن قرر هذا الإجماع:

أبو محمد ابن عطية (ت ٥٤٢ هـ) في قوله: «أجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر؛ من أن عيسى عليه السلام في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويظهر هذه الملة ملة محمد ﷺ، ويحج البيت ويعتمر، ويبقى في الأرض أربعا وعشرين سنة، وقيل: أربعين سنة، ثم يميته الله تعالى».

وأقره على الإجماع أبو إسحاق الثعلبي، وابن تيمية، والسفاريني، وغيرهم كثير ممن نقل الإجماع على نزول المسيح آخر الزمان.

وبذا يتبين خطأ (محمد عبده) -ومن جرى في مهيعه- في رد هذه الأحاديث بكونها آحاد، على كلا الاعتبارين في مسألة قبول الآحاد في العقائد.

وأما ما اعترض به المخالف في شبهته الثانية: من زعمه أن القرآن يخلو من ذكر هذه العقيدة في رجوع عيسى عليه السلام؛ فجواب ذلك:

أن عدم علم المخالف بدلائل ذلك في القرآن، لا يدل على انتفاءها حقيقة، فالحق أن في كتاب ربنا تعالى من الشواهد على نزول المسيح عليه السلام ما يذهب عنه غمة الجهل بذلك، وهي كالتالي:

قول الله تعالى في سورة النساء: {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} [النساء: ١٧٥ - ١٧٩].

فقوله تعالى الآخر الذي في سورة آل عمران: {ورافعك إلي} [آل عمران: ٥٥]، مع قوله ذاك في آية النساء السابقة: {بل رفعه الله إليه}: نص على إثبات رفعه عليه السلام رفعا حسيا.

فإن قيل: لم لا يحمل الرفع هنا على رفع المكانة والحظوة، والقرآن قد أتى بمثله؟ كما

=

=

في قول جل وعلا: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} [المجادلة: ١١]؛ وعلى هذا فدعوى النصية والقطع على أن المراد بالرفع هنا الرفع الحسي فيها نظر!

فجواب ذلك: أن احتمال تأرجح (الرفع) في كتاب الله بين رفع المكانة والمنزلة وبين الرفع الحسي لا ينكر بالنظر إلى ذات الوضع؛ فحينئذ تلتمس القرائن التي تبين عن المراد (بالرفع) في الآية.

يقول ابن تيمية: «لفظ التوفي لا يقتضي توفي الروح دون البدن، ولا توفيهما جميعا؛ إلا بقرنية منفصلة».

وبالنظر إلى مجموع هذه القرائن، نجد أنها تحسم الاحتمال، وتقود إلى القطع بالمراد من (الرفع)، بأنه الرفع الحسي لا غير.

وجملة هذه القرائن تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: قرائن خارجية؛ والقسم الثاني: قرائن داخلية (دلالة السياق).

فأما القسم الأول: وهي القرائن الخارجية، فتدور حول جملة من الدلالات:

الدلالة الأولى: ما تواتر عن النبي ﷺ تواترا معنويا من أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان، ولا معنى للنزول إلا كونه كان مستقرا في السماء.

الدلالة الثانية: دلالة الآثار الواردة عن أصحاب رسول الله ﷺ، ومن ذلك: ما صح عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لما أراد الله أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء.."، وفيه: «ورفع عيسى من روزنة كانت في البيت إلى السماء.. ».

ومثل هذا الأثر الثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يكون من قبيل الرأي المجرد، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع.

الدلالة الثالثة: دلالة الإجماع المتيقن الذي سبق بيانه.

فهذه قرائن من خارج النص، فلو لم يكن في المسألة لبيان معنى الرفع في الآية إلا واحدة من تلك الدلالات: لكفت في نفي الاحتمال، فكيف إذا تضافرت؟ بل كيف إذا اعتضدت بالقرينة الأخرى؟! وهي:

القسم الثاني: دلالة السياق.

فالسياق بمفرده قد ينقل الدلالة من الاحتمال الذي يكتنفها إلى النصية، فهو «مرشد إلى تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات»، وإن من خلف القول،

=

=

وفساد الرأي: إغفال هذه الدلالة؛ لتمهيد الطريق بعد للادعاء بأن الآية ليست نصا في إثبات رفع عيسى عليه السلام -كما سبق زعمه من شلتوت-، وهذا القول مبني على النظر في وضع الصيغ المجردة مقطوعة عن سياقاتها، وهذا ليس من نهج المتحققين بالأصول.

يقول أبو المعالي الجويني (ت ٤٧٨ هـ):

«اعتقد كثير من الخائضين في الأصول عزة النصوص، حتى قالوا: إن النص في الكتاب قول الله عز وجل: {قل هو الله أحد} [الإخلاص: ١]، وقوله: {محمد رسول الله} [الفتح: ٢٩]، وما يظهر ظهورهما! ولا يكاد هؤلاء يسمحون بالاعتراف بنص في كتاب الله تعالى وهو مرتبط بحكم شرعي، وقضوا بندور النصوص في السنة، حتى عدوا أمثلة معدودة ومحدودة ... وهذا قول من لم يحط بالغرض من ذلك.

والمقصود من النصوص: الاستفادة بإفادة المعاني على قطع، مع انحسام جهات التأويلات، وانقطاع مسلك الاحتمالات؛ وإن كان بعيدا حصوله بوضع الصيغ ردا إلى اللغة، فما أكثر هذا الغرض مع القرائن الحالية والمقالية! وإذا نحن خضنا في باب التأويلات، وإبانة بطلان معظم مسالك المؤولين..: استبان للطالب الفطن، أن جل ما يحسبه الناس ظواهر معرضة للتأويلات: هو نصوص».

فسياق الآيتين دال على ثبوت رفع عيسى عليه السلام رفعا حسيا؛ لا محيص عن ذلك لمن أنصف، وذلك من وجوه:

أما الوجه الأول: فإن سياق الآيات هو في بيان بطلان ما افتراه اليهود من قتله عليه السلام؛ بأن القتل إنما وقع على شبيهه، فلذا عقب الرب تعالى على قوله: {وما قتلوه وما صلبوه} بقوله تعالى: {بل رفعه الله إليه}.

وهذا نص في الرفع الحسي لا محالة؛ لأن الإيقاف بـ (بل) هنا التي تفيد الإضراب والإبطال، هو لنفي ما ظن اليهود من تسلطهم على نبي الله بالقتل، فيكون ما بعد (بل) منافيا لما قبلها، بتكرير عدم تمكين الله لهم من التسلط على نبيه؛ وذلك برفعه رفعا حسيا، ولو كان المراد رفع المكانة، لاختل بذلك النظم القرآني؛ لأمرين:

الأول: أن رفع المكانة ليس مختصا بعيسى عليه السلام في هذا الموقف! فلا وجه لتخصيصه به هنا؛ إلا لتضمنه معنى زائدا ناسب ذلك إضافته إليه.

الثاني: أن القتل لا ينافي رفع المكانة، إذ رفعة المكانة حاصلة حتى مع تقدير قتله عليه السلام، فلا معنى حينئذ لدخول (بل) بينهما، لانتفاء التضاد بينهما.

=

=

وأما الوجه الثاني: فهو أن وصل {رفعه الله} بـ {إلي}: يقضي على احتمال كون المقصود بـ (الرفع) هنا رفع المكانة، وعلة ذلك: أن رفع المكانة لا منتهى له؛ بخلاف الرفع الحسي! وهذا ظاهر في قوله تعالى: {ورافعك إلي}، حيث أضيفت (إلى) إلى ضمير المتكلم (الياء).

فإن قيل: المقصود إذن بالرفع هنا رفع (روحه) لا غير!

قيل: أن هذا التأويل ليس على السنن المحمود أيضا، وبيان ذلك:

أن تعيين الرفع هنا بأنه بالروح لا يزيل شبهة قتل عيسى عليه السلام الذي سيقت لأجله الآيات؛ لبقاء الشبهة بأن ارتفاع الروح إنما وقع بعد القتل! فلا معنى للإتيان بـ (بل) النافية لما قبلها من ظن تسلطهم عليه، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: أن تعيين الرفع (بالروح) زيادة لم ينطق بها النص، وتقدير لم يدل عليه المقام، فالأصل في كلام المتكلم أن ألفاظه تامة، والقول بأن الكلام يفتقر إلى تقدير شيء دعوى لا يصار إليها إلا ببرهان واضح.

فلم يبق إلا أن يكون الرفع لشخصه عليه السلام روحا وبدنا؛ لا معنى إلا ذلك.

وأما معنى قوله تعالى: {متوفيك}: فقابض روحك وبدنك، وهذا اختيار أئمة التفسير؛ كالحسن البصري، وزيد بن مسلم، وابن جريج، وابن جرير الطبري، وأبي عبد الله القرطبي، وابن تيمية، والشوكاني، وغيرهم -رحمهم الله تعالى-.

وفي تقرير هذا المعنى، يقول ابن جرير: «وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا: قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض، ورافعك إلي، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة -ذكرها، واختلفت الرواية في مبلغها- ثم يموت فيصلي عليه المسلمون، ويدفنونه».. ».

وقال ابن عبد البر: «الصحيح عندي في ذلك قول من قال: {متوفيك}: قابضك من الأرض، لما صح عن النبي ﷺ من نزوله».

وقال القرطبي: «والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم،.. وهو الصحيح عند ابن عباس، وقاله الضحاك.. ».

واختيار هؤلاء الأئمة لهذا المعنى -أعني: القبض- مع دورانه في كتاب الله على معنيين آخرين؛ هما: (قبض الروح)، و(قبض حس الإنسان بالنوم): لم يكن منهم اعتباطا؛ بل لاعتبارات سبق بيانها، ومن أبرزها: ما قررناه من دلالة السياق.

=

ولو كان المراد بقوله تبارك وتعالى: {إني متوفيك} مجرد الموت، لما كان في إضافة (التوفي) إليه معنى يختص به عن غيره من الرسل! فضلا عن بقية الخلق، فالمؤمنون يعلمون أن الله يقبض أرواحهم، ويعرج بها إلى السماء، ولو كان قد فارقت روحه جسده: لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الناس، فعلم أن ليس في ذلك خاصية.
فاستبان بهذا أن إضافة التوفي إلى عيسى عليه السلام، وعطف الرفع الموصول بـ (إلى) على قوله: {متوفيك}: ليس له معنى إلا قبض الروح والبدن جميعا، لوجود القرائن الدالة على ذلك.
أما ما احتج به من قال بأن الرفع كان للروح دون البدن: بما وراه علي بن أبي طلحة في صحيفته عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الوفاة في الآية بقوله: «إني مميتك»:
فإن الأئمة وإن ارتضوا صحيفة علي بن أبي طلحة في التفسير في الجملة، فإنه لا يلزم من ذلك الرضا بآحاد ما روى، وهذه الرواية عنه معارضة لما سبق نقله عن ابن عباس مما صح عنه قال: «.. أن عيسى رفع من روزنة في البيت».
فلعل هذا مما جعل أحمد بن حنبل يقول عن علي بن أبي طلحة: «له أشياء منكرات»، كما في «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٣٤).
ثم إن التسليم بمقتضى رواية علي بن أبي طلحة يستلزم أيضا مخالفة صريح القرآن؛ ذلك بأن الله أخبر أن وقوع الموت على العباد يكون مرة واحدة، ثم يحييهم، قال تعالى: {الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء} [٤٠]، فلو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى بعد نزوله، فيجمع عليه ميتتين! كما قرره ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٤٥١).
فإذا حكم بأن هذه الرواية من منكر ما يرويه علي بن أبي طلحة: انتفى الإشكال.
أما على احتمال صحتها أخذا بعموم ثناء الأئمة على هذه الصحيفة من حيث الجملة: فيمكن حينئذ توجيه رواية بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسيره: {إني متوفيك} بالموت:
بأنه ليس في كلامه بيان وقت الإماتة، والآية لا تدل على ذلك؛ لأن (الواو) في قول الله: {إني متوفيك ورافعك إلي} لا تقتضي الترتيب؛ فيكون مراد ابن عباس رضي الله عنهما والله أعلم-: إني مميتك بعد نزولك من السماء في آخر الزمان، كما صحت بذلك الأخبار؛ ويكون هذا الوجه بناء على أن في الآية تقديما وتأخيرا؛ أي: إذ قال الله يا عيسى إني

=

رافعك إلي.. ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا.
وقد ذهب إلى هذا الجمع ابن عبد البر في «التمهيد» (١٥/ ١٩٦)؛ حيث قال: «والصحيح عندي -في ذلك-: قول من قال: متوفيك: قابضك من الأرض؛ لما صح عن النبي ﷺ من نزوله، وإذا حملت رواية علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما على التقديم والتأخير؛ أي: رافعك، ومميتك: لم يكن بخلاف ما ذكرناه»، والله أعلم.
ثم من الأدلة القرآنية أيضا على مسألتنا:
قول الله تعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} [النساء: ١٥٩].
فهنا الضمير في كلا الموضعين منها يعود على عيسى عليه السلام، ودلالة السياق يدل على هذا الاختيار، لأمرين:
الأول: أن سياق الآيات قبلها جاء في تقرير بطلان دعوى اليهود في زعمهم قتل عيسى عليه السلام، وبيان ضلال النصارى في تسليمهم لليهود فيما ادعوه: بأن الله نجى نبيه، وطهره من كيد أعدائه، برفعه حيا إلى السماء، وحصول القتل على شبيهه لا هو، وأنه سينزل في آخر الزمان، فيكسر الصليب، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، وحينئذ يؤمن به جميع أهل الكتاب، ولا يتخلف عن التصديق به أحد منهم.
الثاني: أن عود الضميرين في {به} و{موته} إلى عيسى عليه السلام هو الأليق بالسياق والنظم؛ لأن «عود أحدهما على غير ما يعود عليه الآخر فيه تشتيت للضمائر، وهذا مما ينزه عنه الكتاب الكريم».
يقول أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ): «الظاهر أن الضميرين في {به} و{موته} عائدان على عيسى، وهو سياق الكلام؛ والمعني {من أهل الكتاب}: الذين يكونون في زمان نزوله».
وهذا ظاهر اختيار أبي هريرة رضي الله عنه؛ حيث ربط بين روايته لنزوله عليه السلام وهذه الآية؛ وكذا اختيار ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جرير، وابن كثير.
وثالث الأدلة القرآنية على نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان:
قول الله تعالى: {وإنه لعلم للساعة} [الزخرف: ٦١]؛ فالضمير في {وإنه} عائد على عيسى عليه السلام، فيكون مقصود الآية: إن نزول عيسى عليه السلام إشعار بقرب الساعة، وأن مجيئه في آخر الزمان شرط من أشراطها.

=

=

ومما يؤيد عود الضمير إلى عيسى عليه السلام في هذه الآية أمور:

الأمر الأول: أن سياق الآيات قبل هذه الآية في شأن عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: {ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون (٥٧) وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون (٥٨) إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل (٥٩) ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون (٦٠) وإنه لعلم للساعة} [الزخرف: ٥٧ - ٦١].

الأمر الثاني: أن قراءة {وإنه لعلم للساعة} بفتح اللام والعين: توطد هذا الاختيار، وهي قراءة ابن عباس، وأبي هريرة، وقتادة، ومجاهد، والأعمش.

الأمر الثالث: أن هذا الاختيار يشهد له ظاهر القرآن، وبه تتسق الضمائر، وتنسجم بعضها مع بعض؛ ليس في هذا الموطن فقط، بل في جميع المواطن التي ذكر فيها عيسى عليه السلام.

الأمر الرابع: أن هذا الاختيار تشهد له الأحاديث المتقدم ذكرها.

الأمر الخامس: أن هذا القول احتفل به جلة من أئمة التفسير من السلف والخلف؛ كابن عباس، وأبي هريرة، ومجاهد، وعكرمة، وأبي العالية، والحسن البصري، والضحاك، والبيضاوي، وابن كثير، والأمين الشنقيطي، ومجمع البحوث بجامعة الأزهر.

ومن الدلائل القرآنية الدالة على نزوله عليه السلام، وهو رابعها:

قول الله تعالى: {ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين} [آل عمران: ٤٦]، وقوله سبحانه: {إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا} [المائدة: ١١٠].

ووجه الدلالة من الآيتين: أن تخصيص وقوع التكليم من عيسى عليه السلام بحالي المهد والكهولة؛ مع كونه متكلما فيما بين ذلك: دلالة ظاهرة على أن لتينك الحالين مزيد اختصاص ومزية، فارقا بهما جميع كلامه الحاصل بين تينك الحالين.

توضيح ذلك: أن الكلام في المهد خارق للعادة، خارج عن السنن، وهذا بين؛ فكذلك ينبغي لقوله تعالى: {وكهلا}، فهو عطف على متعلق الظرف قبله، آخذ حكمه؛ أي: يكلم الناس في حال المهد، ويكلمهم في حال الكهولة، فـ «إذا كان كلامه في حالة الطفولة عقب الولادة مباشرة آية؛ فلا بد أن المعطوف عليه -وهو كلامه في حال الكهولة- كذلك؛ وإلا لم يحتج إلى التنصيص عليه؛ لأن الكلام من الكهل أمر مألوف

=

=

معتاد، فلا يحسن الإخبار به؛ لا سيما في مقام البشارة».

وهذا ما نص عليه الحسين بن الفضل البجلي (ت ٢٨٢ هـ) بقوله: «في هذه الآية نص في أنه عليه السلام سينزل إلى الأرض».

وأما من رد هذه الأحاديث بزعم أنها نتاج «عقدة الانتظار» التي نبعت في أول أمرها عند اليهود، ثم انتقلت إلى النصارى، ثم تسربت إلى المسلمين كما ادعاه (الترابي) ومن تشرب فكره:

فخطل أن تتهم أمة الإسلام بهذه البلادة وقد عصمها الله أن تجتمع على ضلال؛ وقد تحقق أهل الصنعة من صحة تلك الأخبار إلى رسول الله ﷺ؛ فضلا عن غفلة صاحب هذه الشبهة عن أن أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين وتابعيهم كانوا يبثونها في الأمة؛ مع كون عصرهم عصر انتصارات وعز وتمكين! فأي انحطاط كان يعيشه هؤلاء السادات القادة حتى يختلقوا أكذوبة الانتظار؟!

وأما وقوع الاتفاق بين أهل الإسلام وبين أهل الكتاب في قضية عقدية كهذه، فهذا أمر لا يستغرب في الشريعة؛ ويقع مثله لبقاء بعض آثار النبوة في الديانات السالفة، فيأتي خاتم الرسل ﷺ بإقراره؛ وأي موروث كتابي مرتهن صحته بتصحيح دين الإسلام، المهيمن على الدين كله.

وأما جملة شبهات (بوهندي) في المعارضة الثالثة: من دعواه أن القول بنزول عيسى عليه السلام متبعا لا مشرعا، يلزم أهل السنة الوقوع في التناقض؛ لأن من كان متبعا لا يأمر الناس أن يؤمنوا به.. إلخ:

فكشف هذه الشبهة، يتحصل بعلمنا أن من أصول النظر في الدلائل الشرعية النظر إليها «كالصورة الواحدة؛ بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامها المرتب على خاصها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر بمبينها، إلى ما سوى ذلك من مناحيها؛ فإذا حصل للناظر من جملتها حكم من الأحكام: فذلك هو الذي نطقت به حين استنطقت».

وبمقتضى هذه الأصول، فهم السلف أحاديث نزول عيسى عليه السلام في ضوء فهمهم للأحاديث الدالة على ختم النبوة، ولم يكن قولهم بأن المسيح عليه السلام ينزل تابعا لشريعة النبي ﷺ من عندياتهم! بل هو حاصل النظر في جملة الأخبار الواردة في ذلك، وأخبار المصطفى ﷺ لا تتناقض؛ لأنها حق وصدق.

=

=

ومن ثم؛ نقرر هنا عدة أمور:

الأمر الأول: أن القول بنزول عيسى عليه السلام متبعا لا مشرعا ليس من محض اختراع أصحاب الروايات، بل هو مقتضى ما دلت عليه النصوص، برهان ذلك قول النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟».

فرفض عيسى عليه السلام التقدم للإمامة، وقبوله أن يكون مقتديا برجل من هذه الأمة: فيه اجتثاث لإشكال يمكن أن يقع في النفس من كونه نزل مبتدئا شرعا لا متبعا.

الأمر الثاني: أن معنى كونه عليه السلام متبعا، لا ينزع عنه سمة النبوة! فكم من نبي كان متبعا لشرع من قبله.

فإن قيل: يشكل على هذا قول الله تعالى: {ولكن رسول الله وخاتم النبيين} [الأحزاب: ٤٠]، وقوله ﷺ: «لا نبي بعدي»!

فجواب هذا الإشكال: أن المراد بهذه الآية والحديث امتناع حدوث وصف النبوة في أحد من الخلق بعد النبي محمد ﷺ، ينسخ بشريعته شريعة نبينا ﷺ، لقيام القواطع عن امتناع ذلك؛ وعيسى عليه السلام لم يحدث له هذا الوصف، لأنه لم يزل متصفا به منذ أن تحلى به، ولم يسلب منه برفعه إلى السماء.

يقول الآلوسي: «هو عليه السلام حين نزوله باق على نبوته السابقة لم يعزل عنها.. لكنه لا يتعبد بها، لنسخها في حقه وحق غيره، وتكليفه بأحكام هذه الشريعة أصلا وفرعا، فلا يكون إليه عليه السلام وحي ولا نصب أحكام، بل يكون خليفة لرسول الله ﷺ، وحاكما من حكام ملته».

وعلى هذا؛ فقول (بوهندي) أن «أصحاب الروايات يدعون أن المسيح عندما يجيء في آخر الزمان لن يكون نبيا» لم يسم قائله من أهل الحديث، وإلا فيبقى الشك في تقول هذا المدعي واردا! وما أكثر التقول في طائفته!

الأمر الثالث: زعم (بوهندي) أن الروايات تقول: (من لم يؤمن به عليه السلام يقتل)؛ نقول له: أين في الروايات الصحيحة ما يفيد أن عيسى عليه السلام يقتل الناس حتى يؤمنوا به؟!

بل قتاله للكفرة من أهل الكتاب وغيرهم لتصير الدعوى واحدة، وهي دعوى الإسلام؛ فعيسى عليه السلام إنما يدعو إلى دين الإسلام، لا إلى ذاته هو، قد دل على ذلك حديث أبي هريرة: «.. فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب.. » الحديث.

فقوله هنا: «على الإسلام»: صريح في نقض دعوى المعترض، وأن عيسى عليه السلام إنما

=

قبل أن نتحدَّث عن نزول عيسى بن مريم عليه السلام يحسُنُ بنا أن نتعرَّف على صفته التي وردت بها النَّصوص الشرعية..

* **صفة عيسى عليه السلام:**

صفته التي جاءت بها الروايات أنه رجلٌ، مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر، جعدٌ، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنما خرج من ديماس – أي: حمام – له لِمَّة قد رجَّلها تملأ ما بين منكبيه.

الأحاديث الواردة في ذلك: منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليلة أسري بي لقيتُ موسى... فنعته إلى أن قال: ولقيتُ عيسى...فنعتهُ فقال: ربعةٌ، أحمرُ، كأنما خرج من ديماس يعني: الحمام)

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت عيسى

=

يقاتل دون نشر الإسلام من تصدى له، كما قاتل من قبل أخوه محمد صلى الله عليه وسلم دونه.
وأما جواب الاعتراض الرابع؛ أعني دعوى المخالف أن عيسى عليه السلام لو كان ينزل في آخر الزمان متبعا لمحمد صلى الله عليه وسلم، فعليه أن لا يغير في شريعته شيئا.. إلخ؛ فيقال فيه:
أما وضع الجزية ودق الصليب ونحو ذلك في زمن وجود عيسى عليه السلام في آخر الزمان؛ ليس هو من المسيح عليه السلام على معنى الإنشاء والنسخ للشريعة المحمدية ابتداء لتشريع آخر من قبله -كما توهمه المعترض- وإنما المقصود: أن مشروعية أخذ الجزية، وتخيير أهل الذمة بين الإيمان وبين أداء الجزية أو القتال: مقيدة بزمن ما قبل نزول عيسى عليه السلام، والتقييد جاء من قبل النبي صلى الله عليه وسلم كما دلت عليه هذه الأحاديث؛ لا من قبل عيسى عليه السلام.
وفي تقرير هذه الحقيقة يقول النووي: «ومعنى وضع عيسى الجزية؛ مع أنها مشروعة في هذه الشريعة: أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسى عليه السلام؛ لما دل عليه هذا الخبر، وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية، بل نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو المبين للنسخ بقوله هذا».
وبهذا تذوب شبهات الباطل عن أحاديث نزول المسيح، كما سيذوب الدجال إذا رأى المسيح عليه السلام! والحمد لله على توفيقه في أوله ومنتهاه.

وموسى وإبراهيم، فأما عيسى؛ فأحمر جعد عريض الصدر)، وروى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني... فذكر الحديث، وفيه: وإذا عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي) أخرجه مسلم، وفي الصحيحين عن عبد اله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلًا آدم كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم، قد رجلها، فهي تقطر ماء، متكئًا على رجلين أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ فقيل: هذا المسيح بن مريم)، وفي رواية للبخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (لا والله؛ ما قال النبي ﷺ لعيسى أحمر، ولكن قال: فذكر تمام الحديث بنحو الرواية السابقة)، وفي رواية لمسلم عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال ﷺ: "فإذا رجل آدم... إلى أن قال: رجل الشعر).

والجمع بين هذه الروايات من كونه في بعضها أحمر، وبعضها آدم، وما جاء أنه سبط الشعر، وفي بعضها بأنه جعد بأنه لا منافاة بين الحمرة والأدمة؛ لجواز أن تكون أدمته صافية، وأما ما جاء من إنكار ابن عمر لرواية أن عيسى أحمر؛ فهو مخالف لما حفظه غيره، فقد روى أبو هريرة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أحمر اللون، وأما كونه في رواية سبط الشعر، وفي أخرى أنه جعد، والجعد ضد السبط، فيمكن أن يجمع بينهما بأنه سبط الشعر، وأما وصفه بأنه جعد؛ فالمراد بذلك جعودة في جسمه لا شعره، وهو اجتماع اللحم واكتنازه.

* **صفة نزوله** عَلَيْهِ السَّلَامُ **:**

بعد خروج الدَّجَّال، وإفساده في الأرض، يبعث الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام، وعليه مهرودتان، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان

كاللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، ويكون نزوله على الطائفة المنصورة، التي تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدَّجَّال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يصلي خلف أمير تلك الطائفة، قال ابن كثير في النهاية (١/ ١٤٤): "هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ... وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقية، وهذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة، فيقول له إمام المسلمين: يا روح الله! تقدم. فيقول: تقدم أنت؛ فإنه أقيمت لك. وفي رواية: (بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة) أخرجه مسلم، وذكر ابن كثير أيضا أنه في زمنه سنة إحدى وأربعين وسبع مئة جدَّد المسلمون منارة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قيض الله بناء هذه المنارة من أموال النصارى، لينزل عيسى بن مريم عليها، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية، ولكن من أسلم وإلا قتل، وكذلك غيرهم من الكفار.اهـ.

ففي حديث النواس بن سمعان الطويل عند مسلم في ذكر خروج الدَّجَّال ثم نزول عيسى عليه السلام قال ﷺ: (إذا بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه - أي: يطلب الدَّجَّال - حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة).

* **أدلة نزوله عليه السلام:**

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات السَّاعة الكبرى.

أدلة نزوله من القرآن الكريم

١- قال الله تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} إلى قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف: ٥٧- ٦١]. فهذه الآيات جاءت في الكلام على عيسى عليه السلام، وجاء في آخرها قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف: ٦١]؛ أي: نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب السَّاعة، ويدلُّ على ذلك القراءة الأخرى: {وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ}؛ بفتح العين واللام؛ "أي: علامة وأمارة على قيام السَّاعة، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس ومجاهد والأعمش ولكن لم يقرأ بها أحد من العشرة فهي شاذة، وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ}؛ قال: (هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة)

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٢٢): "الصحيح أنه - أي: الضمير - عائد على عيسى؛ فإن السياق في ذكره.. واستبعد أن يكون معنى الآية: ما بعث به عيسى عليه السلام من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من ذوي الأسقام.. وأبعد من ذلك ما روي عن بعض العلماء أن الضمير في {وَإِنَّهُ} عائد على القرآن الكريم.

٢- وقال تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُم} إلى قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)}[النساء: ١٥٧- ١٥٩].

فهذه الآيات؛ كما أنها تدلُّ على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء؛ كما في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}[آل عمران: ٥٥]. فإنها تدلُّ على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخر الزمان، وذلك عند نزوله وقبل موته؛ كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٢- ٣٢٣) في جوابه لسؤال وجه إليه عن وفاة عيسى ورفعه: "الحمد لله، عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حي، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا وإمامًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضعه الجزية، وثبت في الصحيح عنه أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يقتل الدَّجَّال، ومن فارقت روحه جسده؛ لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي؛ فإنه يقوم من قبره، وأما قوله تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا}[آل عمران: ٥٥]؛ فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت، إذ لو أراد بذلك الموت؛ لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم، ويعرج بها إلى السماء، فعلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله: {وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا}، ولو كان قد فارقت روحه جسده؛ لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء، أو غيره من الأنبياء، وقد قال تعالى في الآية الأخرى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ}[النساء: ١٥٧-١٥٨]، فقوله هنا: (بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ(يبين أنه رفع بدنه وروحه؛ كما ثبت في الصحيح أنه ينزل ببدنه وروحه، إذ لو أريد موته؛ لقال: وما قتلوه وما صلبوه، بل مات... ولهذا قال من قال من العلماء: إني متوفيك؛ أي: قابضك؛ أي: قابض روحك وبدنك؛ يقال: توفيت

الحساب واستوفيته، ولفظ (التوفي) لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن، ولا توفيهما جميعًا؛ إلا بقرينة منفصلة، وقد يراد به توفي النوم؛ كقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا}[الزمر: ٤٢]، وقوله: {هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} [الأنعام: ٦٠]، وقوله: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} [الأنعام: ٦١].اهـ.

وليس الكلام في هذا البحث عن رفع عيسى عليه السلام، وإنما جاء ذكر ذلك لبيان أنه رفع ببدنه وروحه، وأنه حي الآن في السماء، وسينزل في آخر الزمان، ويؤمن به من كان موجودًا من أهل الكتاب؛ كما قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} [النساء: ١٥٩].

قال ابن جرير في تفسيره (٦/ ١٨): "حدثنا ابن بشار؛ قال: حدثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}؛ قال: قبل موت عيسى بن مريم".

ثم قال ابن جرير بعد سياقه للأقوال في معنى هذه الآية: "وأولى الأقوال بالصحة قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى"

وروى بسنده عن الحسن البصري أنه قال: "قبل موت عيسى، والله إنه الآن حي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون".

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤١٥): "ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفع إليه، وإنه باقٍ حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة؛ كما دلَّت على ذلك الأحاديث المتواترة" وذكر في

النهاية (١/ ١٣٧) أنه روي عن ابن عباس وغيره أنه أعاد الضمير في قوله: {قَبْلَ مَوْتِهِ} على أهل الكتاب، وقال: "إن ذلك لو صح لما كان منافيًا لهذا، ولكن الصحيح في المعنى والإسناد ما ذكرناه".

ب- أدلة نزوله من السنة المطهرة: الأدلَّة من السنة على نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كثيرة ومتواترة، سبق ذكر بعضها، ولم نذكر جميع الأحاديث الواردة في نزوله؛ خشية أن يطول البحث، وقد جاءت هذه الأحاديث في الصحاح والسنن والمسانيد وغيره من دواوين السنة، وهي تدلُّ دلالة صريحة على ثبوت نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان، ولا حجة لمن ردها، أو قال: إنها أحاديث آحاد لا تقوم بها الحجة، أو إن نزوله ليس عقيدة من عقائد المسلمين التي يجب عليهم أن يؤمنوا بها؛ لأنه إذا ثبت الحديث؛ وجب الإيمان به، وتصديق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، ولا يجوز لنا رد قوله.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٢٩١) - بعد ذكره الخلاف في معنى وفاة عيسى-: "وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: "معنى ذلك: إني قابضك من الأرض، ورافعك إلى"؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدَّجَّال.اهـ.

وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٢٣): "تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا وحكمًا مقسطًا".اهـ.

وقال صديق حسن في الإذاعة (ص١٦٠): "الأحاديث في نزوله عَلَيْهِ السَّلَامُ كثيرة، ذكر الشوكاني منها تسعة وعشرين حديثًا؛ ما بين صحيح، وحسن، وضعيف منجبر، منها ما هو مذكور في أحاديث الدَّجَّال... ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظر، وتنضم إلى ذلك أيضًا الآثار الواردة عن الصحابة، فلها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك" ثم ساقها وقال: "جميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له

فضل اطلاع".اهـ.

وممن جمع الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام الشيخ محمد أنور شاه الكشميري في كتابه "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، فذكر أكثر من سبعين حديثًا.

وقال صاحب عون المعبود (١١/ ٤٥٧): "تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب السَّاعة، وهذا هو مذهب أهل السنة".اهـ.

وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٦/ ٤٦٠): "نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون؛ لورود الأخبار الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، لا يؤمن من أنكره".اهـ.

وقال في تعليقه على مسند الإمام أحمد (١٢/ ٢٥٧): "وقد لعب المجددون أو المجردون في عصرنا الذي نحيا فيه بهذه الأحاديث الدالَّة صراحة على نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، قبل انقضاء الحياة الدُّنيا، بالتأويل المنطوي على الإنكار تارة، وبالإنكار الصريح أخرى! ذلك أنهم - في حقيقة أمرهم - لا يؤمنون بالغيب، أو لا يكادون يؤمنون، وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها، يعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة، فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل".اهـ.

وقال العلامة الألباني في تحقيق شرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٠١): اعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها، ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسف حقًا أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم، لا سيما والأمر دين وعقيدة! وإن من هؤلاء أخيرًا المدعو عز الدين بليق في كتابه "موازين

القرآن والسنة" الذي زعم فيه تقليدًا لغيره ممن لا معرفة عنده بهذا العلم - أن روايات نزول عيسى بعد الدجال إنما هي من رواية وهب بن منبة وكعب الأحبار وهذا اختلاق محض، فلا وجود لهما في شيء منها مطلقًا، وقد كنت قديمًا خرجت نحو أربعين حديثًا ليس لهما فيها ذكر!.اهـ.

ونزول عيسى عليه السلام ذكره طائفة من العلماء في عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنه ينزل لقتل الدَّجَّال قبحه الله.

*** الحكمة في نزول عيسى عليه السلام دون غيره:**

تلمس بعض العلماء الحكمة في نزول عيسى عليه السلام، في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء، ولهم في ذلك عدة أقوال:

١ - الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، فبين الله تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيهم الدَّجَّال، كما سبق بيان ذلك في الكلام على قتال اليهود، ورجح الحافظ ابن حجر هذا القول على غيره في الفتح (٦/ ٤٩٣).

٢ - إن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد كما في قوله تعالى: {وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} [الفتح: ٢٩]، فدعا الله أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام، قال الإمام مالك كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٣): "بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا". وقال ابن كثير: "وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة والأخبار المتداولة".اهـ.

وقد ترجم الإمام الذهبي لعيسى عليه السلام في كتابه تجريد أسماء الصحابة (١/ ٤٣٢) فقال: "عيسى ابن مريم عليه السلام: صحابي، ونبي؛ فإنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، وسلم عليه، فهو آخر الصحابة موتًا".اهـ.

٣- إن نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء؛ لدنو أجله، ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها، فيوافق نزوله خروج الدَّجَّال، فيقتله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤- إنه ينزل مكذبًا للنصارى، فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل، ويهلك الله الملل كلها في زمنه إلا الإسلام؛ فإنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

٥- إن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبي ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، ليس بيني وبينه نبي) أخرجه البخاري ومسلم.

فرسول الله ﷺ أخص الناس به، وأقربهم إليه؛ فإن عيسى بشر بأن رسول الله ﷺ يأتي من بعده، ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به؛ كما في قوله تعالى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: ٦]. وفي الحديث: قالوا: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك؟ قال: (نعم؛ أنا دعوة أبي أبراهيم وبشرى أخي عيسى"). وهو مخرج في الصحيحة (١٥٤٥، ١٥٤٦).

*** بماذا يحكم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟:**

يحكم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالشريعة المحمدية، ويكون من أتباع محمد ﷺ؛ فإنه لا ينزل بشرع جديد؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان، وباقٍ إلى قيام السَّاعة، لا ينسخ، فيكون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حاكمًا من حكام هذه الأمة، ومجددًا لأمر الإسلام، إذ لا نبي بعد محمد ﷺ، روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم؟! فقلت (القائل الوليد بن مسلم) لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة: "وإمامكم منكم". قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني؟ قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ)، وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن

مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صل بنا. فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة") أخرجه مسلم.

قال القرطبي في التذكرة (ص٦٧٧-٦٧٨): "ذهب قوم إلى أنه بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف؛ لئلا يكون رسولًا إلى أهل ذلك الزمان؛ يأمرهم عن الله تعالى، وهذا (يعني: كونه رسولًا بعد محمد) أمر مردود بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله عليه الصلاة والسلام: "لا نبي بعدي"، وقوله: "وأنا العاقب؛ يريد آخر الأنبياء وخاتمهم. وإذا كان ذلك؛ فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبيًا بشريعة متجددة غير شريعة محمد نبينا ﷺ، بل إذا نزل؛ فإنه يكون يومئذٍ من أتباع محمد ﷺ؛ كما أخبر ﷺ، حيث قال لعمر: "لو كان موسى حيًا؛ ما وسعه إلا اتباعي"، فينزل وقد علم بأمر الله تعالى له في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس، والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه، ويحكمونه على أنفسهم... ولأن تعطيل الحكم غير جائز، وأيضًا؛ فإن بقاء الدُّنيا إنما يكون **بمقتضى** التكليف إلى أن لا يقال في الأرض: الله، الله".اهـ.

والذي يدلُّ على بقاء التكليف بعد نزول عيسى عليه السلام صلاته مع المسلمين، وحجه، وجهاده للكفار، فأما صلاته؛ فقد سبق في الأحاديث ذكر ذلك، وكذلك قتاله للكفار وأتباع الدَّجَّال، وأما حجه؛ ففي صحيح مسلم عن حنظلة الأسلمي؛ قال: سمعت أبي هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ؛ قال: (والذي نفسي بيده؛ ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا، أو ليثنينهما") أي: يجمع بين الحج والعمرة.

وأما وضع عيسى للجزية عن الكفار - مع أنها مشروعة في الإسلام قبل نزوله عليه السلام -؛ فليس هذا ناسخًا لحكم الجزية جاء به عيسى شرعًا جديدًا؛ فإن مشروعية أخذ الجزية مقيد بنزول عيسى عليه السلام بأخبار نبينا محمد ﷺ، فهو المبين للنسخ بقوله

لنا: (والله لينزلن ابن مريم حكمًا عدلًا، فليسكرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية") أخرجه مسلم.

*** انتشار الأمن وظهور البركات في عهده عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

وزمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ زمن أمن وسلام ورخاء، يرسل الله فيه المطر الغزير، وتخرج الأرض ثمرتها وبركتها، ويفيض المال، وتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد، فقد جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل عند مسلم في ذكر الدَّجَّال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعائه عليهم وهلاكهم، وفيه قوله ﷺ: (ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس)، وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (والأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل... فيهلك الله في زمانه المسيح الدَّجَّال، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم)، وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والله لينزلن عيسى بن مريم حكمًا وعادلًا.. وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال؛ فلا يقبله أحد) قال النووي في شرح مسلم (٢/ ١٩٢): "ومعناه أن يزهد الناس فيها- أي: الإبل - ولا يرغب في اقتنائها؛ لكثرة الأموال، وقلة الآمال، وعدم الحاجة، والعلم بقرب القيامة، وإنما ذكرت القلاص؛ لكونها أشرف الإبل،

التي هي أنفس الأموال عند العرب، وهو شبيه بمعنى قول الله ﷻ: {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ} [التكوير: ٤]، ومعنى: "لا يسعى عليها": لا يعتنى بها". وذهب القاضي عياض إلى أن المعنى: أي: لا تطلب زكاتها إذ لا يوجد من يقبلها، وأنكر هذا القول النووي.

*** مدة بقائه بعد نزوله ثم وفاته :**

وأما مدة بقاء عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله؛ فقد جاء في بعض الروايات أنه يمكث سبع سنين، وفي بعضها أربعين سنة، ففي رواية الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (فيبعث الله عيسى بن مريم... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذر ة من خير أو إيمان إلا قبضته)، وفي رواية الإمام أحمد وأبي داود: (فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون) وكلا هاتين الروايتين صحيحة، وهذا مشكل؛ إلا أن تحمل رواية السبع سنين على مدَّة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافًا إلى مُكثِهِ في الأرض قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور. والله أعلم.

(باب خروج يأجوج ومأجوج)

من المعلوم أن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى، والتي أخبر عنها النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: "اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات- وذكر من جملة العشر- يأجوج ومأجوج"

وقد بيَّن الله - سبحانه وتعالى - أن خروج يأجوج ومأجوج علامة على قيام الساعة، فقال تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يأجوج وَمأجوج وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ {٩٦} وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا... } [الأنبياء:٩٦ - ٩٧].

* أصلهم: قبل الحديث عن خروج يأجوج ومأجوج أرى من المناسب أن نتعرف على أصلهم، وماذا يعني لفظ (يأجوج) و(مأجوج)؟

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان، وقيل: عربيان، وعلى هذا يكون اشتقاقهما من أجَّت النار أجيجًا: إذا التهبت أو من الأجاج: وهو الماء الشديد الملوحة المحرق من ملوحته. وقيل عن الأج: وهو سرعة العدو. وقيل: مأجوج من ماج؛ إذا اضطرب. وهما على وزن يفعول في (يأجوج)، ومفعول في (مأجوج)، أو على وزن فاعول فيهما، هذا إذا كان الاسمان عربيين، أما إذا كانا أعجميين؛ فليس لهما اشتقاق؛ لأن الأعجميَّة لا تُشتَقُّ من العربية، وقرأ الجمهور "ياجوج" وماجوج"؛ بدون همز، فتكون الألفان زائدتين، وأصلهما (يجج)، و(مجج)، وأما قراءة عاصم؛ فهي الهمزة الساكنة فيهما، وكل ما ذُكِرَ في اشتقاقهما مناسب لحالهم، ويؤيد الاشتقاق من (ماج) بمعنى اضطرب قوله تعالى: {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ} [الكهف: ٩٩]، وذلك عند خروجهم من السد.

وأصل يأجوج ومأجوج من البشر، من ذرية آدم وحواء عليهما السلام، وقد قال بعض العلماء: إنهم من ذرِّية آدم لا من حواء، وذلك أن آدم احتلم، فاختلط منيُّه بالتراب، فخلق الله من ذلك يأجوج ومأجوج، وهذا مما لا دليل عليه، ولم يرد عمَّن يجب قبول قوله، والذي يدلُّ على أنهم من ذرِّيَّة آدم عليه السلام ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله تعالى يا آدم! فيقول لبيلك

وسعديك، والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار قال وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير، وتضع كلُّ ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد قالوا: وأيُّنا ذلك الواحد؟ قال أبشروا؛ فإن منكم رجلًا ومن يأجوج ومأجوج ألف).

أدِلّة خروج يأجوج ومأجوج: خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان علامة من علامات السَّاعة الكبرى، وقد دل على ظهورهم الكتاب والسنة

الأدلَّة من القرآن الكريم:

١- قال الله تعال {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

٢- وقال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين: {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنَنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)} [الكهف: ٩٢- ٩٩]. فهذه الآيات تدلُّ على أن الله تعالى سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد

العظيم؛ ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت السَّاعة؛ اندك هذا السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير، لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجوا في الناس، وعاثوا في الأرض فسادًا، وهذا علامة قرب النفخ في الصور، وخراب الدُّنيا، وقيام السَّاعة؛ كما سيأتي بيان ذلك في الأحاديث الثابتة.

*** الأدلَّة من السنة المطهرة.**

الأحاديث الدالَّة على ظهور يأجوج ومأجوج كثيرة، تبلغ حد التواتر المعنوي، سبق ذكر بعض منها، وسأذكر هنا طرفًا من هذه الأحاديث: فمنها ما ثبت في الصحيحين عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسل مدخل عليها يومًا فزعًا يقول: (لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتِح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها)". قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم؛ إذا كَثُرَ الخَبَثُ)، ومنها ما جاء في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: "إذا أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجتُ عبادًا لي لا يَدان لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أولئك على بحيرة طبريَّة، فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصَرُ نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مئة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغَف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدةٍ، ثم يُهبَطُ بنبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمُهم ونَتَنُهم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم، فتطرحهم حيث

شاء الله) رواه مسلم، وزاد في رواية - بعد قوله: (لقد كان بهذه مرة ماء"-: "ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابه إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا)، ومنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: (فذكر الحديث، وفيه): (ويخرجون على الناس، فيستقون المياه، ويفر الناس منهم، فيرمون سهامهم في السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وغلبنا من في السماء قوة وعلوًا قال: "فيبعث الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم نَغَفًا في أقفائهم" قال: "فيهلكهم، والذي نفس محمد بيده؛ إن دوابَّ الأرض لتسمن، وتبطر، وتشكر شكرًا، وتسكر سكرًا من لحومهم).

قال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ في لمعة الاعتقاد (ص٣٠): "ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وما جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه مثل حديث الإسراء والمعراج... إلى أن قال: ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقتله وخروج يأجوج ومأجوج... ".

وقال القاضي عياض في إكمال المعلم (٦ / ١١٥، ١١٦): "الأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج: هذه الأخبار على حقيقتها يجب الإيمان بها؛ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة، وقد ورد في خبرهم أنه لا قدرة لأحد على قتالهم من كثرتهم، وأنهم يحصرون نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه من المؤمنين الذين نجوا من الدجال، فيدعو عليهم فيهلكهم الله عَزَّ وَجَلَّ أجمعين بالنغف - وهو دود في رقابهم - فيؤذون الأرض والمؤمنين بنتنهم، فيدعو عيسى وأصحابه ربهم فيرسل الله طيرا فتحملهم حيث شاء الله ".

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ في لوامع الأنوار (٢ / ١١٦): "إن خروجهم من وراء السد على الناس حق ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر، ولم يحله عقل فوجب اعتقاده ".

*** سدُّ يأجوج ومأجوج:**

بنى ذو القرنين سد يأجوج ومأجوج ليحجز بينهم وبين جيرانهم الذين استغاثوا به منهم، أما مكانه: ففي جهة المشرق لقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ} [الكهف: ٩٠] وقد ذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (٣ / ٩٩) قصة عن السد ومحاولة بعض الملوك الوصول إليه فقال: وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض أمرائه وجهز معه جيشا سرية لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا، فوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس، وذكروا أنهم رأوا فيه بابا عظيما وعليه أقفال عظيمة، ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك، وأن عنده حراسا من الملوك المتاخمة له وأنه عال منيف شاهق، لا يستطاع ولا ما حوله من الجبال، ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالا وعجائب.

ولم يذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ سندا لهذه القصة، ولم يتكلم عليها بشيء. والذي تدل عليه الآيات السابقة أن هذا السد بني بين جبلين لقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ} [الكهف: ٩٣] والسدان: هما جبلان متقابلان، ثم قال: {حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ} [الكهف: ٩٦] أي حاذى به رؤوس الجبلين وذلك بزبر الحديد ثم أفرغ عليه نحاسا مذابا فكان سدّا محكما.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال رجل للنبي ﷺ: رأيت السد من البرد المحبر. قال: "قد رأيته».

وعلى العموم البحث في تحديد مكان السد لا يهم كثيرا؛ ولا يحصل بعدم معرفته خلل في الاعتقاد؛ لأن المقصود بيان أن ما أخبرنا الله تعالى به، وما جاء في الأحاديث الصحيحة من أن سد يأجوج ومأجوج موجود إلى أن يأتي الوقت المحدد لدك هذا السد وخروج يأجوج ومأجوج، وذلك عند دنو الساعة بهما في قوله ﷻ: {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا - وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا} [الكهف: ٩٨ - ٩٩] كل ذلك: حقيقة يجب التصديق به.

والذي يدل على أن السد موجود ولم يندك، حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في السد قال: «يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدا، قال: فيعيده الله ﷻ كأشد ما كان حتى إذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدا إن شاء الله تعالى واستثنى، قال: فيرجعون وهو كهيئته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس، فيستقون المياه ويفر الناس منهم».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١٣/ ١٩٠): قال ابن العربي - رحمه الله: "في هذا الحديث ثلاث آيات: الأولى: أن الله منحهم أن يوالوا الحفر ليلا ونهارا، والثانية: منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بسلم أو آلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه، الثالثة: أنه صدهم عن أن يقولوا: إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدد". فخروجهم الذي هو من أشراط الساعة الكبرى في آخر الزمان لم يقع؛ لأن الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ تدل على أن خروجهم بعد نزول عيسى عليه السلام، وهو الذي يدعو الله ﷻ بأن يهلكهم فيهلكون ويسلم الناس من شرهم.

فيجب على كل مسلم الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة عن السد ويأجوج

ومأجوج، ولا عبرة بمن أنكر وجود يأجوج ومأجوج ووجود السد الذي بناه ذو القرنين بينهم وبين الناس بحجة ظهور دول الكفر المتقدمة في الصناعة، وأن هؤلاء استطاعوا أن يكتشفوا كل ما في الأرض ولم يتركوا منها شيئا إلا أتوا عليه، ولكنهم لم يعثروا على يأجوج ومأجوج، ولم يروا سد ذي القرنين، ولا شك أن هذا قول فاسد؛ لأنه تكذيب صريح لما جاء في كتاب الله ﷻ، ولما أخبر به رسولنا ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ومن كذب بشيء جاء في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ فقد كفر، كما قال تعالى: {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ} [العنكبوت: ٤٧].

وأما دعواهم أن الأرض اكتشفت كلها ولم يجدوا فيها يأجوج ومأجوج والسد، فهي دعوى باطلة تدل على عجز البشر وقصورهم؛ لأن معرفة جميع بقاع الأرض والإحاطة بما فيهما من المخلوقات لا يقدر عليها إلا الله ﷻ الذي أحاط بكل شيء علما، ولا يلزم من عدم رؤيتهم عدم وجودهم؛ لأنه قد يكون الله ﷻ صرفهم عن رؤية يأجوج ومأجوج ورؤية السد، أو جعل بينهم وبين الناس أشياء تمنع من الوصول إليهم كما حصل لبني إسرائيل حين ضرب الله عليهم التيه في فراسخ قليلة من الأرض، فلم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمد التيه، والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، جعل لكل شيء أجلا ووقتا، قال تعالى: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ - لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الأنعام: ٦٦ - ٦٧]. وما عجز الأوائل عن اكتشاف ما اكتشفه المتأخرون إلا لأن الله ﷻ جعل لكل شيء أجلا.

(تنبيه): حكى الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في "شرح مسلم" عن بعض الناس (كعب): "أن يأجوج ومأجوج قد خلقوا من مني خرج من آدم، فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك، ومعنى هذا أنهم مخلوقون من آدم فقط وليسوا من حواء، وقد رد ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ

في "تفسيره" (٣/ ١٠٤) هذا القول وأنكره قائلًا: "وهذا قول غريب جدًا، ثم لا دليل عليه من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد ها هنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب؛ لما عندهم من الأحاديث المفتعلة. وانظر كذلك فتح الباري (٦/ ٣٨٦) وعلى التسليم بصحة هذا الكلام، فأين كانوا حين الطوفان؟!

فالراجح: أنهم من نسل آدم وحواء، وأنهم أولاد يافث بن نوح

(تنبيه ثاني): ورد في بعض الأخبار أن أجساد يأجوج ومأجوج طويلة كشجرة الأَرْز- بفتح الهمزة وسكون الراء- أو أنهم يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى، أو أنهم أربعة أذرع في أربعة أذرع، أو أنهم شبرًا شبرًا، وشبرين شبرين، وأطولهم ثلاثة أشبار، وكل هذه الأخبار ذكرها الحاكم، وابن أبي حاتم، وهي لا تصح.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "النهاية في الفتن والملاحم": "ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق، ومنهم القصير، ومنهم مَن له أذنان، يتغطى بإحداهما، ويتوطأ بالأخرى، فقد تكلَّف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه. اهـ

وما ورد من الصحيح فيه غنى عن الضعيف والموضوع.

*** كثرة عددهم.**

وعددهم كثير، ولا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، ومما يدل على كثرة عددهم ما أخرجه الطبراني في "الكبير والأوسط" من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: "إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا"

وهذا الحديث ضعَّفه أهل العلم، حيث قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "النهاية" (١/ ١٠٢): "الله أعلم بصحته... وهذا حديث غريب، وقد حكم عليه الألباني بالنكارة كما في "السلسلة الضعيفة" (١٥٩/ ٩)، وإن كان الحديث منكر لا يصح إلا أن هناك

أدلة أخرى تدل على كثرة عددهم منها:-

ما أخرجه الإمام مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه وفيه: "إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم - عليهما السلام - إني قد أخرجت عبادا لي، لا يُدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء". ثم قال النبي أيضًا في ذات الحديث بعدما يقتلهم الله تعالى: "فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهَمُهم ونَتْنهم... "... الحديث

ومما يدل أيضًا على كثرة عددهم أن المسلمين سيوقدون من أسلحتهم بعد هلاكهم سبع سنين

فقد أخرج الترمذي من حديث النواس أن الحبيب النبي ﷺ قال: "سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ونشابهم وأسلحتهم وأترستهم سبع سنين" (السلسلة الصحيحة:٤/ ٥٧٩، ورقمه:١٩٤٠)، (صحيح الجامع:٣٦٧٣).

* **فساد يأجوج ومأجوج في الأرض وقصة بناء السد.**

ذكر الله عز وجل قصة الملك الصالح ذي القرنين، حيث قال عنه: {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا} [الكهف:٨٩]، أي أنه سلك طريقًا بين المشرق والمغرب، يوصله جهة الشمال حيث الجبال الشاهقة، {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ}، وهما جبلان بينهما ثغرة، {وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا} [الكهف:٩٣].

وجد عندهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا؛ وذلك لاستعجام كلامهم وبُعدهم عن الناس، واشتكوا إليه الضرر الذي يلحق بهم من يأجوج ومأجوج؛ حيث يخرجون من بين الجبلين على بلاد الترك، فيعيثون فيها فسادًا ويهلكون الحرث والنسل، ثم طلبوا من ذي القرنين أن يقيم بينهم سدًا يمنع فسادهم؛ فاستجاب

لطلبهم، وطلب منهم أن يساعدوه في بناء هذا السد، وطلب منهم أن يأتوه بقطع من الحديد ففعلوا، فصف هذه القطع بين جانبي الجبلين ثم قال لهم: {انفُخُوا} أي: انفخوا بالمنافيخ عليه، حتى إذا كان هذا الحديد كالنار لشدة الإحماء، قال: أعطوني أصب عليه النحاس المذاب، فالتصق بعضه ببعض وصار جبلًا صلدًا، لا يستطيع المفسدون من يأجوج ومأجوج أن يعلوه ويتسوَّرُوه لِعُلُوِّه، ولا يستطيعون أن ينقبوه ويخرقوه من أسفله وذلك لصلابته وشدته، وبهذا السد المنيع حبس يأجوج ومأجوج؛ وأمن الناس من شرهم وفسادهم، وهم الآن محبوسون حتى يأذن الله بخروجهم آخر الزمان عند نزول **عيسى** عليه السلام، وقصة يأجوج ومأجوج ذكرها رب العالمين في كتابه الكريم في سورة الكهف؛ فقال تعالى عن ذي القرنين: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا {٩٣} قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يأجوج وَمأجوج مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا {٩٤} قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا {٩٥} آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا {٩٦} فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا {٩٧} قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا {٩٨} وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا} [الكهف: ٩٣ - ٩٩]

* **رأى أحد الصحابة هذا السد**...

فقد ذكر البخاري معلقًا بصيغة الجزم: "قال رجل للنبي ﷺ :رأيت السد مثل البرد المحبر فقال ﷺ - مصدقًا له صحة الصفة-: رأيْتَه".

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله كما في "فتح الباري" (١٠/ ١٢٩): الحديث وصله

ابن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ: "يا رسول الله! قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، فقال ﷺ: كيف رأيته؟ قال: مثل البرد المحبر طريقة حمراء وطريقة سوداء، فقال ﷺ مقرًا له: قد رأيته"

* **كيفية خروجهم**.

قام ذو القرنين ببناء هذا السد، ومنع يأجوج ومأجوج من الوصول إلى الناس، إلا أن يأجوج ومأجوج منذ اللحظة الأولى من بناء السد إلى يومنا هذا، لا يألون جهدًا في خرقه ومحاولة هدمه، وقد أفلحوا في إحداث خرق فيه، وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ

فقد أخرج البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: "أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فَزِعًا يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه: الإبهام والتي تليها".

وفي رواية عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد بيده تسعين" وذلك بأن جعل طرف سبابته اليمنى في أصل الإبهام، وضمها محكمًا، بحيث انطوت عقدة إبهامها حتى صارت كالحيَّة المطرقة.

لكن في كل مرة يحدثون فيها خرقًا، يعيده الله في اليوم التالي كما كان، حتى إذا جاء الموعد المحدد لخروجهم، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا إن شاء الله، فيجدونه من الغد كما هو ويواصلون الهدم حتى يندك السد، ويخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير، فماجوا في الناس، وعاثوا في الأرض فسادًا، قال تعالى: {فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء}، أي جعل الله هذا السد مستويًا بالأرض وعاد متهدمًا كأن لم يكن الأمس، {وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف: ٩٨]، أي كان وعده

تعالى بخراب السد وقيام الساعة كائنًا لا محالة.... (أيسر التفاسير:٢/ ٢٠٦)

ويصف النبي ﷺ هذا المشهد بدقة.

ففي "السنن" للترمذي وابن ماجه، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

"إن يأجوج ومأجوج يحفرون السَّدَّ كل يوم، حتى إذا كادوا يرونَ شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحْفرونه غدًا، فيعيدُهُ الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مُدَّتَهُمْ، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحْفرونه غداً إن شاء الله، واستثنوا، فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصنُ الناسُ منهم في حصونهم" (صحيح الجامع:٢٢٧٦)

(فائدة): كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف: ٩٧]، وبين قول النبي ﷺ الثابت في "صحيح البخاري": "فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلف بإصبعيه الإبهام والتي تليها" ففي الآية أنهم لا يستطيعون أن يحدثوا في السد نقبًا، وفي الحديث أنهم فعلوا ذلك، فكيف الجمع؟

يجيب عن هذا الحافظ ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" (٢/ ١٠٢) فيقول: والجواب: إما على قول من ذهب إلى هذا: إشارة إلى فتح أبواب الشرِّ والفتن، وأن هذا استعارة محضة، وضرب مثل، فلا إشكال.

- وأما على قول من جعل ذلك إخبارًا عن أمر محسوس، كما هو الظاهر المتبادر فلا إشكال؛ لأن قوله تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} أي في ذلك الزمان؛ لأن هذه الصيغة خبر ماضٍ فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل بإذن الله

لهم في ذلك قدرًا وتسليطهم عليه بالتدرج قليلًا قليلًا؛ حتى يتم الأجل وينقضي الأمر المقدور؛ فيخرجون، كما قال تعالى: {وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ} [الأنباء:٩٦]

- أو قد يقال أنهم أحدثوا في السد نقبًا ولكنه ليس نافذًا جمع بين الآية والحديث. والله أعلم. اهـ بتصرف واختصار

* **كيفية هلاكهم.**

عند خروج يأجوج ومأجوج من السد فأنهم يسعون في الأرض فسادًا، فيشربون المياه، ويأتون على الأخضر واليابس، وينحاز المسلمون إلى مدائنهم وحصونهم، وينحاز عيسى عليه السلام ومن معه بأمر الله إلى جبل الطور، ولما ظن يأجوج ومأجوج أنهم أتوا على أهل الأرض وقضوا عليهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء بغرض القضاء على مَن فيها، فيبتليهم الله عز وجل فيرد عليهم سهامهم مخضوبة بالدماء، فيقولون: قتلنا مَن في الأرض، وقتلنا مَن في السماء، وهنا يأذن الله بهلاكهم، فيسلط عليهم النغف (وهو دود صغير) فيقضي عليهم دفعة واحدة {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلا هُوَ} [المدثر:٣١]

فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس، كما قال الله عز وجل: {وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ} فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى أن بعضهم ليمر بالنهر، فيشربون ما فيه، حتى يتركوه يبسًا، حتى أن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ها هنا ماء مرة، حتى إذا لم يبقَ من الناس أحد إلا في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء، قال: ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليه مخضبة دمًا، للبلاء

والفتنة، فبينما هم على ذلك، إذ بعث الله دودًا في أعناقهم، كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى، لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: إلا رجل يشري نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال: فيتجرد منهم رجل محتسبًا لنفسه، قد وطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين، ألا أبشروا، فإن الله ﷻ قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لهم رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط".... (السلسلة الصحيحة: ٤/ ٣١٣ - ورقمه:١٧٣٥)

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "... فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم الذي اجفظّ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء! فيبعثُ اللهُ عليهم نغفًا في أقفائهم، فيقتلهم بها، قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتَسْمَنُ، وتشكر شُكرًا من لحومهم ودمائهم"... (السلسلة الصحيحة:١٧٧٥)، (صحيح الجامع: ٢٢٧٦)

ويهلكون بدعوة عيسى عليه السلام ومن معه

ففي "مسند الإمام أحمد" وفي "مستدرك الحاكم" عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام- فتذاكروا الساعة، إلى أن قال:" فردوا الحديث إلى عيسى فذكر قتل الدَّجَّال، ثم قال: ثم يرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، لا يمرُّون بماء إلا شربوه، ولا بشيء إلا أفسدوه، فيجأرون إليّ فأدعو الله فيميتهم فتجوى الأرض من ريحهم، فيجأرون إليّ فأدعو الله فيرسل السماء

بالماء فيحملهم فيقذف بأجسامهم في البحر"

وفي رواية عند الترمذي: "فيرغب عيسى إلى الله وأصحابه، قال: فيرسل الله عليهم طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم بالمَهْبِل، ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين"

وفي "صحيح مسلم"عن النواس بن سمعان ﵁ في حديثه الطويل، قال: قال رسول الله ﷺ: "ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه (أي من الدَّجَّال)، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى، إني قد أخرجتُ عبادًا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا، لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة"

وبعد هلاك يأجوج ومأجوج ينتشر الأمن والأمان؛ إذ لا قتال ولا حروب بعد هلاكهم

ودليل ذلك ما أخرجه النسائي والطبراني في "الكبير" عن سلمة بن نفيل ﵁ قال: "بينما أنا جالس عند النبي ﷺ: إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، إن الخيل قد

سُيِّبت، ووضع السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال، وأن قد وضعت الحرب أوزارها، فقال ﷺ: كذبوا؛ الآن جاء القتال، وإنه لا يزال من أُمَّتِي أمة يقاتلون في سبيل الله، لا يضرهم من خالفهم، يزيغ الله قلوب قوم يرزقهم منهم، يقاتلون حتى تقوم الساعة، ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج"... (السلسلة الصحيحة:١٩٣٥).

وعندما تضع الحرب أوزارها ولا يبقى قتال ولا حروب، حيث يتم القضاء على المشركين والكافرين فلا يبقى إلا المؤمنون، فتصفو النفوس، وتخرج الأرض بركاتها، وينعم المسلمون؛ إلا أن يشاء الله فيبعث الله ريحًا فتقبض روح كل مؤمن، وتقوم الساعة على شرار الخلق.

ففي حديث طويل عند مسلم وفيه: "فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا، لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسل، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة؛ فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم؛ ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة".

(باب الخُسوفات الثلاثة)

* معنى الخسف: يقال: خسف المكان يخسف خسوفًا إذا ذهب في الأرض، وغاب فيها، ومنه قوله تعالى: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} [القصص: ٨١].

والخسوفات الثلاثة التي هي من أشراط السَّاعة جاء ذكرها في الأحاديث ضمن العلامات الكبرى.

عن حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (إن السَّاعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات...(فذكر منها): وثلاثة خسوف: خسفُ بالمشرق، وخسفُ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب).

* هل وقعت هذه الخسوفات؟: وهذه الخسوفات الثلاثة لم تقع بعدُ؛ كغيرها من الأشراط الكبرى التي لم يظهر شيءٌ منها، وإن كان بعض العلماء يرى أنها قد وقعت كما ذهب إلى ذلك الشريف البرزنجي في الإشاعة (٤٩)، ولكن الصحيح أنه لم يحدث شيء منها إلى الآن، وإنما وقع بعض الخسوفات في أماكن متفرقة، وفي أزمان متباعدة، وذلك من أشراط السَّاعة الصغرى، أما هذه الخسوفات الثلاثة؛ فتكون عظيمة وعامة لأماكن كثيرة من الأرض في مشارقها ومغاربها وفي جزيرة العرب.

(باب ظهور الدُّخان)

ظهور الدُّخان في آخر الزمان من علامات السَّاعة الكبرى التي دل عليها الكتاب والسنة.

أدلة ظهوره

الأدلَّة من القرآن الكريم

قال الله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١)} [الدخان: ١٠، ١١]. والمعنى: انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين واضحٍ يغشى الناس ويعمُّهم، وعند ذلك يُقال لهم: هذا

عذابٌ أليمٌ؛ تقريعًا لهم وتوبيخًا، أو يقول بعضهم لبعض ذلك.

وفي المراد بهذا الدُّخان؟ وهل وقع؟ أو هو من الآيات المرتقبة؟ قولان للعلماء:

الأول: أن هذا الدُّخان هو ما أصاب قريشًا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له، فأصبحوا يرون في السماء كهيئة الدُّخان، وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتبعة جماعة

من السلف، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (خمس قد مضين: اللزام، والروم، والبطشة، والقمر، والدُّخان) أخرجه البخاري ومسلم، وقوله(اللزام): هو ما جاء في قوله تعالى:﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]؛ أي: يكون عذابًا لازمًا يهلكهم نتيجة تكذيبهم، وهو ما وقع لكفار قريش في بدر من القتل والأسر.

ولما حدَّث رجل من كندة عن الدُّخان، وقال: إنه يجيء دخانُ يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم؛ غضب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: (من علم فليقل، ومن لم يعلم؛ فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم؛ فإن الله قال لنبيه: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ} [ص: ٨٦]، وإن قريشًا أبطؤوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف"، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدُّخان) أخرجه البخاري ومسلم، وهذا القول رجَّحه ابن جرير الطبري، ثم قال: "لأن الله جلَّ ثناؤه توعد بالدُّخان مشركي قريش، وأن قوله لنبيه محمد ﷺ: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان: ١٠] في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم.

الثاني: أن هذا الدُّخان من الآيات المنتظرة، التي لم تجئ بعد، وسيقع قرب قيام السَّاعة، وإلى هذا القول ذهب ابن عباس وبعض الصحابة والتابعين؛ فقد روى ابن

جرير الطبري وابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي مليكة؛ قال: "غدوت على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذات يوم، فقال: (ما نمت الليلة حتى أصبحت. قلتُ: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدُّخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت) قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٣٥): "وهذا إسنادُ صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها... مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدُّخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن؛ قال الله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ}؛ أي: بين واضح يراه كل أحد، على أن ما فسر به ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله: {يَغْشَى النَّاسَ}؛ أي: يتغشَّاهم ويعمُّهم، ولو كان أمرًا خياليًا يخصُّ أهل مكة المشركين؛ لما قيل فيه: {يَغْشَى النَّاسَ}. اهـ.

وأيضًا؛ فإن الأحاديث الصحيحة ذكرت أن الدُّخان من أشراط السَّاعة الكبرى كما سيأتي، وأما ما فسر به ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإن ذلك من كلامه، والمرفوع مقدم على كل موقوف، ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولوا: {رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ} [الدخان: ١٢]، فيكشف عنهم، ثم يعودون، وهذا قرب القيامة، على أن بعض العلماء ذهب إلى الجمع بين هذه الآثار بأنهما دخانات ظهرت إحداهما وبقيت الأخرى، وهي التي ستقع في آخر الزمان، فأما التي ظهرت؛ فهي ما كانت تراه قريشٌ كهيئة الدُّخان، وهذا الدُّخان غير الدُّخان الحقيقي، الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط السَّاعة.

قال القرطبي في التذكرة (ص٦٥٥): "قال مجاهدٌ: كان ابن مسعود يقول: هما دخانات قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد

المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر؛ فثقب مسامعه)، وقال ابن جرير في تفسيره (٢٥/ ١١٤- ١١٥): "وبعد؛ فإنه غير منكر أن يكون أحلَّ بالكفار الذين توعَّدهم بهذا الوعيد ما توعَّدهم، ويكون مُحِلًا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانًا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك؛ لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله ﷺ صحيح".

ب- الأدلَّة من السنة المطهرة. مضى ذكر بعض الأحاديث الدالَّة على ظهور الدُّخان في آخر الزمان.

(باب طُلوعُ الشَّمسِ من مغربِها)

طلوع الشمس من مغربها من علامات السَّاعة الكبرى، وهو ثابت بالكتاب والسنة.

الأدلَّة على وقوع ذلك

الأدلَّة من القرآن الكريم

قال الله تعالى {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: ١٥٨]. فقد دلَّت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض الآيات المذكورة في الآية هو طلوع الشمس من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين.

قال الطبري في تفسيره (٨/ ١٠٣) - بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية-: "وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ذلك حين تطلع الشمس من مغربها.

وقال الشوكاني في تفسيره (٢/ ١٨٢): "فإذا ثبت رفع هذا التفسير النبوي من وجه صحيح لا قادح فيه؛ فهو واجب التقديم، محتم الأخذ به.

الأدلَّة من السنة المطهرة

الأحاديث الدَّالة على طلوع الشمس من مغربها كثيرة، وإليك جملة منها: ما روى الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس؛ آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا)، وروى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم السَّاعة حتى تقتتل فئتان...(فذكر الحديث، وفيه): وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت؛ آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا)، وروى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال (بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها)، وقد تقدم حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم في ذكر أشراط السَّاعة الكبرى، فذكر منها: (طلوع الشمس من مغربها)، وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعتُ رسول الله ﷺيقول: (إن أول الآيات خروجًا طلوعُ الشمس من مغربها)،

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال يومًا: (أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟". قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرِّها تحت العرش، فتخرُّ ساجدةً؛ فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخرُّ ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا، حتى

تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي، أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها". فقال رسول الله ﷺ: "أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا) أخرجه مسلم، وحديث أبي ذر هذا قد أنكره بعضهم بلا حجة ولا برهان، فهذا السجود للشمس لا ندري كيفيته ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى الذي يسجد له كل من في السماوات والأرض كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: ١٨].

وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ - وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ - يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [النحل: ٤٨ - ٥٠].

قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٧٢): "يخبر تعالى عن عظمته وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الأشياء بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، أي: بكرة وعشيا، فإنه ساجد بظله لله تعالى ".

وقد تكلم العلماء - رحمهم الله تعالى - عن حديث سجود الشمس تحت العرش وردوا على من أول ذلك، وبينوا أن سجودها تحت العرش سجود حقيقي.

قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللهُ كما في في شرح السنة للبغوي (١٥ / ٩٥) في قول رسول الله ﷺ: «مستقرها تحت العرش» قال: "لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت

العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده وإنما أخبرنا عن غيب فلا نكذب به ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به... ثم قال عن سجودها تحت العرش: وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها والتصرف لما سخرت له، وأما قوله ﷻ: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف: ٨٦]، فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب ومصيرها تحت العرش للسجود، وإنما هو بعد الغروب ".

وقال القاضي عياض في إكمال المعلم (٣/ ٧٠٠) عقب شرحه للحديث السابق: "وهو على ظاهره عند أهل الفقه والحديث والمتكلمين من أهل السنة خلافا لمن تأوله من المبتدعة والباطنية، وهو أحد أشراط الساعة العظام المنتظرة ".

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في المنهاج (٢/ ١٩٧): "وأما سجود الشمس فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى ".

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (٣/ ٥٧١): يسجد لعظمته تعالى كل شيء طوعا وكرها، وسجود كل شيء مما يختص به.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح (٨/ ٤٠٣): وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري - والله أعلم[1].

---

(١) (تنبيه): حاصل ما أورده الطاعنون في الحديث أنه مناقض للضرورة الحسية، ولما بلغه العلم الحديث من جهات:

الجهة الأولى: أن الشمس لها مسار تسير فيه، فلا تغرب عن مكان إلا وتشرق على آخر، فليست تغيب عن الأرض كما جاء في الحديث.

الجهة الثانية: أن الشمس لا عقل لها ولا إدراك، وعلى هذا فكيف تسجد سجود العاقل الواعي؟!

=

الجهة الثالثة: أن من البدهيات العلمية استقرار الشمس في مكانها في مركز المجموعة الشمسية، لا تذهب للعرش ولا لمكان آخر، وشروقها ومغيبها هو حاصل بسبب دوران الأرض حول نفسها.

ففي تقرير دعوى الجهتين الأوليين، يقول (رشيد رضا) في سياق نقده للروايات المخالفة للواقع:

«.. ومنه ما كان يتعذر عليهم العلم بموافقته أو مخالفته للواقع، كظاهر حديث أبي ذر عند الشيخين وغيرهما: أين تكون الشمس بعد غروبها؟ فقد كان المتبادر منه للمتقدمين أن الشمس تغيب عن الأرض كلها، وينقطع نورها عنها مدة الليل؛ إذ تكون تحت العرش تنتظر الإذن لها بالطلوع ثانية.

وقد صار من المعلوم القطعي لمئات الملايين من البشر أن الشمس لا تغيب عن الأرض في أثناء الليل، وإنما تغيب عن بعض الأقطار وتطلع على غيرها، فنهارنا ليل عند غيرنا، وليلنا نهار عندهم، كما هو المتبادر من قوله تعالى: {يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل} [الزمر: ٥]، وقوله جلت قدرته: {يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا} [الأعراف: ٥٤]، فنحن بعد العلم القطعي الثابت بالحس في مثل هذه المسألة وما في حكمها، لا مندوحة لنا عن أحد أمرين:

إما الطعن في سند الحديث وإن صححوه؛ لأن رواية ما يخالف القطعي من علامات الوضع عند المحدثين أنفسهم..

وإما تأويل الحديث: بأنه مروي بالمعنى، وأن بعض رواته لم يفهم المراد منه، فعبر عما فهمه، كعدم فهم راوي هذا الحديث الذي ذكرنا -على سبيل التمثيل- المراد من قوله ﷺ: إن الشمس تكون ساجدة تحت العرش ... إلخ، فعبر عنه بما يدل على أنها تغيب عن الأرض كلها.

وقد يكون المراد من معنى سجودها: أنه من قبيل قوله تعالى: {والنجم والشجر يسجدان} [الرحمن: ٦]، كما أن توقف طلوعها على إذن الله تعالى: {والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه} [الأعراف: ٥٨]، وهو إذن التكوين لا التكليف.. ».

ويقول (سامر إسلامبولي): «من الواضح من قراءة النص أنه تركيبة غير موفقة صدرت من جهة جاهلة، وذلك من عدة أوجه:

أولا: من المعلوم أن الشمس لها نظام ومسار تدور وتسير بموجبه، فهي ما إن تغرب

=

عن مكان إلا وتكون بالوقت نفسه تشرق على آخر، ولا تغيب عن الأرض أبدا، ولا تخرج عن مسارها..

ثانيا: إن الشمس من المخلوقات التي لا تملك عقلا، ولا إرادة، وبالتالي فهي لا تسجد سجود العاقل الواعي، وهي غير مكلفة ومسئولة حتى يقبل منها السجود أو يرفض».

وفي تقرير الجهة الثالثة للشبهة الأصل التي ارتكزوا عليها، يقول (إسماعيل الكردي): «إنه من المعلوم لكل طالب درس الجغرافيا أن الشمس مستقرة في مكانها في مركز المجموعة الشمسية، لا تذهب لعرش ولا لمكان آخر، ولا تأتي منه، وأن شروقها ومغيبها ليس بسبب حركتها هي، بل سببه دروان الأرض حول نفسها، وأن هذا الشروق والمغيب مستمران على مدار الـ (٢٤) ساعة، وفي كل لحظة تكون في حالة شروق بالنسبة لمكان في الأرض، وفي الوقت نفسه في حالة غروب بالنسبة للمكان المقابل من الأرض، وهذا أصبح في علوم اليوم من البدهيات، بل من المشاهدات بالمحسوس!».

❋ دفع دعاوي المعارضات الفكرية المعاصرة

عن حديث سجود الشمس تحت العرش.

الإبانة عن فساد ما ادعاه هؤلاء المعاصرون من مناقضة الحديث لضرورة العلم الحديث والحس يتأتى في مقامين: مجمل، ومفصل.

فأما المجمل: فدعوى مناقضة الحديث للضرورة الحسية والعلمية لا تسلم إلا عند التحقق من تضمن الحديث النبوي لخبر مفصل عن واقع محسوس يناقض المستقر المشاهد أو المكتشف العلمي القطعي ضرورة، بحيث ينتفي الجانب الغيبي في هذا الخبر، أما إذا لم ينتف هذا الجانب عن الخبر، فالمناقضة منتفية، لكون الحس لم يشهده، والعلم لم يقطع فيه كي تصح دعوى مخالفة الضرورة.

وأما المقام المفصل: فبيانه أن الحديث تضمن إخبار النبي ﷺ عن ذهاب الشمس وسجودها تحت العرش، وهذا خبر عن ثلاث حقائق مغيبة، ليس للعقل يقين بإدراك كنهها، فضلا عن نفيها؛ هذه الحقائق هي: حقيقة العرش، وحقيقة حركة الشمس، وحقيقة سجود الشمس تحت العرش.

فالعرش له حقيقة لا يعلمها إلا الله خالقه سبحانه، والعقل لا يملك إلا تعقل صفاته المخبر عنها في الدلائل النقلية، من ذلك: أنه عظيم الخلق والوزن، ذو قوائم، وهو على عظمته كالقبة على العالم.

=

=

والمقصود: أن هذه الحقيقة مع إبانة الوحي عن بعض أوصافها يستحيل على العقل إدراك كنهها كما أسلفنا، وكذلك يقال في ما يتعلق بحقيقة حركة الشمس؛ فإن العقل البشري إلى يومنا هذا يعجز عن الإحاطة بهذه الحركة بصورة يقينية، لأن هذا يتطلب الانبتات عن هذه المجموعة الشمسية، والتمركز خارجها للوقوف على هذه الحركة، وأنى للإنسان ذلك؟!

وبناء على جهلنا بهاتين الحقيقتين، يكون محصل ذلك: الجهل بحقيقة سجود الشمس تحت العرش، وانتفاء هذا اليقين عن الإحاطة بتلك الحقائق لا ينفي وجودها، فإن ما كان ثابتا في نفسه لا ينفيه جهل الجاهلين به، وعليه فطعن الطاعن في الخبر بكون الشمس لا تغرب عن مكان إلا وتشرق على آخر، فلا تغيب عن الأرض.. إلخ: لا يغير من تلك الحقائق شيئا، لأن صاحبه أسسه ابتداء على غلط في إدراك مرامي النص؛ حيث توهم أن معنى الغروب المذكور في الحديث هو الغياب المطلق على أهل الأرض جميعا، ليتم السجود المنصوص عليه في الحديث!

وهذا غلط في الفهم، يكشف عن غلطه أن النبي ﷺ نفسه فسر هذا الغروب بالذهاب، فقال: «أتدري أين تذهب؟.."، والمقصود بالذهاب هنا: حركتها، بحيث تغيب عن رأي العين، فهو بذا غياب نسبي لا مطلق.

وفي تقرير هذا المعنى للحديث يقول ابن تيمية: «إذا كان النبي ﷺ قد أخبر أنها تسجد كل ليلة تحت العرش، فقد علم اختلاف حالها بالليل والنهار، مع كون سيرها في فلكها من جنس واحد، وأن كونها تحت العرش لا يختلف في نفسه، وإنما ذلك اختلاف بالنسبة والإضافة: علم أن تنوع النسب والإضافات لا يقدح فيما هو ثابت في نفسه لا مختلف».

ويزيد المعلمي توضيحا لذلك فيقول: «لم يلزم مما في الرواية الثالثة من الزيادة -يعني رواية إبراهيم التيمي: «حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة) - غيبوبة الشمس عن الأرض كلها، ولا استقرارها عن الحركة كل يوم بذاك الموضع الذي كتب عليها أن تستقر فيه متى شاء ربها سبحانه».

فغروب الشمس المذكور في الحديث إذن هو: سيرها وجريانها الذي أخبر عنه النبي ﷺ، وإلا فليس للشمس مغرب حقيقي ثابت، كما قال ابن عاشور: «المراد بمغرب الشمس: مكان مغرب الشمس من حيث يلوح الغروب من جهات المعمور.. إذ ليس

=

=

للشمس مغرب حقيقي إلا فيما يلوح للتخيل».

فإن قيل: إذا كان العرش كالقبة على هذا العالم؛ فإن لازم ذلك أن تكون الشمس في جميع أحوالها ساجدة، فيبطل بذلك مدلول «حتى» المفيدة للغاية! فجوابه:

أن الشمس كونها تحت العرش في جميع أحوالها لا يلزم منه حصول السجود المذكور في الحديث في كل وقت؛ وإنما يتحقق السجود عند مسامتتها لجزء معين من العرش لا نعلمه.

ثم هذا السجود والاستئذان الشمسي واقع في جزء من الوقت لا يعلمه إلا الله؛ لا يلزم منه حصول توقف في سيرها؛ دل على ذلك قوله ﷺ: «ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا»، فليس في حصول السجود منها ما يعيق دورانها وحركتها.

يقول الخطابي: «لا ينكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما هو خبر عن غيب، فلا نكذب به، ولا نكيفه، لأن علمنا لا يحيط به.. فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها.. وليس في سجودها لربها تحت العرش ما يعوقها عن الدأب في سيرها».

وعلى هذا؛ فلا تناقض بين ما قرر في الآثار من أن العرش كالقبة على هذا العالم، وبين الثابت في هذا الحديث.

وأما الشبهة الثانية: وهي دعوى المعترض انتفاء العقل والإدراك عن الشمس، فكيف تسجد سجود العاقل.. إلخ.

فالجواب عن ذلك أن يقال:

ليس هناك ما يمنع -لا نقلا ولا عقلا- أن يكون للشمس إدراك يناسب حالها، ليتحصل به السجود والاستئذان، فالسجود والاستئذان الواقع من الشمس هو سجود حقيقي كما هو ظاهر الحديث، وليس سجودا مجازيا بمعنى الانقياد كما ذهب إليه البعض؛ فإن القول بالمجاز خلاف الأصل الظاهر، ولا يصح المصير إليه مع إمكان الحقيقة.

فسجود الشمس حقيقة واستئذانها مما يدخل في مقدوره تعالى بلا ريب، وإذا اعتبرت الدلائل القرآنية، تبين لك أن لهذه الجمادات وسائر الحيوانات -سوى العقلاء- إدراكا يناسب حالها؛ فإن الله سبحانه حين ذكر أصناف الحجارة قال: {وإن منها لما يهبط من خشية الله} [البقرة: ٧٤]، ولما ذكر الطير قال: {والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه} [النور: ٤١].

=

=

يقول البغوي: «مذهب أهل السنة أن لله علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية؛ كما قال جل ذكره: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم} [الإسراء: ٤٤] ... فيجب على المرء الإيمان به، ويكل علمه إلى الله تعالى».

وما يقال في مثل التسبيح والخشية يقال في السجود أيضا؛ في مثل قول الله تعالى: {ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس} [الحج: ١٨].

فقد نصت هذه الآية على نسبة السجود إلى هذه المخلوقات، ومنها الشمس، ومن فسره بأنه سجود مجازي يراد به الافتقار الدائم للرب تبارك وتعالى، ونفوذ مشيئته فيها، وقصر تفسيره على هذا المعنى: فإن هذا التفسير منه باطل؛ فإن هذا الوصف لا تنفك عنه هذه الكائنات، بل هي في جميع حالاتها ملازمة للافتقار، منفعلة لمشيئة الرب وقدرته.

والدلائل السابقة تدل على أن السجود فعل لهذه المخلوقات -بما فيها الشمس- لا أنه اتصال؛ وإلا لما قسم السجود إلى طوع وكره، فلو كانت لا فعل لها، لما وصفت بطوع منها ولا كره.

وهذا السجود من الشمس وغيرها من الجمادات، لا يلزم منه أن يكون على هيئة سجود البشر، بل هو خضوع منها للرب يناسب حالها، وهو فعل لها يقع منها في بعض الأحوال، مع دوام افتقارها وخضوعها للرب تبارك وتعالى، لنفوذ مشيئته فيها.

وكذا سجود هذه الشمس تحت العرش هو سجود مخصوص يناسبها، وهذا السجود لا يلزم منه سلب الخضوع والافتقار الدائم الذي تشترك فيه مع بقية الخلق؛ فلكل شيء سجود يختص به يفارق غيره من المخلوقات، وسجود يشترك فيه مع غيره.

وأما الشبهة الثالثة من دعوى (الكردي) أن من البدهيات المستقرة والمشاهدة: أن الشمس مستقرة في مكانها، لا تذهب لعرش ولا مكان آخر:

فيطالب ابتداء بتصحيح مقدمتيه التي بنى عليهما بطلان الحديث؛ وذلك بالكشف عن وجه البداهة المستقرة في كون الشمس ثابتة لا متحركة؛ كون ذلك مما يشهده الحس، ودعواه أن الشروق والغروب من حركة الأرض حول الشمس، وليس هو من فعل الشمس، واستنكر نسبة ذلك في الحديث إلى فعلها في قوله ﷺ: «.. يقال لها: ارجعي

=

*** عدم قبول الإيمان والتوبة بعد طلوع الشمس من مغربها :**

إذا طلعت الشمس من مغربها؛ فإنه لا يقبل الإيمان ممَّن لم يكن قبل ذلك مؤمنًا؛ كما لا تقبل توبة العاصي، وذلك لأن طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة، يراها كل

=

من حيث جئت، فتطلع من مغربها».

فأما المقدمة الأولى: فحسب المؤمن يقينا بالوحي ما ذكره خالق الكون في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؛ فإن العليم جل جلاله قد أسند في كتابه إلى الشمس ما هو أبلغ من الحركة، كالجري والسبح؛ فقال تبارك وتعالى: {والشمس تجري لمستقر لها} [يس: ٣٨]، وقال سبحانه: {وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون} [الأنبياء: ٣٣].

وقد أثبت العلم الحديث -الذي يتبجح به المعترض في تعالمه ذاك- هذه الحقيقة الشرعية، فقد نسب علماء الفلك المعاصرون للشمس ثلاث حركات في عدة مسارات:

١ - دورانها حول نفسها كما تفعل الأرض بنفس اتجاه دورانها.

٢ - وجريانها حول مركز مجرة (درب التبانة)، كما تفعل باقي النجوم التي بداخل هذه المجرة.

٣ - وجريان المجرة نفسها في الفضاء الكوني، فتسوق معها الشمس وأسرتها من الكواكب التي تدور حولها، والتي من ضمنها الأرض.

فإذا أذن الله تعالى بانتكاس هذا النظام الكوني، أدى انعكاس جريان الشمس -وهو الذي يشير إليه حديث أبي ذر رضي الله عنه باللزوم إلى انعكاس دوران الأرض حول محورها؛ هذا الانعكاس لحركة الأرض سيؤدي بدوره إلى طلوع الشمس من جهة المغرب فيما يشهده الناس!

وعليه؛ فإن نسبة الشروق من المغرب إلى حركة الشمس هو باعتبار التأثير والسببية، لا باعتبار أنها هي نفسها من تدور حول الأرض حقيقة كما توهمه المعترض من هذا الحديث.

ليستبين بهذا للناظر مراغمة الطاعنين للضرورتين: النقلية، والعلمية الفلكية، ويبطل به تبعا ما أورده (رشيد رضا) من احتمال تصرف الراوي في ألفاظ الحديث، مع كونه خلاف الأصل في الحفاظ المتقنين، والحمد لله رب العالمين.

من كان في ذلك الزمان، فتنكشف لهم الحقائق، ويشاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتصديق بالله وآياته، وحكمهم في ذلك حكم من عاين بأس الله تعالى؛ كما قال سبحانه وتعالى: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)} [غافر: ٨٤، ٨٥].

قال القرطبي في التذكرة (ص٧٠٦): "قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسًا إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم - لإيقانهم بدُنوِّ القيامة - في حال مَن حضره الموت؛ في ا نقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانهم من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال؛ لم تقبل توبته؛ كما لا تقبل توبة مَن حضره الموت".اهـ. وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٧١): "إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذٍ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنًا قبل ذلك؛ فإن كان مصلحًا في عمله؛ فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطًا فأحدث توبة؛ حينئذٍ لم تقبل منه توبة".اهـ.

وهذا هو الذي جاء به القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة؛ فإن الله تعالى قال: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: ١٥٨]، وقال ﷺ: (لا تنقطع الهجرة ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت؛ طُبِعَ على كل قلب بما فيه، وكفي الناس العمل) أخرجه أحمد، وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الله ﷻ جعل بالمغرب بابًا عرضه مسيرة سبعين عامًا للتوبة، لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله، وذلك قول الله تبارك وتعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ}) أخرجه الترمذي، ويرى بعض العلماء أن الذين لا يُقبل إيمانُهم هم

الكفار الذين عاينوا طلوع الشمس من مغربها، أما إذا امتدَّ الزمان، ونسي الناس ذلك؛ فإنه يقبل إيمان الكفار وتوبة العصاة.

قال القرطبي في تفسيره (٧/ ١٤٦ - ١٤٧): وقال ﷺ: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"؛ أي: تبلغ روحه رأس حلقه، وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعدة من الجنة ومقعده من النار، فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله، وعلى هذا ينبغي أن تكون توبة كل من شاهد ذلك أو كان كالشاهد له مردودةً ما عاش؛ لأن علمه بالله تعالى وبنبِّيه ﷺ وبوعده قد صار ضرورة، فإن امتدَّت أيام الدُّنيا إلى أن يَنسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان، ولا يتحدَّثون عنه إلا قليلًا، فيصير الخبر عنه خاصًا، وينقطع التواتر عنه، فمَن أسلم في ذلك الوقت أو تاب؛ قبل منه، الله أعلم". اهـ.

والراجح أن النصوص دلَّت على أن التوبة لا تقبل بعد طلوع الشمس من مغربها، وأن الكافر لا يقبل منه الإسلام، ولم تفرق النصوص بين من شاهد هذه الآية وبين من لم يشاهدها". وقد روى الإمام مسلم عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها) فجعل ﷺ غاية قبول التوبة هو طلوع الشمس من مغربها، وقد ذكر الحافظ في الفتح (١١/ ٣٥٤- ٣٥٥) أحاديث وآثارًا كثيرة تدلُّ على استمرار قفل باب التوبة إلى يوم القيامة، ثم قال: "فهذه آثار يشدُّ بعضها بعضًا متَّفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب؛ أغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتدُّ إلى يوم القيامة". اهـ.

وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٨٨): وذكرت هناك ما أبداه البيهقي ثم القرطبي احتمالا أن الزمن الذي لا ينفع نفسا إيمانها يحتمل أن يكون وقت طلوع الشمس من

المغرب، ثم إذا تمادت الأيام وبعد العهد بتلك الآية عاد نفع الإيمان والتوبة، وذكرت من جزم بهذا الاحتمال وبينت أوجه الرد عليه. ثم وقفت على حديث لعبد الله بن عمرو ذكر فيه طلوع الشمس من المغرب وفيه: "فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل " الآية، أخرجه الطبراني والحاكم، وهو نص في موضع النزاع وبالله التوفيق[1].

(١) (تنبيه): قال الله تعالى: (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون) [الأنعام: ١٥٨].
وفي الحديث عن أبي هريرة -؟ - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» روي هذا الحديث من طريق: فضيل بن غزوان، عن أبي حازم «سلمان مولى عزة»، عن أبي هريرة، به. وقد روي عن فضيل بن غزوان من عدة طرق:
الأول: طريق محمد بن فضيل: أخرجه من طريقه: الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٥٨)، عن محمد بن العلاء، عن محمد بن فضيل، به. قال الإمام مسلم: «واللفظ له». يعني: أن لفظ الحديث الذي ذكره إنما هو من رواية محمد بن العلاء. وهو اللفظ المذكور في المتن.
وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٤١١)، عن محمد بن العلاء، به. ولفظه لفظ مسلم.
وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٣)، عن عبد الله بن عامر، عن محمد بن فضيل، به. ولفظه لفظ مسلم.
وأخرجه أيضا (١١/ ٣١) عن أبي هشام الرفاعي، عن محمد بن فضيل، به. وفيه اختلاف في ترتيب الآيات، حيث جاء بلفظ: «الدابة، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها».
الثاني: طريق يعلى بن عبيد: أخرجه من طريقه: الإمام الترمذي في سننه، في كتاب التفسير، حديث (٣٠٧٢)، عن عبد بن حميد، عن يعلى بن عبيد، به، وفيه اختلاف في ترتيب الآيات، حيث جاء بلفظ: «الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من المغرب، أو من =

=
مغربها». وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٢٥٣)، عن يعلى بن عبيد، به. ولفظه لفظ الترمذي.
وأخرجه ابن مندة في «الإيمان» حديث (١٠٥٠)، عن علي بن الحسين بن أبي عيسى، عن يعلى بن عبيد، به. ولفظه لفظ الترمذي. وأخرجه البيهقي في الاعتقاد (١/ ٢١٣)، عن محمد بن عبد الوهاب، عن محمد بن يعقوب، عن يعلى بن عبيد، به. ولفظه لفظ مسلم.
الثالث: طريق وكيع بن الجراح: أخرجه من طريقه: ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٠٦)، عن وكيع، به. باللفظ المذكور في المتن.
وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في الموضع السابق، عن زهير بن حرب، وأبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن وكيع، به. ولم يذكر لفظه.
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٥)، حديث (٩٧٥١)، عن وكيع، به. بالترتيب المذكور في المتن، إلا أن فيه ذكر «الدخان» بدل «الدجال». وهذا خطأ؛ لأن جميع الرواة متفقون على ذكر «الدجال»، دون «الدخان»، ومما يؤكد وقوع الخطأ أن الحديث رواه عن وكيع: ابن أبي شيبة، ولم يذكر لفظ «الدخان»، ويبعد أن يكون الخطأ من الإمام أحمد، أو ابنه عبد الله راوي المسند عنه، والأقرب أن يكون من القطيعي، راوي المسند عن عبد الله بن الإمام أحمد، فقد ذكرت له أوهام في روايته للمسند، فلعل هذا منها، والله تعالى أعلم. وانظر في ترجمة «القطيعي»: لسان الميزان، لابن حجر (١/ ١٤٥)، والكواكب النيرات، لأبي البركات (١/ ١٧).
الرابع: طريق إسحاق بن يوسف: أخرجه من طريقه الإمام مسلم في صحيحه، في الموضع السابق، عن زهير بن حرب، عن إسحاق، به. ولم يذكر لفظه. وقد توبع أبوحازم في روايته عن أبي هريرة، لكنها متابعة ضعيفة، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٠١): «ورواه إسحاق بن عبد الله القروي، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، به. ولكن لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه؛ لضعف القروي».

*** استشكل جمع من العلماء حديث أبي هريرة؛ لأمرين:**

الأول: أن ظاهره أن الإيمان لا ينفع بعد خروج الدجال، ووجه الإشكال: أن وقت
=

=

خروج الدجال يكون قبل زمن عيسى؟ وعليه فإنه لا ينفع الكفار إيمانهم، ولا الفساق توبتهم، عند نزول عيسى؟؛ لأن باب التوبة قد أغلق في زمن الدجال، وقد جاء النص صريحا بأن الإيمان ينفع في زمن عيسى؟ وإلا لما صار الدين واحدا، ولا كان في نزوله كبير فائدة.

الثاني: أن النصوص متظافرة على تفسير الآية بطلوع الشمس من مغربها، دون ذكر الدجال، أو الدابة.

* مسالك العلماء في دفع الإشكال الوارد في الحديث:

مذهب عامة المفسرين أن المراد بـ «البعض» في الآية، هو: طلوع الشمس من مغربها.

وروي عن ابن مسعود -؟ - أنه قال: «التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها مالم تخرج إحدى ثلاث: مالم تطلع الشمس من مغربها، أو الدابة، أو فتح يأجوج ومأجوج».

وهذا الأثر عن ابن مسعود -؟ - لا يصح، وقد روي عنه من عدة طرق أنه فسر الآية بطلوع الشمس من مغربها دون ذكر الدابة، أو يأجوج ومأجوج.

وأما حديث أبي هريرة -؟ - والذي فيه ذكر الثلاث؛ فقد قال بعض أهل العلم إن التوبة تنقطع بخروج إحدى هذه الثلاث.

قال ابن هبيرة: «حكم هاتين الآيتين (يعني الدابة، والدجال) في أن نفسا لا ينفعها إيمانها، الحكم في طلوع الشمس من مغربها». اهـ

وقال المناوي: «كل من الثلاثة مستبد في أن الإيمان لا ينفع بعد مشاهدتها؛ فأيها تقدمت ترتب عليها عدم النفع». اهـ

لكن مذهب عامة أهل العلم أن التوبة لا تنقطع إلا بطلوع الشمس من مغربها، وأما حديث أبي هريرة فلهم في الجواب عنه مسلكان:

الأول: مسلك قبول الحديث، مع توجيهه:

وهذا مذهب الجمهور من العلماء، حيث ذهبوا إلى توجيه الحديث، ودفع التعارض بينه وبين بقية الأحاديث، والتي اقتصرت على تفسير الآية بطلوع الشمس من مغربها، ولهم في التوجيه مذاهب:

الأول: أن عدم قبول التوبة مترتب على مجموع الثلاث - الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها - فإذا اجتمعت الثلاث انقطعت التوبة، وطلوع الشمس هو آخرها، وهو الذي يتحقق به عدم القبول.

=

=

قال ابن مفلح - بعد أن أورد حديث «ثلاث إذا خرجن» -: «فهذا المراد به أن طلوع الشمس آخر الثلاثة خروجا؛ فلا تعارض بينه وبين ما سبق». اهـ يريد الأحاديث التي اقتصرت على تفسير الآية بطلوع الشمس من مغربها.

واختار هذا الجمع: الملا علي بن سلطان القاري، والمباركفوري، غير أنهما لم يذكرا أن طلوع الشمس من مغربها هو آخر الثلاث.

وذكر الشيخ حمود التويجري حديث أبي هريرة من رواية الإمام أحمد، والتي فيها لفظ «الدخان» بدل «الدجال» وبين أن التوبة لا تزال مقبولة حتى تجتمع الثلاث، والتي آخرها طلوع الشمس من مغربها.

المذهب الثاني: إن كان البعض المذكور في الآية عدة آيات؛ فطلوع الشمس هو آخرها المتحقق به عدم القبول، وإن كان إحدى آيات؛ فهو محمول على طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه أعظم الثلاث.

ذكره القاسمي في تفسيره، وهو بمعنى التوجيه الأول.

المذهب الثالث: أن خروج الثلاث يكون متتابعا، بحيث يكون الزمن الذي بينها يسير جدا؛ فتكون النسبة التي بينها مجازية، فكأنها خرجت في وقت واحد.

ذكره الحافظ ابن حجر، وتعقبه بقوله: «وهذا بعيد؛ لأن مدة لبث الدجال إلى أن يقتله عيسى، ثم لبث عيسى وخروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك سابق على طلوع الشمس من المغرب». اهـ

قلت: بل جاء النص صريحا بأن مدة لبث الدجال إلى أن يقتله ابن مريم؟ أطول من ذلك؛ فعن عبد الله بن عمرو -؟ - قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يوما، أو أربعين شهرا، أو أربعين عاما، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة.... ".

وعن النواس بن سمعان -؟ - قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال..... فقلنا: يا رسول الله: وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم».

قال النووي: «قوله ﷺ: (يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم) قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر

=

=

المذكور في الحديث؛ يدل عليه قوله ﷺ: (وسائر أيامه كأيامكم)». اهـ

وأما عيسى ابن مريم؟ فقد جاء أن مدة لبثه أربعون سنة؛ فعن أبي هريرة -؟ - أن النبي ﷺ ذكر عيسى فقال: "…. ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون».

فهذه النصوص وغيرها ترد القول بأن خروج الثلاث يكون متتابعا، وأن الزمن الذي بينها يسير، وحسبك مدة بقاء عيسى؟؛ فإن مكثه أربعين سنة ليس بالزمن اليسير.

المذهب الرابع: ما قاله البيهقي: «إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون المراد نفى النفع عن أنفس القرن الذين شاهدوا ذلك، فإذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليف الإيمان بالغيب، وكذا في قصة الدجال لا ينفع إيمان من آمن بعيسى عند مشاهدة الدجال، وينفعه بعد انقراضه». اهـ

قلت: يتخرج من كلام البيهقي أن التوبة تنقطع عند طلوع الشمس من مغربها، ثم تعود بعد تطاول الزمان؛ فإذا خرج الدجال انقطعت، ثم تعود بعد ذلك لتنفع وقت عيسى؟.

وقريبا منه قول أبي عبد الله القرطبي: «توبة كل من شاهد ذلك (يعني طلوع الشمس من مغربها) أو كان كالمشاهد له مردودة ما عاش؛ لأن علمه بالله تعالى وبنبيه ﷺ وبوعده قد صار ضرورة؛ فإن امتدت أيام الدنيا إلى أن ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان، ولا يتحدثون عنه إلا قليلا، فيصير الخبر عنه خاصا وينقطع التواتر عنه؛ فمن أسلم في ذلك الوقت أو تاب قبل منه». اهـ وأيد ذلك:

١ - بما روي: «أن الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك الضوء والنور، ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك».

٢ - وبما روي عن عبد الله بن عمرو -؟ - أنه قال: «يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، حتى يغرسوا النخل».

٣ - وبما روي عن ابن عباس -؟ - أنه قال: «لا يقبل الله من كافر عملا ولا توبة إذا أسلم حين يراها إلا من كان صغيرا يومئذ؛ فإنه لو أسلم بعد ذلك قبل ذلك منه، ومتى كان مؤمنا مذنبا فتاب من الذنب قبلت منه».

٤ - وبما روي عن عمران بن حصين -؟ - أنه قال: «إنما لم يقبل وقت الطلوع حتى تكون صيحة فيهلك كثير من الناس، فمن أسلم أو تاب في ذلك الوقت وهلك لم يقبل منه، ومن تاب بعد ذلك قبلت منه».

=

=

ونقل الحافظ أبو زرعة العراقي عن شيخه البلقيني أنه قال: «إذا تراخى الحال بعد ذلك، وبعد العهد بهذه الآية، وتناساه أكثر الناس قبلت التوبة والإيمان بعد ذلك؛ لزوال الآية التي تضطر الناس إلى الإيمان». اهـ

ونقله عن البلقيني: الإمام الآلوسي، ومال إليه وأيده.

واعترض على هذا المذهب: بأن لا دليل عليه، وبأن الأخبار الصحيحة ترده؛ فعن أبي هريرة -؟ - قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه». فمفهوم هذا الحديث أن من تاب بعد ذلك لم تقبل منه.

وقد ساق الحافظ ابن حجر عدة آثار تدل على أن الشمس إذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد، ثم قال: «فهذه آثار يشد بعضها بعضا، متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتد إلى يوم القيامة». اهـ

المسلك الثاني: مسلك تضعيف الحديث:

فقد ذهب أبو العباس القرطبي إلى أن ذكر الدجال في حديث أبي هريرة -؟ - وهم من بعض الرواة، وأن التكليف لا يرتفع إلا بطلوع الشمس من مغربها، كما دلت عليه بقية الأحاديث..

والذي يظهر صوابه - والله تعالى أعلم - هو مسلك قبول الحديث، مع توجيهه، ودفع التعارض بينه وبين بقية الأحاديث التي اقتصرت على تفسير الآية بطلوع الشمس من مغربها، فيكون معنى حديث أبي هريرة: أن عدم قبول التوبة مترتب على مجموع الثلاث - الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها - فإذا اجتمعت الثلاث انقطعت التوبة، ويكون طلوع الشمس هو آخرها، وهو الذي يتحقق به عدم القبول.

ويمكن تلخيص المسألة وحصرها في خمسة أمور:

١ - أن المراد بـ «البعض» في الآية هو طلوع الشمس من مغربها فقط، دون غيرها.

٢ - أن التوبة لا تنقطع إلا بطلوع الشمس من مغربها.

٣ - أن طلوع الشمس من مغربها هو آخر الآيات الثلاث المذكورة في حديث أبي هريرة.

٤ - أن زمن عيسى -؟ - يعقب الدجال.

٥ - أن زمن عيسى -؟ - فيه خير كثير، دنيوي وأخروي، والتوبة والإيمان مقبولان فيه.

وسأذكر من الأدلة ما يؤيد كل أمر، مع ذكر الإيرادات والاعتراضات، والجواب عنها.

=

=

أولا: الأدلة على أن المراد بـ «البعض» في الآية هو طلوع الشمس من مغربها فقط، دون غيرها:
بعد النظر في الأحاديث الواردة في تفسير الآية وجدت أنها متفقة على تفسير «البعض» بطلوع الشمس من مغربها، ولم يأت ما يخالف ذلك إلا ما يظهر من حديث أبي هريرة – ؟ –، ولكن عند التأمل فإنه لا يظهر بينه وبين بقية الأحاديث تعارض، لإمكان حمله على بقية الأحاديث التي اقتصرت على تفسير الآية بطلوع الشمس من مغربها، وإن في اتفاق الأحاديث على تفسير «البعض» بالطلوع فقط، لدلالة واضحة على أنه هو المراد.
قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن المراد بـ «بعض آيات الله» طلوع الشمس من مغربها». اهـ
وقال الآلوسي: «روي هذا التعيين عنه ﷺ في غير ما خبر صحيح». اهـ
ولنورد بعضا من هذه الأخبار الصحيحة:
١ – عن أبي هريرة –؟ – قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل» أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، حديث (٤٦٣٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٥٧).
٢ – وعن أبي سعيد الخدري –؟ –، عن النبي ﷺ - في قول الله؟ -: (أو يأتي بعض آيات ربك) [الأنعام: ١٥٨] قال: «طلوع الشمس من مغربها».
٣ – وعن أبي ذر الغفاري –؟ –، أن النبي ﷺ قال يوما: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا» أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٥٩).

=

=

٤ - وعن صفوان بن عسال المرادي -؟ - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا عرضه سبعون سنة، فلا يزال ذلك الباب مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه؛ فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا».

٥ - ومما يؤكد أن المراد بـ «البعض» هو طلوع الشمس فقط، اتفاق الصحابة على تفسير الآية بذلك، روي هذا التفسير عن: ابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وابن مسعود، وصفوان بن عسال، ولا يعرف لهم مخالف؛ إلا ما روي عن ابن مسعود - في إحدى الروايات عنه - بأنه فسرها بإحدى ثلاث: الطلوع، أو الدابة، أو يأجوج ومأجوج، وقد تقدم أن ذلك لا يصح عنه.

فهذه الأحاديث مع اتفاق الصحابة؟ تؤكد القول بأن المراد بالبعض هو طلوع الشمس من مغربها دون غيرها، ولو كانت الثلاث المذكورة في حديث أبي هريرة هي المرادة بتفسير الآية، أو بعض المراد لذكرت في بقية الأحاديث، وفي هذا دلالة واضحة على أن أحد الثلاث غير مستبد بانقطاع التوبة بوجوده، بل لا بد من اجتماعها معا، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: هذا التأويل فيه إهمال لبقية الثلاث المذكورة في الحديث؛ لأنكم قصرتم تفسير الآية على واحدة من هذه الثلاث، ولم تعملوا البقية، والحديث صريح بأن المراد بالبعض هو الثلاث، لا واحدة منها.

والجواب على هذا الإيراد سيأتي تبعا عند ذكر فائدة مجيء الثلاث في الحديث، وسيأتي أن قصر تفسير الآية على واحدة من الثلاث لا يعني إهمال البقية، وإنما ذكرت لفائدة أخرى كما سيأتي تقريره.

ثانيا: الأدلة على أن التوبة لا تنقطع إلا بطلوع الشمس من مغربها:

١ - عن أبي هريرة -؟ - قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه».

٢ - وعن أبي موسى الأشعري -؟ -، عن النبي ﷺ قال: «إن الله؟ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها».

٣ - وعن معاوية بن أبي سفيان -؟ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنقطع

=

=

الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».
فهذه الأحاديث متفقة على أن التوبة لا تنقطع إلا بطلوع الشمس من مغربها، والقول بأن زمن الدجال لا ينفع فيه الإيمان ولا التوبة فيه مخالفة صريحة لهذه الأحاديث؛ لأن وقته قبل طلوع الشمس من مغربها.
ثالثا: الأدلة على أن طلوع الشمس من مغربها هو آخر الآيات الثلاث المذكورة في حديث أبي هريرة.
هناك عدة أدلة تؤيد القول بأن طلوع الشمس من مغربها هو آخر الثلاث المذكورة في الحديث، ومن هذه الأدلة:
١ - حديث أبي هريرة -؟ - أن النبي ﷺ قال: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الذكر والدعاء، حديث (٢٧٠٣) ومفهوم هذا الحديث أن من تاب بعد أن تطلع الشمس من مغربها لم تقبل منه توبته، والأصل بقاء الحديث على إطلاقه، ولا يصح تقييد ذلك بوقت الطلوع، وإذا كانت التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها مردودة امتنع أن يكون وقت الدجال بعد طلوعها؛ لأن عيسى؟ بعد الدجال، وزمنه فيه خير كثير، والإيمان والتوبة مقبولان فيه، فلم يبق إلا أن يكون طلوعها بعد الدجال.
٢ - وحديث أبي هريرة -؟ -، أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء، حاجا أو معتمرا، أو ليثنينهما» أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الحج، حديث (١٢٥٢)،، وعن أبي سعيد الخدري -؟ -، أن النبي ﷺ قال: «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج» أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الحج، حديث (١٥٩٣). وقد ثبت أن خروج يأجوج ومأجوج يكون بعد عيسى؟
فهذان الحديثان يدلان على أن باب التوبة لم يغلق بعد في زمن عيسى، إذ لو كان قد أغلق لما كان للحج فائدة، وقد سبق أن وقت الدجال قبل زمن عيسى؟ وفي ذلك دلالة واضحة على أن طلوع الشمس يعقب الدجال.
٣ - ومما يؤكد أن طلوع الشمس هو آخر الثلاث، أن الأحاديث متظافرة على أن التوبة لا تنقطع إلا بطلوع الشمس من مغربها، ولو كانت هي الأولى في الخروج لما كان لذكر بقية الثلاث فائدة؛ لأن انقطاع التوبة قد وقع بطلوع الشمس قبل ذلك.
قال الشيخ حمود التويجري - بعد أن أورد حديث (ثلاث إذا خرجن) -: «وظاهر هذا

=

=

الحديث يدل على أن التوبة لا تزال مقبولة حتى تخرج الثلاث كلها، وقد تواترت الأحاديث الدالة على أن التوبة لا تزال مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها، فيستفاد من حديث أبي هريرة -؟- مع الأحاديث الواردة في قبول التوبة ما لم تطلع الشمس من مغربها أن خروج الدابة والدخان متقدم على طلوع الشمس من مغربها، والله أعلم». اهـ

وأما الدابة فالأظهر أن خروجها متقدم على طلوع الشمس من مغربها، لكن الزمن الذي بينهن يسير جدا، وليس في هذا القول مخالفة لحديث عبد الله بن عمرو -؟-، أن النبي ﷺ قال: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى».؛ لأن الحديث إنما ذكر الأولية للشمس والدابة معا، لا للشمس وحدها؛ بدليل قوله في الحديث: «وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا».، ولو كان مراده ﷺ في الأولية الشمس دون الدابة لما قال ذلك، ومما يؤكد هذا المعنى أن عبد الله بن عمرو راوي الحديث لم يفهم من الحديث أن طلوع الشمس متقدم على الدابة، حيث وقع منه تردد في الأولية بقوله: «وأظن أولاها خروجا طلوع الشمس من مغربها» وترجيحه لأولية الشمس مبني على اطلاعه على كتب أهل الكتاب، لا أنه سمع ذلك من النبي ﷺ، يدل على ذلك أن الراوي عن ابن عمرو قال: «ثم قال عبد الله - وكان يقرأ الكتب -: وأظن أولاها خروجا طلوع الشمس من مغربها»، قال الحافظ ابن كثير: «وقد ظن عبد الله بن عمرو أن طلوع الشمس متقدم على الدابة، وذلك محتمل ومناسب». اهـ

قلت: لكن الذي يظهر تقدم الدابة على الطلوع، وأما الأحاديث الواردة بتقدم طلوع الشمس على الدابة، فإنها ضعيفة، والله تعالى أعلم.

الإيرادات والاعتراضات على القول بأن زمن الدجال متقدم على طلوع الشمس من مغربها:

الإيراد الأول: فإن قيل: فما جوابكم عن حديث عبد الله بن عمرو -؟- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا».

فهذا الحديث صريح بأن طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة يعد من أول الآيات، ويلزم منه أن خروج الدجال متأخر عنهما.

والجواب: أن الروايات مختلفة في تعيين أول الآيات:

=

=

١ - ففي رواية: «أن أولها طلوع الشمس من مغربها».
٢ - وفي رواية: «أن أولها نار تحشر الناس إلى محشرهم».
٣ - وقيل: أولها خروج الدجال.
وللعلماء في الجمع بين هذه الأحاديث أقوال:
١ - قال الحافظ ابن حجر: «الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم؟ وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب قال: وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس». اهـ
واختار هذا الجمع البرزنجي، حيث نقله عن الحافظ ابن حجر واستحسنه.
٢ - ويرى الحافظ ابن كثير: أن طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة يعد من أول الآيات السماوية التي ليست بمألوفة، وأما خروج الدجال ونزول عيسى؟ وكذلك خروج يأجوج ومأجوج فكلها أمور مألوفة، وهي من أول الآيات الأرضية.
قال الحافظ ابن كثير - بعد أن أورد حديث عبد الله بن عمرو -: «أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى؟ من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة؛ لأن أمر مشاهدته ومشاهدة أمثاله مألوف؛ فأما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف ومخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر؛ فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية». اهـ
واختار هذا الجمع ابن أبي العز الحنفي.
٣ - ويرى الطيبي أن الآيات عبارة عن أمارات على الساعة، إما على قربها، وإما على حصولها؛ فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى؟ ويأجوج ومأجوج، والخسف، ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس.
واختار هذا الجمع المناوي.
٤ - ويرى أبو العباس القرطبي أن الأولية في حديث عبد الله بن عمرو المراد بها: أول الآيات الكائنة في زمان ارتفاع التوبة والطبع على كل قلب بما فيه، وعلل ذلك: بأن ما

=

=

قبل طلوع الشمس من مغربها التوبة فيه مقبولة، وإيمان الكافر فيه يصح.

وأما حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب». فقد جاء في حديث آخر أنها آخر الآيات؛ فعن حذيفة بن أسيد الغفاري - ؟ - قال: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

قال الحافظ ابن حجر: «ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا». اهـ

قلت: ويؤيد هذا الجمع أن حديث أنس روي بلفظ: «وأما أول شيء يحشر الناس فنار تخرج من قبل المشرق فتحشرهم إلى المغرب».

حيث لم ينص على أنها أول الآيات، بل فيه أنها أول من يحشر الناس.

ويحتمل أن النار المذكورة في حديث أنس نار أخرى غير المذكورة في حديث حذيفة، فالأولى تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، والثانية تخرج من اليمن فتسوق الناس إلى المحشر الذي هو أرض الشام، فتكون الأولى أول الآيات، والثانية آخر الآيات.

يقوي هذا الاحتمال اختلاف مكان وصفة خروج كل من النارين؛ فالأولى تخرج من المشرق وتسوق الناس إلى المغرب، والثانية تخرج من اليمن وتسوق الناس إلى محشرهم.

وبهذا يتبين أن الحديث الوارد في أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة، لا ينافي القول بأن أولها خروج الدجال ونزول عيسى؟ لما علمت من اختلاف الروايات في أول الآيات، ولما ذكر من أن الأولية في الحديث ليست على إطلاقها، وعليه فلا يصح الاعتراض، والله تعالى أعلم.

الإيراد الثاني: أن في حديث أبي هريرة -؟ - تقديم طلوع الشمس من مغربها على الدجال، فكيف يقال إن طلوعها آخر الثلاث؟

=

=

والجواب: أن هذا الترتيب غير متفق عليه بين رواة الحديث، وتفصيل ذلك:
أن الحديث رواه فضيل بن غزوان، وقد روي عن فضيل من أربعة طرق، وفي كل طريق اختلاف في ترتيب الآيات:
الأول: طريق وكيع بن الجراح: وقد اتفق الرواة عنه على الترتيب الآتي: طلوع الشمس، والدجال، والدابة.
الثاني: طريق يعلى بن عبيد: وقد اختلف الرواة عنه في الترتيب:
فرواه عبد بن حميد، وإسحاق بن راهويه، والصغاني، بلفظ: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس.
ورواه عنه محمد بن عبد الوهاب، بلفظ: طلوع الشمس، والدجال، والدابة.
الثالث: طريق محمد بن فضيل: وقد اختلف الرواة عنه في الترتيب:
فرواه محمد بن العلاء، وعبد الله بن عامر بلفظ: طلوع الشمس، والدجال، والدابة.
ورواه أبو هشام الرفاعي بلفظ: الدابة، والدجال، وطلوع الشمس.
الرابع: طريق إسحاق بن يوسف: ولم يخرجه من هذا الطريق إلا مسلم في صحيحه، ولم يذكر لفظ الحديث، وإنما ذكر هذا الطريق متابعة.
والخلاصة: أن هذه الروايات الواردة في ترتيب الحديث لا يمكن الجزم بأن أحدها هو الذي قاله النبي ﷺ؛ وإذ الأمر كذلك فلا يصح الجزم بأن طلوع الشمس من مغربها هو أول الثلاث.
وعلى التسليم بأن الحديث قد جاء هكذا عن النبي ﷺ بتقديم الطلوع على الثلاث؛ فإنه لا يدل على تقدم الطلوع؛ لأن تقديمها في الذكر لا يقتضي تقدمها في الوقوع، كما أن العطف لا يفيد الترتيب، ولاحتمال أن يكون قدم الطلوع؛ لأن مدار عدم قبول التوبة متوقف عليه.
ومما يؤكد أن الترتيب غير مراد في الحديث: ذكر الدجال بين طلوع الشمس وخروج الدابة، وقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو -؟- أن طلوع الشمس وخروج الدابة قريبان من بعضهما، ونص الحديث: «وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا».، وقد تقدم أن مدة مكث الدجال إلى أن يقتله ابن مريم تعد طويلة، وهذا دليل واضح بأن طلوع الشمس ليس بأول الثلاث، والله تعالى أعلم.
الإيراد الثالث: إذا كانت التوبة لا تنقطع إلا بطلوع الشمس من مغربها، فما فائدة ذكر

=

=

الدجال والدابة في الحديث؟

والجواب: أن ذكرهما هو بمثابة التحذير والإعلام بقرب طلوع الشمس من مغربها، فكأن خروجهما إرهاص وإيذان بقرب طلوع الشمس من مغربها، يدل على ذلك: حديث أبي مالك الأشعري -؟ - أن النبي ﷺ قال: «إن ربكم أنذركم ثلاثا....، فذكر الدخان، والدابة، والدجال» وهذا الحديث واضح الدلالة في المقصود؛ لأن فيه التصريح بأن الدجال والدابة إنما هي نذر لما بين يديها من طلوع الشمس من مغربها، والذي يعني رفع التوبة، وعدم قبول الإيمان، فيكون خروجهما تحذيرا للناس وتنبيها لهم بأن عليهم التوبة قبل أن يأت يوم لا تنفع فيه، وذلك اليوم هو طلوع الشمس من مغربها.

وإنما لم يذكر في حديث أبي مالك طلوع الشمس من مغربها؛ لأن طلوعها لا يقع فيه إنذار، وهذا مما يؤكد أن الدجال والدابة إنما هي نذر، والله تعالى أعلم.

ويلاحظ في حديث أبي هريرة تعليق الشرط على ثلاثة أشياء، مع أن الجواب حاصل بأحدها، وهو طلوع الشمس من مغربها، ولهذا نظائر في الكتاب والسنة:

فمن الكتاب: قوله تعالى: (إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت) [الانفطار: ١ - ٥] فانظر كيف علق الشرط على أربعة أشياء، وهي: انفطار السماء، وانتثار الكواكب، وتفجير البحار، وبعثرة القبور، مع أن الجواب - وهو علم النفس بما قدمت وأخرت - لا يكون إلا بعد بعثرة القبور.

ونظير هذا المثال من السنة قوله ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ومس الختان الختان؛ فقد وجب الغسل». فانظر كيف علق وجوب الغسل على شيئين، مع أنه لا يجب إلا بواحد منهما، وهو التقاء الختانين.

رابعا: الأدلة على أن زمن عيسى -؟ - يعقب الدجال:

تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم؟ وأغلب هذه الأحاديث فيها التصريح بقتل عيسى ابن مريم للدجال، وفي هذا دلالة واضحة بأن زمن عيسى يعقب الدجال، وفيما يأتي ذكر بعض الأحاديث الدالة على قتل عيسى؟ للدجال:

١ - عن أبي هريرة -؟ - أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق،

=

=

فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشأم خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته» أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الفتن، حديث (٢٨٩٧).

٢ - وعن النواس بن سمعان -؟ - أن النبي ﷺ ذكر الدجال فقال: ".... فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله.... » أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الفتن، حديث (٢٩٣٧). قال الحافظ ابن كثير في «النهاية» (١/ ١٤٩): «هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق؛ وقد رأيت في بعض الكتب أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية «فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق» فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي، وهذا هو الأنسب والأليق». اهـ

خامسا: الأدلة على أن زمن عيسى -؟ - فيه خير كثير، دنيوي وأخروي، والتوبة والإيمان مقبولان فيه:

هناك عدة أدلة تدل على أن زمن عيسى؟ التوبة والإيمان مقبولان فيه، سواء كانت التوبة والإيمان قبل نزوله، أم بعد ذلك.

وفيما يلي ذكر بعض هذه الأدلة:

الدليل الأول: قوله تعالى: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (١٥٩)) [النساء: ١٥٩].

=

=

حيث أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة أن جميع أهل الكتاب يؤمنون بعيسى؟ بعد نزوله، ولا يتخلف أحد منهم عن التصديق والإيمان به، فدل على قبول الإيمان في زمنه.

الإيرادات والاعتراضات على هذا الدليل:

الإيراد الأول: أن الاستدلال بهذه الآية غير مستقيم؛ لأن هناك خلافا بين المفسرين في مرجع الضمير في قوله: (قبل موته) [النساء: ١٥٩] فبعضهم يقول: إن الضمير راجع إلى الكتابي، والمعنى أن الكتابي يؤمن عند الموت والمعاينة، بأن عيسى؟ عبد الله ورسوله.

وقال آخرون: معنى الآية: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي.

والجواب: أن الصواب رجوع الضمير إلى عيسى؟ لا إلى الكتابي، وهذا هو مذهب الجمهور من المفسرين، روي عن أبي هريرة، وابن عباس، وبه قال أبو مالك، والحسن البصري، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وهو اختيار: ابن جرير، وابن كثير، والشوكاني، والشنقيطي.

ومما يرجح هذا الاختيار:

١ - أن الضمائر في الآيات التي قبلها كلها راجعة إلى عيسى؟ قال تعالى: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨)) [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

فقوله: (وما قتلوه) (وما صلبوه) (ولكن شبه لهم) (اختلفوا فيه) (لفي شك منه) (ما لهم به من علم) (وما قتلوه) (بل رفعه الله) كل هذه الضمائر راجعة إلى عيسى؟ ولما عطف عليها قوله: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) وجب أن يكون الضمير عائدا إلى عيسى؟ حتى تنسجم الضمائر.

٢ - ومما يقوي عود الضمير إلى عيسى؟ أن الأصل في الضمير عوده على مفسر مذكور، وليس في الآية ذكر للكتابي، وإنما المذكور عيسى؟.

«فأما من فسر الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام؛ فهذا هو الواقع، وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلا به فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيمانا نافعا له إذا كان قد شاهد الملك؛ كما قال تعالى: (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال

=

=

إني تبت الآن) [النساء: ١٨]، وقال تعالى: (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) [غافر: ٨٤ - ٨٥]، ومن تأمل هذا القول وأمعن النظر فيه اتضح له أنه هو الواقع، لكن لا يلزم منه أن يكون هو المراد من الآية، والله تعالى أعلم».

الإيراد الثاني: على التسليم بأن الضمير عائد على عيسى ؟؛ فإن هذا الإيمان إيمان اضطراري، بمعنى أن أهل الكتاب يتحققون أن عيسى عبد الله ورسوله، ومثل هذا لا ينفع صاحبه، كحالة الغرغرة فإن الإيمان لا ينفع عندها.

والجواب: أن الآية لم تفصل في هذا الإيمان، من حيث القبول والرد، فبقيت على إطلاقها بأن الإيمان نافع في زمن عيسى ؟ ولا يصح تقييدها إلا بدليل.

الدليل الثاني: على أن من أحدث إيمانا أو توبة في زمن عيسى ؟ قبل منه، حديث أبي هريرة، وفيه أن النبي ﷺ ذكر عيسى ابن مريم فقال: "... وإنه نازل... فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام».

والشاهد من الحديث قوله: «ويدعو الناس إلى الإسلام»، وهذا نص صريح بأن عيسى ؟ يدعو إلى الإسلام، ويلزم من دعوته أن الإيمان مقبول ممن آمن به واتبعه، وإلا فكيف يدعوهم إلى الإسلام وهو يعلم أن إسلامهم غير نافع لهم.

فإن قيل: إن اللفظ الذي استدللتم به غير متفق عليه بين رواة الحديث، حيث روي بلفظ: «فيقاتل الناس على الإسلام»، وبلفظ: «ويعطل الملل، حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام». وهذه الروايات ليس فيها أنه يدعو للإسلام، وعليه فلا يستقيم الاستدلال.

فالجواب: أن لفظ: «فيقاتل الناس على الإسلام» هو بمعنى لفظ «ويدعو الناس إلى الإسلام» ولا فرق؛ لأن قتاله الناس على الإسلام إنما هو من أجل أن يسلموا، فمن أسلم كف عنه، ومن أبى قاتله، يدل على هذا المعنى حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.... » ومعلوم أن النبي ﷺ لم يبعث للقتال وحسب، وإنما بعث لدعوة الناس للإيمان، والقتال إنما هو لمن أعرض وأبى.

وكذا الرواية الثانية هي بمعنى هذه الرواية، والله تعالى أعلم.

الدليل الثالث: ما ورد من أحاديث أن المسلمين يقاتلون العدو في زمن الدجال، وزمن عيسى ؟

=

(باب خروج الدَّابَّة)

*** تعريف الدابة لغة وشرعًا.**

الدابة لغة: الدابة: مشتقة من الفعل: دبّ، يَدبُّ، دبيبًا، أي: مشي يمشي، مشيًا رويدًا، ودبَّ الشيءُ في الشيءِ، سري، كما يقال: دبَّ الشرابُ في الجسدِ، ودب البِلَى في الثوب، ودب السَّقَمُ في الجَسَدِ.

والدابةُ: كلُّ ما يدب على الأرض للمذكر والمؤنث، جمعه: دواب، وتصغيره: دُوَيْبة [١].

فالدابة اسم لما دب من الحيوان؛ مميزة وغير مميزة، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ**

=

وقد جاء ما يفيد بأن التوبة لا تنقطع ما دام المسلمون يقاتلون العدو؛ فعن عبد الله بن وقدان السعدي أن النبي ﷺ قال: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»، والهجرة لا تنقطع حتى تنقطع التوبة؛ لحديث: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».

وفي هذا كله دلالة واضحة على أن التوبة لا تزال مقبولة في زمن الدجال، وعيسى؟ إلى أن تطلع الشمس من مغربها.

الدليل الرابع: قوله ﷺ عن عيسى؟: «ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام».

فهذا الحديث يدل على دخول الناس كافة في دين الله في زمن عيسى؟ ولا يقال بأن عيسى يقتل جميع من لم يكن مؤمنا؛ لأن هذا لم يرد به دليل، ويبعد أن يقتل أعدادا هائلة من البشر؛ لأن نزوله إنما هو لهداية الناس، لا لإزهاق أرواحهم، فدل على أن وقته يكون لدعوة الناس للإيمان، وبالتالي فزمنه زمن إيمان وقبول، والله تعالى أعلم. ا. هـ من كتاب ـ[الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم عرض ودراسة.

(١) انظر: لسان العرب (١/ ٩٣٨) ومعجم مقاييس اللغة (٣٣١) والمعجم الوسيط (٢٦٨).

يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥] فلما كانت الدابة تطلق على ما يعقل، وما لا يعقل قال: ﴿**فَمِنْهُمْ**﴾ ولو كانت لما لا يعقل لقال: (فمنها) أو (فمنهن) وكذلك قال: ﴿**مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ**﴾ وإن كان أصلها لما لا يعقل، لأنه لما خلط الجماعة فقال: منهم، جعلت العبارة بمن والمعنى: كل نفس دابة [(١)].

وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ**﴾ [فاطر: ٤٥] قيل: من دابة من الإنس والجن، وكل ما يعقل، وقيل: إنما أراد العموم؛ ويدل على ذلك ما روي عن بعض الصحابة أنه قال: كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم [(٢)].

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "دبَّ: الدال والباء أصل واحد صحيح منقاس، وهو حركة على الأرض أخف من المشي؛ **تقول: دب دبيبًا، وكل ما مشي على الأرض فهو دابة**"[(٣)].

وقد غلب اسم الدابة على ما يُركَبُ من الحيوان[(٤)].

وهل يدخل الطير في مسمى الدابة؟ لبعضهم كلام في إدخاله [(٥)].

قال كمال الدين الدميري (ت٨٠٨هـ): "الدابة ما دب من الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس منها الطير؛ لقوله تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ

---

(١) انظر: لسان العرب (١/ ٩٣٨) وجامع البيان في تفسير القرآن (٢/ ٣٩) (١٢/ ٢) وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٥٨٥).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٤٠) وفتح القدير (٤/ ٣٥٧) ولسان العرب (١/ ٩٣٨).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣٣١).

(٤) انظر: لسان العرب (١/ ٩٣٨) والمعجم الوسيط (٢٦٨).

(٥) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (٢/ ٣٩) والجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٦٤).

﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨][(١)].

ولكن يرد على هذا الاستدلال بقوله تعالى: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾** [هود: ٦].

وكذلك قوله ﷺ: «**والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**»[(٢)]

وأيضًا، فإن الطير يدب على الأرض برجليه في بعض الحالات، فلعل الصحيح إطلاق لفظ الدابة عليه كما يطلق لفظ الدابة على حيوان البحر أيضا[(٣)].

قال القرطبي (٦٧١هـ): "... ودابة تجمع الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس الطير، وهو مردود؛ قال الله تعالى: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾**فإن الطير يدب على رجليه في بعض حالات..."[(٤)]

الدابة شرعًا: هي الدابة التي يخرجها الله تعالى من الأرض في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق فتكلم الناس على ذلك [(٥)].

وعرّفها بعضهم بأنها: دابة عظيمة يخرجها الله تعالى للناس في آخر الزمان، فتكون من أشراط الساعة، ويكون منها التكليم للناس، خارقًا للعوائد المألوفة وتكون من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه؛ وذلك حين يقع القول الذي حتمه الله وفرض وقته على الناس، وحين يمترون بآيات الله تعالى، فتكون حجة

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٣١٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت (٦٥١٢) ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه (٩٥٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤١٨) والتفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (١٧/ ١٦٣).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٤).

وبرهانًا للمؤمنين، وحجة على المعاندين [١].

* **أدلة خروج الدابة.**

خروج الدابة آخر الزمان، وكونها من أشراط الساعة ثابت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ أما في كتاب الله تعالى فقد جاء التصريح بذكرها في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾** [النمل: ٨٢].

هذه الآية من كتاب الله تعالى دليل صريح على خروج دابة من الأرض، قرب يوم القيامة، تكلم الناس.

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في تفسير هذه الآية: "هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق؛ يخرج الله لهم دابة من الأرض.. فتكلم الناس على ذلك"[٢].

وقال السعدي (ت١٣٧٦ هـ): "وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث" [٣].

وقد يستدل على خروج الدابة بقوله تعالى: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٨].

فإن بعض أهل العلم حمل الآية على شرط واحد من أشراط الساعة، وهو طلوع

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦١٠) وصحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٣٥٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٦٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦١٠).

الشمس من مغربها، وذكروا أن المراد بالذي يأتي في قوله تعالى: ﴿**أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**﴾ هو طلوع الشمس من مغربها؛ إذ يسد باب التوبة حينئذ [١]وهذا يقع في الدنيا قبل يوم القيامة مع اتفاق علماء السلف على أن المراد بقوله تعالى: ﴿**تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ**﴾ هو إتيان حقيقي للملائكة والرب سبحانه وتعالى، وذلك كائن يوم القيامة [٢].

واستدل من حمل الآية على طلوع الشمس من مغربها بأدلة، منها: ما روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها**» ثم قرأ ﷺ الآية" [٣]، ونقل ابن حجر (ت٨٥٢هـ) أن هذا قول الجمهور [٤]، ورجحه أبو جعفر الطبري في تفسيره [٥].

وحمل بعض أهل العلم الآية على رؤية شيء من علامات الساعة أكثر من واحدة قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿**أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا**﴾ "وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها، حين يرون شيئا من أشراط الساعة [٦].

واستدل بعض من قال بهذا القول بما روي أبو هريرة أن رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (٥/ ٤٠٨-٤١١).
(٢) انظر: المصدر السابق (٥/ ٤٠٤).
(٣) أخرجه البخاري كتاب تفسير القرآن باب: "لا ينفع نفسًا إيمانها" (٤٦٣٦).
(٤) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٥٣).
(٥) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (٥/ ٤١١) وفتح الباري (١١/ ٣٥٣).
(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٥٩).

قال: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدابة**»[(١)].

وقال أبو جعفر الطبري بعد أن ذكر القول الأول: "وقال آخرون: بل ذلك بعض الآيات الثلاث: الدابة، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها"[(٢)].

فإذا قلنا بالرأي الثاني، وهو أن الآية مفسرة بحديث مسلم، السابق ذكره فإن الآية تدل بمفهومها على خروج الدابة. إلا أن أهل العلم يرجحون تخصيصها بطلوع الشمس من مغربها؛ إذ عند ذلك يغلق باب التوبة.

وأما الأدلة من السنة، فقد ورد ذكر خروج الدابة وأنه من أشراط الساعة في أحاديث منها ما يلي:

١- عن حذيفة بن أسيد الغفاري، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات**» فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

وفي رواية عن حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا قال: «**ما تذكرون؟**»قلنا: الساعة، قال: «**إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها،**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (٢٤٩) وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٤٥، ٤٤٦).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (٥/ ٢١١).

ونار تخرج من قعر عدن، ترحل الناس) [(١)].

قال النووي (ت٦٧٦ هـ) "وأما الدابة المذكورة في هذا الحديث فهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾[(٢)].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدجال، أو الدخان، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة**».

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم**» [(٣)].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**» [(٤)].

---

(١) الروايتان في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٢٩٠١) وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ٦).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٢٧).

(٣) الروايتان في صحيح كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال (٢٩٤٧) وأخرجه في المسند (٢/ ٣٢٤، ٣٣٧، ٣٧٢، ٤٠٧، ٥١١) و(خاصة أحدكم) أي حادثة الموت التي تخص كل إنسان، وفي الرواية الأخرى: (خويصة أحدكم) تصغير خاصة؛ صغرت لاحتقارها في جنب ما بعدها من البعث والعرض والحساب وغير ذلك ومعنى (أمر العامة) أي القيامة؛ لأنها تعم الناس بالموت.
فيكون المعنى: بادروا بالأعمال موت أحدكم والقيامة.
انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٦٦، ٦٤٢) وصحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٨٧).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٥٨) وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٤٥، ٤٤٦).

٤- عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا**)[1].

* **أقوال الناس في ماهية الدابة وأوصافها.**

اتفق المسلمون على أن الله تعالى يخرج في آخر الزمان دابة من الأرض بصفتها أحد أشراط الساعة، مصداقًا لكتاب الله تعالى، وما صح من سنة الرسول ﷺ فيها، ولم يختلفوا في وقوع ذلك [2] وإنما حصل الخلاف في ماهية تلك الدابة وأوصافها، على أقوال كثيرة، ومن ذلك ما قيل إنها:

١- **الجسّاسة:**

فقد جزم بعض من تحدث عن دابة آخر الزمان بأنها الجسّاسة، المذكورة في حديث تميم الداري، عندما ركب في سفينة هو وبعض أصحابه، فماج بهم البحر شهرًا، ثم أرفأت السفينة إلى جزيرة، فدخلوها، فلقيتهم دابة أهلب [3] كثيرة الشعر، لا يدرون ما قبلها من دبرها، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك من أنت؟ فقالت: "أنا الجساسة" الحديث، ثم دلتهم على الدجال فقابلوه، إلى آخر الحديث الذي حدث به

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض.. (٢٩٤١) وأخرجه أبو داود كتاب الملاحم باب أمارات الساعة (٤٣١٠) وأخرجه ابن ماجة كتاب الفتنة باب طلوع الشمس من مغربها (٤٠٦٩) وأحمد في المسند (٢/ ١٦٤، ٢٠١).

(٢) انظر: البحر المحيط (٧/ ٩٦، ٩٧) وفتح القدير (٤/ ١٤١، ١٥٣) وروح المعاني (٢٠/ ٢٤) وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦١٠).

(٣) أهلب: أي كثيرة الشعر، انظر: لسان العرب (٣/ ٨١٧).

رسول الله ﷺ أصحابه، مقررًا ما ذكره له تميم الداري رضي الله عنه [١].

وممن جزم بأن الدابة هي الجساسة: محمود الزمخشري [٢] (ت ٥٣٨هـ) وعبد الله البيضاوي [٣] (ت٦٨٥هـ) وعبد الله بن أحمد النسفي [٤] (ت٧١٠هـ) والحسن بن محمد النيسابوري [٥](ت ٨٥٠هـ) وغيرهم [٦].

وقال النووي (ت٦٧٦هـ): "وعن ابن عمرو بن العاص؛ أنها الجساسة المذكورة في حديث الدجال" [٧].

وصرح في موضع آخر بأنه يعني عبد الرحمن بن عمرو بن العاص؛ وذلك في قوله عند حديثه عن الجساسة: "وجاء عن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن"[٨] كما نقله بعض العلماء عن عبد الله بن عمرو بن العاص [٩].

ونسب القرطبي القول بأن الدابة هي الجساسة إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما [١٠].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب قصة الجساسة (٢٩٤٢).
(٢) الكشاف (٣/ ١٥٩).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ١٢١).
(٤) تفسير النسفي (٣/ ٢٢٢).
(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بهامش جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١٦).
(٦) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٢٠/ ٣٤) وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٣/ ٢٠٤) وتفسير روح البيان (٦/ ٣٧٢) وتفسير أبي السعود (٤/ ٢١٦).
(٧) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٢٧، ٢٨).
(٨) المصدر السابق (١٨/ ٧٨).
(٩) انظر: المفهم شرح مسلم (٧/ ٢٤٠) والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٥٦).
(١٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة =

وقال الشوكاني (ت١٢٥٠ هـ) في حديثه عن الدابة: "وقيل هي دابة ذات شعر وقوائم طوال، يقال لها الجساسة [(١)].

ولعلّ دليل هؤلاء أنه ورد تسمية الجساسة بدابة، وجاء في وصفها بأنها (دابة أهلب، كثيرة الشعر، لا يدرون ما قُبُلُها من دُبُرِها)[(٢)]؛ فكونها دابة يتوافق مع تسمية علامة آخر الزمان بالدابة، وكونها بذلك الوصف الغريب، والشكل الذي يبدو غير مألوف، فهو يتوافق مع الأشراط الكبرى للساعة، التي تعد خوارق للمألوف.

ولا شك أن هذا استدلال بعيد؛ فالدابة تطلق على كل ما دب ومشي على الأرض، كما سبق ذلك في التعريف اللغوي في المبحث الأول، فلا دلالة لهم بتوافق التسميتين؛ إذ لا يلزم من ذلك أنهما شيء واحد.

أما الأوصاف فلم يثبت في دابة آخر الزمان وصف يتوافق مع ما ذكر في أخبار الجساسة، ووجود الغرابة في وصفها لا يكفي دليلا على أنهما شيء واحد.

وكذلك لو قيل بأن الجساسة كانت تتجسس الأخبار للدجال، وهو من الأشراط الكبرى للساعة، ودابة الأرض في آخر الزمان هي أحد الأشراط الكبرى للساعة فإن هذا لا يصلح دليلا على أنهما شيء واحد، والكلام في الغيبيات لا يجوز الجزم به واعتقاده إلا بنص شرعي صحيح، ولا دليل على ذلك.

وأما ما ينقل عن بعض الصحابة، ففي ثبوته عنهم نظر، وعلى فرض ثبوته فهو مجرد اجتهاد اعتقاده يحتاج إلى نص من الوحي المعصوم

٢- فصيل ناقة صالح:

=

(٢/ ٥٧٩).

(١) فتح القدير (٤/ ١٥١) وانظر: منار السبيل في الأضواء على التنزيل (٣/ ١٢٤).

(٢) هكذا وصفها في صحيح مسلم، انظر تخريج قصة الجساسة سبق قبل قليل (٣٣).

قال بعض أهل العلم بأن الدابة هي فصيل ناقة صالح؛ يخرج عند اقتراب القيامة، ويكون من أشراط الساعة [١].

وقال القرطبي (ت٦٧١هـ) عن القول بأن الدابة هي فصيل ناقة صالح بأنه أول الأقوال وأصحها؛ ولهذا قرره واستدل له[٢].

ودليله على ما قرره: حديث حذيفة عن رسول الله ﷺ أنه قال عن الدابة: «**لها ثلاث خرجات..**» الحديث، وموضع الشاهد قوله: «**ولم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام**» قال القرطبي: "وموضع الدليل من هذا الحديث أنه الفصيل: قوله: (وهي ترغو) والرغاء إنما هو للإبل؛ وذلك أن الفصيل لما قتلت الناقة هرب، فانفتح له حجر، فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله ﷻ [٣]".

ويرد على استدلاله رحمه الله بأن الحديث ضعيف (٤) لا يحتج به على هذه المسائل الغيبية، ثم على فرض صحته فإنه قد جاء في بعض ألفاظه (تدنو) وكذلك (تربو) بدل (ترغو) كما هو في مستدرك الحاكم (٥)، وعلى فرض صحته وثبوت لفظ (ترغو)؛ فإنه لا دليل على أنها فصيل ناقة صالح، فقد تكون دابة من الدواب صوتها رغاء، هذا إذا سلمنا بما سبق، كيف والحديث ضعيف، والألفاظ مضطربة، ثم إذا سلمنا جدلا بكل ما سبق؛ أعني كونها فصيل ناقة ترغو، فأين الدليل على أنها فصيل ناقة صالح؟

---

(١) انظر: فتح القدير (٤/ ١٥١) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٧٠) وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٣/ ٢٠٥).

(٢) سيأتي تخريجه في المبحث الرابع انظر: (٧٢، ٧٣).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرن (١٣/ ١٧٨-١٨٠) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٥٨٢، ٥٨٣) وانظر فتح القدير (٤/ ١٥١).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٨-١٨٠) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٥٨٢، ٥٨٣).

(٥) المستدرك (٤/ ٤٨٥، ٤٨٦) ومنحة المعبود ترتيب مسند الطيالسي (٢/ ٢٢٠، ٢٢١).

فهذا خوض في الغيبيات بلا دليل، وفي ذلك من المحاذير الخطيرة ما فيه.

ألفاظ مضطربة، ثم إذا سلمنا جدلا بكل ما سبق؛ أعني كونها فصيل ناقة ترغو، فأين الدليل على أنها فصيل ناقة صالح؟ فهذا خوض في الغيبيات بلا دليل وفي ذلك من المحاذير الخطيرة ما فيه.

٣- الثعبان المشرف على جدار الكعبة:

حين أرادت قريش بناءها فأرسل الله طائرًا فغرز مخالبه في قفا الثعبان، ثم انطلق به حتى رماه في أجياد وقيل في الحجون [١].

فقد حكى محمد بن الحسن المقري النقاش (ت٣٥١هـ) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنه قال: إن ذلك الثعبان هو دابة الأرض التي تخرج في آخر الزمان [٢].

وهذا القول لا دليل عليه من الكتاب ولا السنة، ولم يثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ما حكي عنه قوله، وهذه المسألة من الأمور الغيبية التي لا يجوز اعتقادها إلا بدليل من الوحي، ولا دليل.

٤- وقيل: إن الدابة **إنسان ناطق متكلم**، يناظر أهل البدع ويراجع الكفار [٣].

---

(١) الحجون جبل بأعلى مكة، على بعد ميل ونصف من البيت انظر معجم البلدان (٢/ ٢٢٥) وهذه الحادثة أخرجها عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ١٠٢) (٩١٠٦) والذهبي في تاريخ الإسلام، السيرة النبوية (٧٥-٧٧) وقال: هذا حديث صحيح، وانظر فتح الباري (٣/ ٢٨٥) وطبقات ابن سعد (١/ ١٥٧)

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧١) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٥٧٩) والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٥٧) وفتح القدير (٤/ ١٥١) وروح المعاني (٢٠/ ٢٢) وحياة الحيوان (٢/ ٣١٦) والروض الأنف (١/ ٢٣٥).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الأخرى (٢/ ٥٧٨) والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٥٧) وفتح القدير =

واستدل من قال بهذا القول بقوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ففهم أن الكلام لا يصدر إلا من إنسان [١].

واستدل أيضًا بما يروى عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه سئل عن الدابة فقال: "أما والله ما لها ذنب وإن لها للحية" [٢] قال السمعاني (ت٤٨٩هـ) بعد أن نقل ما يروى عن علي رضي الله عنه: "كأنه يشير إلى أنه رجل، وليست بدابة، والأكثرون على أنها دابة، وهي تخرج في آخر الزمان [٣].

وذكر الماوردي (ت٤٥٠هـ) أن محمد بن كعب حكى هذا القول عن علي رضي الله عنه، ثم قال الماوردي: "وفي هذا إشارة إلى أنها من الإنس، وإن لم يصرح" [٤].

ويقول أحد من أول الدابة بإنسان عالم مناظر: "وفي ظني، والله أعلم بكتابه، أن تلك الدابة هي إنسان عادي، عالم بكتاب الله وسنة رسوله وأحكام شرعه، يظهر في هذا الوقت الذي يقل فيه العلماء، ويقبض فيه العلم بموتهم وينعدم حفظة القرآن الكريم.. في هذا الوقت الذي يكثر فيه الفساد، ويعم الجهل بأحكام الدين، ويتخذ الناس رؤساء جهلاء، يستفتونهم في دينهم فيفتونهم فيضلون ويضلون..

=

(٤/ ١٥١) والتفسير المنير (٢٠/ ٣٤).

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩) والدر المنثور (٦/ ٣٨٢) والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٥٧) وروح المعاني (٢٠/ ٢٢)والتفسير المنير (٢٠/ ٣٥).

(٢) انظر: النكت والعيون، تفسير الماوردي (٣/ ٢١٠) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩) وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٣) وفتح القدير (٤/ ١٥١).

(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٣).

(٤) النكت والعيون، تفسير الماوردي (٣/ ٢١٠) وانظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩).

والذي دعاني إلى تفسير الدابة بالإنسان وصفها بالكلام، ولأن الإنسان دابة من الدواب، ولقول النبي ﷺ، وقد سئل عن الدابة وخروجها، فقال: «**تخرج من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى المسجد الحرام**» (١) ولقد قال بهذا بعض المفسرين (٢).

٥- بل قيل: إن المراد بالدابة **جماعة المؤمنين** الذين ينصرون الرسول ﷺ وأتباعه، "والمعنى: أن أولئك الصم عن سماع الآيات، العمي عن النظر فيها، الجاحدين لها، سيأتيهم أنباء حقيقة ما كانوا يدعون إليه من نصر الداعي وهو الرسول وأتباعه، وتكثير سوادهم حتى يظفروا بمناوئيهم، ويظهروا على عدوهم؛ وذلك بأن تدب إليهم من المؤمنين دابة عظمى، تملأ السهل والرُّبى، تزلزل أركانهم وتهدم بنيانهم وتقوض خيامهم وتدك أعلامهم، فتكلمهم حينئذ بلسان الحال أو المقال، بأنهم إنما أخذوا بالعقاب، وحل بهم شديد العذاب لضلالهم وإضلالهم العباد، وسعيهم في الأرض الفساد؛ فإن الإيمان دعامة الصلاح والإصلاح، وقائد الفلاح والنجاح وقد سبقت كلمته لعباده المرسلين إنهم لهم المنصورون، وإن جنده لهم الغالبون، وقد صدق وعده، وأعز جنده (٣).

والحق أن هذا القول مخالف للصواب؛ فإن استدلال من قال به بالآية استدلال بعيد؛ فالدابة أمر خارق للعادة، من أشراط الساعة الكبرى العظام، والله قادر سبحانه وتعالى، على إنطاق ما شاء من الدواب لإفهام الناس أو إقامة الحجة عليهم، أو نحو ذلك مما أراده الله تعالى من الحكم في إخراجها آخر الزمان.

أما الاستدلال بالآثار التي ذُكِرَت، فلا حجة فيها، فإنها غير ثابتة، وعلى فرض

---

(١) حديث ضعيف، سيأتي تخريجه في المبحث الرابع.
(٢) التفسير الواضح (٢٠/ ١٤).
(٣) محاسن التأويل (١٣/ ٤٦٨٦).

ثبوتها، فهي آراء في أمور غيبية لا تثبت إلا بالوحي: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

ثم يرد على من قال بهذا القول بأن رأيه بعيد لأمور:

أولها: أن الدابة التي أخبر الله بخروجها آخر الزمان آية كبرى، وعلامة عظمة تدل على قرب قيام الساعة، والقول بأنه إنسان يناظر أهل البدع والكفر، أو أنه جماعة المؤمنين، ينفي كون هذه العلامة آية خاصة خارقة للعادة.

ثانيها: أن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع والكفر والمناصرين للحق كثير في تاريخ المسلمين؛ منذ القرن الأول، وعبر التاريخ الإسلامي كله، لم ينقطع أولئك المجاهدون، المقررون للعقيدة والمناظرون للمخالفين، فالقول بأن الدابة التي أخبر الله ورسوله عنها أنها من علامات الساعة الكبرى رجل مناظر محتج على أهل البدع والكفر ينفي كون الدابة من العشر الآيات العظام المذكورة في حديث حذيفة الصحيح السابق ذكره؛ إذ لا آية خاصة بها فلا ينبغي أن تذكر مع العلامات العشر إذا كانت الدابة عالم يناظر ويحتج لدين الله.

كما أن القول بذلك يرفع خصوصية الدابة إذا وقع القول عليهم، وأراد الله. إخراجها، إذ تكون معتادة عند الناس قبل ذلك.

ثالثها: أن القول بأن الدابة التي يخرجها الله في آخر الزمان إنسان مناظر ومحتج على أهل البدع والكفر، فيه تسمية العالم المناظر المجاهد بالدابة، وفي ذلك عدول عن تسمية الإنسان العالم الفاضل المناظر بهذه الأسماء الدالة على التوقير والاحترام إلى أن يسمى بدابة، وفي هذا خروج عن عادة الفصحاء، وعن توقير العلماء وليس ذلك دأب الفضلاء، وطلاب العلم، فضلا عن العلماء، وتسمية الكتاب والسنة اللذين ليس فيهما ما يدل على تلك التسمية البتة [1].

---

(١) انظر: المفهم شرح مسلم (٧/ ٢٣٠) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٥٧٨).

٦- زعم بعض غلاة الشيعة أن الدابة هي علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ يخرج في آخر الزمان، فيَسِمُ الناس ويكلمهم.

فقد ورد في الأخبار أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بويع بالخلافة خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ، فقال له: أنت دابة الأرض، فقال له: اتق الله، فقال له: أنت الملك، فقال: اتق الله، فقال: أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق، فأمر بقتله: "فاجتمعت الرافضة فقالت: دعه وانفه إلى ساباط المدائن[1].

وقد جاء في كتب أولئك الغلاة ما نصه: "انتهى رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين [أي: علي بن أبي طالب] وهو نائم في المسجد قد جمع رملا، ووضع رأسه عليه فحركه برجله ثم قال له: قم يا دابة الله، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله: أيسمى بعضنا بعضًا بهذا الاسم؟ فقال: لا والله، ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ ثم قال: يا علي: إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة، ومعك ميسم[2] تسم به أعداءك، فقال رجل لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ [يعنون به جعفر الصادق، الذي ينسبون إليه رواية هذا الكلام]: إن الناس يقولون: هذه الدابة إنما تكلمهم؟ فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: كلمهم الله في نار جهنم، إنما هو يكلمهم من

=
أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٥٧٨).

(١) تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٤٣٠) وانظر قصة إحراق علي رضي الله عنه أولئك الزنادقة في صحيح البخاري كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم (٦٩٢٢) وانظر منهاج السنة النبوية (١/ ٣٠، ٣٠٦-٣٠٨) وفتح الباري (١٢/ ٢٧٠، ٢٧١).

(٢) الميسم: هو المكواة، أو الشيء الذي يوسم به، انظر لسان العرب (٣/ ٩٢٧، ٩٢٨) وتهذيب اللغة (١٣/ ١١٤) والقاموس المحيط (٤/ ١٨٨).

الكلام[١].

وكذلك ما يروونه عن علي رضي الله عنه أنه قال: "ولقد أعطيت الست علم المنايا والبلايا، والوصايا، وفصل الخطاب، وإني لصاحب الكرات، أي الرجعات إلى الدنيا ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس"[٢].

قال أحد علمائهم شارحًا هذا الكلام المنسوب إلى علي: "المنايا: أي آجال الناس، والبلايا: أي ما يمتحن الله به العباد من الأمراض والآفات، وفصل الخطاب: أي الخطاب الفاصل بين الحق والباطل.. وأنا صاحب الكرات ودولة الدول: أي الحملات في الحروب والغلبة فيها، أو المعنى: أرجع إلى الدنيا مرات شتى، وكانت غلبة الأنبياء على أعاديهم ونجاتهم من المهالك بسبب التوسل بنوري[٣].

ويروون في كتبهم: "أن رجلا قال لعمار بن ياسر: يا أبا اليقظان: آية في كتاب الله أفسدت قلبي، قال عمار: وأية آية هي؟ فقال: هذه الآية: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ فأية دابة الأرض هذه؟ قال عمار: والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يأكل تمرًا وزبدًا، فقال: يا أبا اليقظان: هلم، فجلس عمار يأكل معه، فتعجب الرجل منه، فلما قام عمار، قال الرجل: سبحان الله حلفت أنك لا تأكل ولا تشرب حتى ترينيها، قال عمار: أَرَيْتُكَها، إن كنت تعقل[٤].

---

(١) تفسير القمي (٢/ ١٣٠، ١٣١).

(٢) بصائر الدرجات الكبرى (٤/ ٢١٩-٢٢١) لأبي جعفر محمد بن الحسن الصفار (ت٢٩٠هـ) ومختصر بصائر الدرجات (٢٠٨) وأصول الكافي (١/ ١٩٨) وانظر (ابن سبأ حقيقة لا خيال) (٤٢) وضحى الإسلام (٣/ ٣٧).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٢٦/ ١٤٢، ١٤٨) وابن سبأ حقيقة لا خيال (٤٢).

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن (٤/ ٢٣٤) وانظر تفسير القمي (٢/ ١٣١) وروح المعاني =

والعجب أن بعضهم يعترف بصلة هذه العقيدة باليهود؛ فإنهم يروون عن الأصبغ بن نباتة أنه قال: "قال لي معاوية يا معشر الشيعة تزعمون أن عليًا دابة الأرض؟ فقلت: نحن نقول: اليهود تقوله، فأرسل إلى رأس الجالوت فقال: ويحك تجدون دابة الأرض عندكم؟ فقال: نعم، فقال: ما هي؟ فقال: رجل، فقال: أتدري ما اسمه؟ قال: نعم، اسمه إليا، قال: فالتفت إلي فقال: ويحك يا أصبغ ما أقرب إليا من علي"[1].

هذه الأقوال يروونها من طريق جابر الجعفي (ت١٦٧هـ) وهو أحد علماء الشيعة واسمه جابر بن يزيد بن الحارث الكوفي.

قال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر الجعفي، ما أتيته بشيء إلا جاءني فيه بحديث، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث لم يظهرها.

وقال الشافعي: أخبرني سفيان بن عيينة، قال: سمعت من جابر الجعفي كلامًا فخرجنا خوفًا أن يقع علينا السقف.

وقال ابن حبان: كان جابر الجعفي سبئيًا من أصحاب عبد الله بن سبأ، كان يقول إن عليًا يرجع إلى الدنيا.

نقل هذه الأقوال الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

هذا هو سند من زعم أن دابة الأرض هو علي بن أبي طالب، فقولهم أبعد ما يكون عن النقل والعقل؛ فهو باطل سندًا ومتنًا، وبعيد عن المنقول والمعقول؛ إذ كيف يزعم أن علي بن أبي طالب سيعود إلى الدنيا بعد موته؟ وكيف يكون هو دابة

=

(٢٠/ ٢٢).

(١) انظر: بصائر الدرجات الكبرى (٤/ ٢٢٠، ٢٢١) ومختصر بصائر الدرجات (٢٠٨).

(٢) انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٣٧٩-٣٨٤) وفي المصدر أقوال أخرى لأهل العلم في جابر الجعفي فلتراجع.

الأرض؛ ذلك المخلوق غير المألوف، الذي هو أحد الشرائط الكبرى للساعة؟

ولا يقال لإنسان إنه سيعود إلى الدنيا بعد موته؛ إذ لا دليل على ذلك البتة، إلا ما ثبت في حق المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فإنه رفع إلى السماء لقوله تعالى: ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء: ١٥٨] ثم ينزل آخر الزمان، ونزوله أحد الشرائط الكبرى للساعة، لقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد..**»[1].

وهذا خاص في عيسى ابن مريم عليه السلام أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو مثل غيره من البشر؛ مات ودفن، وسيبعث يوم القيامة لا قبلها.

ثم إنه لا يخطر ببال أحد أن الدابة هي علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ففرق بين ذلك الصحابي الجليل، والدابة التي هي أحد الأشراط الكبرى للساعة ويستفاد هنا مما سبقت الإشارة إليه من إبطال قول من زعم أن الدابة إنسان مناظر، وعلم محتج على أهل البدع.

٧- وقيل: عني بالدابة الأشرار الذين هم في الجهل بمنزلة الدواب، فتكون الدابة جمعًا، اسمًا لكل شيء يدب، نحو خائنة جمع خائن؛ قالوا: ولعل الآية كقوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧] فإن يأجوج ومأجوج كالدابة لما يغطي بدبيبه وجه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى ابن مريم (٣٤٤٨) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ (١٥٥).

الأرض فهو مثلٌ في الكثرة[١].

هذا القول في الدابة من أغرب الأقاويل، وأعجب الآراء؛ فكيف يقال: إن الدابة هي الأشرار والجهال، وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ فهي دابة واحدة تخرج في آخر الزمان ويقول الله تعالى عنها: ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ فهي تكلم الناس وتميز بين المؤمن والكافر، والأشرار والجهال لا يفعلون ذلك، بل هم مع الكفار والعصاة والمخالفين، فلا يميزون بين المؤمن والكافر، ولا يكلمون الناس بما فيه حجة وبرهان للمؤمنين، وحجة على المعاندين، وعلامة على قرب يوم الدين.

وبصيغة أخرى يرد عليهم بأمور منها:

أولا: أن الدابة أحد الأشراط الكبرى للساعة، وهي أمور غير مألوفة، بل مخالفة للعوائد البشرية، أما الأشرار والجهال فليسوا كذلك، بل وجودهم معروف منذ زمن الرسول ﷺ، وعليهم تقوم الساعة، فالقول بأن الدابة هي الأشرار نفي لدابة آخر الزمان؛ ذلك الأمر المجهول.

فالأشرار إذا خرجوا آخر الزمان، يكون خروجهم وظهورهم معتادًا عند الناس.

ثانيًا: أن الدابة تكلم الناس بما فيه البرهان للمؤمنين، وإقامة الحجة على الكافرين، والتمييز بين المؤمن والكافر، أما الأشرار والجهال فلا يحصل ذلك منهم بل هم في جانب الكفار والمخالفين.

ثالثًا: دلت النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، على أن الدابة

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (١٦٤) وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٥٨٥) ومحاسن التأويل (١٣/ ٤٦٨٧).

شيء واحد، أما الأشرار والجهال فهم أعداد كثيرة، فالقول بهذا الرأي معارض لظاهر النصوص الشرعية.

رابعًا: أن القول بإطلاق اسم الدابة على الأشرار والجهال مخالف للغة العربية، كما أنه مخالف للنصوص الشرعية؛ فالدابة اسم لكل ما يدب على الأرض من الأخيار والأشرار، من البشر وغيرهم، والنص الشرعي هو الذي حدد المراد بالدابة التي تخرج آخر الزمان.

٨- وقيل إنها: **الحشرات والجراثيم**:

زعم بعض الكتاب أن الدابة التي أخبر الله ﷻ بخروجها آخر الزمان، والتي هي علامة كبرى من علامات الساعة، لا مانع أن تكون: "من نوع الحشرات الموجودة الآن، وتكثر في المستقبل، لأي سبب من الأسباب، فيكون هجومها على الناس؛ على ضعفها وصغر حجمها، وتحميلهم الأذى الكبير، وعجزهم عن مقاومتها، مع ما أتوه من بسطة في العلم والحيلة، آية من آيات الله" وزاد من تأكيده هذا الرأي بقوله: "هذا ما يثلج عليه الصدر والله أعلم"(١).

وقال أبو عبية في تعليقاته على النهاية لابن كثير (٢): "ولعل المراد بالدابة هي تلك الجراثيم الخطيرة التي تفتك بالإنسان وجسمه وصحته، وبأمواله، زروعًا وثمارًا ومواشي، جزاءً له على بعض ما تجني يداه من إثم ونكر، وقصاصًا على بعض تعديه لحدود الله وما شرع لعباده.

والجراثيم الضارة الشديدة الخطورة منتشرة في كل مكان، تكاد تغطي مساحة الأرض وتملأ طبقات الجو، وهي تجرح وتقتل، ومن تجريحها وأذاها كلمات

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين (٤/ ١٤).

(٢) النهاية (١٩٠).

واعظة للناس لو كانت لهم قلوب ترجع بهم إلى الله ودينه وتلزمهم المحجة التي ضلوا عنها، وتركوها وراءهم ظهريًّا، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال" ثم قال في موضع آخر: "الدابة.. ظهرت وكثرت وانتشرت..."[١].

وكذلك قال محمد المكي الناصر (ت١٤١٤هـ): "وقد تكون هذه الدابة في منتهى الصغر ودقة الحجم، من جنس الحشرات الضارة والجراثيم الفتاكة الدقيقة، التي لم يعرفها الإنسان أبدًا، فتهجم عليه في مختلف أطراف الأرض وتتسلط عليه تسلطًا عامًا، وتؤذيه أذى كبيرًا، دون أن يستطيع الخلاص منها، ولا مقاومتها رغمًا عما يتبجح به من بسطة في العلم، وتفنن، في وجوه الحيلة، فيكون ذلك آية من آيات الله البينات، وعقابًا لمن انتهكوا جميع الحرمات، كما أشار إلى هذا الاحتمال الأخير الأستاذ فريد وجدي في موسوعته: دائرة معارف القرن العشرين، ومن السوابق في هذا الباب: ما ابتلي الله فرعون وقومه خاصة، من دون الناس عامة؛ إذ قال تعالى في سورة الأعراف: **﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾** [الأعراف: ١٣٢، ١٣٣][٢].

والحق أن القول بأن الدابة هي الحشرات والجراثيم قول لا شك في بطلانه وبعده عن مراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ من تلك الآية العظيمة وفساد هذا التأويل واضح من وجوه:

أحدها: أنه يلزم من تأويلهم الدابة بالحشرات والجراثيم تكذيب ما أخبر الله تعالى به، وأخبر به رسوله ﷺ بخروج دابة عظيمة في آخر الزمان تكلم الناس.

(١) المصدر السابق (١٩٩).
(٢) التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٤٧٢، ٤٧٣).

وتأويلهم هذا من جنس تأويل القرامطة، وسائر فرق الباطنية، والنحل المختلفة التي جرها التأويل إلى إنكار الجنة والنار والآخرة، وتأويل أسماء الله تعالى وصفاته.

ومن أسباب ذلك: عدم التسليم للنصوص الشرعية، وإخضاعها لأحكام العقول المجردة، مما أدى إلى تحريف الكلم عن مواضعه.

الثاني: أن الحشرات والجراثيم التي تفتك بالإنسان وأمواله، موجودة منذ القدم، ومنتشرة في جميع أنحاء الأرض وأما الدابة التي وعد الله تعالى، فهي أحد الآيات العظام التي يخرجها الله جل وعلا في آخر الزمان عند اقتراب الساعة.

الثالث: أنه دل ظاهر القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة على أن الدابة شيء واحد؛ دابة واحدة، أما الجراثيم والحشرات فهي أنواع كثيرة جدًا وعلى هذا، فتأويل الدابة بالحشرات والجراثيم مخالف للقرآن والسنة، وما كان أمره كذلك فيجب اطراحه وعدم النظر إليه، بل بيان فساده ومعارضته للنصوص الشرعية.

الرابع: أن الدابة التي أخبر الله بخروجها آخر الزمان من خوارق العادات غير المألوفة عند الناس، فهي خلق عظيم هائل فدل على أنها ليست من الدواب التي يعرفها الناس، ولا من الحشرات والجراثيم، فالدابة تكلم الناس وتخاطبهم، وتجرحهم وهذا مفارق للحشرات والجراثيم، التي لا تكلم الناس، بل إن منها ما لا يرى بالعين المجردة، فضلًا عن مخاطبة الناس وتكليمهم.

وعلى هذا فتأويل الدابة بالحشرات والجراثيم في غاية البعد والبطلان؛ لمخالفته صريح المنقول وسليم المعقول [1].

يقول أحمد شاكر (ت١٣٧٧هـ) عند ذكره لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ**....﴾ "والآية صريحة بالقول العربي أنها (دابة) ومعنى

(١) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن وأشراط الساعة (٣/ ١٨٣-١٨٥).

الدابة في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل..،

ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة، وأنها تخرج آخر الزمان...، ولكن بعض أهل عصرنا، من المنتسبين للإسلام، الذين فشا فيهم المنكر من القول، والباطل من الرأي، الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب، ولا يريدون، إلا أن يقفوا عند حدود المادة، التي رسمها لهم معلموهم وقدوتهم من ملحدي أوربة الوثنيين الإباحيين، المتحللين من كل خلق ودين؛ هؤلاء لا يستطيعون أن يؤمنوا بما نؤمن به، ولا يستطيعون أن ينكروا إنكارًا صريحًا، فيجمجمون، ويحاورون ويداورون ثم يتأولون، فيخرجون بالكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب؛ يجعلونه أشبه بالرموز، لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنون.

بل إن بعضهم لينقل التأويل عن رجل هندي معروف أنه من طائفة تنتسب للإسلام، وهي له عدو مبين، وعبيد لأعدائه المستعمرين، فانظر إليهم أني يتردون ويصرفون، وأي نار يقتحمون؟ ذلك بأنهم بآيات الله لا يوقنون (١).

نعم إن هؤلاء المحرفين لمراد الله تعالى ورسوله ﷺ ما هم إلا مقلدين للفلاسفة الماديين قديمًا وحديثًا، وبخاصة في دعواهم إخضاع نصوص الوحي لما تفرزه عقولهم من أفكار وأحكام، فإذا كانوا قد تجرأوا على رد آيات الأنبياء وتأويلها، والخوض بالباطل في أسماء الله وصفاته باسم العقل، فما الظن بهم في اعتقاد العلامات الغيبية التي لم تقع؟

يقول ابن القيم (ت٧٥١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على المعطلة: "فعلم أن من قدم ما يظنه من العقل على نصوص الوحي، لم يبق معه من الإيمان بالرسل عين ولا أثر ولا حس ولا خبر.

---

(١) تعليق الشيخ أحمد شاكر على مسند الإمام أحمد (١٥/ ٨٢).

وإذا كان هذا حالهم في الأمور التي وقعت وشاهدها الناس فكيف حالهم في الإيمان ببشر ينزل من السماء بين ملكين، واضعًا يديه على منكابهما والناس يرونه عيانًا [١]؟ وكيف حالهم في الإيمان بأن الشمس تطلع من مغربها [٢]، والناس يرونها عيانًا؟ وكيف حالهم إلى غير ذلك مما أخبر به الصادق؛ كدابة تنشق عنها الأرض، فتخرج تكلم الناس وتخاطبهم؟ إلى غير ذلك مما يقيمون بعقولهم شبهًا يسمونها أدلة عقلية تحيل ذلك، فمن قدم العقل على الوحي لم يمكنه أن يجزم بصدق شيء من ذلك، والله المستعان"[٣].

ويقول محمد المكي الناصري (ت١٤١٤هـ) "ولغرابة أمر هذه الدابة، التي توعد الله بها الأشقياء من عباده قبل قيام الساعة، أطلق غير واحد من المتقدمين والمتأخرين العنان لخياله الخصيب فأخذ كل منهم يتحدث عنها كأنه يراها رأي العين، فوصفوا خلقتها وماهيتها، وقدروا جسمها وحجمها، وعينوا موضع خروجها، وكيفية خروجها، وعدد المرات التي تخرج فيها، وذكروا ماذا تقوله للناس وتفعله بهم بعد خروجها [٤]، إلا أنه عاد وخاض في أمر الدابة وأوصافها فقال: "على أن هذا لا يمنع من تخيل هذا الدابة إذا كان ذلك على وجه الظن والتخمين [كذا!!] لإبراز أن خروجها من أمكن الممكنات طبعًا وسمعًا "[٥].

---

(١) انظر الخبر في ذلك عن رسول الله ص في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه (١١٠).

(٢) الحديث في ذلك أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في بقية من أحاديث الدجال (١٢٨.

(٣) كتاب الصواعق المراسلة على الجهمية والمعطلة (٣/ ٨٨٩، ٨٩٠).

(٤) التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٤٧١، ٤٧٢).

(٥) المصدر السابق (٤/ ٤٧١، ٤٧٢).

واستدل على إمكان ذلك أنه ثبت علميًا، كما يقول، أن ظهور الإنسان فوق سطح الأرض سبقه وجود حيوانات غريبة في شكلها وحجمها، ثم انقرضت قبل أن يوجد الإنسان على الأرض[١].

والحق أن ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كاف في الاعتقاد بأن خروج الدابة من أمكن الممكنات؛ وذلك لكل من سلم بالوحي وقدمه على آراء العقول، ثم العقول السليمة لا يمكن أن تحيل ما جاء من نصوص الوحيين، أما استدلاله بما قال بأنه ثابت علميًا، فإن الأمر ليس كذلك؛ ففي ثبوته حتى عند أهل العلم التجريبي نظر واختلاف ثم على فرض ثبوته فلا أظن أن فيه دلالة على خروج الدابة، وإمكانية ذلك، وهل التخمين في أوصافها يزيد من الإيمان بها؟ أبدًا بل قد يؤدي إلى التشكيك فيها؛ لغرابة ما ذكر في أوصافها.

ثم ختم كتابته بكلام جميل ليته وقف عنده ولم يظن ويخمن، فتأمل قوله: "ومجمل القول: إن الدابة التي جعلها الله من علامات الساعة لا يعلم بأمرها على وجه التحقيق إلا الحق سبحانه وتعالى، المنفرد بعلم الساعة، فلنؤمن بها على وجه الإجمال، ولنقف عند حدود ما وصفها به كتاب الله؛ ففي الوقوف عند ما قاله السلامة والنجاة[٢].

٩- وقيل بأنها **دابة مبثوث نوعها في الأرض**؛ فهي تخرج في كل بلد، وفي كل قوم، وليست دابة واحدة وعلى هذا فالدابة اسم جنس وقال بعضهم "فالدابة اسم جنس[٣]

(١) المصدر السابق (٤/ ٤٧٢).

(٢) التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٤٧٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧١) والبحر المحيط (٦/ ٩٧) وحياة الحيوان (٢/ ٣١٦) وروح المعاني (٢٠/ ٢٢).

لكل ما يدب وليست حيوانًا مشخصًا، معينًا، يحوي العجائب والغرائب..[(١)].

بل زعم بعضهم أن هذا النوع المخصوص من الدواب، وهو الدابة في نظرهم، سيخرجه الله يوم القيامة، لا أنه سيكون قبلها دالا على قربها [(٢)]كما ستأتي الإشارة إلى ذلك في مبحث وقت خروجها.

والقول بأن الدابة التي يخرجها الله تعالى في آخر الزمان اسم جنس لكل ما يدب، وليس مخلوقًا مخصوصًا معينًا قول بعيد عن الصحة، ولا وجه له البتة، وبيان مخالفته من وجوه:

أحدها: أن الدابة التي تخرج آخر الزمان من الأرض حيوان واحد، وليست أنواعًا متعددة، وليست اسم جنس لكل ما يدب على الأرض كما زعموا في تأويلهم بل دلالة القرآن، والسنة الصحيحة على أنها مخلوق واحد يخرج قرب يوم القيامة بصفتها إحدى علاماتها.

ومما يدل على أنها دابة واحدة أمور منها:

١- دلالة ظاهر القرآن في قوله تعالى: ﴿**دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ**﴾.

٢- دلالة الأحاديث الصحيحة؛ إذ لا يفهم منها إلا أنها دابة واحدة.

٣- في التعبير عنها باسم الجنس، وتأكيد إبهامها بالتنوين الدال على التفخيم، من الدلالة على غرابة شأنها، وخروج أوصافها عن طور البيان ما لا يخفي [(٣)].

الثاني: أن دابة الأرض من خوارق العادات غير المألوفة عند الناس، يخرجها الله فتكلمهم ﴿**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ وما كان كذلك دل على أنه نوع لم يسبق

(١) انظر: تعليقات "أبو عبية" على النهاية لابن كثير (١٩٩).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن (١٦٤) ومحاسن التأويل (١٣/ ٤٦٨٦).

(٣) انظر: روح المعاني (٢٠/ ٢٢) وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢١٦).

له الخروج بين الناس.

الثالث: أن خروج الدابة من أشراط الساعة الكبرى، كما دل على ذلك كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بل الدابة إحدى العلامات التي إذا خرجت لم ينفع أحدًا إيمانه إن لم يكن مؤمنًا قبل ذلك؛ لقوله ﷺ «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال ودابة الأرض**»(١).

فلو كانت الدابة اسم جنس تخرج على كل قوم لما كان الإيمان نافعًا لمن آمن بعد خروجها، ويلزم من ذلك نفي الإيمان عن كل المؤمنين الذين آمنوا بعد الخروج المتعدد من الأزمان المتفاوتة لتلك الدابة التي زعموا، وهذا معلوم البطلان بالضرورة.

الرابع: أن في قولهم هذا، وتأويلهم الباطل، تحكيمًا للعقول في الأمور الغيبية التي لا تتلقى إلا من الوحيين، مما يؤدي إلى تأويل النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث على خلاف مرادها الصحيح، وفي ذلك من الخطورة ما فيه من مشاقة الرسول والقول على الله تعالى بغير علم (٢).

وقد ذكر الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي (١٣٨٠) أن القول بأن المراد بالدابة النوع لا الفرد كذب وكفر صريح (٣).

١٠- أنها **دابة تخرج من الأرض في آخر الزمان** واختلف من قال بهذا في أوصافها

(١) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه في المبحث الثاني (٢٧).
(٢) اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٢/ ١٨٦، ١٨٧) بتصرف.
(٣) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٨٧، ١٨٨) نقلا عن المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية والأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية.

على أقوال منها:

*أنها دابة: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل [١] وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعًا، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان.

يروي هذا الوصف عن ابن الزبير [٢].

كما يروى عن ابن جريج (ت١٥٠هـ) وفيه زيادة: "اثنا عشر ذراعًا بذراع آدم عليه السلام" [٣].

وقال القرطبي: "وقيل جمعت من خلق كل حيوان" [٤].

وقال ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) "وقيل: هي مختلفة الخلقة، تشبه عدة من الحيوانات" [٥].

*وقيل: هي دابة على خلقة بني آدم، وهي في السحاب وقوائمها في الأرض [٦].

---

(١) الأيل هو ذكر الأوعال، انظر لسان العرب (١/ ١٣٢، ١٤٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٤) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢١٧) وقال: ذكره الثعلبي، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٦) والنكث والعيون تفسير الماوردي (٣/ ٢١٠) وزاد المسير في علم التفسير (٦/ ١٩٠، ١٩١)= =والدر المنثور (٦/ ٣٨٣) وقال: أخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر عن أبي الزبير، وفتح القدير (٤/ ١٥١).

(٣) انظر: الكشاف (٣/ ١٦٠) أما في زاد المسير (٦/ ١٩٠، ١٩١) فقال رواه ابن جريج عن ابن الزبير.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٨).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٩٥).

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩) وفتح القدير (٤/ ١٥١) ويروى هذا الأثر عن عمرو بن العاص، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٣) وأخرجه نعيم بن حماد في =

ونسب القرطبي هذا القول إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما [١]

وقال ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) "وروي عن ابن عمر أنها على خلقة الآدميين، وهي في السحاب وقوائمها في الأرض"[٢].

* ويروى عن وهب بن منبه أنه قال: "وجهها وجه رجل، وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون" [٣].

*ويروى عن علي بن أبي طالب أنه قال"إنها دابة لها ريش، وزغب، وحافر وما لها ذنب ولها لحية، وإنها لتخرج حضر[٤]الفرس الجواد ثلاثًا وما خرج ثلثها[٥]، وهذا الوصف متناقض مع ما سيأتي بعد قليل من أن طولها ستون ذراعًا وهو غير ثابت أيضًا.

*ويقول محمد المكي الناصري (ت١٤١٤هـ) "وقد تكون الدابة عبارة عن إنسان مسيخ؛ مسخه الله في شكل بهيمة لكن أبقى له ملكة النطق ليكلم شرار الخلق باللغة التي يفهمونها، كما مسخ أناسي من قبل فجعلهم قردة وخنازير" [٦]وأشار إلى قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**

=

الفتن (٤٤٦) (١٣٧٣).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٩).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧١).

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير (٦/ ١٩٠، ١١) وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٣) والبحر المحيط (٦/ ٩٦، ٩٧) وفتح القدير (٤/ ١٥٠، ١٥١).

(٤) حضر الفرس: أي عدو الفرس، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١٤) ولسان العرب (١/ ٦٦٠).

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٦) والدر المنثور (٦/ ٣٨٢) والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٥٥).

(٦) التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٤٧٢).

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

*وقيل: هي دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم.

يروى هذا الوصف عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١].

*وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: هي مثل الحربة الضخمة[٢].

وقال الشوكاني: "وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال: الدابة ذات وبر وريش مؤلفة من كل لون لها أربع قوائم تخرج بعقب من الحاج "[٣].

*وعن ابن عباس أيضًا أنه قال: "الدابة مؤلفة ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سيما، وسيماها من هذه الأمة أنها تتكلم بلسان عربي مبين؛ تكلمهم بكلامها"[٤].

*ويروى عن مقاتل (١٥٠هـ) أنه قال: "إن لها أربع قوائم وزغبًا وريشًا وجناحين[٥].

*وقد أخرج ابن أبي حاتم عن النزال بن سيرة قال: قيل لعلي بن أبي طالب: "إنا ناسًا يزعمون أنك دابة الأرض، فقال: والله إن لدابة الأرض ريشًا وزغبًا، وما لي ريش

---

(١) أخرجه أبو عمرو الداني في كتاب السنن الواردة في الفتن (٣٢٥) رقم (٧٠١) وإسناده ضعيف وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧١) وتفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٨٤) وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٣) والنكت والعيون (٣/ ٢١٠) وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٦) وزاد المسير في علم التفسير (٦/ ١٩٠، ١٩١).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٦).

(٣) فتح القدير (٤/ ١٥٢) وانظر الدر المنثور (٦/ ٣٧٨).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٣) وقال أخرجه ابن المنذر.

(٥) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٦/ ١٩١) والكشاف (٣/ ١٦٠).

ولا زغب، وإنها لها لحافر، ومالي من حافر" [١].

*وقيل إن الدابة فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب.

يروى هذا الوصف عن أبي هريرة رضي الله عنه [٢].

*وعن ابن عباس أنه قال في الدابة: "ذات وبر وريش، مؤلفة فيها من كل لون"[٣].

*وروي أنها لا تخرج إلا رأسها، ورأسها يبلغ عنان السماء، أو يبلغ السحاب [٤].

*وقيل جاء في الحديث: (أن طولها ستون ذراعًا، لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب)[٥].

قال القرطبي: "وقيل دابة مزغبة ذات قوائم، طولها ستون ذراعًا"[٦].

وقال ابن الأثير (ت٦٠٦هـ): "قيل إنها دابة طولها ستون ذراعًا، ذات قوائم ووبر" [٧].

*وقيل إنها دابة ذات وبر، تناغي السماء؛ يروى هذا الوصف عن الشعبي [٨].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٨٢) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٣) وانظر روح المعاني (٢٠/ ٢٢).

(٢) انظر: الكشاف (٣/ ١٦٠) وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٦) والدر المنثور (٦/ ٣٨٢) وذكر أنه أخرجه ابن أبي حاتم، وهو في تفسيره (٢/ ٨٢).

(٣) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٨) أنه أخرجه عبد بن حميد.

(٤) انظر: الدر المنثور (٦/ ٣٨٢).

(٥) انظر: الدر المنثور (٦/ ٣٨٢) وهو حديث ضعيف سيأتي تخريجه في مبحث: مكان خروجها.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٨).

(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٩٥).

(٨) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢١٠) وأخرجه عبد بن حميد، انظر الدر المنثور (٦/ ٣٧٨) وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٧) (١٣٨٣) وإسناده حسن.

وعن الحسن البصري (ت١١٠هـ) أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل ربه أن يريه الدابة، فخرجت ثلاثة أيام ولياليهن، تذهب في السماء، ولا يرى واحد من طرفها، قال: فرأى منظرًا فظيعًا، فقال: رب ردها، فردها [١].

*أنها ذات وبر وريش.

روي عن حذيفة بن اليمان أنه رواه عن رسول الله ﷺ [٢].

ويروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**تخرج دابة الأرض من أجياد فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد**» قال: «**وهي دابة ذات وبر وقوائم**» [٤].

هذا ما نقل في ماهية الدابة، وأوصافها، والصحيح أنه لم يثبت من هذه الأقوال شيء، إلا القول العاشر الذي يذكر أنها دابة تخرج من الأرض في آخر الزمان تكلم الناس، وما ذكر من أوصافها بعده فلم يثبت منه شيء أيضًا.

إلا أننا نجزم بأنها مخلوق مهول، غير مألوف؛ إذ هي من الأشراط الكبرى للقيامة، يدل خروجها على القرب الشديد لقيام الساعة، ولم يثبت في وصف جسدها شيء من نصوص الوحي المعصوم.

وقد يقال بأن ذكرها في الآية بصيغة النكرة، يفيد أنها دابة غريبة التكوين على

---

(١) انظر: تفسير الحسن البصري جمع وتوثيق ودراسة (٢/ ١٨٦) وفتح القدير (٤/ ١٥٠) وقال السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٨) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وانظر الروض الأنف (١/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٠/ ١٠، ١١) من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعًا، وأن ذلك في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو يطوف بالبيت، ثم قال: وإسناده لا يصح، وسيأتي تخريجه مفصلا في المبحث الرابع.

(٣) أخرجه عبد بن حميد كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٨).

(٤) حديث ضعيف، سيأتي تخريجه في مبحث مكان خروجها.

خلاف الدواب التي عرفها البشر، وأنها فريدة في شكلها وفي الأثر البالغ والهول العظيم الذي يحدثه ظهورها بين الناس، ولولا أنها خارقة للعادة، مخالفة للمألوف في عالم الدواب لما جعلها الله تعالى علامة من علامات الساعة، ولما كانت مظهرًا للقول الذي قضاه الله وقدره على الناس حينئذ[(١)].

فالأمور الغيبية، كالدابة ونحوها، مدار الاعتقاد فيها: التوقيف على ما جاء في النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى وما صح من سنة الرسول ﷺ ولم يجيء فيهما شيء مما تناقله بعض المفسرين والكتاب.

وما يروى عن بعض الصحابة وغيرهم، ففي ثبوته عنهم نظر، وعلى فرض ثبوته، فإنه لا يعتقد؛ لعدم مجيئه في مصدري التلقي، لا سيما أن ما روي في أوصافها فيه من التناقض الشيء الكثير.

وبعد أن ذكر الرازي (ت٦٠٤هـ) جملة مما نقل في أوصافها وأخبارها قال: "واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور؛ فإن صح الخبر فيه عن الرسول ﷺ قبل، وإلا لم يلتفت إليه"[(٢)].

وقال أبو حيان (ت٧٥٤هـ): "واختلفوا في ماهيتها، وشكلها.. ومقدار ما يخرج منها.. اختلافًا مضطربًا، معارضًا بعضه بعضًا، ويكذب بعضه بعضًا، فاطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله"[(٣)].

وبعد أن نقل الألوسي (ت١٢٧٠هـ) كلام أبي حيان السابق قال: "وهو كلام حق، وأنا إنما نقلت بعض ذلك دفعًا لشهوة من يحب الاطلاع على شيء من

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢١٦) والتيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٤٧٠).
(٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (٢٤/ ٢١٨).
(٣) البحر المحيط (٦/ ٩٦، ٩٧).

أخبارها، صدقًا كان أو كذبًا [(١)] بل الأولى دفع الخوض في الأمور الغيبية فيما لم يثبت".

وبعد أن ذكر الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ما قيل في أوصافها، قال: "وقيل غير ذلك مما لا فائدة في التطويل بذكره.. وأما كونها تخرج، وكونها من علامات الساعة فالأحاديث الواردة في ذلك صحيحة [(٢)].

وقال محمد الطاهر بن عاشور (ت١٢٨٤هـ): "وقد رويت في وصف الدابة.. أخبار مضطربة ضعيفة الأسانيد.. لا طائل في جلبها ونقدها [(٣)].

وقال السعدي (ت١٣٧٦هـ): "ولم يأت دليل يدل على كيفيتها، ولا من أي نوع هي..، لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها والمقصود منها" [(٤)].

وقال القاسمي (ت١٣٣٢هـ): "ومعلوم أن أمور الآخرة من عالم الغيب، ولا يؤخذ فيها إلا بما كان قطعي الثبوت" [(٥)].

* **مكان خروجها**.

جاء في كتاب الله تعالى أن الدابة يُخرجها الله تعالى من الأرض؛ قال جل وعلا: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ**﴾ دون ذكر مكانها من الأرض بالتحديد.

قال الألوسي (ت١٢٧٠هـ): "وفي تقييد إخراجها بقوله سبحانه ﴿**مِنَ الْأَرْضِ**﴾

(١) روح المعاني (٢٠/ ٢٤).
(٢) فتح القدير (٤/ ١٥١، ١٥٣) وانظر: ما قاله صاحب فتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٧٣).
(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٠/ ٣٩).
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦١٠).
(٥) محاسن التأويل (١٣/ ٤٦٨٧).

نوع إشارة إلى ما قيل إلى أن خلقها ليس بطريق التوالد، بل هو بطريق التولد؛ نحو خلق الحشرات، وقيل: إنه للإشارة إلى تكوينها في جوف الأرض، فيكون في إخراجها من الأرض رمز إلى ما يكون في الساعة، التي أخرجت هي بين يديها من: تشقق الأرض، وخروج الناس من جوفها، أحياء كاملة خلقتهم. وفي هذا وما قبله ذهاب إلى تعلق ﴿**مِنَ الْأَرْضِ**﴾ بـ﴿**أَخْرَجْنَا**﴾ وهو الظاهر الذي ينبغي أن يعول عليه، دون كونه متعلقًا بمحذوف وقع صفة لدابة؛ أي دابة كائنة من الأرض [١].

وقال السعدي (ت١٣٧٦هـ): إن قوله تعالى: ﴿**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ**﴾ معناه: دابة خارجة من الأرض، أو معناه: دابة من دواب الأرض، وليست من السماء[٢]، وقال محمد الطاهر بن عاشور (ت١٢٨٤هـ): "وإخراج الدابة من الأرض ليريهم كيف يحي الله الموتى؛ إذ كانوا قد أنكروا البعث" [٣].

ويقول محمد المكي الناصري (ت١٤١٤هـ): "وقوله: ﴿**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ**﴾ يفهم منه أن هذه الدابة تنفذ من خلال طبقات الأرض [٤].

وجاء في السنة الصحيحة تسميتها بدابة الأرض، وجاءت أحاديث تحدد مكان خروجها، ولكن لم يصح من هذه الأحاديث شيء.

كما وردت آثار عن الصحابة وغيرهم تحدد مكان خروجها، وهي آثار متناقضة، لعل الأقرب منها ما ورد موقوفًا من كلام حذيفة بن أسيد، كما سيأتي، أن لها ثلاث خرجات.

ولهذا فإنه لا يقال بأن الدابة موجودة الآن، بل متى ما وقع القول عليهم أخرجها

---

(١) روح المعاني (٢٠/ ٢٤).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦١٠).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٠/ ٣٩).

(٤) التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ٤٧٠).

الله تعالى من الأرض.

ومن الأمكنة التي قيل: إن الدابة تخرج منها: ما يلي:

١- مكة المكرمة:

ذكر بعض من تحدث عن الدابة أنها تخرج من مكة المكرمة [١]، دون تحديد دقيق لموضع خروجها منها.

قال ابن جرير الطبري: "وذكر أن الأرض التي تخرج منها الدابة مكة [٢].

وروى بسنده عن عبد الله بن عمرو أنه قال: "لو شئت لانتعلت بنعلي هاتين، فلم أمس الأرض قاعدًا، حتى أقف على الأحجار التي تخرج الدابة من بينها، ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج، قال: فما حججت قط إلا خفت تخرج بعقبنا[٣].

وروى عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ) عن إبراهيم النخعي (ت٩٦هـ) قوله عن الدابة: "إنها تخرج من مكة" [٤].

٢- جبل الصفا:

قال السخاوي (ت٩٠٢هـ) عن القول بخروج الدابة من صدع في الصفا: "وبه جزم غير واحد" [٥]، وروي الطبري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: "تخرج

(١) انظر: نظم الدر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٢١٥).
(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١٠) وانظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٤).
(٣) جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١١).
(٤) تفسير القرآن (٢/ ٨٥) وأخرجه أبو عمرو الداني في كتاب السنن الواردة في الفتن (٣٢٥) رقم (٧٠٢) وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٨١) (١٩٤٥٢) وانظر الدر المنثور (٦/ ٣٧٩).
(٥) القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٥٣) وانظر كلام ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٩٥) وانظر بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٨٥).

الدابة من صدع في الصفا؛ تجري كجري الفرس ثلاثة أيام، وما خرج ثلثها"[(١)].

وعن ابن مسعود أنه قال: "تخرج من الصفا ويبلغ رأسها السماء" [(٢)].

وروي عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قرع الصفا بعصاه، وهو محرم، وقال: "إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه" [(٣)].

وروي قريب من هذا اللفظ عن عبد الله بن عمر [(٤)].

كما روي عنه أنه قال: "ألا أريكم المكان الذي قال لي رسول الله ﷺ إن دابة الأرض تخرج منه؟ فضرب بعصاه قبل الشق الذي في الصفا [(٥)].

وروي عن حذيفة بن اليمان أنه قال: قلت يا رسول الله: من أين تخرج الدابة؟ قال: «**من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت، ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم، تحرك القناديل، وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو رأسها؛ معلمة ذات وبر وريش لم يدركها طالب، ولن يفوتها هارب..**)[(٦)].

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١١) ونعيم بن حماد في الفتن (٤٤٧) رقم (١٣٨٠) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٢) إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٤٣٠) والزمخشري في الكشاف (٣/ ١٦٠) وابن عطية الأندلسي في المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠) وابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٦٣) وانظر المصنف لابن أبي شيبة (٧/ ٥٠٧) وإسناده ضعيف؛ ففيه حسين الجعفي، وعطية العوفي، وكلاهما ضعيف.

(٢) ذكره أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن (٤/ ١١٤) وانظر تفسير الماوردي (٣/ ٢١٠) وزاد المسير (٦/ ١٩٠، ١٩١).

(٣) انظر: معالم التنزيل (٣/ ٤٣٠).

(٤) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٤).

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٠)وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١١) وذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٣٠) قال ابن كثير =

وروى الطبري بسنده عن عطاء أنه قال: رأيت عبد الله بن عمرو، وكان منزله قريبًا من الصفا، رفع قدمه، وهو قائم، وقال: "لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة"[(١)]، لكن قد يكون مراده أن الموضع جبل الصفا، أو غيره، ويشهد للأخير ما روي عنه أنه قال وهو يومئذ بمكة: "لو شئت لأخذت نعلي هاتين، ثم مشيت حتى أدخل الوادي الذي تخرج منه دابة الأرض "[(٢)] ومعلوم أن الصفا جبل لا وادي، إلا أن يقال: إنه يدخل وادي مكة، ثم يصعد الصفا، وذلك على فرض ثبوت الخبر عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن عمرو بن العاص أنه قال: تخرج الدابة من عند الصفا الذي عند المروة، تسم من يكذب على الله تعالى وعلى رسوله[(٣)].

وروي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان الوعد الذي قال الله ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾**) قال: **ليس ذلك حديثًا ولا كلامًا، ولكنه سمة تسم من أمرها الله به، فيكون خروجها من الصفا ليلة منى، فيصبحون بين رأسها وذنبها، لا يدحض داحض، ولا يخرج خارج، حتى إذا فرغت مما أمرها الله، فهلك من هلك،**

=
في تفسيره (٣/ ٣٧٦): "رواه ابن جرير من طريقين: عن حذيفة بن أسيد موقوفًا، والله أعلم ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعًا، وأن ذلك في زمان عيسى بن مريم، وهو يطوف ولكن إسناده لا يصح" وانظر: مجمع الزوائد (٨/ ٧) وهو ضعيف؛ ففيه عصام بن رواح، وهو ضعيف وكذلك أبوه رواح بن الجراح قد روي هذا الحديث عن سفيان الثوري، وفي روايته عنه ضعف.

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١١) وانظر المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٠، ٣٨١) وعزاه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في البعث.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن (٤٥٠) (١٣٩١) وإسناده ضعيف، فيه شيخ الحكم ابن نافع: مجهول.

ونجا من نجا، كان أول خطوة تضعها بأنطاكية»[(١)(٢)].

٣- ثلاث خرجات:

أخرج الطيالسي عن طلحة بن عمرو، وجرير بن حازم، فأما طلحة فقال: أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي: أن أبا الطفيل حدثه، عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبو سريحة، وأما جرير فقال عن عبد الله بن عمير، عن رجل من آل عبد الله بن مسعود، وحديث طلحة أتم وأحسن، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: «**لها ثلاث خرجات من الدهر؛ فتخرج في أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية**» يعني مكة «**ثم تكمن زمانًا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية** » يعني مكة، قال رسول الله ﷺ: «**ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة، وخيرها وأكرمها: المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغو** [(٣)] **بين الركن والمقام؛ تنفض عن رأسها التراب، فارفض الناس عنها شتى ومعًا** [(٤)]**، وثبت عصابة من المؤمنين، وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم، فجلت وجوههم حتى تجعلها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض؛ لا يدركها طالب، ولا ينجو منها**

---

(١) أنطاكية: مدينة تقع في دولة تركيا، وهي: "مدينة بالشام بينها وبين حلب يوم وليلة" معجم البلدان (١/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٨) وعزاه إلى نعيم بن حماد وابن مردويه، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٤٥٠) (١٣٨٩) وإسناده ضعيف فيه محمد بن الحارث وابن البيلماني وأبوه: كلهم ضعفاء.

(٣) ترغو: الرغاء صوت ذوات الخف، كما قد يقال أيضًا للضباع والنعام ترغو، انظر لسان العرب (١/ ١١٩٣).

(٤) ارفض: أي تفرق، انظر لسان العرب مادة (رفض) (٧/ ١٧٥) طبعة دار الكتب العلمية الأولى (١٤٢٤)هـ ومعا: أي مجتمعين.

هارب..» [١] الحديث.

وروي موقوفًا على حذيفة بن أسيد أنه قال: "للدابة ثلاث خرجات: خرجة في بعض البوادي، ثم تكمن، وخرجة في بعض القرى حتى تذكر، وحتى يريق فيها الأمراء الدماء، ثم تكمن فبينما الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها، إذ ارتفعت بهم الأرض، فانطلق الناس هرابًا، وتبقى طائفة من المؤمنين.." [٢].

وفي بعض ألفاظ الحديث والأثر، قوله في الخرجة الأولى: "فتخرج خروجًا بأقصى اليمن" وفي بعضها: "تخرج الخرجة الأولى ببعض الأودية، ثم تكمن، ثم تخرج في قبائل العرب، ثم تخرج في جوف.." [٣].

وفي بعضها: "لم يرعهم إلا وهي تدنو وتدنو ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد، في وسط من ذلك" وفي رواية: "تدنو بين

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (٢/ ٣٩٥-٣٩٧) (١١٦٥) وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٠) موقوفًا وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٤) وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: فيه طلحة بن عمرو ضعفوه وتركه أحمد، وقال ابن كثير: فيه غرابة، انظر البداية والنهاية (١٩/ ٢٤٩) وقال محقق مسند الطيالسي: إسناده ضعيف. وهو كما قال؛ لأن فيه ثلاث علل: الأولى: طلحة بن عمرو، وهو ابن عثمان الحضرمي المكي، وقد أطبق أهل العلم على تضعيفه، والثانية: كون جرير، وهو أثبت من طلحة، روي الحديث عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود، وهو رجل مبهم، والثالثة: كون الحديث روي موقوفًا ببعضه عن ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠/ ١١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٠) وعبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (٢/ ٨٤) ونسبه لحذيفة بن اليمان، وكذا نسبه له ابن عطية الأندلسي في المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠، ٢٧١) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٤، ٤٨٥) وقال: على شرط البخاري ومسلم، فلعله صحيح موقوف من كلام حذيفة بن أسيد.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٢٩) وابن كثير (٣/ ٣٦٢) وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٤).

الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب" [١].

قال الشوكاني: "وقيل لها ثلاث خرجات: خرجة في بعض البوادي، حتى يتقاتل عليها الناس، وتكثر الدماء، وتخرج في القرى، ثم تخرج من أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها [٢].

ويروى عن ابن عباس أنه قال: "إن للدابة ثلاث خرجات" [٣].

وبناء على تلك الروايات قال بعضهم: إنها تخرج من بين الركن والمقام [٤].وبعضهم أطلق القول بأنها تخرج من المسجد الحرام [٥].

وبعضهم قال: تخرج من عند الحجر الأسود [٦].

٤- شعب أجياد [٧]:

قال أبو الظفر السمعاني (ت٤٨٩هـ): "وفي بعض المسانيد عن النبي ﷺ أنه قال: "بئس الشعب شعب جياد، قيل: ولم يا رسول الله؟ قال: تخرج منه الدابة، وتصرخ ثلاث صرخات، يسمعها من بين الخافقين" [٨].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٦٢) ومعالم التنزيل (٣/ ٤٢٩) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٨) وفتح القدير (٤/ ١٥٣).
(٢) فتح القدير (٤/ ١٥١).
(٣) انظر المصدر السابق (٤/ ١٥٢).
(٤) انظر: الكشاف (٣/ ١٦٠) وفتح القدير (٤/ ١٥١).
(٥) انظر: الدر المنثور (٦/ ٣٨٠) وفتح القدير (٤/ ١٥١).
(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٥٨٥).
(٧) أجياد موقع في مكة مما يلي الصفا، انظر معجم البلدان (١/ ١٠٤).
(٨) أخرجه البخاري في تاريخه الصغير (٢/ ١٣٦) والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٦١) وابن حبان في المجروحين (١/ ٢٩٦، ٢٩٧) وابن عدي في الكامل (٣/ ١٧٣، ٧/ ١١١، ١١٢) والطبراني في الأوسط (٧/ ٣٠٢) (٤٤٩١) من طريق رباح بن عبيد الله العمري عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا به، وقال البخاري: ولا يتابع عليه، يعني رباح، =

ويروى عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: "الدابة تخرج من أجياد" (١).

وروي عن عبد الله بن عمرو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سئل عن الدابة فقال: "الدابة تخرج من تحت صخرة بجياد...، تستقبل المشرق، فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشام، فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المغرب، فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل اليمن، فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان" (٢)، قيل: ثم ماذا، قال: "ثم لا أعلم" (٣).

كما روي عنه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: "تخرج الدابة من جبل أجياد، أيام التشريق، والناس بمنى" قال: "فلذلك حُيِّيَ سائق الحاج إذا جاء بسلامة الناس" (٤).

ويروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أيضًا، أنه قال: "تخرج الدابة بأجياد، مما يلي الصفا" (٥).

=

قال أحمد: منكر الحديث وقال ابن عدي: رباح ذكر هذا= =الحديث، وأنكر عليه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧، ١٠) فيه رباح بن عبيد الله وهو ضعيف، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٨١) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٣٥١).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٨١) (١٩٤٥٣) ونعيم بن حماد في كتاب الفتن (٤٤٨) (١٣٨٤) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٠) وفيه مجهول وهو شيخ ابن إسحاق الذي روى عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) عسفان: موضع بين مكة والمدينة، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٦١٥) ولسان العرب (٢/ ٧٧٧).

(٣) الكشاف (٣/ ١٦٠) وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٦٣) والدر المنثور (٦/ ٣٨٢) لكن نسبه لابن عمر.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ١٨١) (١٩٤٥٤) والدر المنثور (٦/ ٣٨٢) لكن نسبه لابن عمر.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٩) وعزاه إلى عبد بن حميد.

وعنه أيضًا أنه قال: "تخرج الدابة من شعب بالأجياد، رأسها تمس به السحاب وما خرجت رجلها من الأرض.."[١].

وروي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(تخرج دابة الأرض من أجياد، فيبلغ صدرها الركن، ولم يخرج ذنبها بعد.. وهي دابة ذات وبر وقوائم)**[٢].

وقال السفاريني في عقيدته:

كذات أجياد على المشهور [٣]

وقال محمد العثمان القاضي: "وخروجها من أجياد، المعروف شرقي الحرم المكي، وهذا هو أشهر الأقوال الستة في مكان خروجها"[٤].

٥- من بعض أودية تهامة:

روى الطبري عن قتادة (ت١١٨هـ) أنه قال عن الدابة: "تخرج من بعض أودية تهامة" [٥].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: "هي دابة ذات زغب، لها أربع قوائم،

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٣) وعزاه إلى نعيم بن حماد في الفتن، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١١) والبغوي في تفسيره (٣/ ٤٣٠) وإسناده حسن، موقوف انظر كتاب الفتن لنعيم بن حماد (٤٤٦) (١٣٧٣).

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٢) وعزاه إلى ابن مردويه، والبيهقي في البعث، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/ ٢٣٤ (١١٠٩).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٤٣) وانظر (١٤٤).

(٤) منار السبيل في الأضواء على التنزيل (٣/ ١٢٤).

(٥) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٥٨٥) جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١١) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧٠) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٨٠) وانظر القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٥٣).

تخرج من بعض أودية تهامة"(١).

٦- موضع في البادية قريب من مكة:

روى عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه قال: ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله ﷺ: (**تخرج الدابة من هذا الموضع**)(٢) فإذا فتر في شبر(٣)، قال ابن بريدة فحججت بعد ذلك بسنين، فأرانا عصا له، فإذا هو بعصاي هذه: هكذا وهكذا.

٧- من سدوم(٤):

روي عن وهب بن منبه أنه حكي من كلام عزير، عليه السلام، أنه قال: "وتخرج من

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١١) ونعيم بن حماد في الفتن (٤٤٧) (١٣٨٢) وأبو عمرو الداني في كتاب السنن الواردة في الفتن= =(٣٢٥) (٧٠١) وقال محققة: إسناده ضعيف، وانظر تفسير القرآن للصنعاني (٢/ ٨٤) وفتح القدير (٤/ ١٥٣)، وعزاه إلى سعيد بن منصور ونعيم بن حماد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨١) وعزاه إلى من عزاه إليهم صاحب فتح القدير، وزاد عليهم البيهقي في البعث، وإسناده منقطع فيه، قتادة لم يسمع من أحد من الصحابة، سوى أنس بن مالك.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب دابة الأرض (٤٠٦٧) وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٥٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٨٠) هذا إسناد ضعيف، لأن خالد بن عبيد قال البخاري: في حديثه نظر، وقال ابن حبان والحاكم: يحدث عن أنس بأحاديث موضوعة قال الألباني: ضعيف جدًا، انظر ضعيف سنن ابن ماجة (٣٣١) (٤١٤٠).

(٣) الفتر هو المسافة بين طرفي الإبهام والسبابة إذا فتحتها، والشبر ما بين طرف الخنصر والإبهام بالتفريج المعتاد، انظر لسان العرب (٢/ ١٠٤٦) (٢٦٢) وقوله فتر في شبر: أي عرض موضع خروج الدابة، فتر وطوله شبر.

(٤) سدوم: هو البحر الميت ويقع بين فلسطين والأردن، وهي موضع قرى قوم لوط، انظر معجم البلدان (٣/ ٢٠٠).

تحت سدوم دابة تكلم الناس؛ كل يسمعها" [١].

٨- جبل أبي قبيس [٢].

قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): "وقيل تخرج من جبل أبي قبيس" [٣].

٩- مسجد الكوفة:

قال بعضهم: إن الدابة تخرج من مسجد الكوفة، من حيث فار التنور؛ أي تنور نوح عليه السلام على حد قولهم [٤].

١٠- أرض الطائف:

ومما قيل في مكان خروجها، أنها تخرج من أرض الطائف، كما روي أن عبد الله بن عمرو ضرب أرض الطائف برجله، وقال: "من هنا تخرج الدابة التي تكلم الناس" [٥].

١١- صدع في الكعبة:

وقيل تخرج من صدع في الكعبة، ويروى ذلك عن عبد الله بن عمر [٦].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٦٣) والنكت والعيون (٣/ ٢١٠) وزاد المسير في علم التفسير (٦/ ١٩٠، ١٩١) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٨٠) والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٥٣).

(٢) هو جبل مشرف على مكة من شرقيها، انظر معجم البلدان (١/ ٨٠).

(٣) فتح القدير (٤/ ١٥١).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠) وفتح القدير (٤/ ١٥١) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٨٠) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٧١).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٨٠) والنهاية لابن كثير (٢/ ٩٦) والقناعة في ما يحسن الإحاطة بأشراط الساعة (٥٦) وفتح القدير (٤/ ١٥١) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٧١).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٨٠) وفتح القدير (٤/ ١٥١).

هذه هي الأقوال في تحديد مكان خروجها، ليس على واحد منها دليل من كتاب الله تعالى، وما صح من سنة الرسول ﷺ، بل إنها أقوال متعارضة كما قال ابن كثير [١].

وجاءت عن طريق روايات مضطربة، لعل أصحها، كما أسلفت، ما ورد موقوفًا من كلام حذيفة بن أسيد بأن للدابة ثلاث خرجات، آخرها تكون من المسجد الحرام، لكن هذا القول أيضًا يحتاج إلى نص من الوحي المعصوم، حتى يُعتقَد، ويُؤمَن به؛ إذ إن أشراط الساعة وما تفرع عنها هي من الإيمان باليوم الآخر، وهي مغيبات لا بد للإيمان بها من نص صحيح من الشارع الحكيم.

ثم إنه عند التأمل نرى أنه لا يتوقف على معرفة مكان خروجها كبير فائدة إذ لا يتعلق به أمر تعبدي، وبخاصة أن الدابة من الأمور العظمى غير المألوفة وبخروجها سيعرف الناس أنها هي ما وعد الله تعالى؛ ولهذا فإنها تخرج بعد طلوع الشمس من مغربها على الصحيح من أقوال أهل العلم، كما سيأتي.

قال أبو حيان (ت٧٥٤هـ): "واختلفوا في ماهيتها، وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها، وما تفعل بالناس وما الذي تخرج به، اختلافا مضطربًا معارضًا بعضه بعضًا، ويكذب بعضه بعضًا فاطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله [٢]".

وسبقت الإشارة إلى بعض كلام الشوكاني (ت١٢٥٠ هـ) حين قال: "وفي صفتها، ومكان خروجها، وما تصنعه، ومتى تخرج أحاديث كثيرة، بعضها صحيح وبعضها حسن، وبعضها ضعيف.

---

(١) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٦٤).
(٢) البحر المحيط (٦/ ٩٦، ٩٧).

وأما كونها تخرج، وكونها من علامات الساعة، فالأحاديث الواردة في ذلك صحيحة..." [١] وهذا هو أهم الأمور في هذه المسألة، وهو ما يجب اعتقاده والإيمان به.

يقول أحمد مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ): "وما جاء في وصف الدابة، والمبالغة في طولها وعرضها، وزمان خروجها ومكانه مما لا يركن إليه؛ فإن أمور الغيب لا يجب التصديق بها إلا إذا ثبتت بالدليل القاطع من الرسول المعصوم [٢].

وقال محمد العثمان القاضي: "وما جاء في وصف الدابة، والمبالغة في طولها وعرضها، وزمان خروجها ومكانه، فإنها أقوال لا مستند لها، ولا يركن إليها لأن أمور الغيب لا يجب التصديق بها إلا إذا ثبتت بالدليل القاطع عمن لا ينطق عن الهوى [٣].

*** وقت خروجها.**

ترتيبها في الأشراط الكبرى للساعة:

ذكرت في التمهيد أن الأشراط الكبرى للساعة التي تدل على قربها الشديد: عشرة أشراط؛ أي عشر علامات وآيات تدل على قرب قيام الساعة.

وقد اختلف في ترتيب هذه الأشراط العشرة، وزمن خروج الدابة فيها؛ إذ لا دليل في القرآن الكريم يدل على ترتيبها.

أما من السنة فكذلك لم يأت دليل صريح في ترتيب جميع هذه الأشراط، وإنما

---

(١) فتح القدير (٤/ ١٥٣).

(٢) تفسير المراغي (٢٠/ ٢٢) وانظر كلام جميل للقاسمي في محاسن التأويل (١٣/ ٤٦٧٨).

(٣) منار السبيل في الأضواء على التنزيل (٣/ ١٢٥) وانظر تفسير التحرير والتنوير (٢٠/ ٣٩) وانظر: كلام ثناء الله الهندي " الأمر تسري في تفسير القرآن بكلام الرحمن " (٤٩٨).

جاء في بعض الأحاديث الدلالة على أن بعض الأشراط هي أولها.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا**»(١).

وقوله ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**»(٢)، مع أنه ورد أن النار آخر العلامات؛ كما في حديث حذيفة، الذي فيه ذكر عشر علامات ثم قال ﷺ: «**وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، فتطرد الناس إلى المحشر**»(٣).

وبعض أهل العلم ذكر أن الدجال أول العلامات؛ لذكر الرسول ص له في أول ذكره للعلامات، وذلك في بعض الأحاديث كقوله ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستًا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة وخويصة أحدكم**)(٤).

وقد جمع ابن حجر (ت٨٥٢هـ) بين هذه النصوص، فقال في ترتيب الأشراط: "فالذي يترجح من مجموع الأخبار: أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة.. وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي

---

(١) سبق تخريجه في المبحث الثاني (٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (٣٣٢٩).

(٣) سبق تخريجه في المبحث الثاني (٢٨).

(٤) سبق تخريجه في المبحث الثاني (٢٨) وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٥٣) والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٦٢).

تحشر الناس" [١].

ويقول السخاوي (ت ٩٠٢هـ) في الجمع بين كون النار أول الآيات، وفي بعض النصوص آخرها: "ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات، وأوليتها بأنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها؛ فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا" [٢].

وذكر الطيبي (ت٧٤٣هـ) أشراط الساعة فقال: "الآيات أمارات للساعة إما على قربها، وإما على حصولها:

فمن الأول: الدجال، وعيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، والخسف.

ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس" [٣].

ولعل ما ذكره الطيبي فيه إشارة إلى ترتيب الأشراط العشرة إجمالًا[٤].

أما ابن كثير (ت٧٧٤هـ)فيرى أن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية التي ليست مألوفة، وخروج الدابة أول الآيات الأرضية غير المألوفة، أما الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، فهي قبل ذلك كله، لكنها تعتبر آيات مألوفة مقابل الدابة وأعمالها العجيبة غير المألوفة [٥].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٥٣).

(٢) القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٦٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٥٢، ٣٥٣).

(٤) انظر: أشراط الساعة (١٨٧).

(٥) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٦٥، ١٦٩) وانظر شرح العقيدة الطحاوية (٥٩٤) والمحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠) وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٣) وكتاب السنن =

ولعل الأقرب في ترتيب الأشراط العشرة أن يقال بأنها هكذا: الدجال، عيسى بن مريم، يأجوج ومأجوج، والخسوف الثلاثة، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس.

وهذا الترتيب هو المفهوم من كلام أهل العلم السابق ذكره، وهو ما يفهم أيضًا من كلام ابن كثير والحق أن العلامات العشر كلها غير مألوفة؛ ففيها من الأعمال والخوارق ما يخالف العوائد المألوفة، فيكون الدجال أول العلامات الكبرى وآخرها النار التي تخرج من اليمن وتسوق الناس إلى محشرهم.

وخروج الدابة يكون ترتيبه التاسع منها؛ فإنها تخرج بعد طلوع الشمس من مغربها، "ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.. والحكمة في ذلك: أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر، تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة [1].

وقال أبو عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ) "والذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة ذلك اليوم أو الذي يقرب منه" [2].

هذا هو ترتيب خروج الدابة بين الأشراط الكبرى للساعة، أما تحديد وقتها بالعد والحساب، أعني تحديد زمن خروجها بالسنة ونحو ذلك، فهذا لا يعلمه إلا الله تعالى؛ فإنه من الغيب الذي حجبه الله تعالى عنا، فلا مجال للاجتهاد أو الرأي فيه.

ومما نعلمه من الشارع الحكيم أن الدابة تخرج آخر الزمان، وأنها واحدة من الأشراط الكبرى للساعة؛ تخرج عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله تعالى، فتكلمهم

=

الواردة في الفتن ص(٢٤٥) (٥٣١) ص(٣٢٤) (٦٩٧).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٥٣).

(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٥٣) والقناعة (٦٣).

على ذلك [(١)].

فعند التأمل في كتاب الله تعالى نجد أن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز خروج الدابة، الدال على قرب القيامة، مبينًا جل وعلا وقت ذلك إجمالا، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ معناه: كما قال مجاهد (ت١٠٤هـ): "حق عليهم" [(٢)] وكما قال قتادة (ت١١٨هـ): "وإذا وجب القول عليهم" [(٣)] فمعنى "وقع": حق ووجب وانتجز [(٤)].

أما المراد بالقول الذي وجب عليهم وحق، فقيل في معناه:

وجب العذاب عليهم [(٥)] وقيل: حق الغضب عليهم [(٦)]، وقيل: قامت الحجة [(٧)] وهذه المعاني متقاربة [(٨)].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٤).

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١٠) وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٣) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٧).

(٣) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١٠) وزاد المسير في علم التفسير (٦/ ١٩٠).

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧٠) وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٤).

(٥) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١٠) والكشاف (٣/ ١٥٩) وزاد المسير في علم التفسير (٦/ ١٩٠).

(٦) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١٠) ومعالم التنزيل (٣/ ٤٢٨) والنكت والعيون (٣/ ٢١٠).

(٧) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٦/ ١٩٠) وتحفة الأحوذي (٩/ ٢٣).

(٨) انظر: بحر العلوم (٢/ ٥٠٥) وفتح القدير (٤/ ١٥١) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٧).

وقيل: وجب وحصل ما وعدوا به من قيام الساعة، والمراد: مشارفة الساعة وظهور أشراطها (١).

قال الشوكاني: "وقيل المراد بالقول: ما نطق به القرآن من مجيء الساعة، وما فيها من فنون الأهوال التي كانوا يستعجلونها" (٢)، وقال السعدي: "أي إذا وقع على الناس القول الذي حتمه الله وفرض وقته" (٣).

وقيل وقع القول بموت العلماء، وذهاب العلم، ورفع القرآن (٤).

وروي عن حفصة أنها قالت: سألت أبا العالية عن قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٨٢] فقال: أوحي الله إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، قالت: فكأنما كان علي وجهي غطاء فكشف (٥).

وقيل: إذا حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون (٦).

قال الطبري: "وقال جماعة من أهل العلم: خروج هذه الدابة التي ذكرها: حتى لا يأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر" (٧).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٨) والكشاف (٣/ ١٥٩) والمحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠) وتفسير روح البيان (٦/ ٣٧١).

(٢) فتح القدير (٤/ ١٥١) وانظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٢١٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦١٠) وانظر تحفة الأحوذي (٩/ ٣٢).

(٤) يروى هذا القول عن عبد الله بن مسعود، انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٧) وفتح القدير (٤/ ١٥١).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٩، ١٠) والصنعاني في تفسير القرآن (٢/ ٨٣) وانظر المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠) وفتح القدير (٤/ ١٥٢).

(٦) انظر: النكت والعيون، تفسير الماوردي (٣/ ٢١٠) وزاد المسير في علم التفسير (٦/ ١٩٠).

(٧) جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١٠).

فيكون وجوب العذاب عليهم، بسبب عدم أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإقامتهم شرع الله تعالى.

فعن ابن عمر، رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا، قال: "وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر" وفي لفظ "إذا لم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر" (١).

قال ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ): ومعنى قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ إذا انتجز وعد عذابهم، الذي تضمنه القول الأزلي من الله تعالى في ذلك؛ أي حتمه عليهم وقضاؤه، وهذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٧١] فمعنى الآية: وإذا أراد الله أن ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب، أخرج لهم دابة من الأرض. وروي أن ذلك حين ينقطع الخير، ولا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يبقى منيب ولا تائب؛ كما أوحي الله إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، و(وقع) عبارة عن الثبوت واللزوم" (٢).

وروي عن عبد الله بن مسعود رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه قرأ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ ثم قال: "طوفوا بالبيت قبل أن يرفع، واقرؤوا القرآن قبل أن يرفع، وقولوا: لا إله إلا الله قبل أن تنسى" ثم ذكر أنه يأتي زمان ينسى الناس فيه قول: لا إله إلا الله، وتقع الناس في أشعار الجاهلية (٣).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٠) وتفسير القرآن للصنعاني (٢/ ٨٥) وأبو نعيم في الفتن (٤٤٦) (١٣٧٥) وذكره أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن (٤/ ١١٣) والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٤٢٨) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٧) والشوكاني في فتح القدير (٤/ ١٥٢) وإسناده ضعيف؛ لأن فيه عبيد الله بن الوليد، وهو ضعيف وشيخه عطية العوفي: ضعيف جدا.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧٠).

(٣) أورده أبو المظفر السمعاني في تفسير القرآن (٤/ ١١٥) والقرطبي في تفسيره (١٣/ ١٧٧) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٧، ٣٧٨) وعزاه إلى ابن أبي حاتم، =

قال ابن كثير في حديثه عن الدابة: "تخرج في آخر الزمان، عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق" (١).

وقال الشوكاني: ".. ثم هدد العباد بذكر طرف من أشراط الساعة وأهوالها، فقال: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ**﴾ والحاصل أن المراد بوقع: وجب، والمراد بالقول: مضمونه، أو أطلق المصدر على المفعول؛ أي المقول، وجواب الشرط: ﴿**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ**﴾ (٢).

وخلاصة هذه الأقوال: أن المراد أن الله تعالى قدر موعدًا لخروج الدابة: وذلك عند كثرة الفساد وقرب القيامة، فإذا جاء وقت ما قدره الله وقع وتحقق، وفي ذلك عذاب وفضيحة للكافرين.

ويكون خروجها وقت الضحى؛ لقوله ﷺ «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت فالأخرى على إثرها قريبًا**» (٣).

وقد ورد أنها تخرج ليلة النحر؛ فقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: "تخرج الدابة ليلة جمع أي ليلة مزدلفة، وهي ليلة النحر، والناس يسيرون إلى منى (٤)

=

وهو في تفسيره (٢/ ٨١).

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٤).

(٢) فتح القدير (٤/ ١٥١).

(٣) رواه مسلم، سبق تخريجه في المبحث الثاني (٢٩).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٥) وقال: صحيح وتعقبه الذهبي قائلا: فيه عبد الرحمن ابن البيلماني وهو ضعيف، وكذا الوليد بن جميع، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٨٠، ١٨١) (١٩٤٥١) ونعيم بن حماد في الفتن (٤٤٩) (١٣٨٥) والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٠) وعند البغوي في تفسيره= =(٣/ ٤٣٠) والماوردي في
=

وفي بعض النسخ (ليلة الجمعة) ولعله تحريف.

وروي عنه أيضًا أنه قال: "تخرج الدابة من جبل أجياد أيام التشريق، والناس بمنى" قال: "فلذلك حيي سائق الحاج إذا جاء بسلامة الناس" [(١)].

وروي أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون، فلا يخرج إلا ثلثها، وروي أنه لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام [(٢)].

وقد زعم بعضهم أن الدابة نوع مخصوص من دواب هذه الأرض يبعثه الله بعد الموت، يوم القيامة، كما يبعث غيره من الدواب الأخرى، وينطقه فيوبخ الإنسان على كفره، كما ينطق أعضاءه في ذلك اليوم، "فليس المراد من قوله (دابة): الفرد بل النوع[(٣)].

لكن هذه الآراء الأربعة الأخيرة لا دليل عليها من كتاب الله تعالى، ولا مما صح من سنة الرسول ﷺ، فلا يقال في المغيبات إلا بدليل ثابت، وما روي فيها عن الصحابة، فهو غير ثابت، ومما يدل عليه تناقضه من القائل الواحد أحيانًا، وكثير مما

=

النكت والعيون (٣/ ٢١١) وابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٦٣) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٢) وعزاه لابن أبي حاتم، وإسناده ضعيف؛ فيه الوليد بن عبد الله بن جميع: صدوق يهم، ورمي بالتشيع، وابن البيلمان ضعيف.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٨٠، ١٨١) (١٩٤٥١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٢) ويروى هذا القول عن عبد الله بن عمرو.

(٢) ذكر الروايتين الزمخشري في تفسيره (٣/ ١٥٩) ونسب الأولى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه والثانية إلى الحسن رضي الله عنه.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن (١٦٤) ومحاسن التأويل (١٣/ ٤٦٨٦) وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٢/ ١٨٧، ١٨٨) نقلا عن المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية، والأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية.

ينقل عنهم بلا سند، ومنه ما هو ضعيف السند، وعلى فرض صحته فهي آراء في مسائل غيبية الإيمان بها مبني على التوقيف على الوحيين.

وقد ذكر الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي (ت ١٣٨٠هـ) أن الاستدلال بالآية: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ**﴾ على أن المراد بالدابة النوع لا الفرد "كذب وكفر صريح" لأن النبي ﷺ أخبر بذلك، ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن "كون المراد: ﴿**أَخْرَجْنَا لَهُمْ...**﴾ إلى آخره، أي: بعثنا بعد الموت، افتراء على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ المخبر بخلاف ما أخبر به هذا الدجال الضال [يعني قائل هذا الرأي المردود عليه] بل الإخراج قبل يوم القيامة؛ لكون الدابة المخرجة من الأمارات التي تدل على قرب يوم القيامة وهي فرد لا نوع.. وهذا معلوم من الدين، عند المسلمين بالضرورة [(١)].

*** أعمالها.**

أخبر الله سبحانه وتعالى عن عمل الدابة بعد خروجها بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**﴾.

واختلف في المراد بقوله تعالى: ﴿**تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**﴾.

فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ،والحسن بن علي، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقتادة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما يروي عن علي، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنهم قالوا: تكلمهم كلامًا؛ أي تخاطبهم مخاطبة [(٢)].

واستدل من قال: إنها تتكلم بكلام حقيقي منطوق بقراءة (تكلمهم) وهي قراءة الجمهور، وقراءة عامة قراء الأمصار بضم التاء وكسر اللام؛ من الكلام.

---

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٢/ ١٨٧، ١٨٨) نقلا عن المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية، للكافي التونسي.

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١١) والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٧٨) وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٤) والدر المنثور (٦/ ٣٧٨).

كما استدلوا بقراءة أبي بن كعب، رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ: (تنبئهم) وبقراءة عبد الله بن مسعود رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ: (تكلمهم بأن الناس) على أنه من الكلام.

وحكى يحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ) أنها في بعض القراءة (تحدثهم) [١].

قال أبو جعفر الطبري: "والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك: ما عليه قراء الأمصار، وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل [٢].

ثم اختلفوا في أي شيء تكلمهم؟ وماذا تقول لهم؟

فقيل: تخرج الدابة، فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق [٣] فتقول: ﴿**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ يعني: إن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي؛ لأن خروجها من الآيات.

وقيل: إنها تقول: ألا لعنة الله على الظالمين.

وروي عن السدي (ت١٢٨هـ) أنه قال: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام.

وقيل: تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث، وقيل: تكلمهم بما يسوؤهم [٤].

---

(١) انظر معاني القرآن (٢/ ٣٠٠) وجامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١١) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧١) وزاد المسير في علم التفسير (٦/ ١٩٣) والكشاف (٣/ ١٦٠) وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٥، ١١٦) وفتح القدير (٤/ ١٥٢).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١١).

(٣) ذلق: ذلق اللسان أي فصيح اللسان، انظر لسان العرب (١/ ١٠٧٤).

(٤) انظر: هذه الأقوال في معاني القرآن (٢/ ٣٠٠) والنكت والعيون تفسير الماوردي (٣/ ٢١٠) والبحر المحيط (٧/ ٩٧) ومعالم التنزيل (٧/ ٩٧) والكشاف (٣/ ١٦٠) والدر المنثور (٦/ ٣٧٨) وفتح القدير (٤/ ١٥٢).

وقيل تكلمهم بأنهم كانوا لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها، أو بجميع آياته، التي من جملتها تلك الآيات.

وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة، قال الألوسي: "وليس بذلك" (١).

وقيل تكلمهم بما فيه حجة وبرهان للمؤمنين وحجة على المعاندين، كما أن في خروجها علامة على قرب القيامة (٢).

وهذا القول الأخير هو ما يفهم من عموم النصوص، ومن الغاية من إخراج الدابة، وهو لا ينافي الأقوال قبله.

قرأ الجمهور، ومنهم قراء الحجاز والبصرة والشام: ﴿**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ بكسر همزة (إن) فيكون معنى ﴿**تُكَلِّمُهُمْ**﴾: تقول لهم: إن الناس، والكلام قول، وعلى هذه القراءة يكون قوله: ﴿**أَنَّ النَّاسَ**﴾ إلى آخر الآية من تمام كلام الدابة، ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الأخفش (ت٢١٥هـ) إن كسر (إن) هو على تقدير القول، أي تقول لهم إن الناس.

وقيل على قراءة الكسر تكون الجملة مستأنفة، ولا تكون من كلام الدابة، وقد صرح بهذا جماعة من المفسرين، وجزم به الكسائي (ت١٨٩هـ) والفراء (ت٢٠٧هـ) فيكون المعنى: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها، ويكون معنى ﴿**تُكَلِّمُهُمْ**﴾ أي تكلمهم بما يسوؤهم وتنتهي الجملة، ثم تبدأ جملة ﴿**أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ فهي تعليل لإظهار هذا الخارق للعادة.

---

(١) روح المعاني (٢٠/ ٢٤).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦١٠).

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي وابن أبي إسحاق وعامة قراء الكوفة، وبعض قراء البصرة بفتح همزة (أن) قال الأخفش: المعنى على قراءة الفتح تكلمهم بأن الناس.

وهكذا قرأ عبد الله بن مسعود وأبو عمران الجوني: (تكلمهم بأن الناس) بزيادة باء مع فتح الهمزة.

وهذه القراءة الأخيرة تصديق وموافقة لقراءة الفتح، وللمعنى الذي ذكره الأخفش في قراءة الكسر.

قال أبو عبيد: موضعها نصب بوقوع الفعل عليها: أي تخبرهم أن الناس، وعلى هذه القراءة فالذي تكلم الناس به هو قوله: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[1].

قال أبو جعفر الطبري في قراءتي الكسر والفتح: "والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضتان في قراءة الأمصار"[2].

فإن قيل: لماذا أضيفت الآيات إلى نون العظمة؟

فإنه يقال: إن كانت جملة ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ مستأنفة وهو الأقرب [3] فالإشكال زائل.

وإن كانت الجملة من تمام كلام الدابة:

فقد قيل: لأنها إخبار من الله تعالى لمعنى قول الدابة، لا لعين عبارتها.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٠٠) وبحر العلوم (٢/ ٥٠٥) والمحرر الوجيز (٤/ ٢٧١) وزاد المسير (٦/ ١٩٣) وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٥، ١١٦) والكشاف (٣/ ١٦٠) وفتح القدير (٤/ ١٥٢) وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢١٠) وتفسير التحرير والتنوير (٢٠/ ٣٩).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (٢٠/ ١٢).

(٣) انظر معاني القرآن (٢/ ٣٠٠) وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦١٠).

وقيل: لأنها من الدابة إخبار عن قول الله تعالى.

وقيل: لاختصاصها بالله تعالى، وأثرتها عنده، كما يقول بعض خواص الملك: خيلنا وبلادنا، وإنما الخيل والبلاد لمولاه.

وقيل: هناك مضاف محذوف تقديره: بآيات ربنا [1].

وقيل بأن الدابة لا تتكلم حقيقة بكلام منطوق ملفوظ، وإنما يخرجها الله في آخر الزمان لتميز المؤمن من الكافر؛ فهي تسم وتجرح، بالعصا والخاتم، وقالوا، بأن ظهور الآية منها كلام ونطق على وجه المجاز، لا أنها تتكلم وتتلفظ[2].

واستدل من قال بهذا القول بقراءة عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعاصم الجحدري وأبو زرعة وأبو رجاء العطاردي: (تكلمهم) بفتح التاء، وسكون الكاف، وكسر اللام، من الكلم وهو الجرح، قال عكرمة: أي تسمهم وسمًا وقيل تجرحهم.

ولهم في تفسيرها على هذه القراءة قولان:

أحدهما: أنها تسمهم في وجوههم بالبياض على وجه المؤمن وبالسواد في وجه الكافر حتى يتنادى الناس في أسواقهم: يا مؤمن، يا كافر.

الثاني: أنها تجرحهم، وهذا مختص بالكافر والمنافق، وجرحه إظهار كفره ونفاقه، ومنه جرح الشهود بالتفسيق، أو جرحه حقيقة في أنفه.

ومن قالوا بقراءة (تكلمهم) بمعنى تجرحهم، وتسمهم قالوا: بأن قراءة (تكلمهم) التي هي قراءة الجمهور، مأخوذة من الكلم، بفتح الكاف وسكون اللام،

---

(١) انظر: روح المعاني (٢٠/ ٢٤) والتفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (٢٤/ ٢١٨) والكشاف (٣/ ١٦٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٥، ١١٦) والنكت والعيون، تفسير الماوردي (٣/ ٢١١).

وهو الجرح والتشديد للتكثير، يقال: فلان مكلم: أي مجرح، قالوا: ويجوز أن يستدل بقراءة التخفيف على أن المراد بالتكليم: التجريح كما فسر ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ [طه: ٩٧] بقراءة علي رضي الله عنه (لَنَحْرُقَنَّه) [(١)].

ونقل عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال في معنى (تكلمهم):

تجرهم، وقال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس رضي الله عنهما، عن هذه الآية: (تُكَلِّمهم) من التكليم باللسان أو (تَكْلِمهم) من الكلم وهو الجرح، فقال: كل ذلك تفعل: تُكلِّم المؤمن، وتَكْلِم الكافر، أي تجرحه [(٢)].

قال ابن كثير بعد أن ذكر قول ابن عباس: "وهذا القول ينتظم المذهبين وهو قول حسن جامع لهما، والله أعلم [(٣)].

وفي موضع آخر قال: "وهو قول حسن، ولا منافاة" [(٤)]؛ أي لا منافاة بين القولين لابن عباس، وكذا بين قول الدابة وعملها.

فالراجح مما سبق أن الدابة تكلم الناس كلامًا مسموعًا مفهومًا وتخاطبهم بلفظ منطوق، كما هو ظاهر الآية، وهي كذلك تكلمهم، وتجرحهم.

ولكن كيف تجرحهم، وتكلمهم؟ ورد في ذلك أحاديث، منها الضعيف ومنها ما اختلف في تصحيحه وتضعيفه.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٣٠٠) والدر المنثور (٦/ ٣٧٨، ٣٧٩) ومعالم التنزيل (٣/ ٤٢٨، ٤٢٩) وبحر العلوم (٢/ ٥٠٥) والنكت والعيون تفسير الماوردي (٣/ ٢١١) وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٤) والكشاف (٣/ ١٦٠) وتفسير القرآن للسمعاني (٤/ ١١٥) والمحرر الوجيز (٤/ ٢٧١) وفتح القدير (٤/ ١٥٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٧١) ومعالم التنزيل (٣/ ٤٢٨) وزاد المسير (٦/ ١٩٣) وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٤) وفتح القدير (٤/ ١٥٢).

(٣) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٦١) وعلامات يوم القيامة (١٢٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢١٠٤).

ومن تلك الأحاديث:

١- ما أخرجه الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجرير بن حازم، فأما طلحة فقال: أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي أن أبا الطفيل حدثه عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبو سريحة وأما جرير فقال: عن عبد الله بن عمير، عن رجل من آل عبد الله بن مسعود، وحديث طلحة أتم وأحسن، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: «**لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج في أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة، ثم تكمن زمانًا طويلًا، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك، فيعلو ذكرها أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية، يعني مكة**» قال رسول الله ﷺ: «**ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة، خيرها وأكرمها، المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب، فارفض الناس معها شتى ومعًا، وثبتت عصابة المؤمنين، وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى تجعلها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه، فتقول: يا فلان يا فلان، الآن تصلي؟ فيقبل عليها فتسمه في وجهه، ثم ينطلق، ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار، يعرف المؤمن من الكافر، حتى إن المؤمن يقول: يا كافر أقضني حقي، وحتى إن الكافر يقول: يا مؤمن أقضني حقي**» [١].

٢- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم [٢] أنف الكافر بالخاتم،**

---

(١) حديث ضعيف سبق تخريجه في مبحث: مكان خروجها (٧٢، ٧٣).
(٢) تخطم: أي تسم، والمراد تؤثر في أنفه علامة يعرف بها، انظر لسان العرب (١/ ٨٦١، ٨٦٢) والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢٧٢).

حتى إن أهل البيت ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر» وفي لفظ آخر «**فتخطم أنف الكافر بالعصا، وتجلي وجه المؤمن بالخاتم، حتى يجتمع الناس على الخوان**[(١)] **يعرف المؤمن من الكافر**» وفي لفظ «**فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر**»[(٢)].

٣- وعن أمامة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يعمرون**[(٣)] **فيكم، حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين**»[(٤)].

---

(١) الخوان ما يوضع عليه الطعام عند الأكل، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٩٠) ولسان العرب (١/ ٩٢٤) وفي بعض المصادر الحواء: وهي جماعة بيوت الناس إذا تدانت، والجمع أحوية، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤٤) ولسان العرب (١/ ٧٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النمل (٣١٨٧) وقال: حسن غريب وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٥، ٤٩١) وقال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٥، ٤٨٦) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٤٣٠/ ٣١٨٧) وضعيف الجامع الصغير (٢/ ٢٦) (٢٤١٢) وسبب تضعيفه له أن فيه علي بن زيد، وهو ابن جدعان، وهو ضعيف عند بعضهم، كما ذكر الألباني علة أخرى، وهي: أن أوس بن خالد ضعيف أيضًا، وعند أحمد شاكر كلاهما ثقة، انظر: تعليقه على المسند (١٥/ ٧٩-٨١).

(٣) وفي بعض المصادر (يغمرون) أي يكثرون، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٧٨) وفيض القدير (٣/ ٢٣٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٨) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦) وقال: "رجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية، وهو ثقة".

وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٦٩) (٣٢٢) وصحيح الجامع الصغير (١/ ٥٦٤) (٢٩٢٧) ولبعض أهل العلم قول في جهالة عمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف، وعدم توثيقه، ولهذا رأي تضعيف الحديث، انظر: الصحيح المسند من =

٤- ما روي عن حذيفة بن أسيد، رضي الله عنه، أنه قال عن الدابة: "إنها تخرج ثلاث خرجات، في بعض البوادي، ثم تكمن، ثم تخرج في بعض القرى، حتى يذعروه، حتى تهريق فيها الأمراء الدماء، ثم تكمن، قال فبينما الناس عند أعظم المساجد، وأفضلها، وأشرفها، حتى قلنا المسجد الحرام، وما سماه، إذ ارتفعت الأرض، ويهرب الناس، ويبقى عامة من المسلمين (أو عصابة من المسلمين) يقولون: إنه لن ينجينا من أمر الله شيء فتخرج، فتجلو وجوههم حتى تجعلها كالكواكب الدرية، وتتبع الناس، جيران في الرباع، شركاء في الأموال، وأصحاب في الإسلام، وفي لفظ: في الأسفار[1].

هذا ما ورد في كيفية جرحها، أو كلمها، وكما هو في تخريجها، فالحديث الأول ضعيف، فلا يحتج به على هذه المسألة العقدية.

والحديث الثاني والثالث مختلف في تصحيحهما وتضعيفهما، فإن أخذنا بقول من ضعفهما، لا يلتفت إلى ما فيهما، وإن كانا صحيحين فإنه يؤخذ بما جاء فيهما من أن الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم، أي تسم وتجرح، أنف الكافر بالخاتم، حتى يتميز المؤمن من الكافر، حتى يقال: اشتريت من الرجل المخطم، وكذلك إذا صح أحدهما، يؤخذ بما دل عليه.

أما الحديث الرابع؛ فإنه موقوف على حذيفة، من كلامه، رضي الله عنه، وقد يقال بأن له حكم المرفوع، لأنه في مسألة غيبية، ومثلها لا يقال بالرأي والاجتهاد.

وقد رويت آثار أخرى غريبة الألفاظ، تركت ذكرها؛ إذ لا فائدة من سردها،

=
أحاديث الفتن والملاحم (٥٩٦).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١١) وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٦٦، ٦٧) (١٩١٣٢) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٤، ٤٨٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي على قوله، وهو موقوف على حذيفة، وانظر مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم (٧/ ٣٣٦١) (١١٢٠)

وبخاصة أنها متداخلة المعنى، وتروي عن أكثر من واحد، وبعضها يناقض بعضًا.

وعلى كل حال فإن الواجب هو الإيمان بأن الله تعالى يخرج دابة عظيمة من الأرض آخر الزمان، وهي أحد الأشراط الكبرى للساعة، تدل على قربها وأنها مخلوق مهول غير معتاد، يكلم الناس ويسمهم بما يحصل به التمييز بين المؤمن والكافر؛ لأنه حينئذ قد أغلق باب التوبة لطلوع الشمس من مغربها، وفي ذلك من العبرة والعظة ما يحرك القلوب، ويزيد الإيمان ويقوي الاستعداد ليوم المعاد، نسأل الله أن يمن علينا بالتوبة وحسن الختام.

فإذا اعتقدنا ذلك وعملنا بالاستعداد له فقد حققنا مقتضى العبودية بما وردت النصوص بالإخبار به عن الدابة، مع قولنا بأنه إن صح ما ورد في وصف كيفية عمل الدابة آنف الذكر، الوارد في الحديثين السابقين فهو عقيدتنا إيمانًا وتصديقًا.

ومما روي من أعمال الدابة أنها تقتل إبليس، وفي رواية أخرى أنها تلطمه؛ فعن عبد الله بن مسعود، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الدابة تقتل إبليس**» وفي بعض الألفاظ «**فإذا خرجت لطمت إبليس**» [(١)].

وما روي عن عبد الله بن عمرو، مرفوعًا «**إذا طلعت الشمس من مغربها يخر إبليس ساجدًا وينادي جهرًا: إلهي؛ مُرني أن أسجد لمن شئت، فيجتمع إليه زبانيته، فيقولون: يا سيدنا ما هذا التضرع؟ فيقول: أنا قد سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت**

---

(١) الحديث ضعيف جدًا، أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢١) وضعفه قائلًا أخرجته تعجبًا، وفيه عبد الوهاب بن حسين وهو مجهول. وتعقبه الذهبي قائلا: ذا موضوع والسلام، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٣) (١٣٧١) مكرر،= =والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٩٨) وفيه أبو عمر البصري: مجهول، وابن لهيعة ومحمد بن ثابت البناني والحارث الأعور: كلهم ضعفاء، وانظر مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم (٧/ ٣٤٣١).

المعلوم، وهذا الوقت المعلوم، قال: ثم تخرج الدابة من صدع في الصفا، قال: فإذا خطوة تضعها في أنطاكية، فتأتي إبليس فتلطمه»(١).

ولكن هذا غير ثابت؛ فما ورد فيه من الأحاديث لا يصح شيء منها، كما هو واضح من تخريجها، كذلك ما روي عن ابن مسعود أن الدابة من نسل إبليس الرجيم لا دليل عليه (٢).

والأولى عدم الخوض فيما سكت عنه الشارع، ما لم يرد فيه خبر صحيح.

ومن غرائب ما يروى من أخبارها: ما روي عن ابن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: "تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى، فتحملهم بين عجزها (وفي رواية نحرها) وذنبها، فلا يبقى منافق إلا خطمته، قال: وتمسح المؤمن، قال: فيصبحون، وهم أشر من الدجال (٣).

واختلف في ضمير الجمع في تكلمهم، وكذلك (عليهم) و(لهم):

فقيل هم الكفرة المتحدث عنهم في الآيات السابقة لهذه الآية، أو أنهم مشركو أهل مكة، وهذا بعيد؛ لأنهم ليسوا موجودين عند إخراج الدابة لتكلمهم، وتكليمها إياهم وهم موتى بعيد وغير معقول (٤).

وقيل: إن المراد بهم الكفرة المنكرون للبعث والآيات مطلقًا؛ قديمهم، والمعاصرون لإخراج الدابة (٥).

---

(١) الحديث ضعيف أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٣٦) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨) وقال: فيه إسحاق بن إبراهيم بن زبريق وهو ضعيف.
(٢) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٦٥).
(٣) ضعيف سبق تخريجه في المبحث الخامس (٩٢).
(٤) انظر: روح المعاني (٢٠/ ٢٤).
(٥) انظر: المصدر السابق (٢٠/ ٢٤).

وقيل المراد بهم: العباد عمومًا، الكفار، والعصاة، وكذلك المؤمنون؛ فالله جل وعلا يخبر أنه إذا وقع القول على العباد، أي القول الذي قدره وحكم به وقضاه، إذا جاء موعده أخرج الدابة (لهم) أي للعباد عمومًا، ولهذا فإن الدابة تكلم الناس جميعًا، كافرهم ومؤمنهم، ولا دليل على التفريق، وتخبرهم أن الكفار كانوا لا يوقنون بآيات الله، وقد تخبر بضعف يقين من ضعف يقينه.

يقول السعدي (ت١٣٧٦هـ) في تفسير الآية: "أي إذا وقع على الناس القول الذي حتمه الله وفرض وقته ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾... أي تكلم العباد أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون؛ أي لأجل أن الناس ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله، فأظهر الله هذه الدابة؛ من آيات الله العجيبة، ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون"(١).

وقال عنها: "تكلم الناس كلامًا خارقًا للعادة، حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله، فتكون حجة وبرهانًا للمؤمنين، وحجة على المعاندين"(٢).

وقال صديق بن حسن القنوجي (ت١٣٠٧هـ): "والمراد بالناس في الآية هم الناس على العموم، فيدخل في ذلك كل مكلف، وقيل: المراد الكفار خاصة وقيل: كفار مكة، والأول أولى، كما صنع جمهور المفسرين، والمعنى: لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب (٣).

*** دفع إشكال في مسألة عدم قبول التوبة**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦١٠).
(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها.
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٧٣).

إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض) أخرجه مسلم.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده إلا أن فيه ذكر "الدخان" بدل "الدجال" وهو خطأ؛ لأن جميع رواة الحديث متفقون على ذكر "الدجال"، ومما يؤكد ذلك أن الحديث رواه عن وكيع: زهير بن حرب، وابن أبي شيبة، ولم يذكرا لفظ "الدخان"، ويبعد أن يكون الوهم من الإمام أحمد، أو ابنه عبد الله راوي المسند عنه، والأقرب أن يكون من القطيعي، راوي المسند عن عبد الله بن الإمام أحمد، فقد ذكرت له أوهام في روايته للمسند، فلعل هذا منها، والله تعالى أعلم.

وظاهر الحديث أن الدجال من الآيات التي إذا خرجت لا ينفع بعدها الإيمان، وقد وردت الأحاديث بأن خروج عيسى عليه السلام يعقب الدجال؛ وقد استشكل بأنه لو كان كذلك لم ينفع الكفار إيمانهم، ولا الفساق توبتهم، عند نزول عيسى عليه السلام؛ لأن باب التوبة قد أغلق في زمن الدجال، وقد جاء النص صريحا كما سيأتي بأن الإيمان ينفع في زمن عيسى عليه السلام، وإلا لما صار الدين واحدا، وقد اختلف العلماء تجاه الإشكال الوارد في الحديث، قال تعالى {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون} [الأنعام: ١٥٨] فذهب عامة المفسرين أن المراد بـ "البعض" في الآية، هو طلوع الشمس من مغربها، قال البغوي في تفسيره (٢/ ١٤٤): وعليه عامة المفسرين، وكذا قال الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٤٠)، والآلوسي في تفسيره (٨/ ٤٢٤)، ونسبه للجمهور ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٧)، والقاسمي في محاسن التأويل (٤/ ٥٤٧) وحكاه إجماعا البرزنجي في الإشاعة (ص٢٧٣) غير أنه لم يجزم بذلك، حيث قال: أجمع

المفسرون أو جمهورهم، ونقل عبارته السفاريني في لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٣٣)، وصديق حسن خان في الإذاعة (ص ٢٠٦).

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه والذي فيه ذكر الثلاث؛ فقد قال بعض أهل العلم إن التوبة تنقطع بخروج إحدى هذه الثلاث.

قال ابن هبيرة كما في الآداب الشرعية" (١/ ١١٦):" حكم هاتين الآيتين (يعني الدابة، والدجال) في أن نفسا لا ينفعها إيمانها، الحكم في طلوع الشمس من مغربها ".اهـ.

وقال المناوي في الفيض (٣/ ٢٩٨):" كل من الثلاثة مستبد في أن الإيمان لا ينفع بعد مشاهدتها؛ فأيها تقدمت ترتب عليها عدم النفع ".اهـ.

لكن مذهب عامة أهل العلم أن التوبة لا تنقطع إلا بطلوع الشمس من مغربها.

وقد استشكل جمع من العلماء حديث أبي هريرة؛ لأمرين:

الأول: أن فيه ذكر الدجال، وقد تقدم بيان وجه الإشكال في ذلك.

الثاني: أن النصوص متظافرة على تفسير الآية بطلوع الشمس من مغربها، دون ذكر الدجال، أو الدابة.

وقد تباينت آراؤهم في الجواب عن ذلك، وحاصلها راجع إلى مذهبين:

الأول: مذهب الجمع بين الأحاديث فقد ذهب الجمهور من العلماء إلى الجمع بين حديث أبي هريرة، وبقية الأحاديث التي اقتصرت على تفسير الآية بطلوع الشمس من مغربها، لكن اختلفوا في الجمع على أقوال:

القول الأول: أن عدم قبول التوبة مترتب على مجموع الثلاث - الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها - فإذا اجتمعت الثلاث انقطعت التوبة، وطلوع الشمس هو آخرها، وهو الذي يتحقق به عدم القبول.

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ١١٥) بعد أن أورد حديث (ثلاث إذا خرجن):" فهذا المراد به أن طلوع الشمس آخر الثلاثة خروجا؛ فلا تعارض بينه وبين ما سبق "ا.هـ يريد الأحاديث التي اقتصرت على تفسير الآية بطلوع الشمس من مغربها، واختار هذا الجمع: القاري في المرقاة (١٠/ ١٠٧)، والمباركفوري في التحفة (٨/ ٣٥٧)، غير أنهما لم يذكرا أن طلوع الشمس من مغربها هو آخر الثلاث، وذكر الشيخ حمود التويجري في إتحاف الجماعة (٢/ ٣٢٢) حديث أبي هريرة من رواية الإمام أحمد، والتي فيها لفظ "الدخان" بدل "الدجال" وبين أن التوبة لا تزال مقبولة حتى تجتمع الثلاث، والتي آخرها طلوع الشمس من مغربها.

القول الثاني: إن كان البعض المذكور في الآية عدة آيات فطلوع الشمس هو آخرها المتحقق به عدم القبول، وإن كان إحدى آيات؛ فهو محمول على طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه أعظم الثلاث، ذكره القاسمي في تفسيره (٤/ ٥٤٧)، وهو بمعنى القول الأول.

القول الثالث: أن خروج الثلاث يكون متتابعا، بحيث يكون الزمن الذي بينها يسير جدا؛ فتكون النسبة التي بينها مجازية، فكأنها خرجت في وقت واحد. ذكره الحافظ في الفتح (١١/ ٣٦١) وتعقبه بقوله:" وهذا بعيد؛ لأن مدة لبث الدجال إلى أن يقتله عيسى، ثم لبث عيسى وخروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك سابق على طلوع الشمس من المغرب.اهـ.

القول الرابع: ما قاله البيهقي كما الفتح (١١/ ٣٦٢): إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون المراد نفى النفع عن أنفس القرن الذين شاهدوا ذلك، فإذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليف الإيمان بالغيب، وكذا في قصة الدجال لا ينفع إيمان من آمن بعيسى عند مشاهدة الدجال، وينفعه بعد

انقراضه ".اهـ. وقريبا منه قول أبي عبد الله القرطبي في تفسيره والتذكرة (ص٧٣٦)، قلت معنى هذا أن التوبة تنقطع عند طلوع الشمس من مغربها، ثم تعود بعد تطاول الزمان؛ فإذا خرج الدجال انقطعت، ثم تعود بعد ذلك لتنفع في وقت عيسى عليه السلام.

ونقل الحافظ أبو زرعة في طرح التثريب (٨/ ٢٦٠) عن شيخه البلقيني أنه قال:" إذا تراخى الحال بعد ذلك، وبعد العهد بهذه الآية، وتناساه أكثر الناس قبلت التوبة والإيمان بعد ذلك؛ لزوال الآية التي تضطر الناس إلى الإيمان".اهـ. ونقله عن البلقيني الآلوسي روح المعاني (٨/ ٤٢٥) ومال إليه وأيده، وعورض هذا القول: بأنه لا دليل عليه، وبأن الأخبار الصحيحة تخالفه كما تقدم.

المذهب الثاني: الترجيح بين الأحاديث: فقد ذهب الإمام أبي العباس القرطبي في المفهم (٧/ ٢٤٣).إلى أن ذكر الدجال مع الطلوع والدابة وهم من بعض الرواة، وأن التكليف لا يرتفع إلا بطلوع الشمس من مغربها، كما دلت عليه بقية الأحاديث.اهـ.

ولا شك أن مذهب الجمع بين الأحاديث هو المتعين في هذه المسألة، فيحمل حديث أبي هريرة على المعنى الوارد في بقية الأحاديث، والتي اقتصرت على تفسير الآية بطلوع الشمس من مغربها، ويكون معنى حديث أبي هريرة أن عدم قبول التوبة مترتب على مجموع الثلاث - الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها - فإذا اجتمعت الثلاث انقطعت التوبة، وطلوع الشمس هو آخرها، وهو الذي يتحقق به عدم القبول، وهذا القول هو الذي تجتمع به الأدلة، ويزول به الإشكال.

(باب النار التي تحشر الناس)

ومنها خروج النار العظيمة، وهي آخر أشراط السَّاعة الكبرى، وأول الآيات

المؤذنة بقيام السَّاعة.

* مكان خروجها: جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن، من قعرة عدن، وتخرج من بحر حضرموت؛ كما جاء في روايات أخرى، وإليك طائفة من الأحاديث التي تبيِّن مكان خروج هذه النار، وهي من الأدلَّة على ظهورها.

جاء في حديث حذيفة بن أسيد ﵁ عند مسلم في ذكر أشراط السَّاعة الكبرى قوله ﷺ: (وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم". رواه مسلم)، وفي رواية له عن حذيفة أيضًا عند مسلم: (ونارٌ تخرج من قعرة عدن ترحل الناس)، وروى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر ﵄؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت، قبل يوم ا لقيامة، تحشر الناس)، وروى الإمام البخاري عن أنس ﵁ أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل، ومنها: ما أول أشراط السَّاعة؟ فقال النبي ﷺ: (أما أول أشراط السَّاعة؛ فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)

والجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر اشراط السَّاعة الكبرى وما جاء أنها أول أشراط السَّاعة أن آخريتها باعتبار ما ذُكِر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، وأوليتها باعتبار أنها أوَّل الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدُّنيا أصلًا، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور، بخلاف ما ذُكِر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشيا من أمور الدُّنيا، وأما ما جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون من اليمن، وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ فيجاب عن ذلك بأجوبة:

قال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٧٩): وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى

المغرب وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها. والمراد بقوله " تحشر الناس من المشرق إلى المغرب " إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائما من المشرق كما سيأتي تقريره في كتاب الفتن وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب كما شوهد ذلك مرارا من المغول من عهد جنكزخان ومن بعده والنار التي في الحديث الآخر على حقيقتها والله أعلم.

* كيفية حشرها للناس: عند ظهور هذه النار العظيمة من اليمن؛ تنتشر في الأرض، وتسوق الناس إلى أرض المحشر، والذين يحشرون على ثلاثة أفواج:

الأول: فوجٌ راغبون راكبون.

الثاني: وفوجٌ يمشون تارة ويركبون أخرى، يعتقبن على البعير الواحد؛ كما سيأتي في الحديث: "اثنان على بعير، ثلاثة على بعير.... إلى أن قال: وعشرة على بعير يعتقبونه"، وذلك من قلة الظهر يومئذٍ.

والفوج الثالث: تحشرهم النار، فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف أكلته النار كما في النهاية الفتن والملاحم (١/ ٢٣٠- ٢٣١) ومما جاء من الأحاديث في بيان كيفية حشر هذه النار للناس حديث الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ؛ قال: (يحشر الناس على ثلاث طواف راغبين وراهبين، وأثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويَحشُر بقيتَهم النار؛ تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث بانوا،

وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أسوا).

*أرض المحشر: يحشر الناس إلى الشام في آخر الزمان، وهي أرض المحشر؛ كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، والتي منها ما روي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في ذكر خروج النار، وفيه (ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضر موت تحشر الناس قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام)، وروى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية البهزي عن أبيه.... فذكر الحديث، وفيه قوله ﷺ: (ها هُنا تُحشَرون، ها هُنا تُحشَرون، ها هُنا تُحشَرون (ثلاثًا)، ركبانًا، ومشاة، وعلى وجوهكم". قال ابن أبي بكير: فأشار بيده إلى الشام، فقال: "إلى ها هُنا تُحشَرون)، وفي رواية الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده؛ قال: قلت: يا رسول الله! أين تأمرني؟ قال: "ها هنا (ونحا بيده نحو الشام)،

٤- وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تنذرهم نفس الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلَّف)، قال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٨٠): "وفي تفسير ابن عيينة عن ابن عباس: من شكَّ أن المحشر ها هنا - يعني: الشام -؛ فليقرأ أول سورة الحشر، قال لهم رسول الله ﷺ يومئذٍ: اخرجوا. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر.اهـ. والسبب في كون أرض الشام هي أرض المحشر أن الأمن والإيمان حين تقع الفتن في آخر الزمان يكون في الشام، وقد جاء في فضله والترغيب في سكناه أحاديث صحيحة، انظرها في كتاب فضائل الشام بتحقيق العلامة الألباني.

* هذا الحشر في الدُّنيا: هذا الحشر المذكور في الأحاديث يكون في الدُّنيا، وليس

المراد به حشر الناس بعد البعث من القبور، وقد ذكر القرطبي أن الحشر معناه الجمع، وهو على أربعة أوجه: حشران في الدُّنيا، وحشران في الآخرة، أما حشرا الدُّنيا، فالأول: إجلاء بني النضير إلى الشام، والثاني: حشر الناس قبل القيامة إلى الشام، وهي النار المذكورة هنا في الأحاديث، وكون هذا الحشر في الدُّنيا هو الذي أجمع عليه جمهور العلماء؛ كما ذكر ذلك القرطبي، ابن كثير، وابن حجر، وهو الذي تدلُّ عليه النصوص كما تقدم بسطها، وذهب بعض العلماء، كالغزالي، والحليمي إلى أن هذا الحشر ليس في الدُّنيا، وإنما هو في الآخرة؟ وذكر ابن حجر أن بعض شرَّاح المصابيح حمله على الحشر من القبور، واحتجوا على ذلك بعدة أمور أولا: أن الحشر إذا أُطلق في عرف الشرع؛ إنما يُراد به الحشر من القبور؛ ما لم يخصه دليلٌ. ثانيا: أن هذا التقسيم في الخبر لا يستقيم في الحشر إلى الشام؛ لأن المهاجر لا بد أن تكون راغبًا أو راهبًا أو جامعًا بين الصفتين. ثالثا: أن حشر البقية على ما ذكر، وإلجاء النار لهم إلى تلك الجهة، وملازمتها حتى لات تفارقهم: قولٌ لم يرد به التوفيق، وليس لنا أن نحكم بتسليط النار في الدُّنيا على أهل الشقوة من غير توقيف. رابعا: أن الحديث يفسر بعضه بعضًا، وقد وقع في حديث أبي هريرة: "ثلاثًا على الدواب، وثلاثًا ينسلون على أقدامهم، وثلاثًا على وجوههم"، وهذا التقسيم الذي في هذا الخبر موافق لما جاء في سورة الواقعة في قوله تعالى: {وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً} [الواقعة: ٧].والإجابة عما احتجوا به يتلخص فيما يأتي:

أولا: أن الدليل قد جاء بأن هذا الحشر في الدُّنيا؛ كما سبق ذكر الأحاديث في ذلك.

ثانيا: أن التقسيم المذكور في آيات سورة الواقعة لا يستلزم أن يكون هو التقسيم المذكور في الحديث؛ فإن الذي في الحديث ورد على القصد من الخلاص من الفتنة

فمن اغتنم الفرصة سار على فسحة من الظهر ويسرة من الزاد راغبًا فيما يستقبله راهبًا فيما يستدبره، وهم الصنف الأول من الحديث، ومَن توانى حتى قلَّ الظهر اشتركوا فيه وهم الصنف الثاني، والصنف الثالث هم الذين تحشرهم النار وتسحبهم الملائكة. ثالثا: أنه تبيَّن من شواهد الأحاديث أنه ليس المراد بالنار نار الآخرة، وإنما هي نارٌ تخرج في الدُّنيا، أنذر النبي ﷺ بخروجها، وذكر كيفية ما تفعل في الأحاديث المذكورة. رابعا أن الحديث الذي احتجُّوا به من رواية على بن زيد- وهو ضعيف على الراجح - لا يخالف الأحاديث التي بيَّنَتُ أن هذا الحشر في الدُّنيا، وقد وقع في حديث على بن زيد المذكور عند الإمام أحمد أنهم: "يتَّقون بوجوههم كل حدب وشوك وأرض الموقف يوم القيامة أرض مستوية لا عوج فيها ولا أكمة ولا حدب ولا شوك".

قال النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٩٤- ١٩٥): "قال العلماء: وهذا الحشر في آخر الدُّنيا قبيل القيام، وقبيل النفخ في الصور؛ بدليل قوله ﷺ:تحشر بقيتهم النار؛ تبيت معهم وتقيل وتصبح وتمسي.اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في النهاية (١/ ٣٢٠- ٣٢١) بعد ذكره للأحاديث الواردة في خروج النار مبينًا أن هذا الحشر في الدُّنيا -: "فهذا السياقات تدلُّ على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدُّنيا من أقطار الأرض إلى محلة المحشر، وهي الأرض الشام... وهذا كله مما يدلُّ على أن هذا في آخر الزمان حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المشترى وغيره، وحيث تهلك المتخلفين منهم النار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يبق موتٌ، ولا ظهرٌ يُشترى، ولا أكل، ولا شرب، ولا لبس في العرصات.اهـ.

وأما حشر الآخرة؛ فإنه قد جاء في الأحاديث أن الناس مؤمنهم وكافرهم

يحشرون حفاة عراة غرلا بهما، ففي الصحيح عن ابن عباس؛ قال: قام فينا النبي ﷺ فقال: (إنكم محشورون حفاة عراة غرلًا؛ {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء: ١٠٤]، وإن أول الخلق يُكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل) قال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٨٢): "ومن أين للذين يُبعَثون بعد الموت عراة حفاة حدائق حتى يدفعوها في الشوارف.اهـ. فدلَّ هذا على أن هذا الحشر يكون في الدُّنيا قبل يوم القيامة، ومَن ذهب إلى خلاف ذلك فقد جانب الصواب، والله تعالى أعلم[1].

(باب متفرقات)

مسألة: سئل العلامة ابن باز كما في فتاوى نور على الدرب (٤/ ٢٦٥): **ما هي أشراط الساعة وماذا تحقق منها حتى الآن؟**.

فأجاب: أشراط الساعة كثير منها ما أخبر به النبي ﷺ لجبرائيل أن تلد الأمة ربتها، الأمة: يعني المملوكة ربتها، وفي رواية أخرى ربها، يعني سيدها منها، لكثرة الإماء بسبب السبي، وقد وقع هذا في عهد النبي ﷺ وبعده كثر السبايا وتملك الناس الإماء واستولدوهن هذا واقع من قديم، وكذلك قوله ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة، يتطاولون في البنيان، هذا وقع أيضا من أزمان طويلة، ولها أشراط تأتي في آخر الزمان حتى الآن لم تقع وسوف تقع كما أخبر بها النبي ﷺ، وهي أشراط متصلة عشرة أولها عند أهل العلم، خروج المهدي، وهو من أهل بيت النبي ﷺ يدعو إلى توحيد الله واسمه محمد بن عبد الله يدعو إلى توحيد الله وإلى اتباع الشريعة يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت جورا وهذا قبل نزول المسيح بقليل، الثانية: خروج الدجال الذي يأتي من بلاد الشرق من خراسان يدعي أنه نبي، يدعي أنه رب العالمين،

---

(١) كتاب أشراط الساعة ليوسف الوابل بتصرف واختصار.

وله خوارق بينها النبي ﷺ في أحاديث، والثالث: عيسى ابن مريم ينزل من السماء موجود في السماء مرفوع لم يقتل ولم يصلب، ولكن رفع إلى السماء ينزل في آخر الزمان، فيقتل الدجال، ويدعو إلى توحيد الله ﷻ واتباع شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، يحكم بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، والرابعة: يأجوج ومأجوج يخرجون في عهد عيسى عليه السلام، ثم يقتلهم الله في زمن عيسى عليه السلام، ويريح الله العباد منهم، ثم بعد ذلك ستة أشراط الدخان، وهدم الكعبة، ورفع القرآن وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، والعاشرة: نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم إلى الشام، تبيت معهم حيث يبيتون، تقيل حيث يقيلون، وبعد ذلك قيام الساعة في الوقت الذي يشاؤه الله سبحانه وتعالى لكن بعد خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وقبل النار يرسل الله ريحا طيبة قبل خروج النار يقبض الله بها روح كل مؤمن ومؤمنة، فلا يبقى إلا الأشرار فعليهم تقوم الساعة، ما يبقى إلا الأشرار، فيبقون أهل الأرض على الشرك بالله وعبادة الأوثان والأصنام، في مدة يعلمها الله، ثم تقوم الساعة على شرار الخلق، تقوم الساعة على قوم لا يعبدون الله، ولا يعرفونه، على قوم مشركين كفار، نسأل الله العافية والسلامة.

وسئل رحمه الله في نفس المصدر (٤/ ٢٦٧): ما هي علامات الساعة الصغرى التي تبقت؟.

فأجاب: يقال علاماتها الكبرى ليس هي بالصغرى، علاماتها الكبرى بقي عشر آيات: خروج المهدي، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وخروج اليأجوج والمأجوج، وهدم الكعبة، ورفع القرآن، وآية الدخان، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وآخر الآيات نار تحشر الناس إلى محشرهم، هذه الآيات التي بقيت نسأل الله السلامة، وآخرها طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة بعدها لا

يقبل عمل من إنسان، إذا جدد عملا، لا يقبل، يقول سبحانه: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ}، إذا طلعت الشمس من مغربها، الإيمان الجديد لا يقبل، وبعدها الآية الأخيرة وهي حشر الناس، خروج النار من المشرق تحشرهم إلى محشرهم، تبيت معهم حيث باتوا وتقيل حيث قالوا حتى يصلوا إلى محشرهم، الذي تقوم فيه الساعة.

وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نفس المصدر (٤/ ٢٦٨): تحدثوا يا سماحة الشيخ عن علامات الساعة الصغرى والكبرى.

فأجاب: علامات الساعة كثيرة ومنوعة، منها العلامات الصغرى التي وقعت في عهد النبي ﷺ وبعده، فالنبي ﷺ من علامات الساعة، هو نبي الساعة عليه الصلاة والسلام، وهكذا أخبر عن تطاول الناس في البنيان، هذا من أشراط الساعة، وهو كون الحفاة العراة العالة من العرب، يكونون رؤوس الناس، هذا من علامات الساعة، كثرة السراري بين الناس، كون الإماء يكثرن بين الناس، ويتسراها الرجل، ويولدها بسبب السبي الكثير، هذا من علامات الساعة، كما قال ﷺ في حديث جبرائيل لما سأل عن أمارات الساعة، قال: «أن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاة يتطاولون في البنيان، وقال: إذا ولدت الأمة ربتها» وفي لفظ: «ربها» يعني سيدها، يعني إذا حملت من سيدها فولدت منه بنتا أو ابنا، كل هذا من أشراط الساعة، وقد وقع في عهده ﷺ، وبعد ذلك، ومن أشراط الساعة كثرة الشح بين الناس، والبخل وكذلك قلة العلم، وكثرة الجهل، وفشو المعاصي، وظهور المعاصي في البلدان، كل هذا من علامات الساعة المنتشرة التي هي غير الكبرى، كذلك كثرة القتال والفتن، من أشراط الساعة، كل هذا بينه عليه الصلاة والسلام، وكثرة النساء وقلة الرجال من علامات الساعة.

أما علاماتها الكبرى التي تكون بقربها فهي عشر بينها العلماء

المهدي: وهو رجل من بيت النبوة، يخرج في آخر الزمان، يملأ الأرض عدلا وقسطا، بعدما ملئت جورا، المستقيم على دين الله يحكم بشريعة الله، ويقيم أمر الله في أرض الله، هذا يكون في آخر الزمان، عند نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام.

الدجال: وهذا يقع بعد المهدي، خروج الدجال من المشرق من جهة الشرق، من جهة الصين وخراسان ويسيح في الأرض ويطوف بها، ويدعو إلى اتباعه، يتظاهر بأنه نبي أولا ثم يقول: إنه رب العالمين، ومعه خوارق شيطانية، تلبس على الناس أمره، لكن أهل الإيمان وأهل البصيرة يعرفونه مكتوب بين عينيه كافر، يعرفه كل من يقرأ كل مؤمن ممن عصمه الله يرى ذلك بين عينيه، معه خوارق يعرفها أهل الإيمان، أنها باطلة، وأنها تدل على أنه الدجال، وينتهي أمره إلى فلسطين، ثم ينزل عيسى ابن مريم في الشام فيحاصره، في فلسطين، ويقتله، يعني عيسى ابن مريم ينزل من السماء، ويقتل الله به الدجال، ويتولى بنفسه عليه الصلاة والسلام قتله.

والعلامة الثالثة من أشراط الساعة الكبرى هو نزول عيسى عليه السلام، وقتله الدجال ويهلك الله في زمانه الأديان كلها ولا يبقى إلا الإسلام، ويضع الجزية ويتركها ولا يقبل إلا الإسلام، يكسر الصليب ويقتل الخنزير، لأن الصليب باطل، عيسى ما صلب، ولم يقتل عليه الصلاة والسلام، وهو كذب ولهذا إذا نزل كسر الصليب، وبين أمر الله في عباده، ودعاهم إلى الإسلام وحكم بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، ولا يقبل من الناس إلا الإسلام، ولا يبقى في زمانه يهودية، ولا نصرانية، ولا وثنية، بل يدخل الناس في دين الله أفواجا، ويستقر الإسلام في الناس، ثم بقية علامات الساعة من الدخان، وهدم الكعبة، ونزع القرآن من الصدور، والمصاحف، ثم طلوع الشمس من مغربها ثم خروج الدابة، ثم الدخان، ثم آخر العلامات خروج النار، نار تخرج من

قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم، نسأل الله السلامة والعافية.

وسئل رَحِمَهُ اللهُ في نفس المصدر (٤/ ٢٧٠): إن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، حدد لنا بعضا منها، وقال في ذلك: أن تلد الأمة ربتها فما معنى هذه العبارة؟

فأجاب: أشراط الساعة كثيرة، ولكنها قسمان: قسم مطلق، وجد في عهد النبي ﷺ وبعده، وقسم خاص يقع عند قربها وعند دنوها، أما المطلق العام فهذا نبينا محمد ﷺ هو نبي الساعة، ووجوده من أشراطها عليه الصلاة والسلام، وهكذا ما قال ﷺ: أن تلد الأمة ربتها ربتها يعني سيدتها، وفي اللفظ الآخر: ربها يعني سيدها، ومعنى ذلك أنها تكثر الإماء والسراري، فإذا حملت من سيدها، وهو مالكها، فإذا حملت من سيدها، وهو مالكها، فإن المولودة البنت تكون سيدة، ربة والمولود الذكر يكون ربا لها، سيدا لها، هذا معنى الحديث يعني تكثر السراري ويكثر الإماء، والناس يكثر تسريهم بسبب كثرة الجهاد وكثرة الغنائم، فتكثر السراري بين الناس والسيد يطأ أمته، لأنها ملكه، مباح له، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} {إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} الملك الذي هو ملكه للأمة، يقال له ملك اليمين فإذا ملكها بغنيمة، أو بالشراء أو بالورث، فله أن يطأها، وهي ملك اليمين، وإذا ولدت يقال للمولود إن كان ذكرا ربها وسيدها، والمولودة ربتها وسيدتها، هذا معنى الحديث، أن تلد الأمة ربها أو ربتها، يعني سيدتها، لأن بنت السيد سيدة، وولد السيد سيد لأمه في المعنى، والمعنى أنه تكثر السراري في الناس، وهذا من علامات الساعة، كثرة السراري وكثرة الإماء والولادة، ومثل حديث: «أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في النبيان» هذا أيضا من أشراطها العامة، تطاول العرب في البناء بعدما كانوا أهل خيام، بنوا البنايات وطولوها، هذا من أشراط الساعة، وقد وقع هذا، العرب تحضروا وجاهدوا، وبنو البنايات، وعمروا العمائر،

أما أشراطها الخاصة القريبة منها، فقد بينتها الأحاديث، وهي عشر علامات، أولها: المهدي، رجل من أهل البيت في آخر الزمان، يملك الدنيا، يملك الأرض، ويملأها عدلا، بعدما ملئت جورا، وهو من أهل البيت، من بني هاشم، من ذرية فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، جاءت فيه أحاديث كثيرة، الثاني: الدجال يخرج دجال في آخر الزمان، يدعي أنه نبي، ثم يدعي أنه رب العالمين، وصحت فيه الأحاديث، وتواترت عن النبي ﷺ، والثالث: نزول المسيح ابن مريم من السماء عليه الصلاة والسلام، ويقتل الدجال، ويحصل به الخير العظيم للأمة، ويملأ الله به البركات في الأرض عليه الصلاة والسلام، ويهلك الله في زمانه الأديان، فلا يبقى إلا الإسلام، تذهب اليهودية والنصرانية، والشيوعية وغيرها، ولا يبقى إلا الإسلام في عهده عليه الصلاة والسلام، والرابع: خروج يأجوج ومأجوج من الشرق: {وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} في عهد عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم يميتهم الله بعد ذلك ثم بعد ذلك: آية الدخان، وهدم الكعبة، رفع القرآن من الأرض ومن الصدور، ومن الصحف، ثم خروج الدابة، دابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وإذا طلعت لا تقبل التوبة بعد ذلك من أحد، وآخرها: نار تحشر الناس إلى محشرهم، هذه يقال لها الآيات الخاصة القريبة من الساعة جاءت بها الأحاديث وبينها أهل العلم.

وسئل رَحِمَهُ اللهُ في نفس المصدر (٤/ ٢٧٣): يسأل سماحتكم عن علامة القيامة الكبرى.

فأجاب: العلامة الكبرى: طلوع الشمس من مغربها هذه العلامة الكبرى، حينئذ لا يقبل من نفس إسلامها ولا إيمانها وليس لها إلا ما قدمت كما قال جل وعلا: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ}.

المقصود أن هذه الآية هي أكبر الآيات طلوع الشمس من مغربها فإذا طلعت لم

يقبل من الإنسان دخول في الإسلام ولا الزيادة في العمل ليس له إلا ما قدم، المقصود الواجب الحذر وأن يستعد للقاء الله وألا يتساهل.

وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نفس المصدر (٤/ ٢٧٤): سائل يستوضح عن علامات الساعة، وهل هذا الجيل آخر جيل كما يقول بعض الناس؟.

فأجاب: الساعة لا يعلم قيامها إلا الله، ولا يعلم الجيل الذي تقوم فيه إلا الله سبحانه وتعالى، وهي لا تقوم إلا على الأشرار حين لا يبقى في الأرض مسلم، وما تقوم إلا على الكفار، ولا تقوم وفي الأرض مسلم واحد، بل جميع المسلمين يموتون قبل قيامها، يبعث الله عليهم ريحا طيبة في آخر الزمان تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، فلا يبقى إلا الكفار، فعليهم تقوم الساعة، ولها شروط لم تأت، من شروطها خروج الدجال من جهة المشرق، وهو آدمي يدعي أنه نبي، ثم يدعي أنه رب العالمين، ثم ينزل الله عيسى ابن مريم من السماء، فيقتله في فلسطين، وهو رئيس اليهود، الدجال رئيس اليهود، يذهب إليهم في فلسطين، وينزل الله عيسى فيقتله عند باب اللد، الباب المعروف هناك في فلسطين، ومن أشراطها خروج يأجوج ومأجوج، وهم أيضا من الشرق، أخبر الله عنهم في كتابه العظيم، ومن شروطها، عدم الكعبة في آخر الزمان، ونزع القرآن من الصدور، ومن الصحف حتى لا يبقى في أيدي الناس قرآن، ومن شروطها الأخيرة دخان يغشى الناس، ويعمهم ومن شروطها طلوع الشمس من مغربها، بعد المشرق تطلع من المغرب، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس، لكن لا يقبل الله إيمانهم بعد طلوع الشمس من مغربها، يبقى المسلم على إسلامه، والكافر على كفره، وآخر الآيات نار تحشر الناس إلى محشرهم، تخرج من المشرق، وفي بعض الأحاديث من قعر عدن من الجنوب، ثم تسوقهم إلى محشرهم، هي آخر الآيات، وفي آخر الزمان، كما تقدم قبل أن تقوم الساعة يرسل الله ريحا طيبة، لينة،

فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ولا يبقى في الأرض إلا الكفار، في خفة الطير وأحلام السباع، يتناكحون في الأسواق، ويعبدون الأوثان، والأصنام، ولا يعرفون الله طرفة عين، بل هم في كفر وضلال وجهل، وأخلاق خبيثة، فعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية والسلامة.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ في نفس المصدر (٤/ ٢٧٥): كثيرا ما نتحاور أنا ورفاقي عن نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأرجو أن تزودونا بمعلومات، إذا كان يوجد أي دلالة أو إشارة في القرآن الكريم، أو السنة النبوية الشريفة إلى هذا المعنى، ويقال بأن هناك حديثا شريفا بهذا الخصوص، فهل هذا صحيح؟ وفقكم الله وبارك فيكم.

فأجاب: قد تواترت الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام للإخبار عن نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، ينزل في آخر الزمان في دمشق، وأنه يتوجه إلى فلسطين بعد نزول الدجال، وأنه يقتله هناك في باب اللد والمسلمون معه، وثبت عنه ﷺ: «أنه يأتي المسلمين وهم قائمون للصلاة، ويريد أميرهم أن يتأخر حتى يؤم الناس نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيأتي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويقول: إنها أقيمت، فصل بهم». وجاء في بعض الروايات الجيدة أن أميرهم ذاك الوقت المهدي، وهو محمد بن عبد الله من بيت النبي عليه الصلاة والسلام، ومن ذرية فاطمة، فيقول له المهدي: تقدم يا روح الله، فيأتي ويقول: صل أنت، لأنها أقيمت لك. ثم يتولى القيادة بعد ذلك عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ونزوله أمر مجمع عليه عند أهل العلم، وثابت بالنصوص الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد تواترت به الأحاديث، وليس به شك بحمد الله، هو ينزل في آخر الزمان بعد خروج الدجال الكذاب، فيبين للناس كذبه وضلاله، ويتولى عليه الصلاة والسلام قتله، وقد أشار القرآن إلى هذا بقوله جل وعلا، لما ذكر عيسى قال: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا} أي نزوله ومجيئه، وقرأ بعض القراء: علم،

بفتح العين واللام، أي دليل على قربها، وقال جل وعلا في سورة النساء: {بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}، ثم قال بعده: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} يعني ما من أحد من أهل الكتاب، وقت نزوله إلا يؤمن به قبل موت عيسى عليه السلام، فيكون الضمير في موته يعود على عيسى، وقيل: يعود على اليهودي أو النصراني، أنه قبل موته يؤمن بنزول عيسى عليه السلام، وبكل حال فالآية تشير إلى ذلك سواء قيل: إنه الضمير يعود إلى الواحد من أهل الكتاب، أنه يؤمن قبل خروج روحه، أو معنى أن عيسى عليه السلام إذا نزل آمن به أهل الكتاب ذلك الوقت، قبل أن يموت عيسى عليه السلام، فإنه يموت بعد ذلك، يمكث في الأرض ما شاء الله، ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه، وجاء في بعض الروايات ما يدل على أنه يدفن في الحجرة النبوية، ولكن في صحة ذلك نظر، وبكل حال فهو ينزل بلا شك، ويحكم بشريعة محمد ﷺ في الأرض، ويتبعه المسلمون ويفيض المال في وقته، وتأمن البلاد ويسلم الناس كلهم، فإنه لا يقبل من الناس إلا الإسلام أو السيف، يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يترك الجزية لا يأخذها من أحد، وتكون العبادة لله وحده في زمانه، بسبب ما حصل به من الأمارة العظيمة، والدلالة القاطعة على قرب الساعة، فالناس يؤمنون في زمانه، وهو يجاهدهم بالسيف حتى يدخل الناس في دين الله، فمنهم من يدخل بسبب ظهور أدلة الحق، وصدق النبي محمد ﷺ فيما أخبر به، ومنهم من يكون إسلامه على أثر الجهاد الذي يقوم به عيسى عليه السلام والمسلمون.

والخلاصة أن نزوله حق وثابت بإجماع المسلمين

وأصله الأحاديث المتواترة القطعية بنزوله عليه السلام

وأشار القرآن الكريم إلى ذلك كما تقدم.

فالواجب على جميع المسلمين الإيمان به، واعتقاد نزوله في آخر الزمان وأنه

ينزل حقيقة، وأنه يدعو إلى توحيد الله والإيمان به، وأنه يعمل بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، ويحكم بها في الأرض، لأنه لا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام، ينزل تابعا لمحمد عليه الصلاة والسلام حاكما بشريعته لا بشريعة التوراة السابقة، ولكن يحكم بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، يحكم بالقرآن، هذا هو الذي أجمع عليه أهل الإسلام، ودلت عليه الأحاديث الصحيحة المتواترة، وأشار إليه القرآن الكريم.

فالواجب على جميع المسلمين اعتقاد هذا، وعدم الالتفات إلى ما قد قاله بعض المتأخرين من إنكار نزوله، وتأويل ذلك بأنه يظهر خير في آخر الزمان، وأنه عبر بهذا عن ظهور الخير، وأنه عبر بالدجال عن ظهور الشر، كل هذه أقوال فاسدة وباطلة، ويخشى على قائلها بالكفر بالله ﷻ، لأنهم كذبوا بأمر واضح، جاءت به السنة الصحيحة المتواترة، فلا يجوز الالتفات إلى ذلك، بل يجب الإيمان والقطع، لأن خروج الدجال حق في آخر الزمان، وهو كذاب من بني آدم يخرج في آخر الزمان، يدعي أنه نبي، ثم يدعي أنه رب العالمين، وهكذا ينزل عيسى في إثر ذلك، فيقتل هذا الدجال، لأنه إذا رأى عيسى تحير وتوقف، ويكون إمام المسلمين في زمانه، ويأخذ بشريعة الله، هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وأجمع عليه أصحاب النبي ﷺ والمسلمون بعده. ومعنى تركه الجزية هو أنه لا يقبلها من اليهود والنصارى، وهذا يدل على أن الجزية مؤقتة في شريعة محمد، يعني مؤقتا إلى نزول عيسى عليه السلام، فإذا نزل عيسى فلا تقبل، هذا شرع من شرع الله ﷻ، بينه النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة، بأن عيسى لا يقبلها، لأنه انتهى أمرها، وليس هناك حاجة إليها، بل يجب على من بلغ أن يسلم، ويترك التمرد عن الإسلام، والتشبث باليهودية والنصرانية، وعلى عيسى عليه السلام أن يقاتل من أبى ذلك حتى يدخل في دين الله.

ويظهر من هذا أن الخنزير من الحيوانات التي ينبغي إتلافها، لأنه من المحرمات في شريعة محمد ﷺ، ولأن بقاءه وسيلة، لأن يأكله اليهود والنصارى أو غيرهم، وهو محرم بنص الكتاب العزيز، وقد يستفاد من هذا الحديث أنه يقتل بإتلافه وإزالته من الوجود، وإنما ذكره النبي ﷺ في قصة عيسى، ليشير على هذا المعنى ويفيده، ويحتمل أن يقال: إنه لا يقتل، إلا بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، لأنه ذكر في قصة عيسى ونزوله، فيكون قتله مؤجلا، كما أن وضع الجزية مؤجل إلى نزوله عليه الصلاة والسلام، هذا محل احتمال، ويحتاج إلى مزيد بحث وعناية من جهة الأدلة الشرعية، فإنه ليس كل ما حرم يقتل، الكلب محرم ولا يقتل، إلا إذا آذى بالعقر أو غيره، والهر محرم الأكل ومع هذا لا يقتل، إلا إذا آذى والحمر محرمة الأكل، ولا تقتل وهكذا الخنزير محرم الأكل، ولا يلزم من تحريمه أن يقتل، إلا إذا اعتمد على هذا الحديث، ولم يكن له معارض، وهو قتل عيسى للخنزير، هذا محل نظر ومحل احتمال ويحتاج إلى مزيد بحث.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ في نفس المصدر (٤/ ٢٨٢): ال ﷺ: «يقاتلكم اليهود وتنصرون عليهم"، فالسائل: يتوقع إذا كان هذا الحديث صحيحا، فعهدنا الآن هو العهد الذي يتحدث عنه ﷺ، فما رأيكم؟ أرجو أن توضحوا لي هذا الحديث، لأنه دائما بيننا مشادة بالكلام عنه، وفقكم الله.

فأجاب: الحديث صحيح رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وغيرهما ولفظه: «يقاتل المسلمون اليهود، فينتصرون عليهم حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي تعال فاقتله » أو قريب من هذا اللفظ، المقصود أنه ثابت عن رسول الله ﷺ، وأن المسلمين يقاتلون اليهود، وأنهم ينصرون عليهم، حتى إن الحجر والشجر، يقول للمسلم: يا عبد الله هذا يهودي تعال فاقتله، أما كون ذلك في وقتنا هذا

فهو محل نظر فإن الذي يقاتلهم المسلمون، والمقاتلون الآن ليسوا على المستوى الكامل، من جهة الإسلام فيهم المسلم وفيهم غير المسلم، وليس هناك تطبيق فيما بلغنا من المسلمين هناك للشريعة المطهرة كما ينبغي بل هناك العاصي، وهناك الكافر وهناك المسلم المستقيم، فالقتال الذي أخبر به النبي ﷺ يكون من المسلمين الملتزمين المستقيمين، فلهذا ينصرهم الله على اليهود، بسبب استقامتهم على دين الإسلام ونصرهم لدين الله، فيحتمل أن يكون هذا بعد وقت يتحسن فيه أحوال المسلمين، ويجتمعون على الحق والهدى، فينصرون عليهم، ويحتمل أن يكون هذا في وقت عيسى، كما هو معلوم فإنه وقت عيسى يقتل اليهود، وينصر الله عيسى والمسلمين عليهم، ويقتل الدجال هذا لا شك فيه، في وقت عيسى، لكن يحتمل أن يقع قبل عيسى، وأن المسلمين تتحسن أحوالهم، وتستقيم أمورهم على شريعة الله، ويقودهم أمير صالح، أو إمام صالح، يقودهم إلى الحق والهدى، ويستقيمون على شريعة الله، ثم يتوجهون لقتال اليهود، فينصرون عليهم، هذا كله محل احتمال، أما في وقت عيسى فلا شك فيه أنه يقتلهم وينصره الله عليهم، عليه السلام مع المسلمين عند قتله للدجال.

وسئل رحمه الله في نفس المصدر (٤/ ٢٨٧): هل صحيح أن المهدي المنتظر سوف يظهر، أم أنها بدعة مع العلم أنه لا يوجد بعد وفاة نبينا محمد ﷺ معجزات، أرشدونا جزاكم الله خيرا مع التحيات؟.

فأجاب: المهدي المنتظر صحيح، وسوف يقع في آخر الزمان، قرب خروج الدجال ونزول عيسى عند اختلاف بين الناس، عند موت خليفة فيخرج المهدي، ويبايع ويقيم العدل في الناس سبع سنوات أو تسع سنوات، وينزل في وقته عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، هذا جاءت به أحاديث كثيرة، أما المهدي الذي يدعي

الرافضة هذا لا أصل له، مهدي الشيعة صاحب السرداب هذا لا أصل له عند أهل العلم، بل هو خرافة لا أساس لها ولا صحة لها.

أما المهدي المنتظر الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة، ومن بيت النبي ﷺ، من أولاد فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو سمي النبي محمد وأبوه عبد الله فهذا حق وجاءت به الأحاديث الصحيحة، وسيقع في آخر الزمان، ويحصل بسبب خروجه وبيعته مصالح للمسلمين في إقامة العدل ونشر الشريعة، وإزالة الظلم عن الناس، وجاء في الأحاديث أن الأرض تملأ عدلا، بعدما ملئت جورا في زمانه وأنه يخرج عند وجود فتنة بين الناس واختلاف على أثر موت الخليفة القائم فيبايعه أهل الإيمان والعدل بما يظنه فيه من الخير والاستقامة وأنه من بيت النبوة.

س: ما رأي الشرع في ظهور المهدي المنتظر في نهاية الزمان؟

ج: المهدي جاءت به أحاديث كثيرة، وصنف فيه بعض العلماء مصنفات، وذكر أنها متواترة عن النبي عليه الصلاة والسلام وهي فيها الصحيح وفيها الحسن، وفيها الضعيف وفيها الموضوع، لكن الحجة في الأحاديث الصحيحة والحسنة، وقد ثبت عنه ﷺ، ما يدل على أنه يكون شخص يقال له: المهدي في آخر الزمان، يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبي النبي ﷺ، يعني محمد بن عبد الله، وهو من أهل بيته عليه الصلاة والسلام، فالصواب أنه سوف يكون وسوف يقع، قرب نزول المسيح ابن مريم، وجاء في بعض الروايات أنه يكون أميرا على الجيش الذي يدعو إلى الله ويملأ الأرض عدلا، عند نزول المسيح عليه الصلاة والسلام، فهو رجل صالح من أهل البيت، يدعو إلى الله وينشر العدل، ويمنع الجور ويقيم شعائر الله في أرض الله، حتى ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام.

أما المهدي الذي تزعمه الرافضة فهو باطل ولا حقيقة له، بل هو سراب لا حقيقة

له، وهو صاحب السرداب الذي يزعمون، هذا شيء باطل لا أساس له ولا حقيقة له، وإنما المهدي المنتظر شخص آخر غير مهدي الرافضة، وهو محمد بن عبد الله من آل البيت، وهو من ذرية فاطمة، كما صرح به في بعض الروايات، وهو يملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا، كما جاءت به الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم.

وسئل رحمه الله في نفس المصدر (٤/ ٢٨٩): حدثونا بحديث صحيح عن الدجال، ومن أين يأتي؟ وكم حكمه؟.

فأجاب: الدجال جاءت به أحاديث متواترة عن النبي ﷺ في آخر الزمان، وأنه يكون من جهة المشرق، من ناحية بين العراق والشام، وأنه يعيث في الأرض فسادا، ويطأ الأرض كلها، إلا مكة والمدينة، فإن الله يحميهما منه، ثم ينتهي إلى الشام، إلى فلسطين إلى اليهود هناك، وينزل الله عيسى ابن مريم فيحصره هناك، ثم يقتله هناك غرب الأردن، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، ويقتله المسلمون معه، فإن عيسى عليه الصلاة والسلام يغزوه، ومعه المسلمون فيقتله بباب اللد، باب هناك في فلسطين، قرب القدس، يقتله بحربته كما جاء في الحديث الصحيح، والمسلمون معه يقتلون اليهود قتلة عظيمة، جاء في الحديث عن النبي ﷺ أن المسلمين يقاتلون اليهود، فيقتلونهم، ويسلطون عليهم، ينادي الشجر والحجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي تعال فاقتله، فيقتل عيسى الدجال وينتهي أمره، ويبقى المسلمون مع عيسى في أرغد عيش وأطيب نعمة، ويهلك الله الأديان كلها في زمان عيسى، ولا يبقى إلا الإسلام والحمد لله، ثم يميت الله عيسى، كما توفي من قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو حين ينزل من السماء يحكم بشريعة محمد ﷺ لا بشريعة الإنجيل، بل هو كأحد أمته، لكنه أفضلها، نبي من الأنبياء ويحكم بشريعة محمد عليه الصلاة

والسلام، لا بشريعة التوراة والإنجيل، ولهذا جاء في الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام: «ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا"، يعني: يؤمكم بكتاب الله وبسنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نفس المصدر (٤/ ٢٩١): إن بعض العلماء عندنا في سوريا يدعون أحيانا، ويقولون: اللهم أجرنا من فتنة المسيح الدجال، والذي نفهمه أن المسيح هو عيسى ابن مريم، فوجهونا حول الصحيح، جزاكم الله خيرا.

فأجاب: كلاهما يقال له مسيح، فالدجال مسيح، وعيسى ابن مريم مسيح، المسيح الدجال مسيح ضلالة، ومن دعاة الفتنة والشر والفساد في آخر الزمان، يخرج على الناس من جهة الشرق، ويدعي أنه نبي، ثم يدعي أنه رب العالمين، ومعه بعض الخوارق، فالنبي ﷺ حذر من فتنته، وشرع لنا أن نستعيذ من فتنته في آخر كل صلاة، وفي دعائنا، وقال ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أعظم من الدجال » وفي لفظ: «أمر أعظم من أمر الدجال"، فالدجال له فتنة عظيمة، وهو أعور العين اليمنى مكتوب بين عينيه كافر، فالمشروع للمؤمن سؤال الله العافية من فتنته في صلاته، كما شرع الله لنا ذلك، يجب على المؤمنين والمؤمنات أن يعرفوا الفرق بين هذا وهذا، فالدجال مسيح ضلالة، ومن دعاة الباطل والشر والكفر والضلال، يدعو الناس إلى أنه رب العالمين.

فالواجب على من أدركه أن ينكره وأن يكذبه، وأن يبتعد عن فتنته، ويسأل ربه العافية، وأما المسيح ابن مريم فهو عبد الله ورسوله، أرسله الله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه كتابا عظيما وهو الإنجيل، يدعوهم إلى توحيد الله، وإلى اتباع التوراة وما فيها، والمسيح عيسى خلقه الله من أنثى بلا ذكر، من مريم الصديقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قال الله له: (كن فكان) فليس له أب، بل خلقه الله بقدرته العظيمة، أرسل جبرائيل إلى مريم فنفخ

فيها، فحملت بإذن الله، وهو عبد الله ورسوله، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، ليس بعده إلا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فنبينا هو خاتم الأنبياء، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، هو آخرهم، ثم بعث الله بعده نبينا محمدا ﷺ من العرب، هو خاتم الأنبياء جميعا ليس بعده نبي، وينزل عيسى في آخر الزمان يحكم بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، ويقتل الدجال، يلتقي به في فلسطين ويقتله، ومعه المسلمون، مع عيسى المسلمون، ثم يموت عيسى عليه الصلاة والسلام، كما قال عَزَّ وَجَلَّ في قصة عيسى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} يعني في آخر الزمان عند نزوله، قال قبل ذلك: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} . فالمؤمن يؤمن بأن عيسى ابن مريم هو رسول الله وعبد الله ورسوله، ويصدق برسالته عليه الصلاة والسلام، وأنه سوف ينزل في آخر الزمان، وسوف يحكم بشريعة محمد ﷺ، وسوف يقتل الله على يديه الدجال، ويعيش الناس في زمانه عيشة عظيمة في غاية من الاستقامة على الهدى، ويعم التوحيد والإسلام الأرض، ثم يموت كما مات غيره من الأنبياء والأخيار، وهو يحكم بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام لا بشريعة الإنجيل ولا التوراة، والله المستعان.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ في نفس المصدر (٤/ ٢٩٣): تسأل عن المسيح الدجال، عندما يظهر في آخر الزمان، هل هو يتكلم؟ وإذا كان يتكلم فبأي لغة؟ أفيدونا أفادكم الله.

فأجاب: نعم، يكون في آخر الزمان، هو من بني آدم، ويتكلم اللغة العربية على ظاهر الأحاديث الواردة في حقه، أنه يتكلم بالعربية، ومعه خوارق تفتن الناس، معه نهر، يزعم أنه النار، ومعه نهر آخر يزعم أنه الجنة، ويجري على يديه خوارق كثيرة، ابتلاء وامتحان، ولهذا شرع الله لنا أن نتعوذ من فتنته في آخر كل صلاة، شرع لنا أن نقول: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن

فتنة المسيح الدجال، وهو أعور، أعور العين اليمنى، مكتوب بين عينيه كلمة كافر، يقرؤها كل مؤمن، يكرهه كل مؤمن، يكره المقالة، يقرؤها سواء كان عاميا أو قارئا، وهذا من رحمة الله أن جعل علامة يعرفها المؤمن، حتى لا يخدع به، «يقول النبي ﷺ: ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال » فتنة عظيمة، فالواجب على من أدركه أن يحذره، وألا يغتر به، وأن يكذبه.

مسألة: قال العلامة الألباني في الضعيفة (٣/ ٢٠١ - ٢٠٢): [روي عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال]:

«من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل على محمد، ومن أنكر نزول عيسى بن مريم فقد كفر، ومن أنكر خروج الدجال فقد كفر، ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر، فإن جبريل عليه السلام أخبرني بأن الله تعالى يقول: من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فليتخذ ربا غيري». (باطل).

واعلم أن الإيمان بكل ما ذكر في هذا الحديث من خروج المهدي، ونزول عيسى، وبالقدر خيره وشره، كل ذلك واجب الإيمان به، لثبوته في الكتاب والسنة، ولكن ليس هناك نص في أن " من أنكر ذلك فقد كفر"، ومن أجل هذا أوردت الحديث وبينت وضعه، وهو ظاهر الوضع، وكأنه من وضع بعض المحدثين أو غيره من الجهلة، وضعه ليقيم به الحجة على منكري ذلك من ذوي الأهواء والمعتزلة، ولن تقوم الحجة على أحد بالكذب على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- والافتراء على الله تعالى، فقاتل الله الوضاعين ما أجرأهم على الله ﷻ.

والتكفير ليس بالأمر السهل، نعم من أنكر ما ثبت من الدين بالضرورة بعدما قامت الحجة عليه، فهو الكافر الذي يتحقق فيه حقيقة معنى كفر، وأما من أنكر شيئا لعدم ثبوته عنده، أو لشبهة من حيث المعنى، فهو ضال، وليس بكافر مرتد عن الدين

شأنه في ذلك شأن من ينكر أي حديث صحيح عند أهل العلم، والله أعلم.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في نفس المصدر (١/ ١/ ٣١ - ٣٤): قال الله ﷻ: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون}.

تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده -صلى الله عليه وآله وسلم- وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق، كما أشار إلى ذلك النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بقوله: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون} أن ذلك تامًّا، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله... » الحديث.

وقد وردت أحاديث أخرى توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره، بحيث لا يدع مجالا للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه.

وها أنا أسوق ما تيسر من هذه الأحاديث عسى أن تكون سببا لشحذ همم العاملين للإسلام، وحجة على اليائسين المتواكلين:

- «إن الله زوى (أي جمع وضم) لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها». الحديث

- «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزًّا يعز الله به الإسلام وذلًّا يذل به الكفر».

- عن أبى قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي وسئل أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه

كتابا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- نكتب، إذ سئل رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: أي المدينتين تفتح أولا أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: "مدينة هرقل تفتح أولا. يعني قسطنطينية ".

- «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريًّا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة. ثم سكت».

وقال رَحِمَهُ اللهُ في نفس المصدر (١/ ١/ ٣٦): مما يجب أن يعلم... أن قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم». رواه البخاري في " الفتن " من حديث أنس مرفوعًا.

فهذا الحديث ينبغي أن يفهم على ضوء الأحاديث المتقدمة وغيرها مثل أحاديث المهدي ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنها تدل على أن هذا الحديث ليس على عمومه بل هو من العام المخصوص، فلا يجوز إفهام الناس أنه على عمومه فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن {إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} أسأل الله أن يجعلنا مؤمنين به حقًّا.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في صحيح موارد الظمآن (٢/ ٤٧): عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «يكون في آخر أمتي رجال يركبون على سرج كأشباه الرحال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات، لو كان

وراءكم أمة من الأمم خدمهن نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم». حديث حسن.

الحديث معجزة علمية غيبية للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم-؛ فإنه يشير إلى السيارات الفاخرة التي يركبها أشباه الرجال الذين يأتون عليها إلى المساجد مشيعين للجنازة، فإذا أدخلت المسجد للصلاة عليها؛ ظل أولئك في سياراتهم أو واقفين بجانبها بالانتظار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيحة (حديث رقم ٩٣) **عن** أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مرفوعا** (تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين، فأما إبل الشياطين، فقد رأيتها يخرج أحدكم بجنيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيرا منها ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله. وأما بيوت الشياطين فلم أرها).

والظاهر أنه عليه الصلاة والسلام عني بـ" بيوت الشياطين " هذه السيارات الفخمة التي يركبها بعض الناس مفاخرة ومباهاة، وإذا مروا ببعض المحتاجين إلى الركوب لم يركبوهم، ويرون أن إركابهم يتنافى مع كبريائهم وغطرستهم؟

فالحديث من أعلام نبوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المصدر السابق (٦/ ٢/ ٧٧٤ - ٧٧٦): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من اقتراب (وفي رواية: أشراط) الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويخزن العمل ويقرأ بالقوم المثناة، ليس فيهم أحد ينكرها. قيل: وما المثناة؟ قال: ما استكتب سوى كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ».

(فائدة):هذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وآله وسلم

فقد تحقق كل ما فيه من الأنباء، وبخاصة منها ما يتعلق بـ (المثناة) وهي كل ما كتب سوى كتاب الله كما فسره الراوي، وما يتعلق به من الأحاديث النبوية والآثار

السلفية، فكأن المقصود بـ (المثناة) الكتب المذهبية المفروضة على المقلدين. التي صرفتهم مع تطاول الزمن عن كتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- كما هو مشاهد اليوم مع الأسف من جماهير المتمذهبين، وفيهم كثير من الدكاترة والمتخرجين من كليات الشريعة، فإنهم جميعًا يتدينون بالتمذهب، ويوجبونه على الناس حتى العلماء منهم، فهذا كبيرهم أبو الحسن الكرخي الحنفي يقول كلمته المشهورة: "كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ". فقد جعلوا المذهب أصلًا، والقرآن الكريم تبعًا، فذلك هو (المثناة) دون ما شك أو ريب.

وأما ما جاء في " النهاية " عقب الحديث وفيه تفسير (المثناة): "وقيل: إن المثناة هي أخبار بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وضعوا كتابا فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله، فهو (المثناة)،فكأن ابن عمرو كره الأخذ عن أهل الكتاب، وقد كان عنده كتب وقعت إليه يوم اليرموك منهم. فقال هذا لمعرفته بما فيها ".

قلت: وهذا التفسير بعيد كل البعد عن ظاهر الحديث، وأن (المثناة) من علامات اقتراب الساعة، فلا علاقة لها بما فعل اليهود قبل بعثته -صلى الله عليه وآله وسلم-، فلا جرم أن ابن الأثير أشار إلى تضعيف هذا التفسير بتصديره إياه بصيغة " قيل " وأشد ضعفا منه ما ذكره عقبه: "قال الجوهري: (المثناة) هي التي تسمى بالفارسية (دوبيتي). وهو الغناء "!.

وقال رحمه الله في المصدر السابق (٥/ ٦٥٣، ٦٥٥، ٦٥٦): قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم:«ألا إن الفتنة ههنا، ألا إن الفتنة ههنا [قالها مرتين أو ثلاثا، من حيث يطلع قرن الشيطان، [يشير [بيده] إلى المشرق، وفي رواية: العراق».

وطرق الحديث متضافرة على أن الجهة التي أشار إليها النبي -صلى الله عليه

وآله وسلم- إنما هي المشرق، وهي على التحديد العراق كما رأيت في بعض الروايات الصريحة، فالحديث علم من أعلام نبوته -صلى الله عليه وآله وسلم-، فإن أول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة كبدعة التشيع والخروج ونحوها. وقد روى البخاري (٧/ ٧٧) وأحمد (٢/ ٨٥، ١٥٣) عن ابن أبي نعم قال: "شهدت ابن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن محرم قتل ذبابا فقال: يا أهل العراق! تسألوني عن محرم قتل ذبابا، وقد قتلتم ابن بنت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «هما ريحانتي في الدنيا».

وإن من تلك الفتن طعن الشيعة في كبار الصحابة رضي الله عنهم، كالسيدة عائشة الصديقة بنت الصديق التي نزلت براءتها من السماء.

وقال رحمه الله في المصدر السابق (٥/ ٥٥٨ - ٥٦٠): اعلم أنه لا منافاة بين هذا الحديث «لا تنتهي البعوث عن غزو هذا البيت، حتى يخسف بجيش منهم» و(حديث.. لا تغزى مكة بعد إلى يوم القيامة " لأن المثبت من الغزو في هذا غير المنفي في ذاك، ألا ترى إلى تفسير سفيان إياه بقوله: "إنهم لا يكفرون أبدا ولا يغزون على الكفر ". ويؤيده قوله في هذا الحديث: "يخسف بجيش منهم ". فهو صريح في أن هذا الجيش من الكفار، أو البغاة، وإن كان فيهم مؤمنون مكرهون، فهم يؤمون البيت ليغزوا من فيه من المسلمين، فلا تعارض، والحمد لله.

وقال رحمه الله في المصدر السابق (٧/ ١/ ٢١٠ - ٢١١): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يُوشِكُ أن تطلبُوا في قُراكُم هذه طَسْتًا من ماءٍ فلا تَجدونَهُ، يَنْزَوِي كلُّ ماءٍ إلى عُنْصُرِهِ؛ فيكون في الشام بَقِيَّةُ المؤمنين والماءُ».

والحديث حمله مؤلف كتاب "المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات

الكبرى" (ص ٢١٤) على أنه يكون بعد القحط الذي قال: إنه يأتي بعده الدجال! وليس فيه ولا في غيره- فيما أعلم- ما يدل على هذا التحديد، فيمكن أن يكون قبل ذلك أو بعده، وهذا لعله هو الأقرب أن يكون بين يدي القيامة.

ومن المفيد هنا أن أنقل إلى القراء ما جاء في الكتاب المذكور (ص ٢١٠) فيما يتعلق بنضوب المياه:

"أصدر معهد (ووارد دوانش) الأ مريكي دراسة تشير إلى أن العالم استخرج كميات كبيرة من المياه الجوفية، وفي (تكساس) و(نيومكسيكو) أصبح هناك احتمال بنضوب المياه الجوفية تمامًا في هذه المنطقة؛ وفي الأقاليم الشمالية يهبط مستوى المياه الجوفية بمقدار ١٢ قدمًا كل عام. (الأهرام١/ ١٠/ ١٩٨٥).

وأشارت دراسة في الولايات الأمريكية أن العالم سوف يتعرض لنقص في موارد المياه التي لا علاج لها، ولن تفيد الطرق التقليدية في توفير المياه، مثل السدود والخزانات والقنوات. (أهرام ٢/ ١٠/ ١٩٨٥). كما أعلن مركز تحليل المناخ الفيدرالي في الولايات المتحدة في بيان له أن درجة حرارة مياه المحيط الهادي آخذة في الارتفاع. وهذه الظاهرة تؤثر على الأحوال المناخية في جميع أنحاء العالم، وتؤدي إلى تفاقم حالة الجفاف في إفريقيا واستراليا، وفيضانات في الصين، وسيول رعدية في (بيرو) و(أكوادور)، وعواصف وأعاصير على الولايات المتحدة وكندا وجنوب إفريقيا. (أهرام ١٦/ ١٠/ ١٩٨٦)".

وقال رَحِمَهُ اللهُ في المصدر السابق (٦/ ١/ ٦٣٥): ولا يخالف ذلك [أي حديث ظهور العلم]- كما قد يتوهم البعض - ما صح عنه -صلى الله عليه وآله وسلم- في غير ما حديث أن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل؛ لأن المقصود به العلم الشرعي الذي به يعرف الناس ربهم ويعبدونه حق عبادته، وليس بالكتابة ومحو

الأمية كما يدل على ذلك المشاهدة اليوم، فإن كثيرا من الشعوب الإسلامية فضلا عن غيرها، لم تستفد من تعلمها القراءة والكتابة على المناهج العصرية إلا الجهل والبعد عن الشريعة الإسلامية، إلا ما قل وندر، وذلك مما لا حكم له. وإن مما يدل على ما ذكرنا قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عمرو وصدقته عائشة، وهو مخرج في " الروض النضير " (رقم ٥٧٩).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في قصة المسيح الدجال (ص٢٤ - ٣٠): اتفق أهل العلم بالحديث وحفاظه على تواتر حديث الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء؛ كالحافظ ابن كثير وابن حجر وغيرهما؛ بل إن الإمام الشوكاني ألف رسالة سماها: "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح".

وقد تيقَّنت - أنا شخصيًّا - بتواتر أحاديث الدجال وعيسى حينما كتبت الرسالة المشار إليها آنفًا، وقد بلغت الطرق التي تجمعت عندي - يومئذٍ - أكثر من أربعين طريقًا عن نحو أربعين صحابيًّا، بعضها على شرط الصحة، وسائرها أكثر شواهدها معتبرة، ومن المؤسف أنني لا أدري أين بقيت الآن بسبب النقلة من دار إلى أخرى؟!

ثم تَجَدَّد يقيني بذلك في دراستي لحديث أبي أمامة المشار إليها في المقدمة [أي مقدمة كتاب: قصة المسيح الدجال]....... إن هذا العرض السريع لطرق حديث الدجال، وحديث عيسى عليه الصلاة والسلام، ورواتهما من الصحابة الكرام الصادقين؛ ليتبين لكل ذي عينين أن الحديث متواتر بذلك، وأن كل من يشك في ذلك فهو من المرتابين في الدين كله، أو هو - على الأقل - معرَّض لذلك أشد التعريض؛ لأن ما كان منه تواترًا - كالقرآن وبعض الأحاديث - فهي معرَّضة عنده لجحدها

بطريق التأويل؛ بل التعطيل، وما كان منها لم يبلغ مبلغ التواتر؛ فهي معرَّضة لديه لإنكارها بطريق الشك في ثبوت نسبتها إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-.

ومن هنا يظهر أن كل المؤمنين بالدين الإسلامي؛ فهم على خطر في إيمانهم إذا لم يعتمدوا على مذهب أهل الحديث في تلقيهم للدين؛ فإنهم أعلم الناس بما هو منه ثبوتًا، وما ليس منه روايةً، وأعرف الناس بمعانيها ومقاصدها؛ لأنهم تلقوا كل ذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بالطرق العلمية الصحيحة التي لا سبيل إلى معرفة الدين إلا بها، وبدونها يصير الدِّين هوىً متَّبعًا، وهذا هو الداء العضال الذي أصاب العالم الإسلامي اليوم، ولم ينج منه إلا الطائفة المنصورة التي بشر بها رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في أحاديث كثيرة متواترة؛ منها قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-:

«لا يزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم؛ حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال».

أقول: ولعل ذلك الذي ذكرنا من طريق المرتابين هو السبب في تشديد عمر على المكذبين بالدجال - وغيره مما ثبت في السنة الصحيحة - فقد روى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على المنبر وهو يقول: "سيكون فيكم قوم من هذه الأمة يكذّبون بالرجم، ويكذّبون بالدجال، ويكذّبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذّبون بعذاب القبر، ويكذّبون بالشفاعة، ويكذّبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا، فلئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود". أخرجه الداني في "الفتن" (ق٢٣/ ٢)، وأحمد (١/ ٢٣)، مختصرًا، وإسناده حسن.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في قصة المسيح الدجال أيضا (ص١٢٩ - ١٤٩): قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه على سياق رواية أبي أمامة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مضافا إليه ما صح عن غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١ - يا أيها الناس إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم [ولا تكون حتى تقوم الساعة] أعظم من فتنة الدجال [ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها] [وإنه لا يضر مسلمًا].

٢- وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته [الأعور] الدجال [إني لأنذركموه].

٣- وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم.

٤- وهو خارج فيكم لا محالة، [إنه لحق وأما إنه قريب فكل ما هو آت قريب]، [إنما يخرج لغضبة يغضبها] و[لا يخرج حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة].

٥- فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، (وفي حديث أم سلمة: وإن يخرج بعد أن أموت يكفيكموه الله بالصالحين).

٦- وإنه يخرج [من [أرض] قبل المشرق] [يقال لها: (خراسان)] [في يهودية أصبهان] [كأن وجوههم المجان المطرقة] من خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا [وعاث] شمالا يا عباد الله فاثبتوا. [ثلاثًا].

٧- فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي، (وفي حديث عبادة: إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ألا تعقلوا).

٨- إنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي.

٩- ثم يثني فيقول: أنا ربكم. ولا ترون ربكم حتى تموتوا.

١٠- وإنه أعور [ممسوح] [العين اليسرى] [عليها ظفرة غليظة] [خضراء كأنها كوكب دري] [عينه اليمنى كأنها عنبة طافية] [ليست بناتئة ولا حجراء] [جفال الشعر] [ألا ما خفي عليكم من شأنه فلا يخفين عليكم] إن ربكم ليس بأعور [ألا ما

خفي عليكم من شأنه فلا يخفين عليكم أن ربكم ليس بأعور] [ثلاثا] [وأشار بيده إلى عينيه] [وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا].

١١- [إنه يمشي في الأرض وإن الأرض والسماء لله].

١٢- [إنه شاب قطط كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن] [قصير أفحج دعج] [هجان].

١٣- [وإنه آدم جعد] [جفال الشعر].

١٤- وإنه مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه [من كره عمله أو يقرؤه] كل مؤمن كاتب أو غير كاتب.

١٥- وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا [ونهرا وماء] [وجبل خبز] [وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار] فناره جنة وجنته نار. -[وسأله المغيرة بن شعبة عنه؟ فقال: قلت: إنهم يقولون: معه جبال من خبز ولحم ونهر من ماء؟ قال: هو أهون على الله من ذلك].

(وفي حديث آخر: [معه نهران يجريان أحدهما - رأي العين - ماء أبيض والآخر - رأي العين - نار تأجج] [فمن أدرك ذلك منكم فأراد الماء فليشرب من الذي يراه أنه نار] [وليغمض [عينيه] ثم ليطأطئ [رأسه] فإنه يجده ماء [باردًا عذبًا] [طيبًا] [فلا تهللوا]. وفي أخرى: فمن دخل نهره حط أجره ووجب وزره ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره).

١٦- فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ [عليه] فواتح سورة (الكهف) [فإنها جواركم من فتنته].

١٧- وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه

ربك.

١٨- وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين.

١٩- وإن من فتنته أن يمر بالحي [فيدعوهم] فيكذبونه [فينصرف عنهم] فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت.

٢٠- وإن من فتنته أن يمر بالحي [فيدعوهم] فيصدقونه [ويستجيبون له] فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعًا.

٢١- ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل.

٢٢- [يخرج في [زمان اختلاف من الناس وفرقة] (و) بغض من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طي فروة الكبش].

٢٣- [ولا يخرج حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق [يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام]. فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا. والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم [وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام] فينهزم ثلث لا يتوب الله

عليهم أبدًا ويقتل ثلثهم -[هم] أفضل الشهداء عند الله - ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا [فيجعل الله الدبرة عليهم (أي الروم) فيقتتلون مقتلة إما قال: لا يرى مثلها وإما قال: لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتًا فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم؟] فيبلغون قسطنطينية فيفتحونها (وفي رواية: سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط أحد جوانبها الذي في البحر ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر. فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا) فبينما هم يقتسمون الغنائم - قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح [الدجال] قد خلفكم في أهليكم. [فيرفضون ما بأيديهم] فيخرجون وذلك باطل [فيبعثون عشرة فوارس طليعة. قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ] فإذا جاؤوا الشام خرج»].

٢٤- وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا [أربع مساجد: مسجد] مكة و[مسجد] المدينة [والطور ومسجد الأقصى].

٢٥- وإن أيامه أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم.

قالوا: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا اقدروا له قدره.

قالوا: وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح].

٢٦- وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع

شديد يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله.

قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام.

٢٧- لا يأتي مكة والمدينة من نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة.

٢٨- [وإنه ليس من بلدة إلا يبلغها رعب المسيح [الدجال] إلا المدينة [لها يومئذ سبعة أبواب] على كل نقب من نقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح].

٢٩- حتى ينزل عند السبخة [سبخة الجرف] [دبر أحد] [فيضرب رواقه].

٣٠- فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص [وأكثر من يخرج إليه النساء].

٣١- [فيتوجه قبله رجل من المؤمنين [ممتلئ شبابًا] [هو يومئذ خير الناس أو من خيرهم] فتلقاه المسالح - مسالح الدجال - فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟ فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس [أشهد أن] هذا الدجال الذي ذكر (وفي طريق: الذي حدثنا) رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-[حديثه] قال: فيأمر الدجال به فيشبح فيقول: خذوه وشبحوه. فيوسع ظهره وبطنه ضربًا قال:

فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب [فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا]. قال: فيؤمر به فيؤشر المئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه [فيقتله] (وفي حديث النواس: فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض). قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم. فيستوي قائما قال: [ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك] ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: [والله] ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلا قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به. فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين].

٣٢- [ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام] [ثم يأتي جبل إيليا فيحاصر عصابة من المسلمين] [فيلقى المؤمنون شدة شديدة] [ويفر الناس من الدجال في الجبال] فقالت أم شريك بنت أبي العكر يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل.

٣٣- وإمامهم رجل صالح [وقال -صلى الله عليه وآله وسلم-: المهدي منا آل البيت [من أولاد فاطمة] يصلحه الله في ليلة] [يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي] [أجلى الجبهة أقنى الأنف] [يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا] [يملك سبع سنين].

- وقال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام» - وقال: «من أدركه منكم فليقرئه مني السلام».

٣٤- [فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم [من السماء] عيسى بن مريم الصبح] [عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه].

٣٥- [ليس بيني وبينه نبي (يعني: عيسى)، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام).

- وقال: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم (وفي رواية: وأمكم) منكم؟). قال: ابن أبي ذئب: تدري ما (أمكم منكم)؟ قلت: تخبرني. قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم -صلى الله عليه وآله وسلم-)].

٣٦- فرجع ذلك الإمام ينكص - يمشي القهقرى - ليتقدم عيسى [فيقول: تعال صل لنا]. فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: [لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة] تقدم فصل. فيصلي بهم إمامهم.

٣٧- [ثم يأتي الدجال جبل (إيلياء) فيحاصر عصابة من المسلمين] [فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية [إلا] أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله، أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا].

٣٨- [فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة] [صلاة الصبح] [فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم] [فيؤم الناس فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدجال، وظهر المسلمون]. فإذا انصرف قال: افتحوا الباب. فيفتح وراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج [فيطلبه عيسى عليه الصلاة والسلام].

٣٩- [فيذهب عيسى بحربته نحو الدجال] فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء [فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريه دمه في حربته] فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله [فيهلكه الله ﷻ عند عقبة أفيق].

٤٠- فيهزم الله اليهود [ويسلط عليهم المسلمون] [ويقتلونهم] فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة - إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق - إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي [ورائي] فتعال فاقتله.

٤١- [ثم يلبث الناس بعده سنين سبعًا ليس بين اثنين عداوة].

٤٢- فيكون عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في أمتي [مصدقا بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم- على ملته] حكما عدلًا وإمامًا [مهديًا] مقسطًا [فيقاتل الناس على الإسلام ف] يدق الصليب، ويذبح الخنزير [وتجمع له الصلاة] ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض [والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد]، [حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها]، [وتكون الدعوة واحدة لرب العالمين]، -[والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج (الروحاء) حاجًا أو معتمرًا أو ليثنينهما].

٤٣- ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذا أوحي الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. [ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس - فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا] ويحصر

نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا، لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة.

ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك.

فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس] ويكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات.

-[وقال -صلى الله عليه وآله وسلم-: (طوبى لعيش بعد المسيح طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، فلو بذرت حبك على الصفا لنبت، ولا تشاح، ولا تحاسد، ولا تباغض)].

٤٤- وتنزع حمة كل ذات حمة، [وتقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم]، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها [ثم يقال: تكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم].

٤٥- [فيمكث عيسى عليه الصلاة والسلام في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى

فيصلي عليه المسلمون].

٤٦- فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا [باردة من قبل الشام] فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم (وفي حديث ابن عمرو: لا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه) ويبقى شرار الناس [في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا قال: فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم] يتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة.

٤٧- [ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا، ورفع ليتا، أول من يسمع رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس. ثم يرسل الله - أو قال: ينزل الله - مطرًا كأنه الطل أو الظل - شك من الراوي - فتنبت منه أجساد الناس [ثم نفخ فيه أخرى فإذا قيام هم ينظرون]؟ (الزمر: ٦٨) ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم؟ وقفوهم إنهم مسؤولون؟ [الصافات: ٢٤]. ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فذاك يوم [يجعل الولدان شيبا] (المزمل: ١٧) وذلك [يوم يكشف عن ساق] (القلم: ٤٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في المصدر السابق (ص٣١ - ٣٥): فإذا علم المؤمن بذلك وآمن به [أي بعقيدة خروج الدجال]؛ اتخذ الأسباب التي تعصمه من فتنته؛ وهي:

أولًا: الاستعاذة بالله تعالى من شر فتنته، والإكثار منها؛ لا سيما في التشهد الأخير في الصلاة، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-:

«إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر؛ فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم! إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنته المحيا والممات، ومن شر فتنة

المسيح الدجال».

وثبت في "الصحيحين" وغيرهما عن جمع من الصحابة -منهم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- كان يستعيذ من فتنته.

بل إنه أمر بالاستعاذة من فتنته أمرًا عامًا؛ كما في حديث زيد بن ثابت قال: بينما النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في حائط لبني النجار على بغلة له - ونحن معه - إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أَقْبُرُ ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: "من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ ".

فقال رجل: أنا.

قال: "فمتى مات هؤلاء؟ ".

قال: ماتوا في الإشراك (وفي رواية: في الجاهلية).

فقال:"إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه"، ثم أقبل بوجهه فقال: "تعوذوا بالله من عذاب النار". قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: "تعوّذوا بالله من عذاب القبر". قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: "تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ". قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال:

"تعوذّوا بالله من فتنة المسيح الدجال". قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال.

ثانيًا: أن يحفظ عشر آيات من سورة (الكهف)، فقد قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «من حفظ عشر آيات من أول سورة (الكهف)؛عصم من [فتنة] الدجال» رواه مسلم وغيره عن أبي الدرداء.

ثالثًا: أن يبتعد عنه، ولا يتعرض له؛ إلا إن كان يعلم من نفسه أنه لن يضره؛ لثقته بربه، ومعرفته بعلاماته التي وصفه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بها؛ لقوله عليه

الصلاة والسلام: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله؛ إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه؛ مما يبعث به من الشبهات».

أخرجه أحمد وغيره عن عمران بن حصين.

رابعًا: أن يسكن مكة والمدينة، فإنهما حرمان آمنان منه؛ لقوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: "يجيء الدجال فيطأ الأرض إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة؛ فيجد بكل نقب من نقابها صفوفًا من الملائكة ". أخرجه الشيخان وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ومثلهما المسجد الأقصى والطور؛ كما يأتي في الفقرة (٢٤ - السياق).

واعلم أن هذه البلاد المقدسة إنما جعلها الله عصمة من الدجال لمن سكنها وهو مؤمن ملتزم بما يجب عليه من الحقوق والواجبات تجاه ربها، وإلا فمجرد استيطانها - وهو بعيد في حياته عن التأدب بآداب المؤمن فيها - فَمِمَّا لا يجعله في عصمة منه، فسيأتي في الفقرة (٢٥ - أبو أمامة، ٣٠ - السياق) أن الدجال - عليه لعائن الله - حين يأتي المدينة النبوية وتمنعه الملائكة من دخولها؛ ترجف بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه.

فهؤلاء المنافقون والمنافقات - وقد يكون نفاقهم عمليًّا - لم يَعْصِمْهُمْ من الدجال سكنهم المدينة النبوية؛ بل خرجوا إليه، وصاروا من أتباعه كاليهود! وعلى العكس من ذلك؛ فمن كان فيها من المؤمنين الصادقين في إيمانهم؛ فهم مع كونهم في عصمة من فتنته؛ فقد يخرج إليه بعضهم متحديًا وينادي في وجهه: هذا هو الدجَّال الذي كان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يحدثنا حديثه... كما سيأتي في الفقرة (٣١ - السياق).

فالعبرة إذن بالإيمان والعمل الصالح، فذلك هو السبب الأكبر في النجاة، وأما

السكن في دار الهجرة وغيرها؛ فهو سبب ثانوي، فمن لم يأخذ بالسبب الأكبر؛ لم يفده تمسكه بالسبب الأصغر، وقد أشار إلى هذا النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بقوله للذي سأله عن الهجرة: "ويحك! إن شأن الهجرة لشديد! فهل لك من إبل؟ ". قال: "فهل تؤتي صدقتها؟ ". قال: نعم. قال: "فاعمل من وراء البحار، فإن الله لن يَتِرَك من عملك شيئًا".

وما أحسن ما روى الإمام مالك في "الموطأ" (٢/ ٢٣٥) عن يحيى بن سعيد: "أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي: أن هلمَّ إلى الأرض المقدسة. (يعني: الشام). فكتب إليه سلمان: إن الأرضَ لا تقدسُ أحدًا، وإنما يقدسُ الإنسانَ عملُهُ".

وصدق الله العظيم إذ يقول: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (التوبة:١٠٥).

وقال رَحِمَهُ اللهُ في الضعيفة (١٤/ ٢/ ٦٧٨): بقاء الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى زمن الدجال خرافة لا أدري كيف انطلى أمرها على بعض العلماء - فضلًا عن جماهير الصوفية - ؟! ولكن الله تبارك وتعالى قد وفق كثيرًا من أهل العلم فبينوا بطلان إدراك الخضر للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فضلًا عن استمراره حيًا -؛ كالإمام البخاري وابن تيمية والعسقلاني وغيرهم.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في الصحيحة (٥/ ٣٧١ - ٣٧٢): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه».

وفي الباب أحاديث أخرى فيها التصريح بأن الإمام الذي يصلي خلفه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما هو المهدي، تراها في "العرف الوردي" للسيوطي (ص ٨١، ٨٣، ٨٤)، وقد مضى منها حديث جابر قريبًا (٢٢٣٦).وختم السيوطي ذلك بما نقله عن أبي

الحسن السحري (!): "قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم- بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته،... وأنه يخرج مع عيسى بن مريم، فيساعده على قتل الدجال... وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى يصلي خلفه.. ".

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (٧/ ١/ ٦٣٢، ٦٣٤ - ٦٣٥): قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم: «يا معشر قريش! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير - وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد-؛ فقالوا: يا محمد! ألست تزعم أن عيسى كان نبيًا وعبدًا من عباد الله صالحًا؟! فلئن كنت صادقًا فإن آلهتهم لكما يقولون- (الأصل: تقولون!) -، قال: فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: {ولما ضرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يصدون} (الزخرف: ٥٧) قال: قلت: ما (يصدون)؟ قال: يضجُّون. {وإنه لعلم للساعة} (الزخرف: ٦١)، قال: هو خروج (وفي رواية: نزول) عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل يوم القيامة».

واعلم أن الحديث صريح الدلالة على أن الضمير في قوله تعالى: (وإنه لعلم للساعة) يعود إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس إلى القرآن كما روي عن بعضهم، ولذلك قال الحافظ ابن كثير: «بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام؛ فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه أخبر بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا وحكمًا مقسطًا ".

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح موارد الظمآن (٢/ ٢٣٦ - ٢٣٧): عن أبي هريرة قال: أحدثكم ما سمعت من رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- الصادق المصدوق؟

حدثنا رسول الله أبو القاسم الصادق المصدوق: «إن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفرقة، فيبلغ ما شاء الله من الأرض في أربعين يومًا، الله أعلم ما مقدارها، الله أعلم ما مقدارها - مرتين - وينزل الله عيسى ابن مريم فيؤمهم، فإذا رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده قتل الله الدجال وأظهر المؤمنين». حديث صحيح.

قال ابن حبان: أراد به فيأمرهم بالإمامة؛ إذا العرب تنسب الفعل إلى الآمر، كما تنسبه إلى الفاعل.

قلت: هذا تأويلٌ لا وجه له عندي، بل هو خلاف قوله: "إذا رفع رأسه من الركعة قال.." فالمعنى: يصلي بهم إمامًا، وهذا وهو في بيت المقدس، حيث يَقتلُ عليه السلام الدجال بـ (لُد)، كما في الحديث التالي، وفي الحديث اختصار وطيٌ؛ فإن من الثابت في غير ما حديث صحيح أن عيسى عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وفي "صحيح مسلم": فيقول أميرهم: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمه الله هذه الأمة.

فهو هناك مأموم، وفي بيت المقدس إمام، وذلك يكون بعد وفاة المهدي عليه السلام، وانتقال عيسى من دمشق إلى "القدس".

وقال رحمه الله في قصة المسيح الدجال (ص ٩ - ١٦): ومما شجعني على ذلك - أي تأليف كتابه كتابه "قصة المسيح الدجال ونزول عيسى" - الأمور الآتية:

الأول: شك كثير ممن ينتمون إلى العلم - بل وإلى الدعوة إلى الإسلام؛ فضلًا عن غيرهم ممن لا ثقافة إسلامية عندهم من الشباب المثقف وغيرهم من العوام - في عقيدة نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وقتله للدجال في آخر الزمان، حتى لقد قام في نفسي أن كثيرًا من الطلاب المتخرجين من جامعة الأزهر هم من هؤلاء الشاكِّين -

إن لم يكونوا من المنكرين لها - وقد عرفت ذلك من مناقشتي لبعضهم شفهيًّا، ومن اطلاعي على فتاوى بعضهم في ذلك، وتعليقات آخرين منهم على بعض الكتب.

ومن أشهر هؤلاء الشيخ (محمد عبده)؛ فإنه يقول في حديث نزول عيسى عليه السلام تارة: بأنه حديث آحاد! وهذا حسب علمه بالحديث، وهو من أبعد العلماء المعاصرين عنه في نقدي، وتارة يتأوَّلُ نزولَهُ وحكمَهُ في الأرض بِغَلَبَة روحِهِ وسِرِّ رسالتِهِ على الناس، وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم... حكاه السيد رشيد رضا في "تفسيره" (٣/ ٣١٧)؛ ومع أنه رده عليه بقوله عقبه: "ولكن ظواهر الأحاديث الواردة في ذلك تأباه"؛ فإنه رد هذا الاستدراك بقوله عقبه أيضًا: "ولأهل هذا التأويل أن يقولوا: إن هذه الأحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الأحاديث، والناقل للمعنى ينقل ما فهمه. وَسُئِلَ (يعني: محمد عبده) عن المسيح الدجال وقتل عيسى له؟ فقال: إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها... "!

ومن الغريب أن هذا التأويل سبقه إليه مدّعي النبوة " ميرزا غلام أحمد القادياني الهندي"، وكرره في كتبه ورسائله، وما أشبه هذا التأويل بتأويله لآيات كثيرة في القرآن؛ يحرِّفها ويستدل بها على نبوته؛ كتأويله لقوله تعالى في عيسى: {ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد} (الصف:٦)؛ فزعم أنه المقصود بقوله: [أحمد]! وله من مثل هذا الشيء الكثير، وفي غاية السخف؛ كما قال السيد رشيد نفسه في صدد الرد عليه في موضع آخر من "تفسيره" (٦/ ٥٨)، فقال فيه: "وقد جرى على طريقة أدعياء المهدوية من شيعة إيران - كالبهاء والباب - في استنباط الدلائل الوهمية على دعوته من القرآن؛ حتى إنه استخرج ذلك من سورة الفاتحة! وله في تفسيرها كتاب في غاية السخف يدعي أنه معجزة له!! فجعلها مبشرة بظهوره، وبأنه هو مسيح هذه

الأمة! ".

قال السيد رشيد عقبه: "وإنما فتح على هذه الأمة هذا الباب الغريب من أبواب تأويل القرآن، وتحريف ألفاظه عن المعاني التي وضعت لها إلى معان غريبة لا تشبهها ولا تناسبها؛ أولئك الزنادقة من المجوس وأعوانهم الذين وضعوا تعليم فرق الباطنية؛ فراجت حتى عند كثير من الصوفية".

قلت: فما الفرق بين تأويل هؤلاء الباطنية للقرآن؛ وتأويل القاديانية و(محمد عبده) ومن تَبِعَهُ لأحاديث النزول والدجال بذلك التأويل الباطل بداهة؟! وكيف سكت عليه السيد رشيد رَحِمَهُ اللهُ؛ بل تأول لهم تأويلًا جديدًا بأن الأحاديث نُقِلَتْ بالمعنى؟! وليت شعري! هل ذلك يستلزم رد ما صح روايته عن الصحابة من المعاني فضلًا عما تواتر عنهم؟!

مثلًا: إذا تواتر عن الصحابة أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- نهى عن شيء كلحوم الحمر الإنسية؛ فهذا رواية بالمعنى قطعًا، فهل ذلك يستلزم رد هذا المعنى الذي رووه من النهي بطريقٍ ما من طرق التأويل؛ بحيث يُعطل هذا النَّهي ويصير كأنه لم يرد مطلقًا؟! اللهم! إن هذا لهو الضلال المبين، ونسأل الله تعالى أن يحمينا منه.

وإليك مثالًا آخر من أمثلة التأويل الذي بُلِيَ به بعض الكتاب المعاصرين من الأزهريين: قال الشيخ "محمد فهيم أبو عبية" في تعليقه على " نهاية البداية والنهاية" (١/ ٧١):

"هل بقي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى الآن حيًّا؟ وسينزل إلى الأرض ليجدد الدعوة إلى دين الله بنفسه؟ أم أن المراد بنزول عيسى هو انتصار دين الحق، وانتشاره من جديد على أيدٍ مُخْلِصةٍ تعمل على تخليص المجتمع الإنساني من الشرور والآثام؟ رأيان (!) ذهب إلى كل منهما فريق من العلماء (!).

وهذا هو ما يقال بالنسبة إلى الدجال: هل هو شخص من لحم ودم ينشر الفساد، ويهدد العباد، ويملك وسائل الترغيب والترهيب والإفساد؛ حتى يقيّض له عيسى عليه السلام فيقتله؟ أم إنه رمز لانتشار الشر، وشيوع الفتنة، وضعف نوازع الفضيلة، تهبُّ عليه ريح الخير المرموز إليها بعيسى عليه السلام، فتذهبه وتقضي عليه، وتأخذ بيد الناس إلى محجة الخير ومنهج العدل والتديّن؟ "!.

قلت: ولا يكتفي هذا الأزهري "الفهيم" بهذا التعطيل لنصوص السنة وتأويلها - على طريق الرمز الذي هو مذهب الباطنية الملحدة؛ كما سبق حكايته عن السيد رشيد رضا نفسه - بل إنه يوهم القراء بأن هذا التعطيل هو رأي لبعض العلماء يقابل الرأي الأول! والحقيقة أنه لم يقل به أحد ممن له ذكر بالعلم في أهل الحديث والسنة، وإنما قال به بعض الخوارج والمعتزلة من الفرق الضالة؛ قال القاضي عياض:

"في هذه الأحاديث حجة لأهل السنَّة في صحة وجود الدجال، وأنه شَخْصٌ مُعَيَّنٌ يبتلي الله به العباد، ويُقَدِّرُه على أشياء؛ كإحياء الميت الذي يقتله... وظهور الخصب، والأنهار والجنة والنار، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء فتمطر، والأرض فتنبت...، وكل ذلك بمشيئة الله، ثم يعجزه، فلا يقدر على قتل الرجل ولا غيره، ثم يبطل أمره، ويقتله عيسى ابن مريم، وقد خالف في ذلك بعض الخوارج والمعتزلة والجهمية؛ فأنكروا وجوده، وردوا الأحاديث الصحيحة"! قلت: وهذا هو بعينة ما فعله هذا الأزهري (الفهيم) وبعض شيوخه - تبعًا لسلفهم من الخوارج والمعتزلة؛ وأخيرًا القاديانية كما سبق - تارة بطريق التشكيك في صحة الأحاديث بزعم أنها آحاد - كما فعل الشيخ (محمود شلتوت) في بعض مقالاته؛ تبعًا للشيخ (محمد عبده) كما سبق -وتارة بطريق التأويل والتعطيل كما فعل هذا (الفهيم)! وهو وإن كان اقتصر في كلامه السابق على حكاية الرأيين - بزعمه- دون أن يحدد موقفه بوضوح منها؛ فإنه

إنما فعل ذلك تمويهًا وتدليسًا على القراء، وإعدادًا لنفوسِهم لِتَقَبُّلِ ما سيرجحه هو فيما بعد! فاسمع إليه وهو يقول في تعليقه على الفقرة الآتية (١٢ - أبو أمامة، ١٤ - السياق): "يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب":

"اختلف العلماء في الكتابة هنا: هل هي حقيقة؛ أم أنها كناية عن الأمارات الدالة على صاحبها؟ وأن القراءة معناها أن تلهم النفس المؤمنة بإشراقها ما يبصرها الحقيقة دون امتراء... ولعل هذا التأويل هو الأقرب وهو الأسلم"!.

هكذا قال هذا "الفهيم" متجاهلًا نص الإمام النووي وغيره على خلاف ترجيحه؛ قال الحافظ في "الفتح" (١٣/ ٨٥):

"قال النووي: الصحيح الذي عليه المُحقِّقون أن الكتابة المذكورة حقيقة، جعلها الله علامة قاطعة بكذب الدجال، فيظهر الله المؤمن عليها، ويخفيها على من أراد شقاوته".

قال الحافظ: "وحكي عياض خلافًا، وأن بعضهم قال: هي مجاز عن سمة الحدوث عليه، وهو مذهب ضعيف".

ثم لا يكتفي ذاك (الفهيم) بترجيحه لذلك التأويل الباطل؛ بل إنه يجزم به بعد عدة صفحات؛ فيقول (ص١١٨):

"اختلاف ما روي من الأحاديث في مكان ظهور الدجال... يشير إلى أن المقصود بالدجال الرمز إلى الشر واستعلائه... "!

وهذا هو الذي جزم به في تصديره للكتاب؛ فقال (ص٦): "ثم سرنا مع القائلين بأن ظهور المهدي ونزول عيسى عليهما السلام هما رمزان لانتصار الخير على الشر، وأن الدجال رمز لاستشراء الفتنة، واستيلاء الضلال فترة من الزمان... "!

قلت: وهذا " الفهيم" هو رئيس بعثة الأزهر الشريف بـ (لبنان)؛ كما طبع ذلك

تحت اسمه على طُرّة الكتاب.

ولقد أساء جدًّا في تعليقاته على الكتاب المذكور إلى مؤلِّفه وكتابه من جهة؛ وإلى الحديث النبوي من جهة أخرى؛ مما يدل على جهله البالغ به! فإنه قطع بتضعيف أحاديثَ صحيحة؛ لعدم اتِّساع قلبه لها! ولم يسبقه إلى ذلك أحد من أهل العلم - كحديث الجساسة؛ انظر (ص٦ و٩٦ و١٠١)، وقد رواه مسلم، وحديث المهدي (ص٣٧) - غير مبال بتصحيح المؤلف ابن كثير لبعضها (ص٤٢ و٤٣)؛ بل جزم بوضع حديث آخر رواه مسلم في "صحيحه" (ص ٥٨ - ٥٩)! أما إساءته إلى الكتاب والمؤلف؛ فهي أنه وضع في صلب الكتاب عناوين من عنده دون أن ينبّه على ذلك، وبعضها على خلاف طريقة المؤلف؛ باعتباره من أئمة الحديث الذين يؤمنون بالنصوص المتعلقة بأشراط الساعة دون تأويل لها؛ كما يفعل المبتدعة من المعتزلة وغيرهم، وهذا "الفهيم" قد أبان في تعليقاته المشار إليها؛ أنه سلك سبيلهم حذو القذة بالقذة، فها هو مثلًا قد وضع من عند نفسه عنوانًا في صلب الكتاب (ص١١٦): "حديث يجب صرفه عن ظاهره إلى التأويل"!

وضعه فوق حديث مسلم في قتل الدجال للمؤمن وإحيائه إياه؛ (انظر فقرة: ١٧ و١٨ - أبو أمامة).

وعنوان آخر وضعه على الأحاديث الواردة في ابن صياد بعضها في البخاري! فقال (ص١٠٤): "مرويات مرفوضة؛ لأنها لا تصدق عقلًا، وليس بمعقول صدورها عن الرسول عليه السلام".

كأن الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- عند هذا "الفهيم" ينبغي أن لا يتكلم بأمور غيبية لا مجال للعقل إلا أن يسلِّم بها، وعلى ذلك فالإيمان بالغيب الذي هو التصديق لا وجود له في نفسه!!

ووضع عنوانًا على حديث تعذيب المصورين (٢/ ٥٠): "عذاب المصورين المجسمين يوم القيمة "!

وبالجملة؛ فهذه العناوين التي وضعها من عند نفسه في ثنايا الكتاب؛ مع أنها تنافي الأمانة العلمية؛ فهي - في الوقت نفسه - تدل على مبلغ علم هذا "الفهيم"، والخسارة التي لحقت بالناشرين للكتاب مادةً ومعنى؛ حيث إن تعاليقه المذكورة قد غيرت معالم الكتاب، وجعلته بهذا العناوين والتعاليق كتابًا آخر ليس هو كتاب الحافظ ابن كثير!.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ كما في موسوعته العقدية (٩/ ٢٨٦): كثيرٌ من العلماء حينما يريدون أن يعالجوا بعض الانحرافات التي أصابت الجماهير قديمًا وحديثا، إنما يعالجونها بانحراف مثله أو أخطر منه وضربت على ذلك مثلًا بعقيدة نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أنا أذكر جيدًا أنني حينما نشأت في طلب العلم، انتفعت بالسيد رشيد رضا وبمجلته المنار خاصة انتفاعًا كثيرًا، بل أعتقد أنه لم يكن المفتاح الذي فتح لي طريقة السلف إلا هذه المجلة، لكن وجدت في كثير فيما بعد من مقالاته أنه انحرف في قليل أو كثير عما جاءت به السنة، والسبب في ذلك أنه كان ابتلي بمن يسمون بالقديانية، تعرفونهم، القاديانية الذين يسمون أنفسهم بالأحمديين، غلام أحمد القادياني، معروفون عند أهل السنة بالقاديانية، وهم يفرون من هذه النسبة إلى النسبة الأحمدية، فهم يقولون نحن أحمديون، ولهم هدف خبيث بالفرار من تلك النسبة إلى هذه؛ لأن النسبة الأولى إنما هي نسبة إلى البلدة التي خرج منها نبيهم الكذاب ميرزا غلام أحمد القدياني وهي قاديان، وينتسبون إلى أحمد لأن ميرزا غلام أحمد القادياني ليس اسمه أحمد وإنما هو غلام أحمد وهذا أسلوب في اللغة الهندية تفسيره خادم أحمد، فهو ليس أحمد وإنما هو خادم أحمد، والمقصود بأحمد هو نبينا عليه الصلاة والسلام،

والأعاجم لهم مثل هذه النسبات افتخارًا بانتسابهم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فغلام أحمد هكذا عرف الرجل، ولكنه لما ادعى المهدوية ثم ادعى النبوة، وحمل على نفسه بعض النصوص الشرعية من الكتاب والسنة جرها جرًّا على نفسه، مثل قوله تعالى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} (الصف:٦) من هذا أحمد؟ هو محمدنا، لا، هو أحمدهم. هكذا.. وبناءً على ذلك حتى يصح له جر هذه الآية وحملها على ذاته غَيَّرَ اسمه في مؤلفاته، أنا هذا درسته شخصيًا لأني ابتليت بمجادلة القاديانية هناك في دمشق سنين طويلة، فهو كان يكتب اسمه في مؤلفاته ميرزا غلام أحمد، أي خادم أحمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فحذف ميرزا غلام أحمد وقال اسمه أحمد لكي يضلل الناس أن هذه الآية تعنيني أنا وأنا اسمي أحمد، أما محمد النبي المبعوث رحمة للعالمين اسمه محمد وليس اسمه أحمد، هكذا أوهم المضللين به، أي نعم، ولذلك وإتمامًا لإضلال شيخهم لهم يضلون العالم بأنهم أحمديون ليسوا منتسبين لأحمد بن عبد الله بن عبد المطلب وإنما لأحمد ذلك الكذاب.

هؤلاء كالمعتزلة بل وأشد إغراقًا في الضلال، لأنهم ينكرون ما هو معلوم من الدين بالضرورة، يؤمنون بكل الكتاب ولكن لفظًا وليس معنىً، ولا يخفى على أهل العلم أن اللفظ في كل الكلام فضلًا عن الكلام الإلهي ليس مقصودًا بذاته وإنما هو وسيلة للمعاني، وكما يقال: الألفاظ قوالب المعاني، فما الفائدة إذا آمن مؤمنٌ ما بآيةٍ ما ثم لف ودار عليها واستخرج لها من ضلاله معنى لا صلة لهذا المعنى باللفظ القرآني، هكذا كل الفرق الضالة شأنهم مع القرآن الذين لم يعلنوا الخروج عن الإسلام وإنما لا يزالون يدعون أنهم مسلمون ويؤمنون بالقرآن.

القاديانيون هكذا مثالهم، يؤمنون بألفاظ القرآن في كثير من نصوصه، ولكنهم

يحرفون الكلم من بعد مواضعه كما حكى ذلك ربنا في القرآن الكريم عن اليهود.

هم يعتقدون مثلًا بأن باب النبوة مفتوح بعد محمد عليه الصلاة والسلام، على الرغم من مثل قوله تبارك وتعالى في القرآن: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} (الأحزاب: ٤٠)، هم لا ينكرون أنه خاتم النبيين لكنهم ينكرون كما أنكر المعتزلة القدر وأنكروا الصفات الإلهية ونحو ذلك، فهم يقولون خاتم النبيين ليس معناه آخرهم، وإنما خاتم النبيين كالخاتم في الإصبع أو هو زينتهم.

طيب.. هذا موقفهم من القرآن.. ما موقفهم من الأحاديث المتواترة، بأنه لا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام؟ ما استطاعوا تأويله حرفوه كما حرفوا القرآن، وما لم يستطيعوا نسفوه نسفًا وقالوا هذا مخالف للقرآن.

من أشهر الأحاديث التي تثبت أن لا نبي بعده عليه السلام حديث مخاطبة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- لعلي حينما سافر إلى تبوك غازيًا وترك عليًا في المدينة، وبكى علي فآنسه عليه السلام بقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» قالوا هذا حديث صحيح لكن ما فهمتموه جيدًا، لا نبي بعدي أي معي. أما بعده، أي بعد وفاته هناك نبي.

مثال آخر كيف يحرفون الكلم من بعد مواضعه.

مداخلة: فيهم ذكاء دول؟

الشيخ: ذكاء لكن ذكاء بدون عقل لا يفيد أبدًا، ولذلك حكى ربنا عز وجل في القرآن الكريم عن الكفار والمشركين {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (الملك: ١٠)، لذلك الذكاء شيء والعقل شيء.

عفوًا، أنا جعلت الاستطراد طويلًا جدًا، يعني كنت أتكلم عن السيد رشيد رضا، وأنني استفدت منه، لكن رأيت منه بعض الانحرافات، منها بسبب رده على

القاديانيين، والقاديانيون يدعون من دعاويهم الباطلة أن ميرزا غلام أحمد القادياني هو عيسى المبشَّر به في الأحاديث وهذا أيضًا من تآويلهم الباطلة، «لينزلن فيكم عيسى ابن مريم حكمًا عدلًا» ليس المقصود عيسى وإنما بمضاف محذوف تقديره مثيل عيسى، لف ودوران، من هو هذا المثيل؟ ميرزا غلام أحمد القادياني!!

السيد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ كأنه شعر أنه ما استطاع أن يقيم الحجة عليهم حجة دامغة قاهرة إلا بالتشكيك بأحاديث نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كان من شان إيش يخلص الجمهور من التأثر بالقاديانية فلا عيسى ولا مهدي لذلك قلنا بالنسبة إليه مع فضله وعلمه:

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا يا سعد تورد الإبل

وأنا كتبت في بعض ما كتبت من المؤلفات والكتب أن السبيل في كل هذه الأمثلة وسواها ليس هو التأويل الذي هو أخو التعطيل، وإنما هو فهم النصوص فهمًا جيدًا، من المسلمين حتى لا يقعوا في انحراف سلبي أو إيجابي...

على هذا يجب أن تعالج كل العقائد الإسلامية الصحيحة، منها قضية نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أشكل الأمر على السيد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنه استقينا نحن هذا المنهج في السلف والحديث وأشكل على كثير من علماء الأزهر كشلتوت وأمثاله، أنكروا عقيدة نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آخر الزمان، لماذا؟ قالوا لأن كثيرًا من الناس ادعوا العيسوية، فهذا غلام أحمد القادياني، كثير منهم ادعوا المهدوية، وجاركم هناك في السودان المهدوي هذا معروف، وفي التاريخ الإسلامي كثير ممن ادعى المهدوية وادعى العيسوية.

إذا سدًا لباب هذه الدعوات الباطلة، بنريّح الناس من عقيدة نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وخروج المهدي.

هذا خطأ، ومعالجة خطأ بخطأ مثله وشر منه.

أنا قلت في بعض ما كتبت ردًا على أمثال هؤلاء أنا أخشى ما أخشى أن يأتي يوم يعالج فيه بعضهم الإلهية فينكرها لأن الفراعنة ما انتهوا بعد فبعضهم يدعي الألوهية، فلنريح الناس من هذه الدعوى، وهي من أبطل الباطل، ما في ألوهية وانتهت المشكلة، هل هذه طريقة صحيحة.

نحن نقول أخيرًا.. نزول عيسى عقيدة صحيحة آمن بها السلف وتبعهم الخلف على هدى من ربهم، لكن ليس في هذه الأحاديث ولا في أحاديث المهدي عليهما السلام أن على المسلمين أن لا يعملوا لإسلامهم ولعزة دينهم حتى ينزل عيسى ويخرج المهدي، لا يوجد في هذه الأحاديث كلها ما يشعر بهذا الفهم الخاطئ الذي وقع فيه بعض المسلمين، ولذلك أنكر بعض المصلحين هذه الأحاديث من شان يزيحوا العثرة بزعمهم من طريق عامة المسلمين، "ما في فائدة أن ينزل عيسى ويخرج المهدي" هذا فهم خطأ كما فهم الجبريون من القدر، ووافقهم المعتزلة ثم أنكروا الجبر وأنكروا معه القدر.

ما دام لا يوجد في الأحاديث الصحيحة التي نزلت في عيسى عليه السلام وفي خروج المهدي ما يشعرنا بالتواكل على مجيئهما، إذًا يجب علينا أن نعمل، لأن عيسى إن نزل وجد الأرض مهيأة لقائد يقودُهم وإذا نزل عيسى عليه السلام والمسلمون كما هم اليوم -أنا أقول هذا الكلام مؤمنًا به- سوف لا يستطيع عيسى أن يجمع المسلمين في لحظة، في يوم وليلة، يجمع المسلمين الصالحين منهم بطبيعة الحال حول قيادته لأنه سوف لا يكون في اعتقادي أحلم ولا أقدر على جمع قلوب الناس حوله من نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، وهو لبث في قومه عشرين سنة حتى استطاع أن أوجد هذه النواة التي غذاها الله عز وجل بقوته وعلمه ثم امتدت ظلالها كما تعلمون في التاريخ الإسلامي.

فإذًا عيسى عليه السلام، يجب أن لا نتصور أنه ينزل إلا والأرض قد هُيئت له لقبوله. إذًا ينبغي أن نفهم أحاديث النزول والخروج بأنها تحض المسلمين على العمل لإعادة الإسلام إلى مجده الغابر لا أن ينتظروا عيسى والمهدي ليعيد لهم المجد الغابر.

إذا آمنا هكذا ما المشكلة من أحاديث عيسى وخروج المهدي، لا إشكال أبدًا، دائمًا المشاكل تأتي من سوء فهم النصوص، وهذه الحقيقة نقطة مهمة جدًا في العالم الإسلامي من حيث أنهم أساءوا فهم بعض النصوص فاساءوا فهم نصوص أخرى. ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعًا وإياكم للفهم الصحيح عن الله ورسوله.

سؤال: يا شيخ.. ابن خلدون يتكلم في أحاديث المهدي، ما رأيكم في أحاديث المهدي؟ يقول إنها ضعيفة كلها؟

الشيخ: أولًا، لا يخفاكم أن ابن خلدون هو مؤرخ وحكيم في التاريخ وليس عالمًا بالحديث، وما أردت أن أقول: ليس متخصصًا في الحديث؛ بل هو ليس عالمًا في الحديث.

من قرأ كتابته في التاريخ أو في مقدمة تاريخه حول أحاديث المهدي يجد هناك في بعض الأحاديث اعترافًا بالصحة، في هذا البعض، ولذلك فيخطئ كثير من الكتاب الذين كتبوا في هذه القضية ومنهم شيخ قطر -إذا سمعتم به

مداخلة: القرضاوي.

الشيخ: لا المحمود هذا.

مداخلة: آه الشيخ الكبير.

الشيخ: يخطئ كثيرًا كهذا الشيخ حين يعزو إلى ابن خلدون أنه ضعف كل أحاديث المهدي، هذا خطأ ليس فقط على الحديث النبوي بل وخطأ آخر على ابن خلدون المؤرخ، ثم علم الحديث فيه الواقع دقائق هي التي صرفت كثيرًا من العلماء

عن الاشتغال بالحديث؛ لأنه يتطلب جهدًا ودأبًا قد لا يستطيعه أكثر النفوس ولو كانوا من أهل العلم والفضل.

أضرب لك مثلًا بين عالم يكتب بحثًا علميًا وكاتب يكتب مقالة أدبية كم الفرق بينهما؟

مداخلة: الفرق شاسع.

الشيخ: شاسع جدًا، الذي يكتب مقالة أدبية، الأفكار المخزونة في مخه وفكره يسيل بها قلمه، لا يحتاج أن يراجع هذه الكتب التي يسميها الناس ظلمًا الكتب الصفراء، ما يحتاج.

بينما الذي يريد أن يكتب ويحرر مقالةً علميةً خاصة في آخر الزمان الذين علمهم كأمثالنا في سطورهم وليس في صدورهم، هؤلاء بحاجة أن يراجعوا على الأقل يتثبت، أما ذاك الكاتب ما يحتاج إلى مراجعة أبدًا، يكتب ويشحبر -يقولوا عندنا في الشام بهذا القلم الأسود- النسبة التي ذكرتها بين الكاتب العالم، والكاتب الأديب؛ هي النسبة بين العالم المحدث المتخصص في الحديث والعالم، يحتاج إلى صبر ومراجعات كثيرة وكثيرة جدًا، لماذا؟ لأن كثيرًا من الأحاديث هي من القسم الذي يسميه علماء الحديث صحيح لغيره، حسن لغيره.

أحد العلماء كالترمذي مثلًا إذا قال في حديث ما حديث حسن -وهذا من الغرائب واللطائف التي لا ينتبه لها أكثر العلماء بل وكثير من المحدثين، إذا قال الترمذي في حديث: حسن؛ يعني: إسناده ضعيف، أسمعتم بهذا؟ إذا قال في حديثٍ ما: حديث حسن يعني أن إسناده ضعيف.

مداخلة: لم يصل إلى درجة الصحة؟

الشيخ: لا، أنا أقول إذا قال في حديثٍ ما: حديث حسن يعني: إسناده ضعيف،

فما نقفز قفزة الغزلان بارك الله فيك، يعني ليس بصحيح، يعني أن إسناده غير حسن، ليس بصحيح: إذا قال الترمذي في حديث ما حديث حسن يعني هذا الحديث الذي حسنه الترمذي إسناده ضعيف، كيف هذا؟ هذا اصطلاح، على خلاف ما إذا قال في حديث آخر: حديث حسن غريب، فإنما يعني حديث حسن إسناده، كلمة غريب حددت المراد من قوله: حسن.

أما إذا عرى هذه الكلمة «حسن» عن لفظة «غريب» فهو يعني حسن متنه ضعيف إسناده، لماذا جاء هذا التحسين؟ من علمه أن لهذا المتن شواهد وطرق أخرى ارتقت به من الضعف الذي جاءه من هذا الإسناد.

إذًا من أجل ذلك قال علماء الحديث: إذا وقف طالب العلم على حديث إسناده ضعيف فهل يجوز له أن يقول حديث ضعيف، قالوا وقالوا، قالوا لا يجوز لأنه قد يكون له إسناد آخر إما أن يكون هذا الإسناد الآخر حسن لذاته أو صحيح لذاته أو على الأقل يجعل هذا الحديث الضعيف إسناده حسنًا أو صحيحًا لغيره. ولذلك فلا يستقل بالقول بأنه هذا حديث ضعيف، وإنما يقول حديث إسناده ضعيف، ثم استثنوا فقالوا اللهم إلا رجل عالم متمكن في علم الحديث محيط ما شاء الله بطرق الحديث ثم لم يجد لهذا الحديث إلا هذا الإسناد؛ فلمثله فقط أن يقول: هذا حديث ضعيف.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في الصحيحة" (٤/ ٤٢ - ٤٣): اعلم يا أخي المسلم أن كثيرًا من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي! وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقًا، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بَشَّرَ المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها أنه

يحكم بالإسلام وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة كما صح عنه -صلى الله عليه وآله وسلم-، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل على العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- الذي ظل ثلاثة وعشرين عامًا وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعًا وأحزابًا، وعلماءهم - إلا القليل منهم - اتخذهم الناس رؤوسًا! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا هم بواجبهم، والله يقول: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ}.

ومنهم - وفيهم بعض الخاصة - من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافة ولكنه توهم أنها لازمة لعقيدة خروج المهدي، فبادر إلى إنكارها، على حد قول من قال: "وداوني بالتي كانت هي الداء"! وما مثلهم إلا كمثل المعتزلة الذين أنكروا القدر لما رأوا أن طائفة من المسلمين استلزموا منه الجبر!! فهم بذلك أبطلوا ما يجب اعتقاده، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر!.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في قصة المسيح الدجال (ص٣٦ - ٣٨): لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته في وجه الأرض؛ انتظارًا منهم لخروج المهدي ونزول عيسى عليهما الصلاة والسلام؛ يأْسًا منهم؛ أو توهمًا أن ذلك غير ممكن

قبلهما! فإن هذا توهم باطل، ويأس عاطل فإن الله تعالى أو رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام ولا سلطان له في وجه الأرض إلا في زمانهما، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛ لقوله تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد:٧)، وقوله: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج:٤٠).

ولقد كان هذا التوهم من أقوى الأسباب التي حملت بعض الأساتذة المرشدين والكُتّاب المعاصرين على إنكار أحاديث المهدي وعيسى عليهما السلام - على كثرتها وتواترها - لما رأوا أنها عند المتوهمين مدعاة للتواكل عليها وترك العمل لعز الإسلام من أجلها! فأخطؤوا في ذلك أشد الخطأ من وجهين:

الأول: أنَّهم أقروهم على هذا التوهم؛ على اعتبار أن مصدره تلك الأحاديث المشار إليها؛ وإلا لم يبادروا إلى إنكارها!

والآخر: أنهم لم يعرفوا كيف ينبغي عليهم أن يعالجوا التوهم المذكور؟ وذلك بإثبات الأحاديث، وإبطال المفاهيم الخاطئة من حولها، وما مثلهم في ذلك إلا كمثل من أنكر عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره؛ لأن بعض المؤمنين به فهموا منه أن لازمه الجبر، وأن المكلَّف لا كسب له ولا اختيار، ولما كان هذا الفهم باطلًا بداهة سارعوا إلى إنكاره، ولكنهم أنكروا مَعَهُ القدر أيضًا؛ لتوهمهم - أيضًا مع المتوهمين - أنه يعني الجبر، فوافقوهم في خطئهم في التوهم المذكور، ثم زادوا عليهم خطًا آخر - فرارًا من الأول - وهو إنكارهم القدر نفسه! فلولا أنهم شاركوهم في فهمهم منه الجبر ما أنكروه!

وهذا هو عين ما صنعه البعض المشار إليه من الأساتذة والكُتّاب؛ فإنهم لما رأوا تواكل المسلمين - إلا قليلًا منهم - على أحاديث المهدي وعيسى؛ بادروا إلى

إنكارها لتخليصهم بزعمهم من التواكل المذكور! فلم يصنعوا شيئًا؛ لأنهم لم يستطيعوا تخليصهم بذلك من جهة؛ ولا هم كانوا على هدى في إنكارهم للأحاديث الصحيحة من جهة أخرى.

والحقيقة أن هؤلاء المنكرين- الذين يفهمون من هذه الأحاديث ما لا تدل عليه من التواكل المزعوم، ولذلك يبادرون إلى إنكارها تخلّصًا منه - قد جمعوا بين المصيبتين: الضلال في الفهم، والكفر بالنص! ولكنهم عرفوا أن الفهم المذكور ضلال في نفسه؛ فأنكروه بإنكار النص الذي فهموا ذلك منه! وعكس ذلك العامة؛ فآمنوا بالنص مع الفهم المذكور، فمع كل من الفريقين هدى وضلال، والحق الأخذ بهدى كل منهما، ونبذ الضلال الذي عندهما؛ وذلك بالإيمان بالنص دون ذلك الفهم الخاطئ.

وما مثل هؤلاء وهؤلاء إلا كمثل المعتزلة من جهة؛ والمشبِّهة من جهة أخرى، فإن الأولين تأولوا آيات وأحاديث الصفات بتآويل باطلة أودت بهم إلى إنكار الصفات الإلهية، وما حملهم على ذلك إلا فرارهم من التشبيه الذي وقع فيه المشبِّهة، والحقيقة أن المعتزلة أنفسهم شاركوا المشبِّهة في فهم التشبيه من آيات الصفات، ولكنهم افترقوا عنهم بإنكار التشبيه بطريق التأويل الذي هو باطل أيضًا؛ كالتشبيه لما لزم منه من إنكار الصفات الإلهية، وأما المشبِّهة فلم يقعوا في هذا الباطل، ولكنهم ثبتوا على التشبيه، والحق الجمع بين صواب هؤلاء وهؤلاء، ورد باطل هؤلاء وهؤلاء؛ ذلك بالإثبات والتنزيه؛ كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير} (الشُّورى:١١).

وكذلك أقول في أحاديث نزول عيسى عليه السلام وغيرها؛ فإن الواجب فيها إنما هو الإيمان بها، وردّ ما توهمه المتوهمون منها؛ من ترك العمل والاستعداد الذي يجب

القيام به في كل زمان ومكان، وبذلك نكون قد جمعنا بين صواب هؤلاء وهؤلاء، ورددنا باطل هؤلاء وهؤلاء. والله المستعان.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في موسوعته العقدية أيضا (٩/ ٢٠٢): سؤال: في حديث جبريل من علامات الساعة «أن تلد الأمة ربتها»، كيف هذا يا شيخ؟.

الشيخ: هذا بارك الله فيك كان في بعض العصور الزاهرة حينما كان تنتشر الجيوش الإسلامية في بلاد الكفر تدعوها إلى الإسلام، فمنهم من يستجيب ومنهم من لا يستجيب، فحينئذٍ ما يكون من الجيش المسلم إلا أن يحارب كما جاء في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» وكما جاء في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب: «أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- كان إذا أمر أميرًا على سرية أو جيش أوصاه، وكان من وصيته: إذا لقيتم المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث: إلى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن أبو فأن يعطوا الجزية عند يد وهم صاغرون، فإن أبوا فالقتال» فحينما كان يجري هذا القتال بين المسلمين وبين الكافرين يقع في أغلب الأحيان كثير من الأسرى في أيدي المسلمين من النساء ومن الرجال، ثم تجري قسمة هذه المغانم وفيها أولئك الأسرى، فيقسمها قائد الجيش المسلم على الغانمين.

فكان يقع كثيرًا وكثيرًا جدًّا أن يكون حصة بعض الغانمين سبية من السبايا التي وقعت في أيدي المسلمين، فيجوز للمسلم كما أظنكم تعلمون أن يتمتع بمثل هذه السبية الأسيرة كما يتمتع الرجل بحلاله بزوجته، كما قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} (المؤمنون:٥ - ٦) إلى آخر الآيات، فملك اليمين هي السرية

هذه التي كان أصلها غنيمة من الكفار، والذي وقع في التاريخ الإسلامي الأول وسنين طويلة وعصور مديدة فيما بعد أن هذا السيد ينكح هذه الأمة أو هذه الجارية وهي مملوكة فيرزق منها ولدًا قد يكون ذكرًا وقد يكون أنثى، والشرع يحكم بأن هذه الأمة أو الجارية إذا رزقت من سيدها ولدًا فهذا الولد يعتقها، فإذا كان المولود منها من سيدها بنتًا فهذه البنت هي تلحق بأبيها فهي سيدة، فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأن تلد الأمة ربتها» فهي كانت أمة ثم ولدت هذه البنت من سيدها فهي ربتها، أي: سيدتها، هذا من معاني التي ذكرها شراح الحديث في هذا الحديث.

وبعضهم قال معنًى آخر، معنى مجازي يمكن أن يكون صوابًا لكن المعنى الأول هو المتبادر، قالوا: هذا إشارة إلى فساد التربية وفساد الزمان، بحيث أن السيدة الحرة حينما ترزق من سيدها من زوجها الحر أيضًا.. حينما ترزق منه بنتًا، فبسبب سوء تربية هذه البنت -وهذا مشاهد اليوم- تصبح هذه البنت متعالية على أمها، فكأن أمها هي عبدة مملوكة وهي سيدتها، هذا من معاني قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأن تلد الأمة ربتها» هي ليست أمةً حقيقةً كما هو في التفسير الأول، لكن بالنسبة لسوء التربية تصبح ابنتها سيدة عليها وهي كأنها عبدة لها ومملوكة لها، والواقع أنها حرة بنت حرة، لكن سوء التربية قلب الأمر فجعل الأم التي هي سيدة أمة، وجعل البنت التي هي بنت هذه كأنها هي السيدة تستعلي عليها وتتأمر عليها ولا تسمع كلامًا، والأم تضطر أن تخضع لأوامرها وهذا هو المشاهد في هذا الزمان.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ في نفس المصدر (٩/ ٢١٧): هل بعض الأحاديث الواردة في المدينة تنفي خبثها، والأحاديث الواردة في الصبر على لأوائها، ما أدري، بعض العلماء يقول.. يخصصها في عهد النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، وبعضهم يجعلها في آخر الزمان مثل المدينة تنفي خبثها عندما يأتي الدجال، وبعضهم يجعلها عامة في كل

زمان؟...

الشيخ: أما العموم فلا مجال للقول به لمصادمته الواقع، أما التخصيص بزمن الرسول عليه السلام فهذا تخصيص بغير مخصص، لكن ينبغي أن نبقي الحديث على عمومه ولا نستثني منه إلا ما دل الدليل القاطع على ذاك الاستثناء الذي قلته آنفًا، وأعني بإيجاز أنه ليس خاصًا بزمنه ولا مضطردًا في كل زمن، وهذا له أمثلة في نصوص كثيرة مثلًا: «ذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم» هذا من البداهة في مكان بأنه لا يمكن أن يقال فيه أنه خاص بزمن الرسول أو بزمن آخر، لكن لا مجال للقول بأنه يشمل كل الأزمان، وهكذا الأمثلة تتكرر، مثلًا في الحديث المعروف المشهور بل المتواتر: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» إلى آخره جاء في صحيح البخاري في رواية معاوية لهذا الحديث المرفوع، يقول هذا معاوية يقول وهو الذي روى الحديث مرفوعًا، يقول: وهذا معاذ يقول: هم في الشام.

مداخلة: معاوية يحكي عن معاذ؟

الشيخ: يحكي عن معاذ نعم، معاذ هو الذي يقول هذا الكلام: هم في الشام، فليس من الضروري أن يكونوا في الشام في كل لحظة في كل دقيقة في كل ساعة في كل يوم في كل أسبوع وهكذا تطرد، على ما يشاء الله تبارك وتعالى لكن بلا شك الغالب أنهم في الشام مع استحضار أن معنى الشام أوسع مما يدور في أذهان كثير من الناس اليوم بسبب حياتهم وغفلتهم عن التقسيمات السياسية... فالشام سوريا والأردن وفلسطين ولبنان نعم، فبهذا المعنى الواسع يكون الحديث ماشيًا، لكن ليس بهذا المعنى الضيق في اللحظة، ممكن مثلًا أن يأتي زمن كما هو الزمن الحاضر الآن كما كان في زمن بعض الفتن المغول مثلًا حينما هجموا على هذه البلاد فيفر المسلمون بدينهم إلى بلاد أخرى، فلا يقال: أن الحديث كيف... تطبيقه، إنما نقول: هذا لا يعني الاطراد

الدقيق الذي ذكرته آنفًا في اللحظة في الدقيقة إلى آخره، وعلى هذا النوع من المعنى الواسع من جهة والضيق من جهة أخرى يمكن أن نفسر الحديث الذي ذكرت آنفًا، والله أعلم.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ في نفس المصدر (٩/ ٢٣٣): ما رأي فضيلتكم في الأحاديث الواردة في كتاب: الإشاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة، وكتاب: الإذاعة، وذلك حول الأمارات الدالة على قرب خروج الإمام المهدي، وعلامات خروجه وهي كما ذكرها: جفاف بحيرة طبرية.. انحسار نهر الفرات.. وجفاف مياهه عن جبل من ذهب.. عدم إثمار نخل بيسان.. انكساف الشمس في أول رمضان وانخساف القمر في ليلة النصف منه، وهل قطع مياه الفرات الآن عن سوريا والعراق في الوقت الحاضر، أفيدونا أثابكم الله بإسهاب عن هذا الموضوع.

الشيخ: أما القطع المذكور فليس له علاقة بأشراط الساعة، فإنه خلاف سياسي قد يزول إن شاء الله، أما كسوف الشمس والقمر فليس فيه حديث صحيح، أما سائر العلامات التي ذكرت في السؤال فهي ثابتة، وأخيرًا: فليس هناك تحديد لوقت خروج المهدي ونزول عيسى عليهما السلام، ولا أعتقد أن هذا الوقت فيه نذر وعلامات تمكننا من تحديد وقت خروج المهدي أو نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا سبيل إلى ادعاء شيء من ذلك إلا على سبيل التظنن والتخرص وهذا لا يجوز في دين الله.

وأنا أقول بمثل هذه المناسبة: أن كثيرًا ممن ينتمي إلى العلم وإلى الدعوة إلى الإسلام قد ينكر أحاديث نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وخروج المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنها كواقع مع الأسف الشديد كانت سببًا.. بسبب سوء فهم الأمة لهذه الأحاديث كانت سببًا لتواكل المسلمين وتقاعسهم عن القيام بواجب العمل لإعادة الحكم الإسلامي حكمًا قائمًا في أرض الإسلام، والواقع أن هذه الأحاديث لا تعني هذا المعنى المنحرف، ومن

المؤسف أن بعض الدعاة بديل أن يقوموا بواجب نشر هذه العقيدة لثبوتها في كتب السنة ثبوتًا متواترًا من جهة، ومن جهة أخرى: بديل أن يفهموا الأمة المقصد الأسنى من تبشير الرسول عليه الصلاة والسلام لهذه الأمة بخروج المهدي ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بدل النشر والتبشير والتقييم ماذا فعلوا؟ لقد أنكروا هذه الأحاديث الصحيحة وأوجدوا بلبلةً بين المسلمين الذين ليس عندهم من الوعي والتوعية ما تمكنهم من تمييز الأقوال الصحيحة من الأقوال الضعيفة.

يجب على كل مسلم أن يدرس الأحاديث على منهج علماء الحديث، وليس على منهج علماء الرأي والفلسفة العقلية المحضة، فالفلسفة لا حدود لها وكل يرى ما يناسب هواه، وما يناسب ثقافته، وإنما الطريق لمعرفة ما صح عن الرسول، وما لم يصح إنما هو طريق علماء الحديث منذ أن كانوا على وجه الأرض إلى أن تقوم الساعة، وهو الرجوع إلى أسانيد الأحاديث وإلى تراجم رواتها.

وقد تبين لكل عالم بالحديث أن هذه الأحاديث أحاديث نزول عيسى وخروج المهدي أحاديث صحيحة لا يجوز إنكارها، وإنكارها يعرض منكرها ولا شك لمفسدتين أحلاهما مر: إما الكفر؛ لأنه جحد ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بالتواتر، أو الفسق إذا كان لم يقم بواجب البحث والتحقيق وهو عالم يستطيع القيام بذلك.

هذا هو الواجب الأول: أن نثبت هذه الأحاديث لأنها صحيحة لا شك ولا ريب فيها.

الواجب الثاني: أن نفهم الأمة أن هذه الأحاديث لا تعني أن الأمة ينبغي أن تتواكل وأن تنتظر خروج المهدي ونزول عيسى، بل عليها كلها أن تعمل لعزة الإسلام ولتطبيق الإسلام، وحينذاك سيشعرون بأن الأمة بحاجة إلى وحدة الكلمة

قبل كل شيء، ثم إلى رجل يقودهم إلى العز والمجد الغابر، هذا الرجل قد يكون المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد يكون رجلًا مصلحًا قبل خروجه هو؛ لأن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قد بشر هذه الأمة بقوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» فالمجددون والحمد لله موجودون وهم متتابعون على رأس كل مائة سنة، فقد يكون المهدي على رأس المائة سنة القابلة، وقد يكون بعد مائتي سنة وقد وقد؛ لأن هذا غيب لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، لكن المسلمين عليهم أن يعملوا واجبهم، ثم قد ربنا عَزَّ وَجَلَّ يرسل إليهم مصلحًا ليجمع كلمتهم ويقيموا دولتهم وما ذلك على الله بعزيز.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ في نفس المصدر (٩/ ٢٣٥): قيل... إنك قلت [أن المهدي] يخرج ليس في هذا الزمان... سيخرج في زمان.. الحرب تكون بالسيوف والرماح؟

الشيخ: لا، أنا ما أقول هذا، بس أقول ما بيخرج بهذا الزمان؛ لأنه المهدي سوف لا يستطيع أن يعمل أكثر من الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي ظل بقومه عشرين سنة حتى استطاع أن يوجد من حوله أمة يقاتلون في سبيل الله، فلو خرج [المهدي و] وجد التسعمائة مليون مسلم متفرقين شذر مدر حتى يجمعهم على فكرة واحدة، على تصفية وعلى تربية، يحتاج إلى كذا سنين هو، ونص الحديث يمكث في الأرض سبع سنين، ثمان سنين، شو بده يسوي في سبع سنين.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ في نفس المصدر (٩/ ٢٣٦): بالنسبة للمهدي، المهدي هل هو المهدي المنتظر اللي بيتكلموا عنه الشيعة أو المهدي اللي بيقولوا عنه... بيطلع بعد كذا عام؟

الشيخ: المهدي يا أخي تبع الشيعة خيال، مهدي الشيعة خيال لا وجود له، إلا في أدمغتهم. تسمع بالعنقاء؟

مداخلة: لا.

الشيخ: العنقاء: اسم بدون جسم، ومثله الخل الوفي، تعرفوه؟ الخل الوفي، المهم: مهدي الشيعي خيال، لأنو بيقولوا هو داخل في السرداب من كذا سنين، وكل يوم بيهيؤوا ثلة من الجيش، من العسكر، من الفرسان، وبيروحوا باب المغارة من شان يستقبلوه، وهكذا لا يزالون في ضلالهم يعمهون، أما المهدي المبشر به في الأحاديث الصحيحة، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تنقضي الدنيا حتى يبعث الله رجلًا يوافق اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي -أي محمد بن عبد الله- يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا»، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، «يمكث في الأرض سبع سنوات أو ثمان سنوات».

فإذن المهدي محمد بن عبد الله هو رجل من المجددين، الذين أخبر الرسول عليه السلام عنهم بقوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة». فالمهدي ما هو إلا إنسان عادي عالم مصلح، الناس يتبعونه لعلمه ولصلاحه؛ ولذلك ففي زمانه يرى الناس العدل، ولا يعودون يرون الجور والظلم [كما هو] حال المسلمين اليوم يعيشونه في كل بلاد الإسلام مع الأسف الشديد.

«لا تنقضي الدنيا حتى يبعث الله رجلًا يوافق اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا». هذا المهدي إنسان من العلماء المصلحين لم تلد النساء مثله بعد الصحابة والخلفاء الراشدين.

مداخلة: قبل نزول عيسى عليه السلام.

الشيخ: هو قبل لكن يلتقى به كما سمعت آنفًا، ذكرنا أنه بينزل عيسى شرقي دمشق، وبتكون الصلاة أقيمت للمهدي، فحينما يرى عيسى بيقدمه يصلي، يقول: لا، أي أنا لا أتقدمكم معشر أمة محمد تكرمة هذه الأمة. نعم.

مداخلة: شيخنا:... في شاهد لما تفضلت به وهو قول الله سبحانه وتعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} (النساء:١٥٩).

الشيخ: نعم، صدق الله.

وسئل رَحِمَهُ اللهُ في نفس المصدر (٩/ ٢٥٩): حديث الجساسة هل هو صحيح، وهل هو مخالف لبعض الأحاديث؟ نرجو توضيح ذلك.

الشيخ: حديث الجساسة حديث صحيح، وليس فيه ما يخالف الأحاديث الصحيحة إطلاقًا، وإنما فيه تفاصيل ستقع يومًا ما مما لم يرد ذكره في بعض الأحاديث الصحيحة، وبعضها وقع، وكما رواه تميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإنما الناس اليوم يريدون أن يطبقوا الأحاديث الغيبية على عقولهم الصغيرة، وهذا ليس من الإيمان في شيء؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: {الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} (البقرة:١ - ٣) فواجب كل مسلم إذا ما جاءه حديث عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- سواء كان الحديث هذا يتعلق بالعقائد أو بالأحكام أو بأشراط الساعة أو بأي حكم يتعلق بالمغيبات فواجب المسلم أمام هذا الحديث أو ذاك شيئان اثنان:

الشيء الأول: أن يسأل أهل العلم بالحديث: أصحيح هو أم لا، فإذا قالوا له بأنه صحيح وجب الأمر الثاني، وهو: أن يخضع عقله وفكره وثقافته التي نشأ عليها للإيمان بهذا الحديث؛ لأنه من أمور الغيب، وقد علمنا أن أول صفة للمؤمن حقًا هو ما قاله الله عَزَّ وَجَلَّ في آنفًا في الآية آية البقرة: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة} (البقرة:٣) فالإيمان بالغيب أمر هام جدًا يمتحن الله تبارك وتعالى عباده بمثل هذه الأحاديث الصحيحة، وحديث الجساسة لا شك في صحته لسببين اثنين:

الأول: أنه رواه مسلم في صحيحه.

والآخر: أننا لم نجد في إسناده مغمزًا أو مطعنًا ولذلك فلا يجوز للمسلم أن يتفلسف عليه، وأن يقول: معقول أو غير معقول أو ما شابه هذا الكلام الذي لا يخرج ممن آمن بالغيب حقًا.

هذا جواب حديث الجساسة.

مداخلة: يا شيخ! هناك أحاديث وردت مثلًا: تعارض هذا الحديث..

الشيخ: مثل؟

مداخلة: قوله عليه الصلاة والسلام: «ما من نفس منفوسة يمر عليها مائة عام وهي حية يومئذ» أو كما قال.

الشيخ: هذا الذي يقول بهذا الكلام هو جاهل بعلم أصول الفقه، ما من نص عام إلا وقد خصص، وهذا من ذاك، يعني: ما من نفس منفوسة، إلا ما جاء النص يستثني ذلك، وعلى هذا اعتمد من زعم أن الخضر عليه السلام لا يزال حيًّا بين الأنام، لكن نحن نقول كما تعلمنا من بعض العلماء: أثبت العرش ثم انقش، نقول له: أثبت أن الخضر حي حتى نستثنيه من الحديث، ولما لم يكن هناك حديث صحيح يثبت حياة الخضر إلى عهد النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- لم يكن بنا حاجة إلى أن نقول: عن الخضر مستثنى من حديث: «ما من نفس منفوسة» أما والدجال حي بصريح الحديث الذي جاء ذكره آنفًا وكذلك عيسى لا يزال حيًا وإن كان هذا في السماء فإذًا الجواب: هو تخصيص العام بالحديث الخاص، وإلا لوقع هذا الجاهل وأمثاله في جهل بل جهالات متتابعة؛ لأننا سنواجهه بالآية الكريمة.

وهذا مثل أذكره في كثير من مثل هذه المناسبة، ألا وهي قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ} (المائدة:٣) إلى آخر الآية، فهل يجوز أكل

السمك الميت؟ سيقول بالجواز، فما هو الجواب عن الآية، سيضطر أن يقول بقول العلماء: الآية عامة والحديث يخصص هذه الآية، فكيف لا يخصص الحديث الحديث؟ ذلك من باب أولى.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في المصدر السابق: كنا من أيام قريبة على موعد مع رجل يدعي أنه المهدي فالتقينا به ووُجِّهَ إليه سؤال صريح: أنت مهدي بمعنى مسلم مهدي بمعنى صالح، أو المهدي المبشَّر به؟ قال: لا، أنا المهدي المبشَّر به في الأحاديث.

وبدأ يتكلم، أريد أن أعرف من أين تُؤكل الكتف، أسمع له وإذا به يقول: أن الأحاديث التي جاءت في المهدي بعضها صحيحة وبعضها ضعيفة كلام سليم، طيب! بعدما انتهى قلت له: ممكن أسأل سؤال؟ قال: تفضل، قلت له: إذا تفضلت أن تعطينا بعض الأحاديث الصحيحة وبعض الأحاديث الضعيفة التي أشرت إليها، فمسكين أسقط بيده ولم يعرف بماذا يتكلم، إلا أنه قال بعد لف ودوران طبعًا ما يقولها سلفًا، قال في الأخير: الليلة سوف لن نتكلم عن هذه الأحاديث.

مداخلة: الله أكبر!...

الشيخ: لا، يريد أن يحكي... قلت له: لماذا؟ أهو بكيفك؟! أنا سألتك أنت لازم تجيب، أنت تدعي أنك المهدي... مهدي للناس، والناس فيهم العالم وفيهم الجاهل وفيهم الصالح وفيهم الطالح..، المفروض المهدي الحقيقي يتحمل هؤلاء وليس العكس الناس يتحملون المهدي؛ لأن المهدي كله خير وكله علم وإلى آخره، لذلك أنا أُلح وأطالبك أن تأتينا ببعض الأحاديث الصحيحة وبعض الأحاديث الضعيفة، قال: غدًا آتيك بهم، قلت له: لا، أنا لن أستمر لغدٍ ومن يملك نفسه أن يعيش إلى الغد؟! [أخذ] يلف ويدور، يلف علي ويدور إلى آخره.

في الأخير قلت له: طيب! نحن نتنازل عن نصف السؤال أما النصف الثاني لا

نتنازل عنه، طلبنا منك بعض الأحاديث الصحيحة وبعض الأحاديث الضعيفة؛ نعفيك عن الأحاديث الضعيفة، هات لنا بعض الأحاديث الصحيحة، لا يوجد عنده شيء، ولو أراد أن يمشي تكون حجة عليه طبعًا، رجل مظهره ما تظنه مسلم؛ حليق، حاسر الرأس، متخوم من البدانة، ثخين يعني.. ثم لا يحسن أن يتكلم بل أن يقرأ آية كما أنزلها الله.

والعجيب في هذا المسكين أنه يزعم بأنه رسول من الله..

مداخلة:... متبعه أخوه.

الشيخ: كيف؟

مداخلة: المتبع له أخوه.

الشيخ: تمام متبعه أخوه، فقال: هو رسول من الله لكن ليس نبي، انظر الضلال؟ مخطط خطة من أجل أن يموه على الناس، تعرفوا أنتم الأحاديث الصريحة أنه: «لا نبي بعدي»، لكن هو بجهله الظاهر أنه متصور أنه لا يوجد حديث: «لا رسول بعدي» ولذلك هو يدعي الرسالة ولا يدعي النبوة، فأنا قلت له: أنت تقول أنك رسول، ويقول: أن الله أوحى إليه القرآن من جديد، مع ذلك لا يحسن قراءة القرآن يكسر يعني ويلحن؛ المنصوب يرفعه المرفوع ينصبه وهكذا..

مداخلة: حافظ القرآن؟

الشيخ: لا... لكن بعض الآيات، في المصحف أتى بالمصحف، قرأ والمصحف مشكَّل مع ذلك أخطأ في الآية، قلت له: كيف أنت نزل عليك الوحي وهذا القرآن لو نحن نخطئ في قراءته ليس هناك غرابة لأننا ما نَزَلَ علينا قرآن من جديد، كيف أنت تخطئ في هذا؟... سألته بعض الأسئلة أستكشف عن جهله وعن ضلاله؛ قلت له: أنت ماذا تعتقد الرسل معصومين أو لا؟ قال: معصومين بشيء وغير معصومين

بشيء، قلنا له: فَصِّل، قال: معصومين في التبليغ، وغير معصومين فيما سوى ذلك، قلت له: عندك شيء آخر تضيفه؟ قال: لا، قلت: يعني: يجوز عليهم السرقة.. ويجوز عليهم الزنا وإلى آخره، فطبعًا شبهة قوية ما التزمها لكن كعادته فَرَّ عنها، سألته: الرسول معصوم إذًا في التبليغ قال: نعم، قلت له: طيب! لكن أنت من قبل ساعة تبين أنك لست معصومًا؛ لأن القرآن نزل عليك من جديد ما قرأته كما أنزل عليك من جديد، فهذا دليل أنك لست معصوم بالتالي أنت لست رسول كما تقول، وهكذا استمر النقاش بيني وبينه، أخيرًا قلت له: أهناك فرق بين الرسول وبين النبي؟ أريد أرى ما هو الفرق حتى هو احتكر الرسالة له دون ماذا؟ النبوة، قال: يوجد فرق لكن هذا الفرق لا يعرفه أحد إلا الله، قلت له: طيب! أنت رسول لست نبيًّا؟ قال: نعم، قلت له: هذا دليل أنك تعرف أن الرسول غير النبي فكيف يلتقي مع قولك: لا يعرف الفرق إلا الله ﷻ.

الخلاصة: الجماعة الحاضرون اكتشفوا ضلاله وجهله بالشريعة، وسبحان الله! أخوه.. أنا وعظت الاثنين في الأخير قلت لأخيه: اتقي الله في نفسك هذا أخوك أقل ما يقال فيه أنه شبه له، وأنه صاحب خيالات وأوهام إلى آخره فأنت لا تراه كيف يُسْأَل أسئلة لا يستطيع أن يجيب عنها، وتحديتهم قلت لهم: أنتم ماذا تعرفون من الشرع، هل تعرفون الصلاة كما كان الرسول يصلي أنا أتحداكم الآن قم صلِّ، قال: هو لا يريد أن يصلي.

أثناء المناقشة بيني وبين هذا ما اسمه خليل؟

مداخلة: هو خليل... خليل اسم أخوه محمد.

الشيخ: بالعكس.. عندما كنت أتناقش أنا مع المهدي المزعوم يتدخل أخوه، طيب يا أخي! هذا ما هو أسلوب البحث، أنا أتكلم مع أخيك: لماذا تتدخل، فإذا كان

يسمح لك أخوك أنك تتكلم ما في عندي مانع لكن أنا شخص واحد إما أتكلم معه أو معك، لأنني [كان] كرسي هنا وكرسي هنا وهنا بجانبي أخوه، فمرة أتكلم معه ومرة أتكلم معك.. مع من سأتكلم؟ قام من أجل أن يبرر له خطأه ماذا قال: أنا آذن له أن يتكلم، قلنا له: إذًا! نتركك الآن ونتكلم مع أخيك، عندما قلنا له: قم صلِّ، ما رضي أن يصلي من؟! خليل: المهدي، قلنا له: طيب! أنت أخوه قم تفضل صلِّ نرى، قال: لا، حتى يأذن لي، طيب! هو أذن لك.. تلك الساعة ألم يقل أنه أذن لك أن تتكلم وتعمل أي شيء؟!

الخلاصة: الجهل أعمى قلوبهم،... تعرف المهدي الذي اسمه غلام أحمد القادياني، كان رجل عالم ودجال بالعلم تمامًا، لكن هؤلاء مساكين جهال لا يعرفون شيئًا من الشريعة ولا يعرفون قراءة قرآن.. لا يعرفون اللغة.. لا يعرفون أي شيء.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في المصدر السابق (٩/ ٣٢٥): قال تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ} (الأنبياء: ٩٦ - ٩٧) لا شك أن الإيمان بأقوام يعرفون بيأجوج ومأجوج من العقائد الإسلامية الصحيحة لوجود أصلها في القرآن ووجود فصلها وتفصيلها في السنة، والسد الذي جاء ذكره قبل هذه الآية في القرآن الكريم هو الذي تحدث عنه نبينا صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الصحيح: أن وراء هذا السد هم قوم يأجوج ومأجوج، وأنهم في كل يوم يتوجهون إلى هذا السد لينفذوا منه إلى العالم فيأخذون لحسًا بألسنتهم إياه، حتى إذا بدا لهم بصيص نور يقولون غدًا نكمل عليه ونخرج منه، فإذا عادوا وجدوه قد عاد سيرته الأولى حتى إذا شاء الله تبارك وتعالى أن يأذن لهم بالخروج ألهم بعضهم أن يقول: غدًا إن شاء الله، فيعودون إلى السد فيجدونه كما تركوه فيتمون عليه ثم هم يخرجون ومن كل حدب ينسلون كما قال رب العالمين.

فالآن الشبهة التي تطرح في هذا الزمان بدءًا من الكفار وانتهاءً إلى بعض ضعفاء العلم إن لم نقل: ضعفاء الإيمان: إن هؤلاء يدعون أكثر مما يدعيه الكفار، هؤلاء الضعفاء علمًا وربما إيمانًا يدعون ما لا يدعي الكفار أنفسهم فيقولون: إن الكفار مسحوا الكرة الأرضية وعرفوا كل أراضيها ما بين جبال وهضاب وسهول وأنهار وبحار وغابات ونحو ذلك، فلم يبق هناك مكان -زعموا- لم تطأه أقدامهم، بينما هذه الدعوى لم يدعيها نفس الكفار! وذلك لأننا مع الأسف الشديد نعترف بأن هؤلاء الكفار لا يؤمنون إلا بالبحث العلمي، والبحث العلمي جعلهم يتورعون عن ادعاء ما لا علم لهم به، ويقولون: نحن وصلنا إلى هنا ولا ندري ما وراء ذلك.

أما ضعفاء العلم والإيمان من أمتنا فيأتونهم من العلم ما لا يعترفون هم به، فقد مسحوا الأرض زعموا! فنقول: هذه دعوى مجردة عن الدليل، والمؤمن يجب أن يؤمن بالقرآن وبحديث الرسول ﷺ أقل ما يقال: أكثر من إيمانهم بأقوال الكفار وبحوثهم وتجاربهم، وإذا كان قد صرح القرآن بوجود سد هناك، ووجود قوم خلف هذا السد، وأنه سيأتي يوم ينفذون منه، فهذا يعني أن الكفار بعد كما قال الله ﷻ كمبدأ عام مخاطبًا لجميع الأنام: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (الإسراء:٨٥) فمن هذا العلم الذي لم يحيطوا به إلى الآن أنهم لم يعثروا بعد على سد ذي القرنين، ولا على القوم الذي هم خلفه، أين هو؟ هو بلا شك في هذه الأرض {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (البقرة:٢١٦) ولذلك فلا يشكلن على أحد أن هؤلاء الكفار مسحوا الأرض، لا هذه دعوى كاذبة.

ثم إن هؤلاء الكفار لو وجدوا شيئًا من ذلك لبادروا إلى الإنكار؛ لأن في ذلك تأييدًا لدين الإسلام وهم كافرون به، وحينئذ يصدق فيهم كما قال رب العالمين في المشركين الأولين: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ} (النمل:١٤).

هذا جوابي عن هذه المشكلة، وخلاصتها: نؤمن بما جاء في الكتاب والسنة ونكفر بما يقال: إن هذا لا وجود له.

مداخلة: شيخ!... قول الرسول ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج مثل هذه، فحلق..» إلى آخر الحديث، قول الرسول ﷺ مع ما ذكرت من قوله عليه الصلاة والسلام: أنهم يلحسون بألسنتهم هذا السد، هذا يعني أنه من ذلك العهد فتح هذا الردم؟ يعني: نفس القصد..

الشيخ: في كل يوم هذا!

مداخلة: في كل يوم.

الشيخ: نعم، ثم يعود كما كان.

مداخلة: يعني: قول الرسول فتح اليوم، يعني: كل يوم.

الشيخ: في كل يوم.

مسألة: سئل العلامة العثيمين كما في مجموع فتاواه (٢/ ١١): هل أشراط الساعة الكبرى تأتي بالترتيب؟ وهل الحيوانات تشعر بعلامات القيامة دون الإنس والجن؟.

فأجاب: أشراط الساعة الكبرى بعضها مرتب ومعلوم، وبعضها غير مرتب ولا يعلم ترتيبه، فمما جاء مرتبا: نزول عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال، فإن الدجال يبعث، ثم ينزل عيسى ابن مريم فيقتله، ثم يخرج يأجوج ومأجوج.

وقد رتب السفاريني -رحمه الله- في عقيدته هذه الأشراط، لكن بعض هذا الترتيب تطمئن إليه النفس، وبعضها ليس كذلك. والترتيب لا يهمنا، وإنما يهمنا أن للساعة علامات عظيمة إذا وقعت فإن الساعة تكون قد قربت، وقد جعل الله للساعة أشراطا؛ لأنها حدث هام، يحتاج الناس إلى تنبيههم لقرب حدوثه.

ولا ندري هل تشعر البهائم بذلك، ولكن البهائم تبعث يوم القيامة، وتحشر، ويقتص من بعضها لبعض، فيقتص للشاة الجلحاء من القرناء.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ١١): عن أحاديث خروج المهدي، هل هي صحيحة أو لا؟.

فأجاب: أحاديث المهدي تنقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: أحاديث مكذوبة.

القسم الثاني: أحاديث ضعيفة.

القسم الثالث: أحاديث حسنة، لكنها بمجموعها تصل إلى درجة الصحة، على أنها صحيح لغيره.

وقال بعض العلماء: إن فيها ما هو صحيح لذاته، وهذا هو القسم الرابع.

ولكنه ليس المهدي المزعوم، الذي يقال: إنه في سرداب في العراق، فإن هذا لا أصل له، وهو خرافة، ولا حقيقة له، ولكن المهدي الذي جاءت الأحاديث بإثباته رجل كغيره من بني آدم، يخلق ويولد في وقته، ويخرج إلى الناس في وقته، فهذه هي قصة المهدي، وإنكاره مطلقا خطأ، وإثباته مطلقا خطأ، كيف ذلك؟

إثباته على وجه يشمل المهدي المنتظر، الذي يقال: إنه في السرداب هذا خطأ؛ لأن اعتقاد هذا المهدي المختفي خبل في العقل، وضلال في الشرع، وليس له أصل، وإثبات المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ وتكاثرت فيه الأحاديث، والذي سيولد في وقته، ويخرج في وقته هذا حق.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ١٢): من هم يأجوج ومأجوج؟.

فأجاب: يأجوج ومأجوج أمتان من بني آدم موجودتان، قال الله تعالى في قصة ذي القرنين: ({حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

قَوْلًا قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا} {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا}.

ويقول النبي ﷺ: «يقول الله يوم القيامة: يا آدم، قم فابعث بعث النار من ذريتك»، إلى أن قال رسول الله ﷺ: «أبشروا فإن منكم واحدا، ومن يأجوج ومأجوج ألفا». وخروجهم الذي هو من أشراط الساعة وجدت بوادره في عهد النبي ﷺ، ففي حديث أم حبيبة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالت: «خرج رسول الله ﷺ يوما فزعا محمرا وجهه، يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها».

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ١٣): عن الدجال؟ ولماذا حذر الأنبياء أقوامهم منه مع أنه لا يخرج إلا في آخر الزمان؟.

فأجاب: أعظم فتنة على وجه الأرض منذ خلق آدم إلى قيام الساعة هي فتنة الدجال، كما قال ذلك النبي ﷺ ولهذا ما من نبي من نوح إلى محمد - صلوات الله عليهم وسلامه - إلا أنذر قومه به تنويها بشأنه، وتعظيما له، وتحذيرا منه، وإلا فإن الله يعلم أنه لن يخرج إلا في آخر الزمان، ولكن أمر الرسل أن ينذروا قومهم إياه من أجل أن تتبين عظمته وفداحته، وقد صح ذلك عن النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم - صلوات الله وسلامه عليه؛ يعني أكفيكم إياه- وإلا فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم». نِعْمَ الخليفة ربنا - جل

وعلا-.

فهذا الدجال شأنه عظيم، بل هو أعظم فتنة، كما جاء في الحديث منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة، فكان حريًا بأن يخص من بين فتن المحيا بالتعوذ من فتنته في الصلاة: «أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال».

وأما الدجال فهو مأخوذ من الدجل وهو التمويه؛ لأن هذا مموه بل أعظم مموه، وأشد الناس دجلا.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ١٤): عن وقت خروج المسيح الدجال.

فأجاب: خروج المسيح الدجال من علامات الساعة، ولكنه غير محدد؛ لأنه لا يعلم متى تكون الساعة إلا الله، فكذلك أشراطها ما نعلم منها إلا ما ظهر، فوقت خروجه غير معلوم لنا، لكننا نعلم أنه من أشراط الساعة.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ١٤): عن مكان خروج الدجال.

فأجاب: يخرج من المشرق من جهة الفتن والشر كما، قال النبي ﷺ: «الفتنة هاهنا» وأشار إلى المشرق، فالمشرق: منبع الشر والفتن، يخرج من المشرق من خراسان، مارًا بأصفهان، داخلا الجزيرة من بين الشام والعراق، ليس له هم إلا المدينة؛ لأن فيها البشير النذير -عليه الصلاة والسلام- فيحب أن يقضي على أهل المدينة، ولكنها محرمة عليه، كما ثبت عن النبي ﷺ: «على كل باب منها ملائكة يحفظونها». هذا الرجل يخرج خلة بين الشام والعراق، ويتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفا؛ لأنهم جنوده، فاليهود من أخبث عباد الله، وهو أضل عباد الله، فيتبعونه ويؤوونه وينصرونه، ويكونون مسالح له - أي جنودا مجندين- هم، وغيرهم ممن يتبعهم، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «"يا عباد الله، فاثبتوا. يا عباد الله،

فاثبتوا». يثبتنا عليه الصلاة والسلام؛ لأن الأمر خطير، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات». يأتيه الإنسان، ويقول: لن يضلني، ولن أتأثر به، ولكن لا يزال يلقي عليه من الشبهات حتى يتبعه والعياذ بالله.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ١٥): عن دعوة الدجال وما يدعو إليه.

فأجاب: ذكر أنه أول ما يخرج يدعو إلى الإسلام، ويقول: إنه مسلم، وينافح عن الإسلام، ثم بعد ذلك يدعي النبوة، وأنه نبي، ثم بعد ذلك يدعي أنه إله، فهذه دعوته نهايتها بداية فرعون، وهي ادعاء الربوبية.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ١٥): عن فتنة الدجال.

فأجاب: من حكمة الله - عَزَّ وَجَلَّ أنه - سبحانه وتعالى - يعطي الدجال آيات فيها فتن عظيمة، فإنه يأتي إلى القوم يدعوهم فيتبعونه، فيصبحون وقد نبتت أراضيهم، وشبعت مواشيهم، فتعود إليهم أطول ما كانت ذرى، وأسبغ ضروعا، وأمد خواصر؛ يعني أنهم يعيشون برغد؛ لأنهم اتبعوه.

ويأتي القوم فيدعوهم فلا يتبعونه، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، وهذه فتنة عظيمة، لا سيما في الأعراب، ويمر بالخربة، فيقول: أخرجي كنوزك، فتخرج كنوزها تتبعه كيعاسيب النحل من ذهب وفضة، وغيرها بدون آلات، وبدون أي شيء، فتنة من الله عَزَّ وَجَلَّ فهذه حاله، ومعاملته مع أهل الدنيا لمن يريد التمتع بالدنيا، أو يبأس فيها.

ومن فتنته أن الله تعالى جعل معه جنة ونارا بحسب رؤيا العين، لكن جنته نار، وناره جنة، فمن أطاعه أدخل هذه الجنة فيما يرى الناس، ولكنها نار محرقة والعياذ بالله، ومن عصاه أدخله النار فيما يراه الناس، ولكنها جنة وماء عذب طيب.

إذن يحتاج الأمر إلى تثبيت من الله ﷻ إن لم يثبت الله المرء هلك وضل، فيحتاج إلى أن يثبت الله المرء على دينه ثباتا قويا.

ومن فتنته أنه يخرج إليه رجل من الناس ممتلئ شبابا، فيقول له: أنت الدجال الذي ذكر لنا رسول الله ﷺ فيدعوه، فيأبى أن يتبعه فيضربه، ويشجه في المرة الأولى، ثم يقتله، ويقطعه قطعتين، ويمشي بينهما تحقيقا للمباينة بينهما، ثم يدعوه فيقوم يتهلل وجهه، ويقول: أنت الدجال الذي ذكر لنا رسول الله ﷺ، ثم يأتي ليقتله فلا يسلط عليه، يعجز عن قتله، ولن يسلط على أحد بعده، فهذا من أعظم الناس شهادة عند الله؛ لأنه في هذا المقام العظيم الرهيب الذي لا نتصوره نحن في هذا المكان، لا يتصور رهبته إلا من باشره، ومع ذلك يصرح على الملأ إعذارا وإنذارا، بأنك أنت الدجال الذي ذكر لنا رسول الله ﷺ، هذه حاله، وما يدعو إليه.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ١٦): عن مقدار لبث الدجال في الأرض.

فأجاب: مقدار لبثه في الأرض: أربعون يوما فقط، لكن يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا، هكذا حدث النبي ﷺ، «قال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: يا رسول الله، هذا اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم واحد؟ قال: "لا، اقدروا له قدره"»، انظروا إلى هذا المثال لنأخذ منه عبرة، كيف كان تصديق أصحاب رسول الله ﷺ لرسول الله، ما ذهبوا يحرفون، أو يؤولون، أو يقولون: إن اليوم لا يمكن أن يطول؛ لأن الشمس تجري في فلكها، ولا تتغير، ولكنه يطول لكثرة المشاق فيه وعظمها، فهو يطول؛ لأنه متعب - بكسر العين - ما قالوا هكذا، كما يقول بعض المتحذلقين، ولكن صدقوا بأن هذا اليوم سيكون اثني عشر شهرا حقيقة، بدون تحريف، وبدون تأويل.

وهكذا حقيقة المؤمن ينقاد لما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب، وإن حار

فيها عقله، لكن يجب أن تعلم أن خبر الله ورسوله لا يكون في شيء محال عقلا، لكن يكون في شيء تحار فيه العقول؛ لأنها لا تدركه، فالرسول ﷺ أخبر أن أول يوم من أيام الدجال كسنة، لو أن هذا الحديث مر على المتأخرين، الذين يدعون أنهم هم العقلاء لقالوا: إن طوله مجاز، عما فيه من التعب والمشقة؛ لأن أيام السرور قصيرة، وأيام الشرور طويلة، ولكن الصحابة - رضي الله عنهم - من صفائهم وقبولهم سلموا في الحال، وقالوا بلسان الحال: إن الذي خلق الشمس، وجعلها تجري في أربع وعشرين ساعة في اليوم والليلة قادر على أن يجعلها تجري في اثني عشر شهرا؛ لأن الخالق واحد عز وجل فهو قادر، ولذلك سلموا. وقالوا: كيف نصلي؟

ما سألوا عن الأمر الكوني؛ لأنهم يعلمون أن قدرة الله فوق مستواهم، سألوا عن الأمر الشرعي الذين هم مكلفون به وهو الصلاة، وهذا والله حقيقة الانقياد والقبول، قالوا: «يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: "لا، اقدروا له قدره»". وسبحان الله العظيم، إذا تأملت تبين لك أن هذا الدين تام كامل، لا يمكن أن تكون مسألة يحتاج الناس إليها إلى يوم القيامة إلا وجد لها أصل، كيف أنطق الله الصحابة أن يسألوا هذا السؤال؟

أنطقهم الله حتى يكون الدين كاملا، لا يحتاج إلى تكميل، وقد احتاج الناس إلى هذا الآن في المناطق القطبية، يبقى الليل فيها ستة أشهر، والنهار ستة أشهر، فنحتاج إلى هذا الحديث، انظر كيف أفتى الرسول ﷺ هذه الفتوى قبل أن تقع هذه المشكلة؛ لأن الله تعالى قال في كتابه: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} . والله لو نتأمل الكلمة }أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ{ لعلمنا أنه لا يوجد شيء ناقص في الدين أبدا، فهو كامل من كل وجه، لكن النقص فينا؛ إما قصور في عقولنا، أو في أفهامنا، أو في إرادات ليست منضبطة، يكون الإنسان يريد أن ينصر قوله، فيعمى عن الحق - نسأل

الله العافية -.

فلو أننا نظرنا في علم، وفهم، وحسن نية لوجدنا أن الدين ولله الحمد لا يحتاج إلى مكمل، وأنه لا يمكن أن تقع مسألة صغيرة ولا كبيرة، إلا وجد حلها في الكتاب والسنة، لكن لما كثر الهوى، وغلب على الناس صار بعض الناس يعمى عليهم الحق، ويخفى عليهم، وتجدهم إذا نزلت فيهم الحادثة التي لم تكن معروفة من قبل بعينها، وإن كان جنسها معروفا تجدهم يختلفون فيها أكثر من أصابعهم، إذا كانت تحتمل قولين وجدت فيها عشرة، كل هذا؛ لأن الهوى غلب على الناس الآن، وإلا فلو كان القصد سليما والفهم صافيا، والعلم واسعا لتبين الحق.

على كل حال، أقول: إن الرسول ﷺ أخبر أن الدجال يبقى أربعين يوما، وبعد الأربعين يوما ينزل المسيح عيسى ابن مريم، الذي رفعه الله إليه، وقد جاء في الأحاديث الصحيحة: «أنه ينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريحه إلا مات».

وهذه من آيات الله، فيلحق الدجال عند باب لد في فلسطين، فيقتله هناك، وحينئذ يقضي عليه نهائيا، ولا يقبل عيسى -عليه الصلاة والسلام- إلا الإسلام لا يقبل الجزية، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير فلا يعبد إلا الله، وعلى هذا فالجزية التي فرضها الإسلام جعل الإسلام لها أمدا تنتهي إليه عند نزول عيسى، ولا يقال: إن هذا تشريع من عيسى -عليه الصلاة والسلام-؛ لأن الرسول ﷺ أخبر بذلك مقرا له، فوضع الجزية عند نزول عيسى -عليه الصلاة والسلام-، من سنة الرسول ﷺ؛ لأن سنة الرسول ﷺ: قوله، وفعله، وإقراره، وكونه يتحدث عن عيسى ابن مريم مقرا له فهذا من سنته، وإلا فإن عيسى لا يأتي بشرع جديد، ولا أحد يأتي بشرع جديد، ليس إلا شرع محمد -عليه الصلاة والسلام- إلى يوم القيامة، هذا ما يتعلق بالدجال نسأل

الله أن يعيذنا وإياكم من فتنته.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ١٩): هل الدجال من بني آدم؟.

فأجاب: الدجال من بني آدم. وبعض العلماء يقول: إنه شيطان. وبعضهم يقول: إن أباه إنسي، وأمه جنية، وهذه الأقوال ليست صحيحة، فالذي يظهر: أن الدجال من بني آدم، وأنه يحتاج إلى الأكل والشرب، وغير ذلك، ولهذا يقتله عيسى قتلا عاديا كما يقتل البشر.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ١٩): هل الدجال موجود الآن؟.

فأجاب: الدجال غير موجود؛ لأن الرسول، ﷺ خطب الناس في آخر حياته، وقال: "«إنه على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد».

وهذا خبر، وخبر النبي ﷺ، لا يدخله الكذب، وهو متلقى من الوحي؛ لأن النبي، ﷺ لا يعلم مثل هذا الغيب فهو غير موجود، ولكن الله يبعثه متى شاء.

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في المصدر (٢/ ٢٠): ذكرتم في الفتوى السابقة: أن الدجال غير موجود الآن، وهذا الكلام ظاهره يتعارض مع حديث فاطمة بنت قيس في الصحيح، عن قصة تميم الداري، فنرجو من فضيلتكم التكرم بتوضيح ذلك؟.

فأجاب: ذكرنا هذا مستدلين بما ثبت في الصحيحين، عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، قال: «إنه على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد».

فإذا طبقنا هذا الحديث على حديث تميم الداري صار معارضا له؛ لأن ظاهر حديث تميم الداري أن هذا الدجال يبقى حتى يخرج، فيكون معارضا لهذا الحديث الثابت في الصحيحين، وأيضا فإن سياق حديث تميم الداري في ذكر الجساسة في

نفسي منه شيء، هل هو من تعبير الرسول ﷺ أو لا؟[1].

---

(١) (تنبيه): تنقسم مواقف المخالفين من المعاصرين مما دل عليه هذا الحديث إلى موقفين:

الموقف الأول: من ذهب إلى رد الحديث ضمنا لا تصريحا.

الموقف الثاني: من رده تصريحا.

فأما الموقف الأول: فيتمثل في كل من رد الأحاديث الدالة على خروج الدجال وطعن فيها بعامة؛ فرد تلك الأحاديث يلحق بها من باب أولى «حديث الجساسة».

وأما الموقف الثاني: فأول من علمت تولى رد هذا الحديث صراحة: (محمد رشيد رضا)، مجلبا عليه بأوقار من المعارضات من كلا جهتي الرواية والدراية.

فكان مما قاله في هذا الحديث: «إن رواية الرسول ﷺ عن تميم الداري إن سلم سندها من العلل: هل تجعل الحديث ملحقا بما حدث به النبي ﷺ من تلقاء نفسه، فيجزم بصدق أصله، قياسا على إجازته ﷺ أو تقريره للعمل إذ يدل [على] حله وجوازه؟

والظاهر لنا أن هذا القياس لا محل له هنا، والنبي ﷺ ما كان يعلم الغيب؛ فهو كسائر البشر يحمل كلام الناس على الصدق؛ إذا لم تحف به شبهة، وكثيرا ما صدق المنافقين والكفار في أحاديثهم، وحديث العرنيين وأصحاب بئر معونة مما يدل على ذلك، وإنما كان يعرف كذب بعض الكاذبين بالوحي، أو بعض طرق الاختبار، أو أخبار الثقات، ونحو ذلك من طرق العلم البشري، وإنما يمتاز عن غيرهم بالوحي، والعصمة من الكذب، وما كان الوحي ينزل إلا في أمر الدين، وما يتعلق بدعوته وحفظه وحفظ ما جاء به؛ وتصديق الكاذب ليس كذبا.. ».

ومما قاله أيضا:

«.. هل يجب أن تكون حكايته ﷺ لما حدث به تميم تصديقا له؟ وهل كان ﷺ معصوما من تصديق كل كاذب في خبر؛ فيعد تصديقه لحكاية تميم دليلا على صدقه فيها؟ ويعد ما يرد عليها من إشكال واردا على حديث له حكم المرفوع؟.. إن ما قالوه في العصمة لا يدخل فيه هذا، فالمجمع عليه هو العصمة في التبليغ عن الله تعالى، وعن تعمد عصيانه بعد النبوة.. وتصديق الكاذب لا يعد ذنبا.. ».

وممن نسج بعده على منواله: (محمد أبو رية)، وسيأتي نص كلامه -قريبا-.

وجاء بعده (أبو الأعلى المودودي) فنبز الحديث بأنه «أسطورة ووهم»!

=

=

وقال: «إن الأمر الذي تحققت فيه: أنه (أسطورة) هو ذلك الوهم الذي يؤكد أن الدجال محبوس في مكان ما».

وآخر من علمته كتب في هذا الحديث يرده د. حاكم المطيري في كتيبه «دراسة لحديث الجساسة، وبيان ما فيه من العلل في الإسناد والمتن».

قلت: ومن المتحقق علمه بين نقاد الحديث صحة إسناد حديث فاطمة بنت قيس، وبراءة متنه مما يستنكر، وإن كان فيه ما قد يستشكل على بعض الأذهان، ولا أعلم حتى ساعتي هذه من رده وطعن فيه من الأئمة المعتبرين قديما أو حديثا؛ بل البخاري مع إعراضه عن إخراجه، واكتفائه بإخراج حديث جابر الوارد في ابن صياد؛ سالكا في ذلك نوعا من مسالك الترجيح: قد صرح بصحته، كما سيأتي عليه البيان تفصيلا في موضعه من هذا المبحث.

وكذا صرح بصحته غير واحد من أئمة الحديث، منهم: الترمذي في قوله: «حسن صحيح غريب».

وصححه الدارقطني، وابن عبد البر، بل عده أبو نعيم الأصبهاني من الأحاديث المتفق على صحتها؛ بل لا تكاد ترى مصنفا في علوم الحديث إلا مثل به على رواية الأكابر عن الأصاغر، لرواية النبي ﷺ ما سمعه عن تميم للصحابة.

وعلى هذا؛ كان النظر منا متوجها إلى ما ثوره (رشيد رضا) وغيره على هذا الحديث من معارضات عقلية، فكان أبرز ما وجدناه منهم عليه من نقدات منتظم في المعارضات التالية:

المعارضة الأولى: أن الدواعي متوافرة لاستفاضة هذا الحديث لو كان حقيقة، ورواية الآحاد من الناس له مظنة قوية لنكارته.

وفي تقرير هذا الاعتراض، يقول (رشيد رضا):

«من علل الحديث: أنه من الأحاديث التي تتوفر الدواعي على نقلها بالتواتر، لغرابة موضوعه، ولاهتمام النبي ﷺ به، وجمعه الناس له، وتحديثه به على المنبر، واستشهاده بقول تميم على ما كان حدثهم به قبل إسلامه، ولسماع جمهور الصحابة له منه ﷺ، فمن غير المعقول ألا يروى إلا آحاديا؛ ويؤيده امتناع البخاري عن إخراجه في «صحيحه»، لشدة تحريه.. ».

المعارضة الثانية: على فرض صحة الواقعة، فإن النبي ﷺ لم يقر تميما رضي الله عنه على كل

=

=

حديثه، وأن في إبطاله ﷺ لبعض حديثه نزعا للثقة من باقيه، وعلى فرض تصديق النبي ﷺ لكله، فليس هو معصوما من تصديق الكذبة.

ولتقرير هذه الاعتراض المتفرع إلى اثنين، استشهد (رشيد رضا) بكلام للطيبي مفاده: أن ظاهر قوله ﷺ: «ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن؛ لا، بل من قبل المشرق ما هو.."، يدل على تصديقه لتميم أول الأمر، ثم كوشف ﷺ في موقفه بأنه في جهة المشرق، وليس في أحد البحرين، فأعقب (رشيد رضا) هذا النقل عنه بقوله:

«إن نفي النبي ﷺ لبعض قول تميم يبطل الثقة به كله، ويحصر عجبه ﷺ في شيء واحد منه لا يعرف بالرأي، وهو موافقته لما سبق إخباره به ﷺ من ظهور الدجال، وكونه لا يدخل مكة ولا المدينة، وإن بقي الإعجاب مما ذكر منه في محله.. ».

ثم انتقل إلى تقرير الشبهة الثانية في عدم عصمته ﷺ من تصديق الكاذب، وقد سبق كلامه في أصحاب الموقف الثاني من حديث الجساسة، فأغنى عن إعادته هنا.

المعارضة الثالثة: أن الحس يقضي بعدم صحة هذا الحديث، وبيان ذلك:

أن الجزيرة التي رفأ إليها تميم رضي الله عنه وأصحابه بسفينتهم لن تعدو أن تكون في إحدى البحار المحيطة بالجزيرة العربية أو القريبة منها، وكلها قد مسحها علماء البحار في هذه الأزمنة مسحا؛ فلو صح وجود هذه الجزيرة، ووجود الدجال فيها: لتوافرت هممهم على نقل ذلك، ولعرفه الناس.

وفي تقرير هذا، يتساءل (رشيد رضا) سؤال مستنكر:

«أين هذه الجزيرة التي رفأ إليها تميم وأصحابه في سفينتهم؟ إنها في بحر الشام، أو بحر اليمن؛ كما في اللفظ المرفوع -إن صح الحديث-؛ أي: في الجهة المقابلة لسواحل سورية من البحر المتوسط، أو الجهة المجاورة لشواطئ اليمن من البحر الأحمر: وكل من البحرين قد مسحه البحارة في هذه الأزمنة مسحا، وجابوا سطحهما طولا وعرضا، وقاسوا مياههما عمقا عمقا، وعرفوا جزائرهما فردا فردا؛ فلو كان في أحدهما جزيرة فيها دير، أو قصر حبس فيه الدجال، وله جساسة فيها تقابل الناس، وتنقل إليه الأخبار: لعرف ذلك كله كل الناس».

ومثله (محمود أبو رية)، لكن بنبرة المستهزئ قال: «لعل علماء الجغرافيا يبحثون عن هذه الجزيرة، ويعرفون أين مكانها من البحر! ثم يخبروننا؛ حتى نرى ما فيها من غرائب التي حدثنا بها سيدنا تميم الداري رضي الله عنه.. ».

=

=

أما (محمد الغزالي)، فقد عبر عن هذه المعارضة نفسها بأسلوبه الأدبي المعهود، قائلا: «وهاكم موقفا آخر من واعظ يحب الحكايات، ويستنصت الناس بما تحوي من العجائب! قال: إن الدجال موجود الآن في إحدى الجزر ببحر الشام أو بحر اليمن، مشدود الوثاق، وقد رآه تميم الداري بعدما غرق في السفينة التي كان يركبها هو وصحبه، وتحادثوا معه، وهو على وشك الخروج! وقد حدثت بذلك فاطمة بنت قيس في سياق طويل!

قال لي طالب يسمع الدرس: هل يمكن أن نذهب في رحلة إلى هذه الجزيرة؛ لنرى الدجال؟

قلت له: وماذا تفعل برؤيته؟ الدجالون كثيرون، وإذا تحصنت بالحق نجوت منهم، ومن كبيرهم عندما يخرج!

قال: ألم يزر أحد هذه الجزيرة بعد تميم الداري؟

فآثرت السكوت، وحرفت الطالب عن الموضوع بلباقة.

إن أساطيل الرومان، والعرب، والترك، والصليبيين؛ تجوب البحر الأبيض المتوسط والأحمر من بضعة عشر قرنا، ولم تر هذه الجزيرة؛ وفي عصرنا هذا طرق كل شبر في البر والبحر، والتقطت صور لأعماق المحيطات عن طريق الأقمار الصناعية، فأين تقع هذه الجزيرة؟!.. ».

المعارضة الرابعة: أن الحديث معارض بقول النبي ﷺ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم»:

فلو كان الدجال موجودا وقتها لهلك قبل تمام المائة، ولعارض ما ثبت قطعا من خروجه قبيل الساعة.

يقول محمد العثيمين (ت ١٤٢١ هـ) في تقرير هذه المعارضة: «ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ قال: «إنه على رأس مائة سنة، لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد»، فإذا طبقنا هذا الحديث على حديث تميم الداري رضي الله عنه، صار معارضا له؛ لأن ظاهر حديث تميم الداري رضي الله عنه أن هذا الدجال يبقى حتى يخرج، فيكون معارضا لهذا الحديث الثابت في الصحيحين».

المعارضة الخامسة: أن في طلب النبي ﷺ لتأييد رجل من أهل الكتاب لما كان يحدث به: حط من شأنه، واستغنائه بتصديق الله تعالى له في القرآن الكريم:

=

=

يقول (جعفر السبحاني): «إذا كان ﷺ هو أعلم الأمة، فكتابه هو المهيمن على جميع الكتب السماوية.. فإذا كان الأمر كذلك، فما هي الحاجة للحصول على تأييد تميم الداري لصحة كلامه؟! وهذا يحط من شأن النبي ﷺ وكتابه المنزل، فتميم الداري أحوج إلى تأييد النبي ﷺ».

* دفع المعارضات الفكرية المعاصرة عن حديث الجساسة

أما عن المعارض الأول: وهو دعوى رد الحديث لعدم استفاضته، مع توفر الدواعي لذلك، فالجواب عنه:

أن تلك الدواعي لنقل الحديث متواترا كما قررها (رشيد رضا) لا توجب أن يكون الحديث كذلك من جهة واقع الرواية، فإن عددا من المرويات قد توفرت لها ذات الشروط لم تبلغنا بالتواتر، هي مع ذلك مما يقر (رشيد رضا) بصحتها بلا شك، مثل خطبة حجة الوداع، وقد كانت في جمع لم يعرف الإسلام مثله عددا في عهد النبوة، ومع ذلك لم يروها إلا آحاد قلائل.

فإن قيل: قد يستشكل على هذا الجواب أمور، منها:

أن أهل الأصول على أن خبر الواحد فيما تتوافر الدواعي على نقله، إذا انفرد الواحد بروايته عن باقي الخلق لم يقبل؛ لكون الدواعي على نقله متوفرة عقلا وطبعا؛ إما لغرابته، وإما لتعلقه بأصل من أصول الدين، ولم يخالف في هذا إلا الإمامية، فقالوا بقبوله.

وحديث الجساسة هذا يشبه أن يكون من هذا النوع الذي تتوافر الدواعي لنقله عن جمع لا عن فرد، فهي خطبة عامة، خصها النبي ﷺ بالنداء، وحضرها جمع من المسلمين رجالا ونساء، وقد حوت من أعاجيب الأخبار ما حوت.

والذي أراه سديدا في رد هذا الاستشكال، أن يقال:

ليس الحديث غريبا فردا كما توهمه من رد الحديث، فقد شارك فاطمة بنت قيس في روايتها هذه الحادثة بعض أصحاب النبي ﷺ، حيث قال ابن حجر عند شرحه للحديث: «قد توهم بعضهم أنه غريب فرد، وليس كذلك، فقد رواه مع فاطمة بنت قيس: أبو هريرة، وعائشة، وجابر».

والتحقيق عندي أن الحديث قد تابع فاطمة فيه اثنان من الصحابة لا ثلاثة كما قال ابن حجر، أعني بالاثنين: أبا هريرة، وعائشة؛ فأما جابر فلا يثبت عنه؛ وتفصيل ذلك في

=

=

الآتي:

أما حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فقد جاء من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي في آخر روايته لحديث فاطمة بنت قيس، يقول فيه الشعبي: «.. فلقيت المحرر بن أبي هريرة، فحدثته حديث فاطمة بنت قيس، فقال: أشهد على أبي أنه حدثني كما حدثتك فاطمة، غير أنه قال: قال رسول الله: إنه نحو المشرق.. ».

ومجالد بن سعيد هذا وإن كان ضعيفا في الأصل، لكن تابعه عن الشعبي: سليمان بن أبي سليمان الشيباني، وهو ثقة حافظ، حديثه في غنى عن متابعة ثقة، فضلا عن مثل مجالد.

وكذا المحرر في روايته عن والده أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحديثه بما في حديث فاطمة، قد جاء له شاهد عن أبيه من طريق: محمد بن أبي بكر المقدمي، عن سعد بن زياد، عن نافع مولى حمنة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ استوى على المنبر، فقال: حدثني تميم الداري، فرأى تميما في ناحية المسجد، فقال: قم يا تميم، فحدث الناس بما حدثتني، فقال: كنا في جزيرة في البحر.."، وذكر حديث الجساسة.

وهذا إسناد وإن لم يكن بالمتين، لكن يصلح مثله مقويا لحديث المحرر بن أبي هريرة؛ ويتحصل من ذلك ثبوت حديث تميم في الجساسة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما متابعة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

فقد جاءت من نفس طريق مجالد بن سعيد السابق آخر رواية الشعبي، حيث ورد فيه مع سؤاله للمحرر عن حديث فاطمة: سؤاله لمحمد بن القاسم عن قصة تميم، فكان جواب محمد له بقوله: «أشهد على عائشة أنها حدثتني كما حدثتك فاطمة.. ».

وكما الحال في رواية المحرر، قد صحت هذه الفقرة عن عائشة من نفس طريق سليمان الشيباني، غير أن المسئول فيه ليس محمد بن القاسم -كما في رواية مجالد بن سعيد- بل عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو الصحيح في إسناده.

وأما عن متابعة جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فالصواب أن لا أصل لهذا الحديث عنه! فلست أراه إلا من تخاليط الوليد بن جميع وأوهامه، إذ جعله عن أبي سلمة عن جابر، والصواب المعروف فيه أنه: عن أبي سلمة عن فاطمة بنت قيس كما قال الدارقطني؛ وقد نص ابن عدي على أن الوليد لم يتابع

=

=

عليه، وعده من مناكيره، واستغربه ابن كثير جدا.

فلا وجه عندي لاكتفاء ابن حجر والألباني بظاهر هذا الإسناد لتحسينه وهو بهذا النحو من العلة.

ومحصل القول: أن خبر تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس غريبا تفردت به صحابية -كما توهم من أنكره من المعاصرين- بل شهد لصدقه من الصحابة أبو هريرة، وعائشة، وناهيك بهذين إمامة في الحفظ والدين.

فكان حق الحديث أن يعرف بالشهرة لا الغربة،

والمشهور من الحديث مقبول في ما توافرت الدواعي إلى نقله، حتى الحنفية قبلوه في ما تعم به البلوى، مع أنهم يشترطون فيه التواتر خلافا للجمهور، فحكم المشهور عندهم حكم المتواتر في هذا الباب.

ولعمري؛ إن الواحد من أولاء الصحب الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، لتكفينا شهادته على نفسه في ما سمعه أو رآه من نبيه ﷺ لنصدقه فيه، ولو كان عجيب المخبر، واسع المحضر، فكيف باتفاق ثلاثتهم على رواية نفس المشهد؟ ثم كيف لو رواه أكثر من هؤلاء، لكن لم تتصل بنا روايتهم من جهة التدوين؟!

ولذا قال ابن حجر: «دل ورودها علينا من رواية عائشة أم المؤمنين، وأبي هريرة، وجابر وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، على أن جماعة آخرين رووها، وإن لم تتصل بنا روايتهم».

هذا كله مما ينفي عن فاطمة تهمة الوهم أو الخلط في ما روته من قصة تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فليت شعري؛ كيف بعد ذلك يقال في مثلها أنها وهيت في حفظها لحديث نبيها إلى دركة التخليط بين خطبة سمعتها منه ﷺ على المنبر حين حدث عن الدجال، وقصة مستقلة سمعتها عن تميم؟!.. كما يزعمه أحد الباحثين.

أي غفلة هذه بلغت صاحبها أن يسمع كلام يسرده قصاص يؤنس به سامعيه، ثم ينسب ما سمعه بطوله إلى المعصوم ﷺ؟! أليس هذا الخرف بعينه؟!

هل يعلم صحابي وقع في مثل هذا الخلط المشين بين خبرين متباينين، بل النحل على النبي ﷺ ما لم يقله! وبهذه الصورة الفجة الدالة على اختلاط صاحبها وشديد غفلته؟!

أي عاقل يجيز أن تقع مثل تلك الفقيهة في مثل ما ادعي عليها، وقد راكمت في عين حديثها من قرائن الحفظ، ومعايشتها لتفاصيل أحداثه، ما ينبي عن شديد تثبت منها في الإخبار، ويحيل أي احتمال لخلط الأخبار؟!

=

=

فلقد ذكرت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت بأذنها النداء للصلاة، وأنها إنما ذهبت إلى المسجد تجيبه، حتى ذكرت مكان جلوسها بتدقيق! ثم شرعت في وصف مشهد ما رأته من حركات النبي ﷺ قبل كلماته، وكيف ضحك بدء خطابهم، وماذا قال للناس تسكينا لارتياعهم، وكيف أن الجمع كان منه جراء خبر سر به، ثم هو بعد سرد ما جرى من تفاصيل القصة، استشهد فاطمة ومن معها من الحضور بـ: «ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟»، فذكرت إجابتهم له بنعم، ثم أنه ﷺ ختم خطبته إعجابا بحديث تميم أن وافق ما حدثهم به قبل عن الدجال، لتنهي هذا السرد العجيب بما رأته من إشارته بيده الشريفة إلى مكان خروجه.

فمثل هذا لا يكون أبدا عن وهم، لا يكون إلا عن تعمد اختلاق! وقد برأ الله فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تقع في مثله؛ وقد علمنا متابعة غيرها لها فيه.

وكان من جليل فهم ابن القيم لأنماط الخطاب ودلالاته، أن جعل ما حدثت به فاطمة دليلا في نفسه على صدق خبره، وفضل راويته، كما في قوله: «إذا شئت أن تعرف مقدار حفظها وعلمها، فاعرفه من حديث الدجال الطويل الذي حدث به رسول الله ﷺ على المنبر، فوعته فاطمة وحفظته، وأدته كما سمعته، ولم ينكره عليها أحد مع طوله وغرابته».

نعم؛ لم ينكره عليها أحد البتة، وعلى مثل هذه الحال يتنزل تقرير المازري حين قال: «إن الصاحب إذا روى مثل هذا الأمر العجيب، وأحال على حضوره فيه مع سائر الصحابة، وهم يسمعون روايته ودعواه حضورهم معه، ولا ينكرون ذلك عليه، فإن ذلك تصديق له يوجب العلم بصحة ما قال».

فمن ظن بها بعد كل هذا ظن سوء في التحديث، فإنا سائلوه:

لم لم يتنبه أحد من الأئمة قبلك طيلة قرون إلى هذه العلة في خبرها حتى خرجت علينا تلوح باكتشافك؟!

أين الأمة من دعوى التعليل هذه؟

من جرؤ من علمائها على رمي صحابية بالتضعيف أو التخليط كما فعلت؟

فهذا عامر الشعبي، وهو الذي سمع من فاطمة حديثها عن النبي ﷺ في وصف الدجال، وسمع منها أيضا حديثها في الجساسة، لم يدع عليها هذا الخلط أو تطرق الوهم إليها في مزجهما، وقد كان أولى أن يتنبه لذلك!

=

=

ثم أئمة العلل بعده أجدر الناس أن يوفقوا لبيان ذلك، وأولى أن يعلوا حديثها بهذا الانفراد المدعى.

بل أنا أقول: إن في نفس تفرقتها بين هذين الخبرين وهي تحدث بهما، لأكبر دليل على تثبتها ومزيد عنايتها وتمييزها لما تنميه إلى نبيها ﷺ من غيره!

يبقى إشكال أخير قد يشوش به على أذهان من يعتقد صحة حديث فاطمة هذا، وهو: أن عددا من الصحابة رضي الله عنهم ظل على اعتقاد أن ابن صياد هو الدجال، أو كان يرتاب فيه على أقل تقدير، حتى بعد وفاة النبي ﷺ، مع أنه قد خطب فيهم قبل بقصة تميم، من هؤلاء: ابن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وابن عمر، وأخته حفصة، وجابر بن عبد الله، وكان يحلف على ذلك، فلما سئل عن حلفه هذا قال: «إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ، فلم ينكره النبي ﷺ».

فالفرض في حديث الجساسة أن يكون قاطعا للنزاع في ماهية ابن صياد بكونه غير المسيح الدجال، فإن هذا محبوس في جزيرة، فلم بقوا على اعتقاد ذلك فيه؟

وما يمكننا الجواب به عن هذا جوابان، يكمل أحدهما الآخر:

أما الأول: فيقال فيه باحتمال جهل من ذكر بقصة تميم: فإنا لا نتخرص القول بأن حضور الخطبة كان غفيرا، بل لعله مشهد قد فوته كثير من الصحابة، خاصة أنه كان فجاءة، ثم بعض الغائبين لم تبلغه بعد مع ذلك، لغيابه وقتها عن المدينة مدة، أو لم يكن من شأنه الرواية أصلا، إلى غير ذلك من أعذار ربنا أعلم بها.

وفي تقرير هذا الجواب يقول أبو جعفر الطحاوي:

«إن قال قائل: فكيف بقي ابن مسعود، وأبو ذر، وجابر رضي الله عنهم على ما كانوا عليه فيه مما قد رويته عنهم في هذا الباب مما قالوه فيه بعد النبي ﷺ؟

فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه: أنه قد يحتمل أن ذلك كان منهم لأنهم لم يعلموا بما كان من رسول الله ﷺ بما حدث به الناس عن تميم الداري رضي الله عنه، ولا من سروره به، فقالوا في ذلك ما قالوا.. ».

وإلى مثله نحا البيهقي في جوابه، فقال:

«إن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد،.. وكأن الذين يجزمون بابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جدا؛ إذ كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شبه المحتلم، ويجتمع به النبي ﷺ ويسأله،

=

=

أن يكون في آخرها شيخا كبيرا مسجونا في جزيرة من جزائر البحر، موثقا بالحديد، يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا؟

فالأولى أن يحمل على عدم الاطلاع.

أما عمر: فيحتمل أن يكون ذلك منه قبل أن يسمع قصة تميم، ثم لما سمعها لم يعد إلى الحلف المذكور».

وأما الجواب الثاني: فلعل ظاهر حديث تميم رضي الله عنه لم يكن قاطعا في نفي كون ابن صياد الدجال عند من رماه به من الصحابة، لما ظنه من قرائن تقطع في مجموعها بكونه هو، كما جرى لجابر في اعتقاده، حيث شهد حلف عمر رضي الله عنه عند النبي ﷺ بأنه هو، فاستصحب ما كان اطلع عليه من عمر رضي الله عنه بالحضرة النبوية، فظن هذا إقرارا قاطعا على صدق المحلوف عليه.

وهذا بخلاف قصة تميم، إذ كانت ظنية في دلالتها في نفي ذلك عنه؛ ذلك أن ما رآه أمر عجيب خارج عن العادة، فمحتمل أن يكون ما لقيه شيطانا صور له الدجال، أو كان قرينه، فصار يتكلم إلى تميم بلسان الدجال، كأنه من باب التمثيل له، وهذا أمر عجب لا شك.

وأمر الدجال ملتبس على كل الأحوال، يتوقع منه أي شيء مخالف للمألوف.

وفي تقرير ذلك يقول المعلمي: «قد يأذن الله تعالى للشياطين -لحكمة خاصة- فيتمثلون في صور يراها من حضر، فأما الجساسة: فشيطان، وأما الدجال: فقد قال بعضهم إنه شيطان، وعلى هذا فلا إشكال، كشف الله تعالى لتميم وأصحابه فرأوا الدجال وجساسته وخاطبوهما، ثم عاد حالهما إلى طبيعة الشياطين من الاستتار، وإن كان الدجال إنسانا: فلا أرى ذلك إلا شيطانا مثل في صورة الدجال.. ».

نعم؛ كان بعض السلف ممن عايش تميما في الشام يعتقد في الدجال المحبوس في الجزيرة أنه شيطان، كجبير بن نفير، وعمرو بن الأسود، وكثير بن مرة، ويزيد بن شريح، وشريح بن عبيد، والمقدام بن معدي يكرب وهو صحابي رضي الله عنه! هؤلاء كلهم كانوا يقولون: «الدجال ليس إنسانا، إنما هو شيطان في بعض جزائر البحر، موثق بسبعين حلقة، لا يعلم من أوثقه.. ».

ولا أستبعد أن يكون أصل هذا الاعتقاد في الدجال مأخوذا عن تميم نفسه، فإن من هؤلاء من سمع تميما، أو سمع ممن سمع منه؛ كما لا يبعد أن يكون بعضهم قد تلقاه

=

=

أيضا من بعض الكتابيين، لكن مجرد تقريرهم لطبيعة هذا الدجال المحبوس كاف في عدم امتناع ذلك فيه.

الشاهد عندي من هذا:

أن حديث تميم قد تطرق إليه احتمال في ماهية أشخاصه عند جابر، بصرف النظر عن قوة هذه الاحتمالات من ضعفها؛ خلافا لما وقع في نفس جابر من ابن صياد، إذ كان انطباق صفات الدجال عليه، وجزم عمر به، مع إقرار النبي ﷺ له على حلفه فيما رآه، وكان الحق يجري على لسان عمر وقلبه: كل هذا أورث في نفس جابر نوع قطع بأن ابن صياد هو الدجال، فقدم هذا القطع منه على ما في حديث تميم من ظن في الماهية، والله تعالى أعلم.

ويغلب على ظني أن هذا المسلك من جابر في الترجيح عينه هو ما مشى عليه البخاري في كتابه، فإنه لما اشتد التباس الأمر في هذه الأخبار، «اقتصر في كتابه على حديث جابر عن عمر في ابن صياد، ولم يخرج حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم» كما قال ابن حجر، وهذا منزع منه حسن في توجيه اختيار البخاري.

وليس يعني أن البخاري يضعف حديث فاطمة -كما توهمه (رشيد رضا) حين رأى «الصحيح» خاليا منه، فظنه تضعيفا من مصنفه له- كلا؛ فإنه وإن لم يخرج حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها إلا أنه قد نطق بتصحيحه.

وذلك فيما نقله عنه تلميذه الترمذي؛ قال: «سألت محمدا عن هذا الحديث -يعني: حديث الجساسة- فقال: «يرويه الزهري عن أبي سلمة، عن فاطمة ابنة قيس،.. وحديث الشعبي عن فاطمة بنت قيس في الدجال: هو حديث صحيح».

فلم يحمله رجحان حديث جابر رضي الله عنه عنده على الطعن في حديثنا هذا.

وعلى ذلك نقول:

إن الرجحان المقصود من كلام ابن حجر فيما تعلق بترجيح البخاري إنما هو رجحان دلالة، لا رجحان صحة أو ضعف؛ قد أبان ابن حجر نفسه عن مراده من ترجيح البخاري في بعض جواباته المنشورة، مما يزيل ذاك التوهم عن تقريره الذي في «الفتح».

فقلد سئل عن حديث الجساسة: هل فيه علة لأجلها لم يخرجه البخاري، مع أنه ليس في الباب شيء يغني عنه؟

فأجاب ابن حجر بقوله: «ليست له علة قادحة تقتضي ترك البخاري لتخريجه،.. والذي

=

=

عندي أن البخاري أعرض عنه لما وقع من الصحابة رضي الله عنهم في أمر ابن صياد، ويظهر لي: أنه رجح عنده ما رجح عند عمر وجابر وغيرهما رضي الله عنهم من أن ابن صياد هو الدجال، وظاهر حديث فاطمة بنت قيس يأبى ذلك، فاقتصر على ما رجح عنده، وهو على ما يظهر بالاستقراء من صنيعه: يؤثر الأرجح على الراجح، وهذا منه».

فكلا الحديثين عند البخاري في حيز القبول -حديث فاطمة وحديث ابن صيا- كل ما في الأمر، أنه اختار أحدهما على الآخر ورجحه من حيث الدلالة على المطلوب، فإن «من عادات البخاري أنه إذا اختار جانبا، ذهب يهدر جانبا آخر، كأنه لم يرد فيه شيء»؛ فكذا شأنه مع حديث الجساسة، ترك أن يدخله «جامعه الصحيح»، إذ كان ظاهره معارضا لما اختاره من كون ابن صياد هو الدجال.

وطالما أن كتابه «الصحيح» معني فيه بالفقه وترجيح المعاني، اقتصر على الأرجح من حيث دلالته على المطلوب دون الراجح، والله أعلم.

أما عن المعارض الثاني: في دعوى (رشيد رضا) أن النبي ﷺ لم يقر تميما رضي الله عنه على كل حديثه، لمكاشفة الوحي له في ذلك، وفي هذا إبطال للثقة في باقيه.. إلخ:

فهذه دعوى مبتناة على غير تريث في تأمل الحديث، نتاج تجافي صاحبها عن أخبار الخوارق والغرائب، أدى به إلى رد هذا الحديث بمثل هذا الاعتراض الواهي؛ وإلا فهل يعقل أن ينقل النبي ﷺ كلاما عن أحد من الناس ليستشهد به على أمر غيبي ديني كان يخبر به، ويجمع له الناس، ويشهدهم عليه، ثم هو في قرارة نفسه غير مصدق به أصلا ولا مقر له؟!

ويعجب المرء من قول (رشيد رضا) أن الرسول ﷺ قد يصدق الكاذب، في سياق كلامه عن تصديق النبي ﷺ لصحابي جليل مثل تميم الداري!

ثم يذهب مذهبا بعيدا حين يحمل على الحديث، فيؤديه ذلك إلى الطعن براويه تميم! وقد ثبتت صحبته رضي الله عنه، وحسن إسلامه، وزكاه عمر رضي الله عنه؛ هذا مع اعتراف رشيد بأن أحدا لم يذكر فيه شبهة، ومع ذلك بقي رشيد مصرا على الغمز فيه بقوله للقراء بعد كل الفضائل فيه: «.. وستعلم ما فيه!»، مدعيا «أن نفي النبي ﷺ لبعض قول تميم يبطل الثقة به كله»!

إن غاية ما أخبر به تميم رضي الله عنه النبي ﷺ وصف ما جرى له مع من خاطبه بالدجال، فلم يحدد هو مكان الدجال ولا حيث خروجه حتى يقال: أن الوحي كاشف النبي ﷺ في

=

=

غلط كلامه!

فمكان الدجال وخروجه أمر نطق به النبي ﷺ ابتداء من عنده حيث اجتهد، ولا علاقة لتميم رضي الله عنه به.

وعلى فرض أن المكاشفة كانت لكلام تميم رضي الله عنه نفسه؛ فإن بطلان كلام المعترض في تضاعيف دعواه نفسها! إذ لولا أن النبي ﷺ قد أقره على خبره، ما جعل بروز الدجال من بحر الشام أو بحر اليمن، إذ هما البحران المتوقع ضياع سفينة تميم فيهما، فظن النبي بمقتضى كلام تميم رضي الله عنه أن الدجال في هذين، فكان كالفرع من الأصل، حتى كاشفه الوحي بخلاف اجتهاده هذا.

ثم يقال لـ (رشيد رضا): كيف للوحي أن يتنزل على نبينا ﷺ ليصحح له جهة خروج الدجال، ثم يسكت عن أكثر أباطيل القصة لو كانت باطلة؟! فيترك النبي ﷺ والمسلمين معه يصدقون هذا الباطل، بل ويوثقون تميما رضي الله عنه صاحب القصة، ويأخذون عنه بعد الأخبار من غير ريبة؟!

بل العقل الحصيف يفرض علينا القول بأن إخبار النبي ﷺ عن تميم الداري مصدقا له، لمن أجلى الأمثلة على أن ما تلقاه الرسول بالقبول من الأخبار موجب للعلم.

هذا؛ وما كان لنبينا ﷺ أن يصدق دعاوي المنافقين هكذا بإطلاق كما أفرط في دعواه (رشيد رضا)، وهو منه ذهول عن قوله تعالى: {ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين} [التوبة: ٦١]؛ فإنه هو ﷺ يصدق كلام المؤمنين، ولا يصدق المنافقين وإن سمع قولهم.

العجيب في هذا الادعاء من (رشيد)، أنه قد نقض شبهته هذه بنفسه عند تفسيره لهذه الآية السابقة! حيث قرر عندها أن النبي ﷺ «كان يعامل المنافقين بأحكام الشريعة وآدابها التي يعامل بها عامة المسلمين، كما أمره الله تعالى ببناء المعاملة على الظواهر، فظنوا أنه يصدق كل ما يقال له.. إي نعم؛ هو أذن، ولكنه نعم الأذن؛ لأنه أذن خير لا كما تزعمون، فهو لا يقبل مما يسمعه إلا الحق وما وافق الشرع.. ولا يصدق ما لا يجوز تصديقه شرعا أو عقلا»!

فالظاهر أن «هدف الشيخ رشيد كان نزع صبغة الإلزام الشرعي عن الحديث مهما كلف الأمر، فإن لم يكن مصنوعا، فهو ليس بمرفوع كله»؛ والله يغفر له.

وأما جواب المعارضة الثالثة في دعوى أن البحار قد مسحها البحارة في هذه الأزمنة

=

=

مسحا ... إلخ ما قالوا:

فهذا اعتراض شبه الريح، لأن العلم الحديث مع بلوغه في الاتساع والتطور شأوا عظيما؛ إلا أنه مع هذا الترقي في العلوم، ما زال الحس يقضي بقصور منجزاته عن الإحاطة بكل شيء، وليس عدم علم البحارة بما غبي عليهم بقاض لأن ينفي ما لم يعلموا؛ لأن عدم العلم بالشيء لا يسلبه حقيقة الوجود.

والذي ينبغي الإقرار به: أن الشرع الحكيم لا يأمر المكلف بالإيمان بأمر لا واقع له؛ فإن هذا منتف في تضاعيف الأدلة الشرعية، لكنه يأمر امتحانا وابتلاء بالإيمان لواقع مغيب غير مشهود، والمغالطة تنشأ حين يخلط بين البابين.

فإذا كان الأمر كذلك؛ فإن قبول أحاديث المصطفى ﷺ ليس مرهونا بتصحيح علوم بعض البشر القاصرة لها، بل علوم البشر مرهون قبولها بألا تخالف ما صح عن النبي ﷺ، فلا يترك المقطوع بصحته لأمر تعتوره الظنون، وتحيط به من كل جانب؛ والمتأمل في أحوال العلوم -مع تطورها نسبيا- يجد أنها في طور المهد بالنسبة لما يخفى علينا.

مثال على ذلك: ما نراه من اكتشافات للكهوف، ومعالم، وآثار كانت في حيز المجهول، عجزت التكنولوجيا من قبل عن اكتشافها؛ مع وقوع هذه المكتشفات في دائرة أراضي هؤلاء المكتشفين، فأولى أن يخفى عليها ما هو خارج عن أرضها!

ومما يدلك على تهافت هذا الادعاء أيضا: ما يربو إلى سمعك بين الفينة والأخرى عبر وسائل إعلام عالمية من أخبار كشوفات جديدة لجزر نائية، قد عمي عنها العالم المتقدم حقبا مديدة.

فهذه جزيرة بركانية تكشف جنوب طوكيو عاصمة اليابان قبل سنين قليلة!

وأخرى تظهر في نفس سنة الأولى في ساحل باكستان الجنوبي من بحر العرب!

وثالثة تكشف في شواطئ محافظة (أبين) باليمن، من قبل صياد عن طريق الصدفة! بعد أن أعمى الله عنها من تبجحوا بأنهم أحاطوا بكل بحري خبرا.

ولم نذهب بعيدا؟! فهذا كتاب ربنا يخبر عن انحباس يأجوج ومأجوج في السد منذ عهد ذي القرنين! وأنهم خارجون من ردمهم قبل قيام الساعة، وهذا بإجماع المسلمين، كما في قوله تعالى: {حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون (٩٦) واقترب الوعد الحق} [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧].

ولا أخال أحدا ذا دين وعقل يرتاب في هذه الآيات من سورة الكهف، بدعوى أن علماء

=

=

الجيولوجيا قد مسحوا الأرض مسحا، وجابوا سطح قاراتها طولا وعرضا، فلم يجدوا هذا السد، وأن أحدا منهم لم يلحظ ذاك الحفر.

فما كان جواب المعترض عن هذه الآية، فهو الجواب نفسه عن الحديث؛ والذي قدر على إطلاع تميم رضي الله عنه على هذه الجزيرة، قادر على أن يضل سائر الناس عنها، ليجري قدره على وفق ما قضى وأراد.

وحسما لمادة هذه المعارضة يقال:

إن الرب تبارك وتعالى إذا أراد شيئا هيأ أسبابه، فالله جل جلاله من حكمته أن أطلع تميما الداري رضي الله عنه على أمر الدجال؛ ليكون ذلك توكيدا لما كان يحدث به النبي ﷺ أصحابه من شأن الدجال، ولحكم أخرى نجهلها، «فيزداد المسلمون وثوقا به، وهذا بين في الحديث».

وأما دعوى المعارض الرابع: أن الحديث معارض بقول النبي ﷺ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم»؛ فيمكن كشف إشكاله بجوابين:

الأول: أن يكون النبي ﷺ إنما أراد بهذا الحديث «الآدميين المعروفين، وأما من خرج عن العادة، فلم يدخل في العموم، كما لم تدخل الجن، وإن كان لفظا ينتظم الجن والإنس، وتخصيص مثل هذا من مثل هذا العموم كثير معتاد».

والجواب الثاني: فيما حرره محمد الأمين الشنقيطي بعد ذكره لحديث تميم، قال:

«هذا نص صالح للتخصيص، يخرج الدجال من عموم حديث موت كل نفس في تلك المائة، والقاعدة المقررة في الأصول: أن العموم يجب إبقاؤه على عمومه، فما أخرجه نص مخصص خرج من العموم، وبقي العام حجة في بقية الأفراد التي لم يدل على إخراجها دليل، كما قدمناه مرارا، وهو الحق ومذهب الجمهور، وهو غالب ما في الكتاب والسنة من العمومات، يخرج منها بعض الأفراد بنص مخصص، ويبقى العام حجة في الباقي».

وحيث أورد العلامة العثيمين حديث انخرام القرن إشكالا على حديث الجساسة، فإنه مع ذلك لم يجزم بنكرانه كدأب المتعجلين من منكري السنن، بل اختار طريق السلامة، والتوقف في ما أشكل عليه؛ فعبارته قال فيها: «في نفسه منه شيء»، معترفا بتقصيره في تتبع أقوال العلماء في هذه المسألة؛ فلعله لو فعل، لانحاز إلى صفهم في قبولهم له.

فإن قيل تفريعا عن هذا الإشكال:

=

=

أليس في هذا الطول المفرط في عمر الدجال، من عهد النبي ﷺ إلى قرب قيام الساعة، ما يثبت له الخلود، وهو ما قد نفاه الله تعالى عن عموم البشر؟

فيقال في الجواب عليه: إن للخلود معنيين:

المعنى الأول: ما يراد به انتفاء الموت عن الشخص، «وهو البقاء الدائم»، وهو المراد من كون أهل الجنة وأهل النار المشركين خالدين فيهما، فإنهم باقون فيهما أبدا من غير موت ولا تحول.

المعنى الثاني: ما يراد به الطول المفرط في المكث متجاوزا المعهود، وإن استتبع عدم بقاء، وهو المقصود بآيات خلود بعض أهل الكبائر في النار من غير أهل الشرك.

وكلا هذين المعنيين قررهما الراغب الأصفهاني تعريفا للفظ الخلود، فقال: «الخلود: هو تبري الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها؛ وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد، تصفه العرب بالخلود، كقولهم للأثافي: خوالد، وذلك لطول مكثها، لا لدوام بقائها».

فعلى هذا نقول: إن كان المقصود بالخلود في هذا الاعتراض ما كان بالمعنى الأول: أي انتفاء الموت عن الشخص ودوام بقائه: فليس في جميع أخبار الدجال ما يفهم ذلك، بل الوارد فيها مقتله على يد المسيح ابن مريم عليه السلام بعيد نزوله آخر الزمان، ثم يعيش الناس بعد موته سنوات مديدة.

وإن كان المقصود بالخلود معنى اللبث الطويل الخارج عن العادة: فليس في الشرع ما ينفي ذلك عن أحد إذا ما صح فيه الخبر؛ والدجال كل أمره خارق للعادة، وقد علمت حاله من العجب، فلا يصح أن يقاس على سائر الأسواء من البشر

وعليه نفهم أن نفي الله عز وجل لخلود أحد من بني آدم في قوله: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون} [الأنبياء: ٣٤]، إنما هو نفي للخلد بالمعنى الأول، أي نفي البقاء في الدنيا من غير موت، أي: أنه «لا يخلد في الدنيا بشر، فلا أنت يا محمد ولا هم إلا عرضة للموت؛ فإذا كان الأمر كذلك، فإن مت أنت أيبقى هؤلاء؟»، ولذلك أعقبت الآية بقوله: {كل نفس ذائقة الموت} [الأنبياء: ٣٥].

وأما جواب المعارض الخامس؛ في دعوى أن استشهاد النبي ﷺ برجل كتابي على ما كان يحدث المسلمين به: حط من شأنه.. إلخ، فيقال فيه:

إن النبي ﷺ لم يكن المبادر ابتداء إلى إشهاد تميم الداري رضي الله عنه لما كان يخبر به عن

=

وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في المصدر (٢/ ٢٠): عن قول بعض أهل العلم: إن الرسل الذين أنذروا أقوامهم الدجال لم ينذروهم بعينه، وإنما أنذروهم بجنس فتنته؟.

فأجاب: هذا القول الضعيف، بل هو نوع من التحريف؛ لأن الرسول ﷺ أخبر بأنه ما من نبي إلا أنذر به قومه بعينه كما في صحيح مسلم، أن النبي ﷺ قال: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب»، وسبق لنا بيان الحكمة من إنذار الرسل به، ولكن يجب علينا أن نعلم أن جنس هذه الفتنة موجود حتى في غير هذا الرجل، يوجد من بني آدم الآن من يضل الناس بحاله، ومقاله، وبكل ما يستطيع، وتجد أن الله - سبحانه وتعالى - بحكمته أعطاه بيانا وفصاحة: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} . فعلى المرء إذا سمع مثل هذه الفتن التي تكون لأهل البدع من أناس يبتدعون في العقائد، وأناس يبتدعون في السلوك، وغير ذلك، يجب عليه أن يعرض هذه البدع على الكتاب والسنة، وأن يَحْذَرَ ويُحَذِّرَ منها، وأن لا يغتر بما تكسى به من زخارف القول، فإن هذه الزخارف، كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

=

الدجال، بل تميم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو من وفد إليه فأخبره عفوا بما جرى له مع الدجال؛ فلما أن وافق ما كان يحدث به النبي ﷺ أصحابه، أعجبه ﷺ ذلك، فأخبر بالقصة استزادة في يقين السامعين، وتثبيتا لإيمانهم؛ وليس من رأى كمن سمع!

ثم ما العيب، وهذا القرآن نفسه قد أمر النبي ﷺ بإشهاد بعض أهل الكتاب على صدق نبوته، مع أن نبوته قد شهد له بها الوحي نفسه، فقال تعالى: {قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب} [الرعد: ٤٣]؛ ولكن الغرض إقامة الحجة على الكافرين، وزيادة يقين المؤمنين، وهذا أمر مطلوب شرعا.

فإذا كان استشهاد النبي ﷺ لأهل الكتاب جائزا في خبر كلي متعلق بأصل النبوة، فكيف لهذا المعترض أن ينكر استشهاد النبي ﷺ بأحد المسلمين في خبر جزئي متعلق بخبر فرعي من أخبار النبوة؟! والله الموفق للحق.

فالدجال المعين لا شك أن فتنته أعظم شيء يكون، لكن هناك دجاجلة يدجلون على الناس، ويموهون عليهم، فيجب الحذر منهم، ومعرفة إراداتهم ونياتهم، ولهذا قال الله تعالى في المنافقين: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}. مع أنه قال: {وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ}. يعني بيانه، وفصاحته، وعظمه، يجرك جرّا إلى أن تسمع، لكن كأنهم خشب مسندة، حتى الخشب ما هي قائمة بنفسها، مسندة تقوم على الجدار فهي لا خير فيها.

فهؤلاء الذين يزينون للناس بأساليب القول سواء في العقيدة، أو في السلوك، أو في المنهج يجب الحذر منهم، وأن تعرض أقوالهم، وأفعالهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما خالفهما فهو باطل مهما كان، ولا تقولن: إن هؤلاء القوم أعطوا فصاحة وبيانا لينصروا الحق، فإن الله تعالى قد يبتلي فيعطي الإنسان فصاحة وبيانا، وإن كان على باطل، كما ابتلى الله الناس بالدجال وهو على باطل بلا شك.

(باب ذكر مباحث الصحابة)

مسائل في الباب:

المسألة الأولى: تعريف الصحابي.

أولا تعريفه في اللغة: الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربته، ومن ذلك الصاحب، والجمع: الصحب؛ ومن الباب: أصحب فلان: إذا انقاد، وكل شيء لائم شيئا فقد استصحبه.

ويقال صحبه يصحبه صحبة بالضم، وصحابة بالفتح، وصاحبه: عاشره، والصاحب: المعاشر، والجمع: أصحاب، والصحابة بالفتح: الأصحاب؛ ويقال: استصحبه: أي دعاه إلى الصحبة ولازمه؛ وأصحب البعير والدابة: أي: انقادا،

وأصحبت الناقة: أي: انقادت واسترسلت وتبعت صاحبها.

وفي الكفاية للخطيب (ص: ١٠٠): حدثني محمد بن عبيد الله المالكي انه قرأ على القاضي أبى بكر محمد بن الطيب قال لا خلاف بين أهل اللغة في ان القول صحابي مشتق من الصحبة وانه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيرا كما ان القول مكلم ومخاطب وضارب مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب وجار على كل من وقع منه ذلك قليلا كان أو كثيرا وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال وكذلك يقال صحبت فلانا حولا ودهرا وسنة وشهرا ويوما وساعة فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره وذلك يوجب في حكم اللغة اجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم ومع ذلك فقد تقرر للامة عرف في انهم لا يستعملون هذه التسمية الا فيمن كثرت صحبته واتصل لقاؤه ولا يجرون ذلك على من لقى المرء ساعة ومشى معه خطى وسمع منه حديثا فوجب لذلك ان لا يجرى هذا الاسم في عرف الاستعمال الا على من هذه حاله ومع هذا فان خبر الثقة الأمين عنه مقبول ومعمول به وان لم تطل صحبته ولا سمع منه الا حديثا واحدا.اهـ.

ثانيا: أما تعريف الصحابي في الإصطلاح فقد اختلف فيه العلماء، فذهب أنس بن مالك كما في مقدمة ابن الصلاح (ص١١٩) إلى أن رؤية النبي ﷺ غير كافية لاعتبار الرجل صحابيا، فقد سئل: هل بقي أحد من الصحابة غيرك؟ فقال: بقي ناس من الأعراب، فأما صحبة فلا، واشترط سعيد بن المسيب لكي يعد الرجل صحابيا أن يقيم مع رسول الله ﷺ سنة أو ستين ويغزو معه غزوة أو غزوتين.

ويذكر ابن الصلاح في المقدمة (ص١١٨ - ١١٩) أن الأصوليين يرون أن اسم الصحابي من حيث اللغة والظاهر يقع على من طالت صحبته للنبي ﷺ وكثرت

مجالسته له عن طريق التبع والأخذ عنه.

قال الباقلاني كما في الكفاية (ص١٠٠): "لا خلاف بين أهل اللغة أن القول "صحابي" مشتق من الصحبة وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره، قليلًا كان أو كثيرًا...، وكذلك يقال: صحبت فلانًا حولًا، ودهرًا، وسنة، وشهرًا، ويومًا، وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم، ومع ذلك فقد تقرر للأئمة عرف في أنهم لا يستعملون هذهالتسمية إلا فيمن كثرت صحبته واتصل لقاؤه، ولا يجرون ذلك على من لقي المرء ساعة ومشى معه خطى وسمع منه حديثًا، فوجب لذلك أن لا يجري هذا الاسم في عرف الاستعمال إلا على من هذه حاله.اهـ.

وقال أبو حامد الغزالي كما في أسد الغابة (١/ ١٣): "لا ينطبق اسم الصحبة إلا على من صحبه، ثم يكفي في الاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة، ولكن العرف يخصصه بمن طالت صحبته".اهـ.

وقد ذهب أهل الحديث مذهبا آخر في تعريف الصحابة، فقال الإمام أحمد كما أسد الغابة (١/ ١٣): "أصحاب رسول الله ﷺ كل من صحبه شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه".

وقال البخاري في الصحيح (٥ - ٢): "إن كل مسلم رأى رسول الله ﷺ فهو من الصحابة".

وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٥): "وقد وجدت ما جزم به البخاري من تعريف الصحابي في كلام شيخه علي بن المديني، فقرأت في "المستخرج" لأبي القاسم ابن منده بسنده قال علي بن المديني: من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو

من أصحاب النبي ﷺ"ا. هـ

وقال أبو المظفر السمعاني كما في مقدمة ابن الصلاح (ص ١١٨ - ١١٩): "أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحبة على كل من روى عن النبي حديثا أو كلمة، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة".

قال الحافظ زين الدين العراقي في التقييد والإيضاح (ص: ٢٥١): بعد ذكر التعريفات السابقة والاعتراضات عليها -: "فالعبارة السالمة من الاعتراض أن يقال: الصحابي من لقي النبي ﷺ مسلمًا ثم مات على الإسلام، ليخرج بذلك من ارتد ومات كافرًا كعبد الله بن خطل وربيعة بن أمية ومقيس بن ضبابة ونحوهم".

وقال الحافظ في الإصابة (١/ ٧ - ٨): وأصح ما وقفت عليه من ذلك: أن الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

وقولنا: "به" يخرج من لقيه مؤمنًا بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.

ويخرج بقولنا: "ومات على الإسلام" من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردته كعبيد الله بن جحش وكعبد الله بن خطل، ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد".

وقال: "فلو ارتد ثم عاد إلى الإسلام لكن لم يره ثانيًا بعد عوده، فالصحيح أنه معدود في الصحابة لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس في الصحابة، وعلى

تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد، وهو ممن ارتد ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر".اهـ.

(فرع): هل يشمل من اجتمع به بعد موته ﷺ وقبل دفنه - يعني حضر وصلى على النبي ﷺ؟ في هذا خلاف: فمنهم من يقول: إنه إذا حضر النبي ﷺ بعد موته وقبل دفنه فهو صحابي؛ لأن نبوته ﷺ لا تنقطع بموته.

ومنهم من قال: ليس بصحابي؛ لأنه اجتمع بالنبي ﷺ وهو ميت.

قال ابن النجار (٢/ ٤٦٦): وقولنا: "حيا" احتراز ممن رآه بعد موته كأبي ذؤيب الشاعر خالد بن خويلد الهذلي؛ لأنه لما أسلم وأخبر بمرض النبي ﷺ: سافر ليراه، فوجده ميتا مسجى فحضر الصلاة عليه والدفن، فلم يعد صحابيا، وعده ابن منده في الصحابة، وقال: مات على الحنيفية. وفي "شرح التدريب"، ومن عده من الصحابة فمراده الصحبة الحكمية، دون الاصطلاحية.

المسألة الثانية: فضل الصحابة

اعلم وقانا الله وإياك الفتن، ما ظهر منها وما بطن أن أصحاب محمد ﷺ هم أفضل أصحاب لأفضل نبي، وخاصة الخلفاء الأربعة الراشدين المهديين.

قال الله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) التوبة/ ١٠٠. قال ابن كثير رحمه الله: "قد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم " انتهى. "تفسير ابن كثير" (٤/ ٢٠٣)، وقال الله تعالى عن المهاجرين: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) الحشر/ ٨، وقال سبحانه عن الأنصار: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من

قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر/ ٩، وقال عن الذين جاءوا من بعدهم من المؤمنين: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) الحشر/ ١٠. أما ما حصل بين الصحابة من الاختلاف والاقتتال: فيجب علينا الكف عنه، مع اعتقاد أنهم أفضل الأمة، ومحبتهم والترضي عنهم، وعلى هذا تتابعت كلمة أهل السنة والجماعة.

قال إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ- في عقيدته (ص٨٠ - ٨١): ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساويهم التي شجرت بينهم فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدا منهم أو تنقص أو طعن عليهم أو عرض بعيبهم أو عاب واحدا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والإقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع.اهـ.

وسئل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ عن علي وعثمان والجمل وصفين وما كان بينهم؟ فقال: (تلك دماء كف الله يدي عنها، وأنا أكره أن أغمس لساني فيها).

"الطبقات الكبرى" (٥/ ٣٩٤).

وقال الطحاوي في الطحاوية: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.اهـ.

قال شارح الطحاوية (٤٦٩): فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؛ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة؛ قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسى. وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد، ولم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة.اهـ.

وروى الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية (ص:٤٩) بإسناده إلى أبي زرعة الرازي أنه قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة.اهـ.

وقال البغوي في شرح السنة (١/ ٢٢٩): قال مالك: من يبغض أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ وكان في قلبه عليه غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ قوله سبحانه وتعالى: {ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى} إلى قوله: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان} الآية، وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار} إلى قوله: {ليغيظ بهم الكفار}، ثم قال: من

أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي ﷺ فقد أصابته هذه الآية.اهـ.

وقال أبو عثمان الصابوني في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث: ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم أو نقصا فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم.اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره (١٦/ ٣٢١): لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله ﷻ، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم.اهـ..

وقال ابن أبي زيد القيرواني وهو بصدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ وما ينبغي أن يذكروا به قال: وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب.اهـ.

ونقل الحافظ في الفتح (٤/ ٣٦٥) عن أبي المظفر السمعاني أنه قال: التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة.اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية (ص:٢٨): وهم مع ذلك (يعني أهل السنة والجماعة) لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر عن أحد

منهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله.اهـ.

وقال شيخ الإسلام في إجابته على سؤال في معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه -: لا يجوز لعن أحد من أصحاب النبي ﷺ ولا سبه، ومن لعن أحدا منهم كمعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ونحوهما، أو من هو أفضل منهما كأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وغيرهما، أو من هو أفضل من هؤلاء، كطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، أو عائشة أم المؤمنين، وغير هؤلاء من أصحاب النبي ﷺ، فإنه مستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين. وتنازع العلماء، هل يعاقب بالقتل أو بما دون القتل؟).

وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٤): اتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا وأن المصيب يؤجر أجرين.اهـ.

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب في مختصر سيرة الرسول ﷺ (٢٣٨) أجمع أهل السنة على السكوت عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ولا يقال فيهم إلا الحسنى فمن تكلم في معاوية أو غيره من الصحابة فقد خرج عن الإجماع والله سبحانه وتعالى أعلم.

(فرع): عدالة الصحابة

يعتقد أهل السنة والجماعة أن للصحبة شرفا عظيما، يمنح صاحبها ميزة خاصة، بل يرون أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، لمشاهدة رسول الله ﷺ، هذا لمن رآه، أما من اتفق له الذب عنه، والسبق إليه بالهجرة، أو النصرة، أو ضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده، فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة إلا والذي سبق بها له مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر بذلك فضلهم.

قال ابن عمر رضي الله عنه وهو يتحدث عن فضائل الصحابة: (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة، خير من عمل أحدكم عمره)١.

وقال الإمام أحمد كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٦٠): فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال.اهـ.

وقال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٩٣): وفضيلة الصحبة، ولو لحظة، لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بالقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٧٨)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٥، ٢٠، ١٧٢٩، ١٧٣٦)، وابن ماجة (١٢٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٠٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٤٩)، والبيهقي في الاعتقاد (ص٣٢٣) والحديث قال عنه البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٢٤): إسناده صحيح رجاله ثقات، وحسنه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجة، وصححه العلامة الوادعي في الإلحاد الخميني في أرض الحرمين، وقال الأرنؤوط ومن معه في تحقيق سنن ابن ماجة (١/ ١١٢): إسناده قوي.

يشاء.اهـ.

فمذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى حين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اختار لصحبته وتلقي الشريعة عنه قوما هم أفضل هذه الأمة التي هي خير الأمم، فشرفهم بصحبة نبيه ﷺ، وخصهم في الحياة الدنيا بشرف رؤيته والنظر إليه، وسماع حديثه، وقد بلغوا عن رسول الله ﷺ ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها، فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ، والجهاد معه في سبيل الله، وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام، ولهم مثل أجور من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ، ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا.

ومعتقدهم في الصحابة وسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وسط بين المفرطين الغالين الذين يرفعون من يعظمون منهم إلى ما لا يليق إلا بالله أو برسله، وبين المفرطين الجافين الذين ينتقصونهم ويسبونهم، فهم وسط بين الغلاة والجفاة، يحبونهم جميعا وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، فلا يرفعونهم إلى ما لا يستحقون ولا يقصرون بهم عما يليق بهم، فألسنتهم رطبة بذكرهم الجميل اللائق بهم وقلوبهم عامرة بحبهم، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون، إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة، وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور، وليسوا بمعصومين، بل هم بشر يصيبون ويخطئون، ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم، وما أقل خطأهم، إذا نسب إلى خطأ غيرهم، ولهم من الله المغفرة والرضوان.

ولأهمية هذه المسألة فإن أهل السنة والجماعة يذكرون معتقدهم في الصحابة في كتب العقيدة، وكأنهم يجعلون منها علامة فارقة بينهم وبين غيرهم.

أما كتب مصطلح الحديث والأصول، فقد تكفلت بذكر عدالتهم وأدلة العلماء عليها، في حين ذكرت كتب السنة جملة كبيرة من الأحاديث التي ثبتت في فضلهم والثناء عليهم، ونوهت كتب التفسير بفضلهم عند تفسير الآيات التي تخص الصحابة.

لذلك فإن أهل السنة والجماعة يرون أن شرف الصحبة يضيف على صاحبه إطلاق مفهوم العدالة عليه، وهذا قول كل من يعتد به منهم، فإنهم يقولون بتعديل جميع أصحاب النبي ﷺ من أسلم منهم قبل الفتح، ومن أسلم بعده، ومن لابس الفتن أو لم يلابس.

قال ابن الصلاح في المقدمة (ص: ١٤٦ - ١٤٧): الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ولا يعتد بخلاف من خالفهم.اهـ.

وقال الشيخ تقي الدين كما في المسودة (ص: ٢٩٢): الذي عليه سلف الأمة وجمهور الخلف أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين عدول بتعديل الله تعالى لهم.اهـ.

وحكى ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٩) إجماع أهل السنة والجماعة على تعديل الصحابة.اهـ. وحكاه إمام الحرمين أيضا على ما ذكره الشوكاني في إرشاد الفحول (ص: ٦٩).

وقال شارح مسلم الثبوت (٢/ ٤٠١): إن عدالة الصحابة مقطوعة ولا سيما أصحاب بدر، وبيعة الرضوان، كيف لا وقد أثنى عليهم الله تعالى في مواضع عديد من كتابه، وبين رسول الله ﷺ فضائلهم غير مرة.اهـ.

وقال الحافظ الذهبي في الرواة الثقاة المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم (ص ٤): فأما الصحابة رضي الله عنهم فبساطهم مطوي وإن جرى ما جرى - إلى أن قال - إذ على عدالتهم وقبول ما نقلوه العمل وبه ندين الله تعالى.اهـ.

وقال ابن كثير في إختصار علوم الحديث (ص ٢٢٠): أن الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة.اهـ.

وبناء على ذلك، يرى أهل السنة والجماعة أن جهالة الصحابي لا تضر، فإذا قال التابعي عن رجل ممن صحب النبي ﷺ لم يؤثر ذلك في المروي، لأن الجهالة في الصحابة لا تضر.

قال الخطيب في الكفاية (ص ٩٣): كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم، سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن الكريم.اهـ.

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الصحابة رضي الله عنهم اكتسبوا هذا التعديل بتعديل الله تعالى لهم وثنائه عليهم، وثناء رسوله ﷺ وأن الحال التي كانوا عليها شاهدة على ذلك. انظر كتاب عدالة الصحابة رضي الله عنهم عند المسلمين.

المسألة الثالثة: حكم سب الصحابة رضي الله عنهم

ينقسم سب الصحابة ألى انواع، ولكل نوع من السب حكم خاص به. والسبب: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم من السب بعقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح ونحوهما. (الصارم المسلول). وسب الصحابة رضوان الله عليهم دركات بعضها شر من بعض، فمن سب بالكفر أو الفسق، ومن سب بامور دنيوية كالبخل، وضعف الرأي. وهذا السب أما أن يكون لجميعهم أو أكثرهم، أو يكون لبعضهم أو لفرد منهم، وهذا الفرد إما ان يكون ممن تواترت النصوص بفضله أو دون ذلك. وإليك تفاصيل وبيان أحكام كل قسم.

من سب الصحابة بالكفر والردة أو الفسق، جميعهم

فلا شك في كفر من قال بذلك لأمور من أهمها:

إن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وبذلك يقع الشك في القرآن والأحاديث، لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول.

إن في هذا تكذيبا لما نص عليه القرآن من الرضا عنهم والثناء عليهم (فالعلم الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي). (الرد على الرافضة ص١٩). ومن أنكر ما هو قطعي فقد كفر. إن في ذلك إيذاء له ﷺ، لأنهم أصحابه وخاصته، فسب المرء خاصته والطعن فيهم، يؤذيه ولا شك. وأذى الرسول ﷺ كفر كما هو مقرر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا حكم هذا القسم: (وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضا في كفره، لأنه مكذب لما نص القرآن في غير موضع، من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين..- إلى ان قال - وكفر هذا مما يعلم بالاضطرارمن دين الإسلام). (الصارم المسلول ٥٨٦ - ٥٨٧). وقال الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم الكلام - أي الخلاف - إنما هو في سب بعضهم، أما سب جميعهم فلا شك في أنه كفر). (الصواعق المحرقة ٣٧٩). ومع وضوح الأدلة الكلية السابقة، ذكر بعض العلماء أدلة اخرى تفصيلية، منها:

أولا: ما مر معنا من تفسير العلماء للآية الأخيرة من سورة الفتح، من قوله {محمد رسول الله والذين معه} إلى قوله {ليغيظ بهم الكفار} استنبط الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذه الآية كفر من يبغضون الصحابة، لان الصحابة يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه الشافعي وغيره. (الصواعق المحرقة ص٣١٧، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٤).

ثانيا: ما سبق ذكره من حديث أنس عند الشيخين أن النبي ﷺ قال: (آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الانصار)، وفي رواية: (لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق).

ولمسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (لا يبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر)، فمن سبهم فقد زاد على بغضهم، فيجب أن يكون منافقا لا يؤمن بالله ولا اليوم الآخر. (الصارم المسلولص٥٨١).

ثالثا: ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انه ضرب بالدرة من فضله على أبي بكر، ثم قال عمر: (أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا)، ثم قال عمر: (من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري). (فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ٣٠٠، وصححه ابن تيمية في الصارم ص٥٨٥).

وكذلك قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب: (لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري). (فضائل الصحابة ١/ ٨٣، والسنة لابن ابي عاصم ٢/ ٥٧٥ عن طريق الحكم بن جحل وسنده ضعيف لضعف أبي عبيدة بن الحكم، انظر فضائل الصحابة ١/ ٨٣، لكن له شواهد أحدهما من طريق علقمة عن علي عند ابن ابي عاصم في السنة ٢/ ٤٨، حسن الالباني إسناده، والأخر عن سويد بن غفلة عن علي عند الالكائي ٧/ ١٢٩٥).

فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل عليا على أبي بكر وعمر، أو يفضل عمرا على أبي بكر، مع ان مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب، علم عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير. (الصارم المسلول ص ٥٨٦).

❊من سب بعضهم سبا يطعن في دينهم كأن يتهمهم بالكفر أو الفسق، وكان ممن

تواترت النصوص بفضله. (بعض العلماء يقيد ذلك بالخلفاء، والبعض يقتصر على الشيخين، ومن العلماء من يفرق باعتبار تواتر النصوص بفضله او عدم تواترها، ولعله الأقرب والله اعلم، وكذلك بعض من يكفر ساب الخلفاء يقصر ذلك على رميهم بالكفر، والآخرون يعممون بكل سب فيه طعن في الدين): فذلك كفر على الصحيح، لأن في هذا تكذيبا لامر متواتر.

روى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون، قال: ((من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، أنهم كانوا على ضلال وكفر، قتل، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل ذلك نكل النكال الشديد). (الشفا للقاضي عياض ٢/ ١١٠٩).

وقال هشام بن عمار: (سمعت مالكا يقول: من سب ابا بكر وعمر، قتل، ومن سب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قتل، لأن الله تعالى يقول فيها: {يعظكم الله أن تعودوا لمثله ابدا إن كنتم مؤمنين} فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرين قتل). (الصواعق المحرقة ص٣٨٤).

أما قول مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الرواية الأخرى: (ومن سب أبا بكر، جلد، ومن سب عائشة، قتل. قيل له: لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن).

فالظاهر -والله اعلم- أن مقصود مالك رَحِمَهُ اللَّهُ هنا في سب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما هو دون الكفر، ويوضحه بقية كلامه عن عائشة رضي اللع عنها، حيث قال: (من رماها فقد خالف القرآن) فهذا سب مخصوص يكفر صاحبه - ولا يشمل كل سب - وذلك لأنه ورد عن مالك القول بالقتل فيمن كفر من هو دون أبي بكر. (الشفا ٢/ ١١٠٩).

قال الهيثمي مشيرا إلى ما يقارب ذلك عند كلامه عن حكم سب أبي بكر: (فيتلخص ان سب أبي بكر كفر عند الحنفية، وعلى أحد الوجهين عند الشافعية، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد، فليس بكفر. نعم قد يخرج عنه ما مر عنه في

الخوارج أنه كفر، فتكون المسألة عنده على حالين: إن اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفره وإلا كفره)). (الصواعق ص ٣٨٦).

وقال أيضا: (وأما تكفير أبي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي، والذي أراه الكفر فيها قطعا). (الصواعق ص٣٨٥)

وقال الخرشي: (من رمى عائشة بما برأها الله منه... أو أنكر صحبة أبي بكر، أو إسلام العشرة، أو إسلام جميع الصحابة، أو كفر الأربعة، أو واحدا منهم، كفر). (الخرشي على مختصر خليل ٨/ ٧٤).

وقال البغدادي: (وقالوا بتكفير كل من أكفر واحدا من العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله ﷺ، وأكفروا من أكفرهن، أو أكفر بعضهن). (الفرق بين الفرق ص٣٦٠).

والمسألة فيها خلاف مشهور، ولعل الراجح ما تقدم، وأما القائلون بعدم تكفير من هذه حاله، فقد اجمعوا على أنه فاسق، لارتكابه كبيرة من كبائر الذنوب، يستحق عليه التعزير والتأديب، على حسب منزلة الصحابي، ونوعية السب. وإليك بيان ذلك: قال الهيثمي: (أجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق). (الصواعق المحرقة ص٣٨٣).

وقال ابن تيمية: (قال ابراهيم النخعي: كان يقال: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر، وكذلك قال أبو اسحاق السبيعي: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال الله تعالى فيها: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه}. وإذا كان شتمهم بهذه المثابة، فأقل مافيه التعزير، لأنه مشروع في كل معصية ليس فيها حد أو كفارة. وهذا مما لا نعلم فيه خلافا بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين بأحسان، وسائر أهل السنة والجماعة، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم والاستغفار لهم

والترحم عليهم... وعقوبة من اساء فيهم القول). (اللالكائي ٨/ ١٢٦٢ - ١٢٦٦).

وقال القاضي عياض: (وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل). (مسلم بشرح النووي ١٦/ ٩٣).

وقال عبد الملك بن حبيب: (من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراء منه أدب أدبا شديدا، وإن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر، فالعقوبة عليه اشد، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت). (الشفا ٢/ ١١٠٨).

فلا يقتصر في سب أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على الجلد الذي يقتصر عليه في غيره، لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة، فإذا انضاف إلى الصحبة غيرها مما يقضي الإحترام، لنصرة الدين وجماعة المسلمين وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبي ﷺ وغير ذلك، كان كل واحدة من هذه الأمور تقتضي مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه. (الصواعق المحرقة ص٣٨٧).

وعقوبة التعزير المشار إليها لا خيار للإمام فيها، بل يجب عليه فعل ذلك.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: (لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة، وخلده الحبس حتى يموت أو يرجع). (طبقات الحنابلة ١/ ٢٤، والصارم المسلول).

فانظر أخي المسلم إلى قول إمام اهل السنة فيمن يعيب أو يطعن بواحد منهم، ووجوب عقوبته وتأديبه.

ولما كان سبهم المذكور من كبائر الذنوب عند بعض العلماء فحكم فاعله حكم أهل الكبائر من جهة كفر مستحلها.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، مبينا حكم استحلال سب الصحابة: (ومن خص بعضهم بالسب، فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء، فإن اعتقد حقية سبه أو اباحته فقد كفر، لتكذيبه ما ثبت قطعا عن رسول الله ﷺ، ومكذبه كافر، وإن سبه من غير اعتقاد حقية سبه أو إباحته فقد تفسق، لأن سباب المسلم فسوق، وقد حكم البعض فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقا، والله أعلم). (الرد على الرافضة ص١٩).

وقال القاضي أبو يعلي – تعليقا على قول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ حين سئل عن شتم الصحابة، فقال: "ما أراه على الإسلام"، قال أبو يعلي: (فيحتمل أن يحمل قوله: ما أراه على الإسلام، إذا استحل سبهم، فإنه يكفر بلا خلاف، ويحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك مع اعتقاده تحريمه، كمن يأتي بالمعاصي...) ثم ذكر بقية الاحتمالات. (الصارم المسلول ص ٥٧١ وما قبلها).

يتلخص مما سبق فيمن سب بعضهم سبا يطعن في دينه وعدالته، وكان ممن تواترت النصوص بفضله، انه يكفر – على الراجح – لتكذيبه امرا متواترا.

أما من لم يكفره من العلماء، فاجمعوا على أنه من أهل الكبائر، ويستحق التعزير والتأديب، ولا يجوز للإمام أن يعفو عنه، ويزاد في العقوبة على حسب منزلة الصحابي. ولا يكفر عندهم إلا إذا استحل السب.

أما من زاد على الاستحلال، كأن يتعبد الله عَزَّ وَجَلَّ بالسب والشتم، فكفر مثل هذا مما لا خلاف فيه، ونصوص العلماء السابقة واضحة في مثل ذلك

وباتضاح هذا النوع بإذن الله، يتضح ما بعده بكل يسر وسهولة، ولذلك اطلنا القول فيه.

***من سب صحابي لم يتواتر النقل بفضله.**

قد بينا فيما سبق رجحان تكفير من سب صحابيا تواترت النصوص بفضله من جهة دينه، أما من لم تتواتر النصوص بفضله، فقول جمهور العلماء بعدم كفر من سبه، وذلك لعدم إنكاره معلوما من الدين بالضرورة، إلا أن يسبه من حيث الصحبة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: (وإن كان ممن لم يتواتر النقل بفضله وكماله، فالظاهر أن سابه فاسق، إلا أن يسبه من حيث صحبته لرسول الله ﷺ فإنه يكفر). (الرد على الرافضة ص١٩).

***من سب بعضهم سبا لا يطعن في دينهم وعدالتهم.**

لا شك أن فاعل ذلك يستحق التعزير والتأديب، ولكن من مطالعتي لأقوال العلماء في المراجع المذكورة، لم أر أحدا منهم يكفر فاعل ذلك، ولا فرق عندهم بين كبار الصحابة وصغارهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (واما إن سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء)، وذكر أبو يعلي من الأمثلة على ذلك اتهامهم بقلة المعرفة بالسياسة. (الصارم المسلول ص٥٨٦).

ومما يشبه ذلك اتهامهم بضعف الرأي، وضعف الشخصية، والغفلة، وحب الدنيا، ونحو ذلك، وهذا النوع من الطعن تطفح به كتب التاريخ، وكذلك الدراسات المعاصرة لبعض المنسوبين لأهل السنة، باسم الموضوعية والمنهج العلمي. انظر كتاب اعتقاد أهل السنة في الصحابة.

المسألة الرابعة: لوازم سب الصحابة رضي الله عنهم.

تيقظ السلف الصالح رضوان الله عليهم لخطورة الطعن في الصحابة وسبهم،

وحذروا من الطاعنين ومقاصدهم؛ وذلك لعلمهم بما قد يؤدي إليه ذلك السب من لوازم باطلة تناقض أصول الدين، فقال بعضهم كلمات قليلة، لكنها جامعة...

قال الإمام مالك كما في الصارم المسلول (ص٥٨٠) عن هؤلاء - الذين يسبون الصحابة: إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه؛ حتى يقال رجل سوء، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين.اهـ.

وقال الإمام أحمد كما في البداية والنهاية (٨/ ١٤٢): إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام.اهـ.

وقال أبو زرعة الرازي كما في الكفاية (ص ٩٧): إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة.اهـ.

وقال أبو نعيم في تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة (ص ٣٤٤): فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه.اهـ.

ويقول أيضا في نفس المصدر السابق (ص ٣٧٦): لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين.اهـ.

وتحذير العلماء هنا عام يشمل جميع الصحابة، وتأمل قول إمام أهل السنة: (يذكر أحدا من الصحابة بسوء). وقول أبي زرعة: (ينتقص أحدا) فحذروا ممن ينتقص مجرد انتقاص أو ذكر بسوء. وذلك دون الشتم أو التكفير. ثم في واحد منهم وليس جميعهم، فماذا يقال فيمن سب أغلبهم؟!

وإليك أخي القارئ إيضاح لبعض لوازم السب:

أولا: يترتب على القول بكفر وارتداد معظم الصحابة أو فسقهم إلا نفرا يسيرا الشك في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وذلك لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول، إذ كيف نثق بكتاب نقله إلينا الفسقة والمرتدون - والعياذ بالله - ولذلك صرح بعض أهل الضلال والبدع ممن يسب الصحابة بتحريف الصحابة للقرآن، والبعض أخفى ذلك. وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث النبوية. فإذا اتهم الصحابة رضوان الله عليهم في عدالتهم، صارت الأسانيد مرسلة مقطوعة لا حجة فيها، ومع ذلك يزعم بعض هؤلاء الإيمان بالقرآن. فنقول لهم: يلزم من الإيمان به الإيمان بما فيه، وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم، وأن الله لا يخزيهم، وأنه رضي عنهم. إلخ، فمن لم يصدق ذلك فيهم، فهو مكذب لما في القرآن ناقض لدعواه.

ثانيا: هذا القول يقتضي أن هذه الأمة - والعياذ بالله - شر أمة أخرجت للناس، وسابقي هذه الأمة شرارها، وخيرها القرن الأول كان عامتهم كفارا أو فساقا وإنهم شر القرون. كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

ثالثا: يلزم من هذا القول أحد أمرين: إما نسبة الجهل إلى الله تعالى عما يصفون، أو العبث في هذه النصوص التي أثنى فيها على الصحابة، فإن كان الله ﷻ - تعالى عن قولهم - غير عالم بأنهم سيكفرون ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم الحسنى فهو جهل، والجهل عليه تعالى محال. وإن كان الله ﷻ عالما بأنهم سيكفرون فيكون وعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبث. والعبث في حقه تعالى محال، ويتبع ذلك الطعن في حكمته ﷻ، حيث اختارهم واصطفاهم لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام، فجاهدوا معه وآزروه ونصروه واتخذهم أصهارا له، حيث زوج ابنته ذا النورين عثمان رضي الله عنه، وتزوج ابنتي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فكيف يختار لنبيه أنصارا وأصهارا مع علمه بأنهم سيكفرون؟!

رابعا: لقد بذل رسول الله ﷺ جهودا خارقة في تربية الصحابة على مدى ثلاثة وعشرين عاما، حتى تكون بفضل الله ﷻ المجتمع المثالي في خلقه وتضحياته وزهده وورعه، فكان ﷺ أعظم مرب في التاريخ.

ولكن على العكس من ذلك، فإن جماعة تدعي الانتماء إلى الإسلام ونبي الإسلام، تقدم لهذا المجتمع صورة معاكسة، تهدم المجهودات التي قام بها النبي ﷺ في مجال التربية والتوجيه، وتثبت له إخفاقا لم يواجهه أي مصلح أو مرب، خبير مخلص لم يكن مأمورا من الله، كما كان الشأن مع رسول الله ﷺ.

إن الإمامية ترى أن المجهودات الجبارة التي بذلها محمد ﷺ -لم تنتج إلا ثلاثة أو أربعة- وفقا لبعض الروايات ظلوا متمسكين بالإسلام إلى ما بعد وفاته ﷺ أما غيرهم فقد قطعوا صلتهم بالإسلام - والعياذ بالله - فور وفاته ﷺ وأثبتوا أن صحبة النبي ﷺ وتربيته أخفقت ولم يعد لها أي تأثير.

وهذا الزعم يؤدي إلى اليأس من إصلاح البشرية، وعدم الثقة في المنهج الإسلامي وقدرته على التربية وتهذيب الأخلاق، وإلى الشك في نبوة محمد ﷺ، وذلك أن الدين الذي لم يستطع أن يقدم للعالم عددا وجيها من نماذج عملية ناجحة بناءة، ومجتمعا مثاليا في أيام الداعي وحامل رسالته الأول، فكيف يستطيع أتباعه ذلك بعد مضي وقت طويل على عهد النبوة؟! وإذا كان المؤمنون بهذه الدعوة لم يستطيعوا البقاء على الجادة القومية، ولم يعودوا أوفياء لنبيهم ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فلم يبق على الصراط المستقيم الذي ترك عليه النبي ﷺ أتباعه إلا أربعة فقط، فكيف نسلم أن هذا الدين يصلح لتزكية النفوس وبناء الأخلاق؟ وأنه يستطيع أن ينقذ الإنسان من الهمجية والشقاء، ويرفعه إلى قمة الإنسانية؟ بل ربما يقال لو أن النبي ﷺ كان صادقا في نبوته لكانت تعاليمه ذات تأثير، ووجد هناك من آمن به من

صميم القلب، ووجد من بين العدد الهائل ممن آمنوا به بعض المئات الذين ثبتوا على الإيمان، فإن كان أصحابه – سوى بضعة رجال منهم منافقين ومرتدين – فيما زعموا – فمن دام بالإسلام؟ ومن انتفع بالرسول ﷺ؟ وكيف يكون رحمة للعالمين؟! انظر كتاب اعتقاد أهل السنة في الصحابة.

المسألة الخامسة: وجوب عدم الخوض فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وذلك من أعظم الذنوب وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم.

وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي:

١ – قال تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) [الحجرات: ٩]. ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان حيث سماهم الله ﷻ مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم وإذا

كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم يخرجهم ذلك من الإيمان فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيمانا ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد.

٢- روى البخاري (٧١٢١)، ومسلم (١٥٧)عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان وتكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة).

فالمراد بالفئتين كما في الفتح (١٢/ ٣٠٣) جماعة علي وجماعة معاوية، والمراد بالدعوة الإسلام على الراجح وقيل المراد اعتقاد كل منهما الحق.

٣- وروى مسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق) والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقد وصف ﷺ الطائفتين معا بأنهما مسلمتان وأنهما متعلقتان بالحق، قال ابن كثير في البداية والنهاية) (٧/ ٢٧٩): فهذا الحديث من دلائل النبوة إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام، من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن عليا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدا، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علي هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» وسيأتي بيان كيفية قتال علي رضي الله عنه للخوارج، وصفة المخدج الذي أخبر عنه عليه السلام

فوجد كما أخبر ففرح بذلك علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسجد للشكر.اهـ.

٤- وروى البخاري (٣٦٢٩) بإسناده إلى أبي بكرة قال: بينا النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ: (ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين). ففي هذا الحديث شهادة من النبي ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا عليا ومن معه ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام ولذا كان يقول سفيان بن عيينة كما في السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٧٣)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/ ٢٣٣) (قوله: فئتين من المسلمين يعجبنا جدا). قال البيهقي في الاعتقاد (ص ١٩٨): وإنما أعجبهم لأن النبي ﷺ سماهما جميعا مسلمين وهذا خبر من رسول الله ﷺ بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان.اهـ. فهذه الثلاثة الأحاديث المتقدم ذكرها كلها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم من أمته١. كما وصفهم بأنهم جميعا متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) [الحجرات: ٩] وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم مجتهدون متأولون وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد شهد للفريقين بالحسنى فقد روى ابن جرير الطبري في تاريخه (٤/ ٤٩٦): (أن عليا لما وصل البصرة خطب

(١) وروى مسلم في صحيحه (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يكون في أمتي فرقتان؛ فيخرج من بينهما مارقة، يلي قتلهم أولاهم بالحق).

الناس فقام إليه أبو سلامة الدالاني فقال: أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله ﷻ بذلك قال: نعم قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعا قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدا؟ قال: إني لأرجو ألا يقتل أحد نقى قلبه الله إلا أدخله الله الجنة).

وروى ابن سعد بإسناده إلى محمد بن علي - المعروف بابن الحنفية - قال: قال علي: (إني لأرجو أن أكون وطلحة والزبير من الذين قال الله ﷻ: (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) [الحجر:٤٧])[١].

كما شهد رضي الله عنه بالحسنى للقتلى من الفريقين في موقعة صفين:

فقد روى ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٣٠٣) بإسناده إلى يزيد بن الأصم قال: (سئل علي عن قتلى يوم صفين فقال: قتلانا وقتلاهم في الجنة).

وشهادة علي رضي الله عنه للقتلى من الفريقين بالجنة شهادة حق وصدق لأن الباري جل وعلا أخبر بأنه وعد أصحاب رسول الله ﷺ بالجنة ووعده سبحانه حق وصدق لا خلف فيه.

قال تعالى: (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) [الحديد:١٠] فالخطاب في هذه الآية الكريمة موجه لأصحاب رسول الله ﷺ والوعد فيها بالجنة لجميعهم رضي الله عنهم فكل من صحب رسول الله ﷺ بنية صادقة ولو ساعة واستمر على الإيمان حتى مات فإنه من أهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب إلا أن الذين أسلموا من بعد الفتح وقاتلوا لا يلحقون من أسلم وقاتل قبل الفتح في المرتبة وعلو الدرجة وكلا وعد الله الجنة

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١١٣)، والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٩٥) وهو أثر حسن.

ورضي عنهم ومن كمال ورع علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه لم ينسب أحدا إلى الشرك أو إلى النفاق ممن قاتله من أهل القبلة بل كان يقول رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (هم إخواننا بغوا علينا) ذلك هو معتقد علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قتلى الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في موقعتي الجمل وصفين فقد شهد للقاتل والمقتول منهم بالجنة لأنهم لم يقصدوا بقتالهم إلا الحق والاجتهاد ولم يكونوا مقاتلين لغرض دنيوي أو لإيثار باطل أو لدافع الحقد حاشاهم من كل ذلك وقد ثبت كذلك أن أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ترحمت على من قاتلها يوم الجمل أو قتل معها من صحابة رسول الله ﷺ.

فقد ذكر ابن الأثير في الكامل (٣/ ٢٥٧ – ٢٥٨): أنها رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لما كانت بالبصرة بعد وقعة الجمل سألت يومئذ عمن قتل من الناس معها ومنهم عليها والناس عندها فكلما نعي واحد من الجميع قالت: يرحمه الله فقيل لها: كيف ذلك؟ قالت: كذلك قال رسول الله ﷺ: (فلان في الجنة، وفلان في الجنة).

وقولها رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: فلان في الجنة، وفلان في الجنة تعني بذلك من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وسماه مثل طلحة والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. ولقد تقدم معنا أن عليا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تصرف فيما خلفه القتلى في يوم الجمل تصرفا يدل على أن تلك الحرب لم تكن بين مسلمين وغير مسلمين وإنما هي حرب بين فريقين من المسلمين يرى كل فريق منهما أن الحق في جانبه حيث جمع كل مخلفات موقعة الجمل وبعث بها إلى مسجد البصرة وقال: (من عرف شيئا فليأخذه إلا سلاحا كان في الخزائن عليه سمة السلطان). وصلى على جميع القتلى من الفريقين ودفن كثيرا منهم في قبر كبير فدل عمله هذا دل على إيمانه أنهم جميعا كانوا يقاتلون اجتهادا لا عنادا ولا شهوة، ولا شفاء خصومة كانت بينهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين ومما ينبغي أن يعلم أن شهادة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالجنة للقتلى من الفريقين كما تقدم لا يدخل فيها من مرق عن الحق في إثارة الفتنة الأولى على عثمان

كما لا يعد من إحدى الطائفتين اللتين وصفتا بأنهما متعلقتان بالحق وإن قاتل معها والتحق بها لأن الذين تلوثت أيديهم ونياتهم وقلوبهم بالبغي الظالم على أمير المؤمنين عثمان - كائنا من كانوا - استحقوا إقامة الحد الشرعي عليهم سواء استطاع ولي الأمر أن يقيم عليهم هذا الحد أو لم يستطع وفي حالة عدم استطاعته، فإن مواصلتهم تسعير نار الحرب بين صالحي المسلمين كلما أحسوا منهم بالعزم على الإصلاح والتآخي كما فعلوا في وقعة الجمل وبعدها يعد إصرارا منهم على الاستمرار في الإجرام ما داموا على ذلك، فإذا قال أهل السنة والجماعة: إن الطائفتين كانتا على الحق فإنما يريدون أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا في الطائفتين ومن سار معهم على سنته ﷺ من التابعين.

فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم.

قال الإمام الآجري في كتاب الشريعة (٥/ ٢٤٨٥): ذكر الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ ورحمة الله تعالى عليهم أجمعين قال محمد بن الحسين رحمه الله: ينبغي لمن تدبر ما رسمناه من فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وفضائل أهل بيته رضي الله عنهم أجمعين أن يحبهم ويترحم عليهم ويستغفر لهم، ويتوسل إلى الله الكريم بهم (أي بحبهم) ويشكر الله العظيم إذ وفقه لهذا، ولا يذكر ما شجر بينهم ولا ينقر عنه ولا يبحث، فإن عارضنا جاهل مفتون قد خطئ به عن طريق الرشاد فقال: لم قاتل فلان لفلان ولم قتل فلان لفلان وفلان؟. قيل له: ما بنا وبك إلى ذكر هذا حاجة تنفعنا ولا اضطررنا إلى علمها. فإن قال: ولم؟ قيل له: لأنها فتن شاهدها الصحابة رضي الله عنهم فكانوا فيها على حسب ما أراهم العلم بها وكانوا أعلم بتأويلها من غيرهم،

وكانوا أهدى سبيلا ممن جاء بعدهم لأنهم أهل الجنة، عليهم نزل القرآن وشاهدوا الرسول ﷺ وجاهدوا معه وشهد لهم الله ﷻ بالرضوان والمغفرة والأجر العظيم، وشهد لهم الرسول ﷺ أنهم خير قرن. فكانوا بالله ﷻ أعرف وبرسوله ﷺ وبالقرآن وبالسنة ومنهم يؤخذ العلم وفي قولهم نعيش، وبأحكامهم نحكم وبأدبهم نتأدب ولهم نتبع وبهذا أمرنا. فإن قال: وإيش الذي يضرنا من معرفتنا لما جرى بينهم والبحث عنه؟. قيل له: ما لا شك فيه وذلك أن عقول القوم كانت أكبر من عقولنا، وعقولنا أنقص بكثير ولا نأمن أن نبحث عما شجر بينهم فنزل عن طريق الحق ونتخلف عما أمرنا فيهم. فإن قال: وبم أمرنا فيهم؟.

قيل: أمرنا بالاستغفار لهم والترحم عليهم والمحبة لهم والاتباع لهم، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول أئمة المسلمين، وما بنا حاجة إلى ذكر ما جرى بينهم، قد صحبوا الرسول ﷺ وصاهرهم وصاهروه، فبالصحبة يغفر الله الكريم لهم، وقد ضمن الله ﷻ في كتابه أن لا يخزي منهم واحدا وقد ذكر لنا الله تعالى في كتابه أن وصفهم في التوراة والإنجيل، فوصفهم بأجمل الوصف ونعتهم بأحسن النعت، وأخبرنا مولانا الكريم أنه قد تاب عليهم، وإذا تاب عليهم لم يعذب واحدا منهم أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. فإن قال قائل: إنما مرادي من ذلك لأن أكون عالما بما جرى بينهم فأكون لم يذهب علي ما كانوا فيه لأني أحب ذلك ولا أجهله. قيل له: أنت طالب فتنة لأنك تبحث عما يضرك ولا ينفعك ولو اشتغلت بإصلاح ما لله ﷻ عليك فيما تعبدك به من أداء فرائضه واجتناب محارمه كان أولى بك. وقيل: ولا سيما في زماننا هذا مع قبح ما قد ظهر فيه من الأهواء الضالة. وقيل له: اشتغالك بمطعمك وملبسك من أين هو؟ أولى بك، وتكسبك لدرهمك من أين هو؟ وفيما تنفقه؟ أولى بك. وقيل: لا يأمن أن يكون

بتنقيرك وبحثك عما شجر بين القوم إلى أن يميل قلبك فتهوى ما لا يصلح لك أن تهواه ويلعب بك الشيطان فتسب وتبغض من أمرك الله بمحبته والاستغفار له وباتباعه فتزل عن طريق الحق وتسلك طريق الباطل. فإن قال: فاذكر لنا من الكتاب والسنة وعمن سلف من علماء المسلمين ما يدل على ما قلت لترد نفوسنا عما تهواه من البحث عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم. قيل له: قد تقدم ذكرنا لما ذكرته مما فيه بلاغ وحجة لمن عقل، ونعيد بعض ما ذكرناه ليتيقظ به المؤمن المسترشد إلى طريق الحق: قال الله عز وجل: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا، يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار). ثم وعدهم بعد ذلك المغفرة والأجر العظيم، وقال الله عز وجل: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) وقال عز وجل: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم) إلى آخر الآية، وقال عز وجل: (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) الآية، وقال عز وجل: (كنتم خير أمة) الآية. وقال عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين) إلى آخر الآية، ثم إن الله عز وجل أثنى على من جاء بعد الصحابة فاستغفر للصحابة وسأل مولاه الكريم أن لا يجعل في قلبه غلا لهم، فأثنى الله عز وجل عليه بأحسن ما يكون من الثناء؛ فقال عز وجل: (والذين جاءوا من بعدهم) إلى قوله: (رءوف رحيم). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل اختار أصحابي على جميع العالمين إلا النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا، فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الأمم». وقال

ﷺ: «إن مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح». روي هذا عن الحسن، عن أنس، عن النبي ﷺ. قال: فكان الحسن إذا حدث بهذا يقول: قد ذهب ملحنا فكيف نصلح؟.

وقال ابن مسعود: إن الله ﷻ نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، وبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون على دينه قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقال لمن سمع هذا من الله ﷻ ومن رسول الله ﷺ: إن كنت عبدا موفقا للخير اتعظت بما وعظك الله ﷻ به، وإن كنت متبعا لهواك خشيت عليك أن تكون ممن قال الله ﷻ (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وكنت ممن قال الله ﷻ (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون). ويقال له: من جاء إلى أصحاب رسول الله ﷺ حتى يطعن في بعضهم ويهوى بعضهم ويذم بعضا ويمدح بعضا فهذا رجل طالب فتنة، وفي الفتنة وقع؛ لأنه واجب عليه محبة الجميع والاستغفار للجميع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ونفعنا بحبهم، ونحن نزيدك في البيان ليسلم قلبك للجميع وتدع البحث والتنقير عما شجر بينهم.اهـ.

وكتب أهل السنة مملؤة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها.

١- سئل عمر بن عبد العزيز كما في مناقب الشافعي (ص ١٣٦). عن القتال الذي بين الصحابة فقال: (تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر منها لساني مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها).

قال البيهقي كما في البداية والنهاية (٧/ ٣٠٣) معلقا على قول عمر بن عبد

العزيز رحمه الله تعالى: (هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب).

والمسلم مطلوب منه أن يتحرز من الوقوع في الخطأ، والحكم على بعض الصحابة بما لا يكون مصيبا فيه.

٢- قال عامر بن شراحيل الشعبي كما في الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٢) في المقتتلين من الصحابة: (هم أهل الجنة لقي بعضهم بعضا فلم يفر أحد من أحد).

٣- سئل الحسن البصري كما في الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٢) عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: (قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا).

ومعنى قول الحسن هذا كما قال القرطبي: (أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عندما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله ﷻ إذ كانوا غير متهمين في الدين).

٤- سئل جعفر بن محمد الصادق كما في الإنصاف للباقلاني (ص: ٦٩) عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: (أقول ما قال الله: علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى [طه: ٥٢]).

٥- قال الإمام أحمد كما في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ١٦٤) بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية قال: (ما أقول فيهم إلا الحسنى).

٦- وقال أبو بكر المروذي كما في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص١٢٦): سمعت أبا عبد الله وذكر له أصحاب رسول الله فقال: (رحمهم الله أجمعين ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري والمغيرة كلهم وصفهم الله تعالى في كتابه فقال: سيماهم في وجوههم من أثر السجود [الفتح: ٢٩]).

٧- قال إبراهيم بن آزر الفقيه كما في في تاريخ بغداد (٦/ ٤٤): حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال: اقرأ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون [البقرة: ١٤١]).

٨- وقال أبو الحسن الأشعري في الإبانة عن أصول الديانة (ص٧٨): فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم فإنما كان على تأويل واجتهاد، وعلي الإمام وكلهم من أهل الاجتهاد وقد شهد لهم النبي ﷺ بالجنة والشهادة فدل على أنهم كلهم على حق في اجتهادهم وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان على تأويل واجتهاد، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري ممن ينقص أحدا منهم رضي الله عن جميعهم.

٩- وقال ابن أبي زيد القيرواني في الرسالة (ص٩) في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ وما ينبغي أن يذكروا به فقال: (وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس - لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب).

١٠- وقال أبو نعيم الأصبهاني في الإمامة والرد على الرافضة (ص٣٤٣) مبينا حق الصحابة على المسلمين بعدهم وما يجب عليهم نحوهم: (فالواجب على المسلمين في أصحاب رسول الله ﷺ إظهار ما مدحهم الله تعالى به وشكرهم عليه من جميل أفعالهم وجميل سوابقهم وأن يغضوا عما كان منهم في حال الغضب والإغفال وفرط منهم عند استزلال الشيطان إياهم ونأخذ في ذكرهم بما أخبر الله تعالى به فقال تعالى: والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين

سبقونا بالإيمان [الحشر: ١٠] الآية فإن الهفوة والزلل والغضب والحدة والإفراط لا يخلو منه أحد وهو لهم مغفور ولا يوجب ذلك البراءة منهم ولا العداوة لهم ولكن يحب على السابقة الحميدة ويتولى للمنقبة الشريفة).

١١- وقال أبو عبد الله بن بطة في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (ص ٢٦٨) أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: (ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم).

١٢- قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني في الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص ٦٧ - ٦٩): ويجب أن يعلم: أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم من المشاجرة نكف عنه ونترحم على الجميع ونثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان ونعتقد أن عليا عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة رضي الله عنهم إن ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون والدليل عليه قوله تعالى: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا [الفتح: ١٨] وقوله ﷺ: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه، ويدل على صحة هذا القول: قوله ﷺ للحسن عليه السلام: (إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فأثبت العظم لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهم بصحة الإسلام وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من

صدورهم بقوله تعالى: ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين [الحجر: ٤٧]) إلى أن قال: (ويجب الكف عن ذكر ما شجر بينهم والسكوت عنه).

١٣- وقال أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١/ ١٢٩). في صدد ذكره لعرض عقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم ونقصا فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم).

١٤- وقال أبو الوليد بن رشد المالكي البيان والتحصيل (١٦/ ٣٦٠ - ٣٦١): (كلهم محمود على ما فعله، القاتل منهم والمقتول في الجنة فهذا الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده فيما شجر بينهم لأن الله تعالى قد أثنى عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله فقال عز من قائل: كنتم خير أمة أخرجت للناس [آل عمران: ١١٠] وقال: وكذلك جعلناكم أمة وسطا [البقرة: ١٤٣] أي: خيارا عدولا وقال رسول الله ﷺ: (عشرة من قريش في الجنة) فسمى فيهم عليا وطلحة والزبير والذي يقول أئمة أهل السنة والحق: إن عليا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومن اتبعه كانوا على الصواب والحق، وإن طلحة والزبير كانا على الخطأ إلا أنهما رأيا ذلك باجتهادهما فكان فرضهما ما فعلاه إذ هما من أهل الاجتهاد...) إلى أن قال: (والذي قلناه من أنهم اجتهدوا فأصاب علي وأخطأ طلحة والزبير هو الصحيح الذي يلزم اعتقاده فلعلي أجران لموافقته الحق باجتهاده ولطلحة والزبير أجر لاجتهادهما وبالله التوفيق).

١٥- وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره (١٦/ ٣٢١ - ٣٢٢): (لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عَزَّ وَجَلَّ وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم وألا نذكرهم

إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبهم وأن الله غفر لهم وأخبر بالرضا عنهم هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي ﷺ (أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض)[1] فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانا لم يكن بالقتل فيه شهيدا وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ في التأويل وتقصيرا في الواجب عليه لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل في طاعة فوجب حمل أمرهم على ما بيناه ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من أخبار علي بأن قاتل الزبير في النار، وقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بشر قاتل ابن صفية بالنار)[2] وإذا كان كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي ﷺ في طلحة (شهيد) ولم يخبر أن قاتل الزبير في النار وكذلك من قعد غير مخطئ في

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٣٩) والحاكم (٣/ ٤٢٤) والبغوي في تفسيره (٧/ ٥٢٨) وغيرهم والحديث قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الصلت وقد تكلم بعض أهل العلم في الصلت بن دينار وفي صالح بن موسى من قبل حفظهما وقال الحاكم: تفرد به الصلت بن دينار وليس من شرط هذا الكتاب وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: الصلت واه، وقد روي الحديث عن عدة من اصحابة بألفاظ مختلفة لذا قال العلامة الألباني في الصحيحة (١٢٦): وبالجملة فالحديث بهذه الطرق والشواهد يرتقي إلى درجة الصحة، وهي وإن اختلفت ألفاظها فالمؤدى واحد كما هو ظاهر وقد ثبته الحافظ في الفتح (٨ / ٣٩٨ - بولاق) والله أعلم، وانظر أيضا الصحيحة (١٢٥)، وانظر الصحيح المسند من فضائل الصحابة للعدوي (١٤٦).

(٢) الحديث ليس مرفوعا كما ذكر المصنف، وإنما هو من قول علي رضي الله عنه ولفظه عن زر بن حبيش، أن عليا قيل له: (إن قاتل الزبير على الباب. فقال: ليدخل قاتل ابن صفية النار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن لكل نبي حواريا، وإن الزبير حواري) أخرجه أحمد (٢/ ١٨١ -الرسالة)، الطيالسي (١٦٣)، ابن سعد (٣/ ١٠٥)، والبزار (٥٥٦، ٥٥٩)، والطبراني (٢٢٨، ٢٤٣) وقال الأرنؤوط ومنمعه في تحقيق المسند (٢/ ٩٨): إسناده حسن.

التأويل بل صواب أراهم الله الاجتهاد وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم وإبطال فضائلهم وجهادهم وعظيم عنائهم في الدين رضي الله عنهم) اهـ.

١٦- وقال النووي في شرح مسلم (١٨/ ١١) عند قوله ﷺ: (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)[١] واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله وكان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ لأنه مجتهد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب، ثم تأخروا عن مساعدته منهم).

وقال سبب الحروب التي وقعت بين الصحابة: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

وقسم: عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه.

وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك) وهذا هو التفسير الصحيح لمواقف الصحابة رضي الله عنهم في تلك الحروب وهو اللائق بحالهم رضي الله عنهم.

١٧- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية (ص: ١٧٣) في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: (ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون).

١٨- وقال الإمام الذهبي في السير (١٠/ ٩٢): تقرر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفوا القلوب، وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله تعالى حيث يقول: (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) [الحشر: ١٠] فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع منهم وجهاد محاء وعبادة ممحصة).

١٩- وقال الحافظ ابن كثير في الباعث الحثيث (ص: ١٨٢): (أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام فمنه ما وقع عن غير قصد كيوم الجمل ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين والاجتهاد يخطئ ويصيب ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضا: وأما المصيب فله أجران اثنان).

٢٠- وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٤) حاكيا على وجوب المنع من الطعن

على واحد من الصحابة بسبب ما حصل بينهم ولو عرف المحق منهم حيث قال: (واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا، وأن المصيب يؤجر أجرين).

٢١- قال الحكمي في معارج القبول (٣/ ١٣٩٨): أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة والاستغفار للقتلى من الطرفين والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر مناقبهم، عملا بقول الله عز وجل: والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان [الحشر:١٠] الآية، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد إن أصاب فله أجران، أجر على اجتهاده وأجر على إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور، ولا تقول إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك. وما روي من الأحاديث في مساويهم الكثير منه مكذوب، ومنه ما قد زيد فيه أو نقص منه وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون.اهـ.

٢٢- وقال العلامة العثيمين في شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٢٨٤): فالصحابة رضي الله عنهم وقعت بينهم بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نزاعات، واشتد الأمر بعد مقتل عثمان، فوقع بينهم ما وقع، مما أدى إلى القتال.

وهذه القضايا مشهورة، وقد وقعت بلا شك عن تأويل واجتهاد كل منهم يظن أنه على حق، ولا يمكن أن نقول: إن عائشة والزبير بن العوام قاتلا عليا رضي الله عنهم أجمعين وهم يعتقدون أنهم على باطل، وأن عليا على حق.

واعتقادهم أنهم على حق لا يستلزم أن يكونوا قد أصابوا الحق.

ولكن إذا كانوا مخطئين، ونحن نعلم أنهم لن يقدموا على هذا الأمر إلا عن اجتهاد، فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر)[1] فنقول: هم مخطئون مجتهدون، فلهم أجر واحد.

فهذا الذي حصل موقفنا نحن منه له جهتان: الجهة الأولى: الحكم على الفاعل. والجهة الثانية: موقفنا من الفاعل.

أما الحكم على الفاعل، فقد سبق، وأن ما ندين الله به أن ما جرى بينهم، فهو صادر عن اجتهاد، والاجتهاد إذا وقع فيه الخطأ، فصاحبه معذور مغفور له.

وأما موقفنا من الفاعل، فالواجب علينا الإمساك عما شجر بينهم لماذا نتخذ من فعل هؤلاء مجالا للسب والشتم والوقيعة فيهم والبغضاء بيننا، ونحن في فعلنا هذا إما آثمون وإما سالمون ولسنا غانمين أبدا.

فالواجب علينا تجاه هذه الأمور أن نسكت عما جرى بين الصحابة وأن لا نطالع الأخبار أو التاريخ في هذه الأمور، إلا المراجعة للضرورة.

ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم؛ منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص عن وجهه الصريح، والصحيح منه هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

قسم المؤلف الآثار المروية في مساويهم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما هو كذب محض لم يقع منهم، وهذا يوجد كثيرا فيما يرويه النواصب في آل البيت وما يرويه الروافض في غير آل البيت.

القسم الثاني: شيء له أصل، لكن زيد فيه ونقص وغير عن وجهه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وهذان القسمان كلاهما يجب رده.

القسم الثالث: ما هو صحيح، فماذا نقول فيه؟ بينه المؤلف بقوله: والصحيح منه هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

والمجتهد إن أصاب، فله أجران، وإن أخطأ، فله أجر واحد، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا حكم الحاكم، فاجتهد، ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم، فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر) فما جرى بين معاوية وعلى رضي الله عنهما صادر عن اجتهاد وتأويل، لكن لا شك أن عليا أقرب إلى الصواب فيه من معاوية، بل قد نكاد نجزم بصوابه، إلا أن معاوية كان مجتهدا.

ويدل على أن عليا أقرب إلى الصواب أن النبي ﷺ قال (ويح عمارا تقتله الفئة الباغية)[1]، فكان الذي قتله أصحاب معاوية، وبهذا عرفنا أنها فئة باغية خارجة على الإمام، لكنهم متأولون، والصواب مع علي إما قطعا وإما ظنا.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره.

وهناك قسم رابع: وهو ما وقع منهم من سيئات حصلت لا عن اجتهاد ولا عن تأويل: فبينه المؤلف بقوله:

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره.

لا يعتقدون ذلك، لقوله ﷺ: (كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧) عن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨، رقم ١٣٠٧٢)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٨٧)، وعبد بن حميد (ص ٣٦٠، رقم ١١٩٧)، والترمذى (٤/ ٦٥٩، رقم ٢٤٩٩)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٠، رقم ٤٢٥١)، والدارمى (٢/ ٣٩٢، رقم ٢٧٢٧)، وأبو يعلى (٢٩٢٢)، وابن حبان في =

ولكن العصمة في إجماعهم؛ فلا يمكن أن يجمعوا على شيء من كبائر الذنوب وصغائرها فيستحلوها أو يفعلوها.

ولكن الواحد منهم قد يفعل شيئًا من الكبائر، كما حصل من مسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش في قصة الإفك، ولكن هذا الذي حصل تطهروا منه بإقامة الحد عليهم.

بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر

يعني: كغيرهم من البشر، لكن يمتازون عن غيرهم بما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر.

هذا من الأسباب التي يمحو الله بها عنهم ما فعلوه من الصغائر أو الكبائر، وهو ما لهم من السوابق والفضائل التي لم يلحقهم فيها أحد، فهم نصروا النبي عليه الصلاة والسلام، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وبذلوا رقابهم لإعلاء كلمة الله، فهذه توجب

=

المجروحين (٢/ ١١١)، وابن عدي (٥/ ١٨٥٠)، والحاكم (٤/ ٢٧٢، رقم ٧٦١٧)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٥/ ٤٢٠، رقم ٧١٢٧) والحديث ضعفه كثير من العلماء من أجل علي بن مسعدة أحد رواته، منهم ابن عدي في الكامل (٦/ ٣٥٤)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ٨٧)، وابن القيسراني في التذكرة (٢٤٧)، والذهبي في تلخيص المستدرك، والعراقي في المغني (٤/ ٥٥)، والشيخ عمرو عبد اللطيف في أحاديث ومرويات في الميزان (٣/ ١٣٣)، والعدوي في تعليقه على المنتخب (٢/ ٢٣٠)، والأرنؤوط ومن معه في تحقيق المسند (٢٠/ ٣٤٤)، وخالفهم غيرهم فصححه ابن القطان في الوهم والإيهام (٥/ ٤١٤)، وقال الحافظ في البلوغ (٢/ ٤٤٨): إسناده قوي، وكذا قال ابن الديبع في تمييز الطيب من الخبيث (١٣٩)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٦٢٩٢)، وصححه ابن باز في مجموع فتاواه (٢/ ٢٧)، وحسنه العلامة الألباني في المشكاة (٢٢٨٠).

مغفرة ما صدر منهم، ولو كان من أعظم الذنوب، إذا لم يصل إلى الكفر.

ومن ذلك قصة حاطب بن أبي بلتعة: (حين أرسل إلى قريش يخبرهم عن مسير النبي ﷺ إليهم، حتى أطلع الله نبيه على ذلك، فلم يصلهم الخبر، فاستأذن عمر النبي ﷺ أن يضرب عنق حاطب، فقال النبي ﷺ: إنه شهد بدرا، وما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم)[1].

حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: إنهم خير القرون وإن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا من بعدهم، ثم إن كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتي بحسنات تمحوه. أو غفر له بفضل سابقته.

وذلك في قوله ﷺ: (خير الناس قرني)[2]، وفي قوله: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)[3] يعني: وإذا تاب منه، ارتفع عنه وباله ومعرته، لقوله تعالى: والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما، - إلى قوله: - إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]، ومن تاب من الذنب كمن لا ذنب له، فلا يؤثر عليه.

لقوله تعالى: إن الحسنات يذهبن السيئات [هود:١١٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لقوله تعالى: في الحديث القدسي في أهل بدر: (اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم).

أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته[١] أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا، فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم.

فإن البلاء في الدنيا يكفر الله به السيئات، كما أخبر بذلك النبي ﷺ في قوله: (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته، كما تحط الشجرة

(١) يدل على ذلك أحاديث كثيرة منها حديث أنس عن أم حبيبة مرفوعا (أريت ما تلقى أمتى من بعدى وسفك بعضهم دماء بعض وكان ذلك سابقا من الله كما سبق فى الأمم قبلهم فسألته أن يولينى شفاعة فيهم يوم القيامة ففعل) أخرجه أحمد (٦/ ٤٢٧، رقم ٢٧٤٥٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٥، ٨٠٠)، وفي الآحاد والمثاني (٣٠٧٧)، وفي الديات (٩٧)، والدارقطني في العلل (٥/ ١٨٤)، والطبرانى فى الأوسط (٥/ ٥٢، رقم ٤٦٤٨)، وفى الكبير (٢٣/ ٢٢٢، رقم ٤١٠)، والحاكم (١/ ١٣٨، رقم ٢٢٧) والحديث صححه الحاكم، وقال المنذرى في الترغيب (٤/ ٢٣٣، رقم ٥٤٩٧): رواه البيهقى فى البعث وصحح إسناده، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (١٤٤٠)، وقال الأرنؤوط ومن معه في تحقيق المسند (٤٥/ ٤٠٠): حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين. وقد رواه أبو اليمان الحكم بن نافع مرتين، كما سيأتي... ذكر الإمام أحمد عقب هذه الرواية، والدارقطني، أن هذا الحديث ليس محفوظا من حديث الزهري، وأن الصواب فيه أنه من حديث ابن أبي حسين، لكن الحاكم نقل بإسناده إلى أبي اليمان أنه قال: الحديث حديث الزهري، والذي حدثتكم به عن ابن أبي حسين غلطت فيه بورقة قلبتها، قلنا: والخطب في ذلك يسير، فإنه انتقال من ثقة إلى ثقة، والله أعلم.

ورقها)[1]. والأحاديث في هذا مشهورة كثيرة.

فهذه الأسباب التي ذكرها المؤلف ترفع القدح في الصحابة، وهي قسمان:

الأول: خاص بهم، وهو مالهم من السوابق والفضائل.

والثاني: عام، وهي التوبة، والحسنات الماحية، وشفاعة النبي ﷺ، والبلاء.

القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل جدا نزر أقل القليل، ولهذا قال: مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم.

ولا شك أنه حصل من بعضهم سرقة وشرب خمر وقذف وزنى بإحصان وزنى بغير إحصان، لكن كل هذه الأشياء تكون مغمورة في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، وبعضها أقيم فيه الحدود، فيكون كفارة.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله عليهم به من الفضائل، علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء.

فكل هذه مناقب وفضائل معلومة مشهورة، تغمر كل ما جاء من مساوئ القوم المحققة، فكيف بالمساوئ غير المحققة أو التي كانوا فيها مجتهدين متأولين.

هذا بالإضافة إلى ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قوله: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وعلي هذا تثبت خيرتهم على غيرهم من أتباع الأنبياء بالنص والنظر في أحوالهم.

فإذا نظرت بعلم وبصيرة وإنصاف في محاسن القوم وما أعطاهم الله من الفضائل، علمت يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، فهم خير من الحواريين أصحاب عيسي، خير من النقباء أصحاب موسى، وخير من الذين آمنوا من نوح ومع هود

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٧)، ومسلم (٢٥٧١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وغيرهم، لا يوجد أحد في أتباع الأنبياء أفضل من الصحابة ﷺ، والأمر في هذا ظاهر معلوم، لقوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس [آل عمران:١١٠]، وخيرنا الصحابة، ولأن النبي ﷺ خير الخلق، فأصحابه خير الأصحاب بلا شك، هذا عند أهل السنة والجماعة، أما عند الرافضة، فهم شر الخلق، إلا من استثنوا منهم، لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى.

وأما كون الصحابة صفوة قرون الأمة، فلقوله ﷺ: (خير الناس قرني) وفي لفظ: (خير أمتي قرني)، والمراد بقرنه: الصحابة، وبالذين يلونهم: التابعون، وبالذين يلونهم: تابعوا التابعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والاعتبار بالقرون الثلاثة بجمهور أهل القرن، وهم وسطه، وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يكن بقي من أهل بدر إلا نفر قليل، وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك وجمهور تابعي التابعين في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية. اهـ.

وكان آخر الصحابة موتا أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي سنة مائة من الهجرة، وقيل: مائة وعشر.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: واتفقوا على أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين.اهـ.

فهذه طائفة من كلام أكابر علماء أهل السنة والجماعة تبين منها الموقف الواجب على المسلم أن يقف من الآثار المشتملة على نيل أحد من الصحابة ﷺ أجمعين بسبب ما وقع بينهم من شجار وخلاف ومقاتلة خاصة في حرب الجمل بين

الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن معه وبين أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومن معهم. وأيضا في حرب صفين بين علي ومعاوية وهو صيانة القلم واللسان عن ذكر ما لا يليق بهم وإحسان الظن بهم والترضي عنهم أجمعين، ومعرفة حقهم ومنزلتهم والتماس أحسن المخارج لما ثبت صدوره من بعضهم واعتقاد أنهم مجتهدون والمجتهد مغفور له خطؤه إن أخطأ، وأن الأخبار المروية في ذلك منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه أو نقص منه حتى تحرف عن أصله وتشوه، كما تبين من هذه النقول المتقدم ذكرها أن عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة فيما شجر بينهم هو الإمساك، ومعنى الإمساك عما شجر بينهم وهو عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لأخرى وقد تقدم معنى قريبا من قول الذهبي رحمه الله تعالى بأن كثيرا مما حدث بين الصحابة من شجار وخلاف ينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه وأن كتمان ذلك متعين على العامة بل آحاد العلماء لأنه لا مصلحة شرعية ولا علمية من وراء نشر ذلك، أما من ناحية النظر العلمي المستقيم المهتدي بنصوص الشريعة فإن البحث في هذا الموضوع لا يمتنع إذا قصد به تبين أحكام الشريعة وما كان ذكر العلماء المعتبرين للحروب والخلافات التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم إلا على هذا السبيل، أو لبيان المواقف الصحيحة، وتصحيح الأغاليط التاريخية التي أثيرت حول مواقفهم في تلك الحروب رضي الله عنهم فعلى المسلم أن يعتقد فيما صح مما جرى بين الصحابة من خلاف أنهم فيه مجتهدون، إما مصيبون فلهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإما مخطئون فلهم أجر الاجتهاد، وخطؤهم مغفور وهم ليسوا معصومين بل هم بشر يصيبون ويخطئون ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم، وقد وعدوا من الله

بالمغفرة والرضوان، كما أنه يجب على كل مسلم أن يكون لسانه رطبا بالذكر الحسن والثناء الجميل على أصحاب رسول الله ﷺ ويحاول جهده في ذكر محاسنهم العظيمة وسيرتهم الحميدة ويتجنب ذكر ما شجر بينهم، هذه طريقة الصدر الأول من هذه الأمة والتي اتخذها أهل السنة والجماعة منهاجا في موقفهم نحو الصحابة رضي الله عنهم جميعا.

قال العوام بن حوشب كما في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (ص ١٦٥): (أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة بعضهم يقول لبعض: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ لتأتلف عليها القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم).

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

(فرع): بداية التشاجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، ودوافعه

إن قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ظلما وعدوانا من قبل الخارجين عليه من أهل مصر، وأهل الكوفة، وأهل البصرة سنة خمس وثلاثين للهجرة كان مصدر بدء التشاجر بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم والقارئ لكتب التواريخ والسير يخرج منها بأن بداية التشاجر بين خير القرون كان بعد قتل ثالث الخلفاء الراشدين وبداية خلافة أبي الحسن رضي الله عنهما.

أما دوافع التشاجر بين الصحابة، فإن أعظم دافع لهم إلى ذلك ليس إلا مطالبة الخليفة الرابع بوجوب الإسراع بأخذ القود من أولئك الأشرار قتلة عثمان رضي الله عنه وأرضاه ذلك أن طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أم المؤمنين عائشة وطلحة

والزبير ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين كانوا يرون أنه لابد من المطالبة بدم عثمان ووجوب الإسراع بإقامة حد الله عليهم كما أمر الله بينما كان يرى علي رضي الله عنه إرجاء الأمر حتى يبايعه أهل الشام ويستتب له الأمر ليتسنى له بعد ذلك التمكن من القبض عليهم لأنهم كانوا كثيرين في جيش علي ومن قبائل مختلفة وكانوا لهم بعض التمكن حينذاك.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٢٤٨ - ٢٤٩): ولما استقر أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم وطلبوا منه إقامة الحدود والأخذ بدم عثمان فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا اهـ ومما يؤكد أن سبب البداية للتشاجر بين الصحابة هو قتل عثمان رضي الله عنه أن عليا رضي الله عنه بعد أن بويع له بالخلافة شرع في إرسال عماله إلى الأمصار فكان من أرسله إلى الشام بدل معاوية سهل بن حنيف فسار حتى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية فقالوا: من أنت؟ فقال: أمير قالوا: على أي شي؟ قال: على الشام فقالوا: إن كان عثمان بعثك فحيهلا بك وإن كان غيره فارجع فقال: أو ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا بلى فرجع إلى علي، وأما قيس بن سعد بن عبادة - فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور، وقالت طائفة: لا نبايع حتى نقتل قتلة عثمان، وكذلك أهل البصرة، وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميرا على الكوفة فصده طليحة بن خويلد - الأسدي - غضبا لعثمان فرجع إلى علي فأخبره، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه، يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان، ممن قتله من أولئك الخوارج منهم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو أمامة، وعمرو بن عنبسة وغيرهم من الصحابة والتابعين: شريك بن حباشة وأبو مسلم الخولاني، وعبد الرحمن بن غنم وغيرهم من التابعين، ولما كان رأي كل واحد من الفريقين مضادا لرأي الآخر من هنا اختلفت

الكلمة وتفاقم الأمر، وانتشرت الفتنة فما كان من علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو الخليفة الحق الذي تجب طاعته إلا أن قام بإرسال الكتب المتتابعة إلى معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يدعوه فيها إلى البيعة غير أن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يرد شيئا فكرر عليه علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذلك مرارا إلى أن دخل الشهر الثالث من مقتل ذي النورين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم بعث بعد ذلك طومارا من رجل فدخل به على علي فقال: ما وراءك؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود كلهم موتور فقال علي: أمني يطلبون دم عثمان؟ ألست موتورا كترة عثمان؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان.

وقد وجه علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جماعة إلى معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو بصفين منهم بشير بن عمرو الأنصاري وقال لهم: ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم فلما دخلوا على معاوية "قال له بشير بن عمرو: يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، والله محاسبك بعملك ومجازيك بما قدمت يداك إني أنشدك الله أن لا تفرق جماعة هذه الأمة وأن تسفك دماءها بينها - إلى أن قال له: - وإنه - أي علي - يدعوك إلى مبايعته فإنه أسلم لك في دنياك وخير لك في آخرتك فقال معاوية: ويبطل دم عثمان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبدا، وقد دخل أبو الدرداء، وأبو أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أيام صفين على معاوية ابن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فقالا له: يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاما وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك - فكان جوابه عليهم - أقاتله على دم عثمان وأنه آوى قتلته فاذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشام، فهذه الرواية وما قبله تبين لنا أن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان باذلا للبيعة بالخلافة لعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لكن بشرط تعجيل القود من قتلة عثمان وكان رأي علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يدخل معاوية في البيعة أولا ثم بعد ذلك يتتبع القتلة ويقام عليهم الحد الشرعي بعد إقامة الدعوى والإجابة

ثم صدور الحكم فيهم كما أمر الله به. ولكن لما رأى علي ومعاوية رضي الله عنهما رأيين متضادين لا يلتقيان أدى ذلك إلى المنازعة واختلاف الكلمة، ولما رأى علي رضي الله عنه أن الكتب التي وجهها إلى معاوية لم تجد شيئا بل إن الفتنة بدأت تشتد ولم تزدد الأمور إلا تعقيدا حيث استأثر معاوية رضي الله عنه ببلاد الشام ولم يسمح لأمر علي أن يمتد إليها وهو الخليفة الحق بعد ذي النورين، وأن من حقه على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا، وأخذ في إعداد الجيش لقتال أهل الشام، وحاول الحسن ابنه أن يثنيه عن ذلك وقال له: يا أبتي دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين. فلم يسمع لقوله بل هيأ الجيش ودفع اللواء إلى ولده محمد بن علي - المعروف بابن الحنفية - غير أنه لم يتمكن مما قصده من تسيير الجيش إلى بلاد الشام فإنه جاءه ما شغله عن ذلك وهو توجه أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم إلى البصرة وعندما بلغ هذا الخبر عليا رضي الله عنه عدل عن وجهته إلى الشام وغير رأيه وتوجه إلى البصرة بدلا من الشام وهكذا بدأ النزاع يتدرج بين الصحابة رضي الله عنهم من طور الكتابة والمحاورة إلى طور التعبئة وتجهيز الجيوش استعدادا للقتال والمواجهة للضرب بالسيوف وقد تمثل ذلك في موقعتين:

الأولى: موقعة الجمل.

الثانية: موقعة صفين.

أما موقعة الجمل فقد دارت رحا الحرب فيها بين علي رضي الله عنه ومن معه وبين أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومن معهم رضي الله عنهم وذلك أنه: لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق سنة خمس وثلاثين للهجرة - كان أزواج النبي ﷺ - أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فرارا من الفتنة فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل أقمن بمكة وقد تجمع بمكة خلق كثير وجم غفير من سادات الصحابة منهم طلحة والزبير حيث استأذنا عليا في الاعتمار فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهما كثير من

الناس وكذا قدم إلى مكة ابن عمر ومن اليمن يعلى بن أمية عامل عثمان عليها وعبد الله بن عامر عامله على البصرة ولم يزل الناس حينذاك يفدون على مكة ولما كثروا فيها قامت فيهم أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فحثتهم على القيام بطلب دم عثمان وذكرت ما افتات به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام ولم يراقبوا جوار رسول الله ﷺ وقد سفكوا الدماء وأخذوا الأموال، فاستجاب الناس لها وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة وقالوا لها: حيثما سرت سرنا معك وبعد أن تعددت آراؤهم في تحديد الجهة التي يسيرون إليها أجمعوا على الذهاب إلى البصرة فلما أتوا البصرة منعهم من دخولها عثمان بن حنيف عامل علي عليها حينذاك وجرت بينه وبينهم مراسلة ومحاورة حتى وصل الأمر بهم إلى المشاجرة ثم ما لبثوا أن اصطلحوا بعد ذلك إلى أن يقدم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه بلغهم أنه متوجه إليهم - وكما تقدم قريبا أنه عدل عن المسير إلى الشام بعد أن بلغه مسير أم المؤمنين عائشة إلى البصرة فأخذ في الاتجاه بعدهم في جمع كبير وهو يرجو أن يدركهم قبل وصولهم إلى البصرة فلما علم أنهم قد فاتوه، استمر في طريقه إليهم قاصدا البصرة من أرض العراق. لما انتهى إلى البصرة كاتب أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عامله على الكوفة وطلب منه أنه يستنفر الناس ليلحقوا به غير أن أبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يرى عكس رأي علي فكان يدعو إلى القعود ويقول: (وإنما هي فتنة وجعل كلما جاء رسول من عند علي رده بمثل ذلك حتى أرسل علي ابنه الحسن وعمار بن ياسر فقال الحسن لأبي موسى: لم تثبط الناس عنا؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف علي شيء فقال: صدقت بأبي وأمي ولكن المستشار مؤتمن سمعت النبي ﷺ يقول: (إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب)[1]

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد جعلنا الله إخوانا وحرم علينا دماءنا وأموالنا فكان كلما قام رجل فحرض الناس على النفير يثبطهم أبو موسى من فوق المنبر ولكن مع ذلك استجاب للنفير كثير من الناس فخرج مع الحسن جمع كبير من أهل الكوفة وقدموا على علي رضي الله عنه فتلقاهم بذي قار إلى أثناء الطريق في جماعة منهم ابن عباس فرحب بهم وقال: يا أهل الكوفة أنتم لقيتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك الذي نريده وإن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدءونا بالظلم، ولن ندع أمرا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى، وفي هذا توضيح لمقصد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأن مقصده الأول والأخير هو طلب الإصلاح وأن القتال كان غير محبب إلى نفسه لاسيما مع إخوانه البررة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان مقصد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير من خروجهم من مكة إلى البصرة من أرض العراق هو التماس الإصلاح بين المسلمين بأمر يرتضيه طرفا النزاع ويحسم به الاختلاف وتجتمع به كلمة المسلمين ولم يخرجوا مقاتلين ولا داعين لأحد منهم ليولوه الخلافة هذا ما قرره العلماء من أهل السنة، قال أبو محمد بن حزم في الفصل(٤/ ١٥٨): وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الإمامة ولا أحدثوا إمامة أخرى ولا حددوا بيعة لغيره هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه بل يقطع كل ذي علم على أن كل ذلك لم يكن فإذ لاشك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافا عليه ولا نقصا لبيعته ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته هذا مما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما، وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم

يقتتلوا ولا تحاربوا فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر علي فدفع أهله عن أنفسهم وكل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدئ بها بالقتال واختلط الأمر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرامها فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها.اهـ.

وقال أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم (ص ١٥١) في صدد ذكره للغرض الذي خرجت له عائشة ومن معها من مكة إلى البصرة: ويمكن أنهم خرجوا في جمع طوائف المسلمين وضم نشرهم وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح لا شيء سواه.اهـ.

وقال أبو الوليد بن رشد المالكي في البيان والتحصيل (١٦/ ٣٦٠): بعد ذكره قوله تعالى: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما [الحجرات: ٩] الآية (فأرادت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقولها والله أعلم: ما رأيت ما ترك الناس في هذه الآية نسبة التقصير إلى من أمسك من الصحابة عن الدخول في الحرب التي وقعت بينهم واعتزالهم وكف عنهم ولم يكن مع بعضهم على بعض ورأت أن الأحظ لهم والواجب عليهم إنما كان أن يرموا الإصلاح بينهم.اهـ.

وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٥٦): في صدد ذكره لبعض الأدلة التي تدل على أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما خرجت إلا للإصلاح: ويدل لذلك أن أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا في الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة.اهـ.

فأهل السنة والجماعة يرون أن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما قصدت بخروجها إلى البصرة إلا الإصلاح بين بنيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وبهذا وردت أخبار منها:

١- روى ابن جرير الطبري في تاريخه (٤/ ٤٦١ - ٤٦٢): أن عثمان بن حنيف لما بلغه مجيء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى البصرة أرسل إليها عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي فقال لهما: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها، وعلم من معها فخرجا فانتهيا إليها وإلى الناس وهم بالحفير فاستأذنا فأذنت لهما فسلما وقالا: إن أميرنا بعثنا إليك نسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا؟ فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطي لبنيه الخبر إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث وآووا فيه المحدثين واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام، فسفكوه وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الأعراض والجلود وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا وقرأت لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس [النساء: ١١٤].

٢- وروى أيضا الطبري في تاريخه (٤/ ٤٤٨): أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما نزل بذي قار دعا القعقاع بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له: الق هذين الرجلين يا ابن الحنظلية فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم الفرقة.. فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فسلم عليها وقال: أي أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت أي بني إصلاح بين الناس قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما فبعثت إليهما فجاءا فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه

لنصلحن، ولئن أنكرناه لا نصلح قالا: قتلة عثمان رضي الله عنه فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن.

٣- ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٢٦١) أنه لما رجع القعقاع بن عمرو إلى علي رضي الله عنه وأخبره أن أصحاب الجمل استجابوا إلى ما بعثه به إليهم أذعن علي لذلك وبعث إلى طلحة والزبير يقول: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر فأرسلا إليه: (إنا على ما فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس.اهـ. ففي هذه الأخبار دليل واضح على أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم تكن تقصد بخروجها هي ومن معها تفريق الجماعة ولا شفاء حقد بينها وبين علي كما يزعمه ذلك مبغضوا الصحابة من الرافضة، وإنما الغرض الذي كانت تريده الإصلاح بين الناس ابتغاء مرضات الله راجية الثواب على ذلك من الله، كما أن الذين طلبوا منها الخروج وهم طلحة والزبير ومن معهما كانوا كذلك، وكانوا يعلقون آمالا على خروجها في حسم الاختلاف وجمع الكلمة ولم يكن يخطر على بالهم قتل أحد لأنهم ما أرادوا إلا الإصلاح ما استطاعوا.

قال أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم (ص ١٥٢). في صدد ذكره لبيان الغرض الذي خرجت من أجله أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي ومن معها قائلا: (فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيراعوا حرمة نبيهم واحتجوا عليها عندما حاولت الامتناع بقول الله تعالى: لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس [النساء: ١١٤] ثم قالوا لها: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج في الصلح وأرسل فيه فرجت المثوبة واغتنمت الفرصة وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها.اهـ.

وقال أيضا في نفس المصدر السابق (ص ١٥٤): في معرض الرد على من قال: إن

أهل البصرة لما عرفوا بمجيء عائشة وطلحة والزبير خرجوا ليقاتلوهم وعلى رأسهم حكيم بن جبلة قال في شأن حكيم هذا: وعن أي شيء كان يدافع؟ وهم ما جاءوا مقاتلين ولا ولاة، وإنما جاءوا ساعين في الصلح راغبين في تأليف الكلمة، فمن خرج إليهم ودافعهم وقاتلهم دافعوا عن مقصدهم كما يفعل في سائر الأسفار والمقاصد.اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢/ ١٨٥). بعد أن بين بطلان الحديث الذي نصه أن النبي ﷺ قال لعائشة: (تقاتلين عليا وأنت ظالمة) بين أن هذا الحديث لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناده معروف وبين أنه إلى الموضوعات أشبه ثم قال بعد ذلك: فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين... لا قاتلت ولا أمرت بقتال هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار.اهـ.

وقال الحافظ في الفتح (٧/ ١٠٨) مبينا القصد الذي خرجت من أجله عائشة رضي الله عنها هي ومن معها: والعذر في ذلك عن عائشة أنها كانت متأولة هي وطلحة والزبير وكان مرادهم إيقاع الإصلاح بين الناس وأخذ القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنهم أجمعين وكان رأي علي الاجتماع على الطاعة وطلب أولياء المقتول القصاص ممن يثبت عليه القتل بشروطه.اهـ.

فلا مقصد إذن من خروج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي ومن معها من الصحابة من مكة إلى البصرة إلا بغية الإصلاح بين المسلمين ولم تخرج لقتال ولا أمرت به ثم أيضا: إن فكرة الصلح لم تكن عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي ومن معها فحسب بل كانت أيضا: تجول في فكر علي رضي الله عنه ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ وقد تقدم معنا قريبا أن عليا رضي الله عنه بعث إلى طلحة والزبير يقول: (إن كنتم على ما فارقتم

عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر فأرسلا إليه: إنا على ما فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس) ولما كان جوابهم على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا (اطمأنت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجاد وعولوا جميعا على الصلح وباتوا بخير ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية) فهكذا كانت فكرة الصلح مسيطرة على عقول الجميع من الطرفين كما كانت هدفهم الذي يهدفون إليه حتى في وقت استعدادهم للقتال وفي أثناء تنظيم الجيوش.

قال ابن الأثير في الكامل (٣/ ٢٤١ - ٢٤٢): ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعا وهم لا يشكون في الصلح، ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون في الصلح ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكون في الصلح ونزل علي بحيالهم، فنزلت مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن فكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون إلا الصلح وكان أصحاب علي عشرون ألفا، وخرج علي وطلحة والزبير فتوافقوا فلم يروا أمرا أمثل من الصلح ووضع الحرب فافترقوا على ذلك.اهـ.

ولما أرسلت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعلمه أنها إنما جاءت للصلح فرح هؤلاء وهؤلاء لاتفاقهم على رأي واحد وهو الصلح ولما رجع القعقاع بن عمرو من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم (جمع علي الناس ثم قام خطيبا فيهم - فحمد الله - عَزَّ وَجَلَّ وأثنى عليه وصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر الجاهلية وشقاءها، والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم الذي يليه ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة وأرادوا رد الأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره، ومصيب ما أراد ألا وإني راحل غدا فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن معي أحد

أعان على قتل عثمان في شيء من أمور الناس) ففكرة الصلح كانت هي المقصد الذي يطلبه الفريقان واتفقوا عليه وكان المسلمون حينئذ مجمعين على وجوب إقامة الحد وتنفيذ القصاص في قتلة عثمان ولم يخطر القتال على بال أحد منهم، ولكن المفسدين في الأرض الذين قتلوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصابهم الغم وأدركهم الحزن من اتفاق الكلمة وجمع الشمل، وأيقنوا أن الصلح الذي حصل الاتفاق عليه بين علي وأم المؤمنين وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سيكشف أمرهم وسيسلم رؤوسهم إلى سيف الحق وقصاص الخليفة فباتوا يدبرون أمرهم بليل شديد الظلمة فلم يجدوا سبيلا لنجاتهم إلا بأن يعملوا على إبطال الصلح وتفريق صفوف المسلمين وذلك بأن يقوموا بعمل يحير العقلاء ويجعل كل فريق يسيء الظن بالآخر. فقد أجمعوا على إنشاب الحرب في السر واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر وخاصة بعد أن تيقنوا أن رأي علي فيهم موافق لرأي طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقض مضجعهم قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبته التي ذكرناها آنفا: (ألا وإني راحل غدا فارتحلوا ألا ولا يرتحلن معي أحد أعان على قتل عثمان في شيء من أمور الناس) (فلما قال هذا اجتمع من رؤوسهم جماعة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى وعبدالله بن سبأ - المعروف بابن السوداء- وسالم بن ثعلبة وعلباء بن الهيثم وغيرهم في ألفين وخمسمائة وليس فيهم صحابي ولله الحمد فقالوا: ما هذا الرأي؟ وعلي والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك وقد قال ما سمعتم غدا يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم؟ فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم فإن كان اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان فرضي القوم منا بالسكوت فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت لو قتلناه فإنا يا معشر قتلة عثمان

- في ألفين وخمسمائة - وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف لا طاقة لكم بهم وهم إنما يريدونكم. فقال علياء بن الهيثم: دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها فقال ابن السوداء: بئس ما قلت، إذا والله كان يتخطفكم الناس، ثم قال ابن السوداء: قبحه الله يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فإذا التقى الناس فأنشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون، فمن أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون ويأتيهم ما يكرهون فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه) فاجتمعوا على هذا الرأي الذي تفوه به الخبيث عبد الله بن سبأ اليهودي (فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربيعهم إلى ربيعهم ويمانيهم إلى يمانيهم فوضعوا فيهم السلاح بغتة فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم، وبلغ طلحة والزبير ما وقع من الاعتداء على أهل البصرة فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلا وفي نفس الوقت حسب خطة أولئك المفسدين ذهبت منهم فرقة أخرى في ظلمة الليل ففاجأت معسكر علي بوضع السيف فيهم وقد وضعت السبئيه رجلا قريبا من علي يخبره بما يريدون فلما سمع علي الصوت عندما هجموا على معسكره قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما شعرنا إلا وقوم من أهل البصرة قد بيتونا).

(فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللأمة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر وكان أمر الله قدرا مقدورا وقامت الحرب على قدم وساق وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان فنشبت الحرب وتوافق الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفا، والتف على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفا فإنا لله وإنا إليه راجعون والسبئية أصحاب ابن السوداء - قبحه الله - لا يفترون عن القتل ومنادي علي ينادي ألا كفوا، ألا كفوا فلا يسمع أحد) فاشتدت المعركة وحمي

الوطيس وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يذفف على جريح ولا يتبع مدبر وقد قتل من هذا خلق كثير جدا حتى حزن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشد الحزن وجعل يقول لابنه الحسن: (يا بني ليت أباك مات منذ عشرين سنة فقال له: يا أبه قد كنت أنهاك عن هذا قال: يا بني إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا) ثم نزل بنفسه إلى ميدان المعركة لإنهاء القتال (وطلب طلحة والزبير ليكلمهما فاجتمعوا حتى التقت أعناق خيولهم فذكرهما بما ذكرهما به فانتهى الأمر برجوع الزبير يوم الجمل وفي أثناء رجوعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزل واديا يقال له: وادي السباع فاتبعه رجل يقال له عمرو بن جرموز فجاءه وهو نائم فقتله غيلة) وأما طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه بعد (أن اجتمع به علي فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته وقيل في رقبته والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كان يلقيه وجعل يقول: إلي عباد الله فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها ويقال: إنه مات بالمعركة) ولم تنته موقعة الجمل برجوع الزبير واستشهاد طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بل اشتدت الحرب بين الفريقين (حتى أن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقدمت وهي في هودجها وناولت كعب بن سور قاضي البصرة مصحفا وقالت ادعهم إليه وذلك حين اشتد الحرب وحمي القتال فلما تقدم كعب بن سور بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين وكان عبد الله بن سبأ - وهو ابن السوداء - وأتباعه بين يدي الجيش يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة لا يتوقفون في أحد، فلما رأوا كعب بن سور رافعا المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فقتلوه ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فجعلت تنادي الله الله يا بني اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان، فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى علي فقال: ما هذا؟ فقالوا: أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم فقال: اللهم العن

قتلة عثمان). (ولما رأى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن المعركة حميت حول الجمل أمر بعقره على ما يقال كي لا تصاب أم المؤمنين لأنها بقيت غرضا للرماة ولينفصل هذا الموقف الذي تفانى فيه الناس ولما سقط البعير إلى الأرض انهزم من حوله من الناس وانتهت المعركة وحملت أم المؤمنين بأمر من علي وهي مكرمة معززة ودخلت البصرة ومعها أخوها محمد بن أبي بكر). وأما علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه (أقام بظاهر البصرة ثلاثا ثم صلى على القتلى من الفريقين ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر، وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة فمن عرف شيئا هو لأهلهم فليأخذه إلا سلاحا كان في الخزائن عليه سمة السلطان وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين - عشرة آلاف خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم وقد سأل بعض أصحاب علي عليا أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير فأبى عليهم) (ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها - أن يرجع إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه، جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها فقال علي: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة وسار علي معها مودعا ومشيعا أميالا، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين، وقصدت في سيرها ذلك إلى مكة، فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) ومما تقدم ذكره بشأن موقعة الجمل تبين أن

القتال وقع بين الصحابة فيما بينهم كان بدون قصد منهم ولا اختيار وأن حقيقة المؤامرة التي قام بها قتلة عثمان خفيت على كلا الفريقين حتى ظن كل منهما أن الفريق الآخر قصده بالقتال.

وقد وضح حقيقة هذه المؤامرة العلامة ابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله قال أبو محمد بن حزم في الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٨٥): وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال علي رضوان الله عليه ولا قصد علي رضوان الله عليه قتالهم وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر في قتلة عثمان رضوان الله عليه وإقامة حق الله تعالى فيهم، فتسرع الخائفون على أنفسهم أخذ حد الله تعالى منهم وكانوا أعدادا عظيمة يقربون من الألوف - فأثاروا القتال خفية حتى اضطر كل واحد من الفريقين إلى الدفاع عن أنفسهم إذ رأوا السيف قد خالطهم.اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢/ ١٨٥): ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير وقصدوا الاتفاق على المصلحة وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة وكان علي غير راض بقتل عثمان ولا معينا عليه كما كان يحلف فيقول: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله وهو الصادق البار في يمينه فخشي القتلة أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة فحملوا دفعا عن أنفسهم فظن علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعا عن نفسه فوقعت الفتنة بغير اختيارهم.اهـ.

فهكذا أنشب الحرب بين علي وأخويه الزبير وطلحة قتلة عثمان الأشرار دون أن يفطن لذلك أولئك الأخيار من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.

وأما موقعة صفين

فقد دارت رحا الحرب فيها بين أهل العراق من أصحاب علي رضي الله عنه وبين أهل

الشام من أصحاب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ذلك أن عليا رضي الله عنه لما فرغ من موقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما أرادت الرجوع إلى مكة ثم سار من البصرة إلى الكوفة فدخلها وكان في نيته أن يمضي ليرغم أهل الشام على الدخول في طاعته كما كان في نية معاوية ألا يبايع حتى يقام الحد على قتلة عثمان رضي الله عنه، أو يسلموا إليه ليقتلهم ولما دخل علي رضي الله عنه الكوفة شرع في مراسلة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فقد بعث إليه جرير بن عبد الله البجلي ومعه كتاب أعلمه فيه (باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ودعاه فيه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان وإن لم يفعل لم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان رضي الله عنه فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا: وحينئذ خرج من الكوفة عازما على دخول الشام فعسكر بالنخيلة وبلغ معاوية أن عليا قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له: اخرج أنت أيضا بنفسك فتهيأ أهل الشام وتأهبوا، وخرجوا أيضا: إلى نحو الفرات من ناحية صفين حيث يكون مقدم علي بن أبي طالب رضي الله وسار علي رضي الله عنه بمن معه من الجنود من النخيلة قاصدا أرض الشام فالتقى الجمعان في صفين - أوائل ذي الحجة سنة ست وثلاثين).

ومكث علي يومين لا يكاتب معاوية، ولا يكاتبه معاوية، ثم دعا علي بشير بن عمرو الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي فقال لهم: (ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم: فلما دخلوا على معاوية جرى بينه وبينهم حوار لم يوصلهم إلى نتيجة فما كان من معاوية إلا أن أخبرهم أنه مصمم على القيام بطلب دم عثمان الذي قتل مظلوما) ولما رجع أولئك

النفر إلى علي رضي الله عنه وأخبروه بجواب معاوية رضي الله عنه لهم وأنه لن يبايع حتى يقتل القتلة أو يسلمهم (عند ذلك نشبت الحرب بين الفريقين واقتتلوا مدة شهر ذي الحجة كل يوم، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ولما دخل شهر المحرم تحاجز القوم رجاء أن تقوم بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح والمراسلة بين الناس وحقن دمائهم) ثم في خلال هذا الشهر بدأت مساعي الصلح والمراسلة تتكرر بين الطرفين ولكن انسلخ شهر المحرم ولم يحصل لهم أي اتفاق، ولم يقع بينهم صلح. (ثم نشبت الحرب بين الطائفتين أياما ثمانية وكان أشدها وأعنفها ليلة التاسع من صفر سنة سبع وثلاثين حيث سميت هذه الليلة (ليلة الهرير) تشبيها لها بليلة القادسية اشتد القتال فيها حتى توجه النصر فيها لأهل العراق على أهل الشام) وتفرقت صفوفهم وكادوا ينهزمون فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا: (هذا بيننا وبينكم قد فني الناس فمن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق، فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت قالوا: نجيب إلى كتاب الله عز وجل وننيب إليه) (ولما رفعت المصاحف بالرماح توقفت الحرب ولما رفع أهل الشام المصاحف اختلف أصحاب علي رضي الله عنه وانقسموا عليه فمنهم من رأى الموافقة على التحكيم، ومنهم من كان يرى الاستمرار في القتال حتى يحسم الأمر، وهذا كان رأي علي رضي الله عنه في بادئ الأمر، ثم وافق أخيرا على التحكيم). فتم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين وهو أن يحكم كل واحد منهما رجلا من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين فوكل معاوية عمرو بن العاص ووكل علي أبا موسى الأشعري رضي الله عنهم جميعا، ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والأمة أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين - كليهما - عهد الله

وميثاقه أنهما على ما في ذلك الكتاب وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك فعلى تراض منهما وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان، ومع كل واحد من الحكمين أربعمائة من أصحابه، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح ولما كان شهر رمضان جعل الاجتماع كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصفين وذلك أن عليا رَضِّيَلِّلَّهُعَنْهُ لما كان مجيء رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هانئ ومعهم أبو موسى، وعبد الله بن عباس، وإليه الصلاة، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة فارس من أهل الشام ومعهم عبد الله بن عمر، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح وهي نصف المسافة بين الكوفة والشام بينها وبين كل من البلدين تسع مراحل - وشهد معهم جماعة من رؤوس الناس كعبد الله بن هشام المخزومي وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري، وأبو جهم بن حذيفة فلما اجتمع الحكمان وتراوضا على المصلحة للمسلمين ونظرا في تقدير الأمور ثم اتفقا على أن يكون الفصل في موضوع النزاع بين علي ومعاوية يكون لأعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم هذا ما اتفق عليه الحكمان فيما بينهما لا شيء سواه.

أما ما يذكره المؤرخون من أن الحكمين لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل وتفاوضا واتفقا على أن يخلعا الرجلين فقال عمرو بن العاص لأبي موسى: اسبق بالقول فتقدم فقال: إني نظرت فخلعت عليا عن الأمر وينظر المسلمون لأنفسهم كما خلعت سيفي هذا من عنقي أو من عاتقي وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض، وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال: إني نظرت فأثبت معاوية في الأمر: كما أثبت سيفي هذا في عاتقي وتقلده، فأنكر أبو موسى فقال عمرو: كذلك اتفقنا وتفرق الجمع على ذلك الاختلاف.

فهذه الحكاية وما يشبهها من اختلاق أهل الأهواء والبدع الذين لا يعرفون قدر أبي موسى وعمرو بن العاص ومنزلتهما الرفيعة في الإسلام. قال أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم (ص ١٧٧) مبينا كذب ذلك: هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع.اهـ. ولم يكتف الواضعون من أهل التاريخ بهذا بل وسموا الحكمين بصفات يتخذون منها وسيلة للتفكه والتندر، وليتخذ منه أعداء الإسلام صورا هزيلة لأعلام الإسلام في المواقف الحرجة، فقد وصفوا عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه كان صاحب غدر وخداع ووصفوا أبا موسى بأنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوع في القول كما وصفوه بأنه كان على جنب كبير من الغفلة ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم حيث اتفقا على خلع الرجلين فخلعهما أبو موسى واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية كل هذه الصفات الذميمة يحاول المغرضون إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدى إلى قتل الآلاف من المسلمين وكل ذي لب يعلم أن المسلمين لا يسندون الفصل في هذا الأمر إلى أبي موسى وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلا لعلمهم بما هما عليه من الفضل، وأنهما من خيار الأمة المحمدية، ومن أكثرهم ثقة وورعا وأمانة فكيف يصف الغافلون هذين الرجلين بما وصفوهما به من المكيدة والخداع وضعف الرأي والغفلة، ولكن تلك الأوصاف هي أليق بمن تفوه بها من أهل الأهواء، وقد تجاهل أولئك الواصفون لأبي موسى وعمرو بما تقدم ذكره أمورا لو دققوا النظر فيها لاستحيوا من ذكر تلك الأوصاف وتلك الأمور هي:

الأمر الأول: أنهم تجاهلوا أن معاوية لم يكن خليفة ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه أو تثبيتها له.

الأمر الثاني: أن سبب النزاع هو أخذ الثأر لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قتلته فلما طلب علي البيعة من معاوية (اعتل بأن عثمان قتل مظلوما وتجب المبادرة إلى الاقتصاص من قتلته وأنه أقوى الناس على الطلب بذلك والتمس من علي أن يمكنه منهم ثم يبايع له بعد ذلك) ومعنى هذا أن معاوية كان مسلما لعلي بالخلافة لأنه طلب منه بوصفه الخليفة تسليم القتلة، أو إقامة الحد عليهم باعتباره أمير المؤمنين، وكان رأي علي أن يدخل معاوية ومن معه من أهل الشام فيما دخل فيه الناس من البيعة له، ثم يتقدم أولياء عثمان بالمحاكمة إليه (فإن ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان اقتص منه فاختلفوا بحسب ذلك).

قال أبو محمد بن حزم في الفصل (٤/ ١٥٩ - ١٦١) مبينا أن القتال الذي دار بين علي ومعاوية كان مغايرا لقتال علي الخوارج حيث قال: (وأما أمر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبخلاف ذلك ولم يقاتله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لامتناعه من بيعته لأنه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام وهو الإمام الواجبة طاعته فعلي المصيب في هذا ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على البيعة ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من ولد عثمان وولد الحكم بن أبي العاص لسنه ولقوته على الطلب بذلك كما أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الرحمن بن سهل أخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو أخو المقتول وقال له: كبر كبر فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة وحويصة ابنا مسعود وهما ابنا عم المقتول لأنهما كانا أسن من أخيه فلم يطلب معاوية من ذلك إلا ما كان له من الحق أن يطلبه وأصاب في ذلك الأثر الذي ذكرنا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط فله أجر الاجتهاد في ذلك ولا إثم عليه فيما حرم من الإصابة كسائر المخطئين في اجتهادهم في

الذين أخبر رسول الله ﷺ أن لهم أجرا واحدا وللمصيب أجران - إلى أن قال - وقد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونه فإنه يجب على الإمام أن يقاتله وإن كان منا وليس بمؤثر في عدالته وفضله ولا بموجب له فسقا بل هو مأجور لاجتهاده ونيته في طلب الخير فبهذا قطعنا على صواب علي رضي الله عنه وصحة إمامته وأنه صاحب الحق وأن له أجرين أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة وقطعنا أن معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجرا واحدا.اهـ. فابن حزم رحمة الله عليه يقرر في هذا النص أن النزاع الذي كان بين علي ومعاوية إنما هو في شأن قتلة عثمان وليس اختلافا على الخلافة إذ أن معاوية رضي الله عنه لم ينكر فضل علي واستحقاقه للخلافة وإنما امتنع عن البيعة حتى يسلمه القتلة أو يقتلهم وكان علي رضي الله عنه يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك فتحكيمهما إذن إنما هو في محل النزاع، وليس من أجل الخلافة.

الأمر الثالث: أن موقف أبي موسى الأشعري في التحكيم لم يكن أقل من موقف عمرو بن العاص في شيء ولذلك عد المؤرخون المنصفون هذا الموقف من مفاخر أبي موسى بعد موته بأجيال وصار مصدر فخر لأحفاده من بعده حتى قال ذو الرمة الشاعر مخاطبا بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري بأبيات منها:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما ❊ تشاءوا وبيت الدين منقطع الكسر

فشد أصار الدين أيام أذرح ❊ ورد حروبا قد لقحن إلى عقر[1]

فلم يول رضي الله عنه في الفصل في قضية التحكيم إلا لما علم فيه من الفطنة والعلم وقدرته على حل المعضلات فقد ولاه النبي ﷺ هو ومعاذ بن جبل قبل حجة الوداع على بلاد اليمن حيث بعث كل واحد منهما على مخلاف وأوصاهما عليه الصلاة

(١) ديوان ذي الرمة (ص: ٣٦١ - ٣٦٢).

والسلام بأن ييسرا ولا يعسرا وأن يبشرا ولا ينفرا[1] وما توليته عليه الصلاة والسلام لأبي موسى إلا لعلمه بصلاحه للإمارة.

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٢) عند شرحه لحديث بعث النبي ﷺ أبا موسى ومعاذا إلى اليمن: واستدل به على أن أبا موسى كان عالما فطنا حاذقا، ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الإمارة، ولو كان فوض الحكم لغيره لم يحتج إلى توصيته بما وصاه به، ولذلك اعتمد عليه عمر، ثم عثمان، ثم علي وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه ونسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين.اهـ. فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة، وأن عمرا لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسى ولم يخرج عما اتفقا عليه من تفويض الحسم في موضع النزاع إلى النفر الذين بقوا على قيد الحياة ممن توفي عنهم رسول الله ﷺ وهو راض عنهم.

قال ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢٤٥): والحكمان كانا من خيار الصحابة وهما: عمرو بن العاص السهمي - من جهة أهل الشام- والثاني: أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري - من جهة أهل العراق، وإنما نصبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين وحقن لدمائهم وكذلك وقع.اهـ. وإذا كان قرارهما الذي اتفقا عليه لم يتم فما في ذلك تقصير منهما فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدى إليه اجتهادهما واقتناعهما ولو لم تكلفهما الطائفتان معا بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ولا أبديا رأيا فيها، وكل ما تقدم ذكره في هذا المبحث عن موقعتي الجمل وصفين وقضية التحكيم هو اللائق بمقام الصحابة فهو خال مما دسه الشيعة الرافضة وغيرهم على الصحابة في تلك المواطن من الحكايات المختلقة والأحاديث الموضوعة ومما

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

يعجب له الإنسان أن أعداء الصحابة إذا دعوا إلى الحق أعرضوا وقالوا: لنا أخبارنا ولكم أخباركم ونحن حينئذ نقول لهم: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين. انظر كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

(باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

ينبغي للمسلم أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أن أفضل البشر بعد الأنبياء هو صديق هذه الأمة المحمدية وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التميمي يجتمع نسبه مع نسب النبي ﷺ في مرة بن كعب وأم الصديق أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم أبيه وأبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو، وهما صحابيان رضوان الله عليهما أجمعين.

لقب بالصديق لسبقه إلى تصديق النبي ﷺ قال الحافظ وروى الطبراني من حديث عليّ: "أنه كان يحلف أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق". وقيل: كان ابتداء تسميته بالصديق صبيحة الإسراء فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق".

صحب النبي ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طول إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات وكانت الراية معه يوم تبوك

وحج بالناس ورسول الله ﷺ حي سنة تسع وكان خليفتة من بعده ولقبه المسملون خليفة رسول الله ﷺ وقد دل على أنه أفضل الأمة بعد النبي ﷺ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، أما دلالة الكتاب فمن ذلك ما يلي:

- قال تعالى: {إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ}. أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب المذكور في الآية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه".

أخرج ابن عساكر عن سفيان ابن عيينة قال: عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ إلا أبا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبة ثم قرأ: {إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ}.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: "وإنما عنى الله ـ جل ثناؤه ـ بقوله: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ} رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش إذ هموا بقتل رسول الله ﷺ واختفيا في الغار وقوله: {إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} يقول: إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار والغار: النقب العظيم يكون في الجبل {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ} يقول: إذ يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر: {لا تَحْزَنْ} وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن لأن الله معنا، والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا".اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير: {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ} أي: عام الهجرة لما هم المشركون بقتله، أو حبسه، أو نفيه فخرج منهم هاربًا صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى

الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته ويقول: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما" ... ولهذا قال تعالى: {فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} أي: تأييده ونصره عليه أي: على الرسول ﷺ في أشهر القولين وقيل: على أبي بكر وروي عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول ﷺ لم تزل معه السكينة وهذا لا ينافي تجدد السكينة خاصة بتلك الحال".اهـ.

وقال أبو بكر بن العربي: بعد قوله ﷺ: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" وهذه مرتبة عظمى وفضيلة شماء لم يكن لبشر أن يخبر عن الله ـ سبحانه ـ أنه ثالث اثنين أحدهما أبو بكر، كما أنه قال: مخبراً عن النبي ﷺ وأبي بكر {ثَانِيَ اثْنَيْنِ} .اهـ.

فالآية دلت دلالة واضحة على فضل أبي بكر رضي الله عنه حيث جعله الله ثاني النبي ﷺ بقوله: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} وما ذلك إلا لأن الصديق بلغ النهاية في الفضل رضي الله عنه وأرضاه.

- وقال تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} .

روى ابن جرير بإسناده إلى علي رضي الله عنه في قوله: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ} قال: محمد ﷺ {وَصَدَّقَ بِهِ} قال: أبو بكر رضي الله عنه.

وهذه الآية أيضًا تضمنت فضيلة عظيمة ومنقبة عالية لأبي بكر رضي الله عنه وهي أنه صاحب رسول الله ﷺ في تلك السفرة من مكة إلى المدينة وشهد الله له فيها بأنه صاحب نبيه عليه الصلاة والسلام.

- قال تعالى: {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} .

ذهب كثير من المفسرين منهم عبد الله بن عباس وابن مسعود وعبد الله ابن عمر ومجاهد والضحاك إلى أن المراد بصالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

- وقال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}.

أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} قال: الجنة.

وقد ذكر العلامة ابن جرير الطبري أن هذه الآية نزلت في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد روى بإسناده إلى عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له ابوه: أي بني أراك تعتق أناسًا ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالًا جلدًا يقومون معك، ويمنعونك ويدفعون عنك قال: أي أبت إنما أريد ما عند الله، قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}.

- وقال تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى}.

هذه الآيات ذكر الكثير من المفسرين أنها نزلت في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذه الآيات فيها إخبار من الله تعالى أنه سيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى الموضح بقوله: {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} أي: يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا {وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى} أي: ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك {ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى} أي: طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، ثم ختم ـ تعالى ـ الآيات بقوله: {وَلَسَوْفَ يَرْضَى} أي: ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات.

قال الحافظ ابن كثير: "وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا

شك أنه دخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى} ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقًا تقيًا كريمًا جوادًا بذالا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود: وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ولهذا قال تعالى: {وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى}.

تلك هي بعض آيات القرآن الكريم الدالة على أن أبا بكر أفضل الخلق بعد النبي عليه الصلاة والسلام.

وأما الأحاديث الدالة على أفضليته رضي الله عنه فكثيرة جدًا ومنها ما يلي:

- روى الشيخان في صحيحهما من حديث أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق حدثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما".

هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه وتلك المنقبة أنه رضي الله عنه كان ثاني اثنين ثالثهما رب العالمين.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "وفيه فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه وهي من أجل

مناقبه والفضيلة من أوجه منها هذا اللفظ ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله تعالى ورسوله وملازمة النبي ﷺ ومعاداة الناس فيه، ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك". اهـ.

- روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: "إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله" قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ: "إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر".

وعند مسلم: "لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر".

وهذا الحديث فيه فضيلة لأبي بكر حيث كان أعلم الصحابة رضي الله عنهم برسول الله ﷺ وبما يقول عليه الصلاة والسلام فقد فهم أبو بكر رضي الله عنه المراد بالعبد المخير وأنه الرسول ﷺ فبكى حزنًا على فراقه وانقطاع الوحي وغير ذلك من الخير المستمر الذي حصل ببعثته عليه الصلاة والسلام للناس كافة على وجه الأرض.

قال الإمام النووي: قوله ﷺ: "إن أمنّ الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر" قال العلماء: معناه أكثرهم جودًا وسماحة لنا بنفسه وماله وليس هو المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة لأنه أذى مبطل للثواب ولأن المنة لله ولرسوله ﷺ في قبول ذلك وفي غيره". اهـ.

وقال القرطبي: "هو من الامتنان، والمراد أن أبا بكر له من الحقوق ما لو كان لغيره نظيرها لامتن بها يؤيده قوله في رواية ابن عباس: "ليس أحد أمن عليّ" والله أعلم.

ومعنى قوله ﷺ: "لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر" الخوخة: ـ بفتح الخاء ـ وهي الباب الصغير بين البيتين أو الدارين ونحوه. وفي هذا فضيلة وخصيصة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه".

- روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: "لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي" وفي رواية قال: "لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذته خليلًا ولكن أخوة الإسلام أفضل".

وعند مسلم من حديث ابن مسعود: "لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلًا".

ففي هذا الحديث على اختلاف ألفاظه فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لو صلح له أن يتخذ أحدًا من الناس خليلًا لاتخذ أبا بكر دون سواه، وأنه رضي الله عنه كان متأهلا لأن يتخذه النبي ﷺ خليلًا لولا المانع المذكور في الحديث. فهذه منقبة عظيمة للصديق رضي الله عنه لم يشاركه فيها أحد.

قال الحافظ عند قوله ﷺ في الحديث الذي قبل هذا: "ولكن أخوة الإسلام ومودته" أي: حاصلة ووقع في حديث ابن عباس ولكن أخوة الإسلام أفضل ـ وكذا أخرجه الطبراني من طريق عبيد الله بن تمام عن خالد الحذاء بلفظ "ولكن خلة الإسلام أفضل" وفيه إشكال فإن الخلة أفضل من أخوة الإسلام لأنها تستلزم ذلك وزيادة، فقيل المراد أن مودة الإسلام مع النبي ﷺ أفضل من مودته مع غيره، وقيل: أفضل بمعنى فاضل، ولا يعكر على ذلك اشتراك جميع الصحابة في هذه الفضيلة لأن رجحان أبي بكر عرف من غير ذلك وأخوة الإسلام ومودته متفاوتة بين المسلمين في نصر الدين وإعلاء كلمة الحق وتحصيل كثرة الثواب ولأبي بكر من ذلك أعظمه وأكثره والله أعلم".اهـ.

- وروى الشيخان من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أي: الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة" فقلت من الرجال؟ قال: "أبوها" قلت ثم من؟ قال: "ثم عمر بن الخطاب" فعد رجالًا.

هذا الحديث فيه تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وفيه دلالة بينة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر، ثم عمر على جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين".

فكون أبي بكر أحب الناس إلى النبي ﷺ يدل على أنه له فضلًا كثيرًا وأنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ.

- ورويا أيضًا: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بينا راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث" قال الناس - سبحان الله - فقال النبي ﷺ: "فأني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا".

وهذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر حيث أخبر عليه الصلاة والسلام أنهما يؤمنان بذلك ولم يكونا في القوم عند حكاية النبي ﷺ ذلك.

قال الإمام النووي: عند قوله ﷺ: "فإني أومن به وأبو بكر وعمر" قال العلماء: "إنما قال ذلك: ثقة بهما لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته ففيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا".اهـ.

وقال الحافظ: "ويحتمل أن يكون ﷺ قال ذلك لما اطلع عليه من غلبة صدق إيمانهما وقوة يقينهما، وهذا أليق بدخوله في مناقبهما".اهـ.

- روى الإمام البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو حديث السقيفة الطويل وفيه أن أبا بكر قال للأنصار: "ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارًا، وأعربهم

أحسانًا، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح فقال عمر بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ... الحديث".

فعمر رضي الله عنه بين بأن الصديق أفضل الناس وخيرهم بعد رسول الله ﷺ ولذلك قدموه في الخلافة لأنه الأحق والأفضل.

- وروى أيضًا: بإسناده إلى محمد بن الحنيفية قال: قلت: لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال: أبو بكر قلت: ثم من؟ قال: عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

قال الحافظ: "قوله وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين" في رواية محمد بن سوقة "ثم عجلت للحداثة فقلت: ثم أنتم يا أبت فقال: أبوك رجل من المسلمين" زاد في رواية الحسن بن محمد "لي ما لهم وعليّ ما عليهم" وهذا قاله عليّ تواضعًا مع معرفته حين المسألة المذكورة أنه خير الناس يومئذ لأن ذلك كان بعد قتل عثمان: وأما خشية محمد بن الحنفية أن يقول عثمان فلأن محمدًا كان يعتقد أن أباه أفضل فخشي أن عليًا يقول عثمان على سبيل التواضع منه والهضم لنفسه فيضطرب حال اعتقاده ولا سيما وهو في سنن الحداثة كما أشار إليه في الرواية المذكورة".

- وروى البزار ـ كما في مجمع الزوائد ـ عن شقيق قال: قيل لعلي ألا تستخلف قال ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف عليكم وإن يرد الله تبارك وتعالى بالناس خيرًا فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم".

- وروى الإمام أحمد بإسناده إلى عليّ رضي الله عنه أنه قال لأبي جحيفة: يا أبا جحيفة ألا أخبرك بأفضل هذه الأمة بعد نبيها قال: قلت: بلى ولم أكن أرى أن أحدًا أفضل

منه قال: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وبعد أبي بكر عمر وبعدهما آخر ثالث ولم يسمه.

فقد صرح عليّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بأن الصديق خير الناس وأفضلهم بعد الرسول ﷺ.

- وروى البخاري بإسناده إلى عمار بن ياسر قال: "رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر".

وهذا الحديث تضمن منقبة عظيمة وفضيلة خاصة لأبي بكر الصديق رَضِوَاللَّهُعَنْهُ حيث لم يسبقه أحد من الرجال الأحرار للدخول في الإسلام فدل هذا على أنه أفضل الخلق بعد النبي ﷺ.

- وروى أيضًا بإسناده إلى ابن عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا قال: "كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ".

هذا الحديث دل على أن أفضلية أبي بكر كانت ثابتة في أيامه عليه الصلاة والسلام وأنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: "قوله: "كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ أي: نقول: فلان خير من فلان" وفي رواية عبيد الله بن عمر في مناقب عثمان "كنا لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نفاضل بينهم" وقوله: "لا نعدل بأبي بكر" أي: لا نجعل له مثلًا ... ولأبي داود من طريق سالم عن ابن عمر: "كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان" زاد الطبراني في رواية "فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره" ... وفي الحديث تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر كما هو المشهور عند جمهور أهل النسة".

وقال أبو سليمان الخطابي بعد حديث ابن عمر: "كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل

بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان رضي الله عنهم، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضل بينهم" وجه ذلك والله أعلم أنه أراد به الشيوخ الذين كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر شاورهم فيه، وكان عليّ رضوان الله عليه في زمان رسول الله حديث السن ولم يرد ابن عمر الإزراء بعلي رضي الله عنه ولا تأخيره ودفعه على الفضيلة بعد عثمان وفضله مشهور لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة".اهـ.

فقول ابن عمر: "ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نفاضل بينهم" لا يلزم منه أنهم تركوا التفاضل حينذاك ولا يلزم منه أن لا يكونوا اعتقدوا بعد ذلك تفضيل علي على من سواه".

فالحديث دل على أن أبا بكر أفضل الخلق بعد الرسول ﷺ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة:

- وروى أيضًا: بإسناده إلى أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي ﷺ: "أما صاحبكم فقد غامر فسلم" وقال: يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال: "يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثًا" ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي ﷺ: "إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت وقال أبو بكر: صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي" مرتين فما أوذي بعدها. هذا الحديث فيه بيان فضل أبي بكر، فقد غضب النبي ﷺ على الفاروق رضي الله عنه حين حصل بينه وبين الصديق شيء فشعر الصديق أنه المخطئ على عمر فطلب من الصديق أن يعفو عنه ويغفر له فأبى عليه فذهب إلى

النبي ﷺ وذكر له ما حصل فاستغفر له النبي ﷺ، ثم إن الفاروق ندم على عدم مغفرته للصديق فأخذ في البحث عنه فلم يجده في منزله فذهب إلى النبي ﷺ فوجده عنده فما أن وصل إلى النبي ﷺ إلا وقد رأى تغير وجه النبي ﷺ غضبًا حتى أشفق الصديق من ذلك لئلا يصيب الفاروق من ذلك شيء وأخبر النبي ﷺ أنه هو الذي بدأ فأخذ النبي ﷺ في بيان فضله ومناقبه ومنزلته عنده فقال لهم: "إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت وقال أبو بكر: صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي" مرتين فما أوذي بعدها لما أظهره النبي ﷺ لهم من تعظيمه لأبي بكر رضي الله عنه.

قال الحافظ: "وفي الحديث من الفوائد فضل أبي بكر على جميع الصحابة وأن الفاضل لا ينبغي له أن يغاضب من هو أفضل منه وفيه جواز مدح المرء في وجهه ومحله إذا أمن عليه الافتتان والاغترار".اهـ.

- وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ " قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ " قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ " قال أبو بكر: أنا، قال:" فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟ " قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: "ما اجتمعن في امرء إلا دخل الجنة".

هذا الحديث اشتمل على فضائل ظاهرة للصديق رضي الله عنه، فإنه كان سباقًا إلى فعل الخيرات التي تقرب العبد من الجنة وتزحزحه من النار. قال النووي: قوله ﷺ: "من أصبح منكم اليوم صائمًا" قال أبو بكر أنا إلى قوله ﷺ "ما اجتمعن في امريء إلا دخل الجنة" قال القاضي معناه: "دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى".

- وروى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

"من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: "إنك لست تصنع ذلك خيلاء " قال موسى: فقلت لسالم: أذكر عبد الله "من جر إزاره" قال: "لم أسمعه إلا ثوبه" هذا الحديث تضمن فضيلة لأبي بكر وهو قوله له ﷺ: "إنك لست تصنع ذلك خيلاء" حيث شهد له المصطفى ﷺ بما ينافي ما يكره رضي الله عنه وأرضاه.

- وروى أيضًا: بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ صعد أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: "اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان" دل هذا الحديث على منقبة عظيمة لأبي بكر رضي الله عنه وهي "وصديق" فقد لقبه النبي ﷺ بهذا اللقب الشريف ومنزلة الصديقين بينها الله تعالى بقوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}.

فقد بين تعالى أن الصديقين في المرتبة الثانية بعد الأنبياء وفي مقدمتهم الصديق الأعظم أبو بكر رضي الله عنه.

- وروى أيضًا: بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: "كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر" فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب.

فهذا الحديث تضمن فضيلة الشيخين معًا والغرض منه دلالته على منقبة لأبي بكر الصديق وهي فضيلة على عمر وغيره لأنه كان المقدم عند النبي ﷺ في كل شيء

حتى في ذكره عنده عليه الصلاة والسلام.

- وروى البخاري أيضًا: بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه توضأ في بيته، ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجه ههنا فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال: "ائذن له وبشره بالجنة" فأقبلت حتى قلت: لأبي بكر ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يريد أخاه يأت به فإذا إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب فقلت: على رسلك ثم جئت إلى رسول الله فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال: "ائذن له وبشره بالجنة" فجئت فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به فجاء إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان فقلت: على رسلك فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: "ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه" فجئته فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر قال شريك: قال سعيد بن المسيب

فأولتها قبورهم".

هذا الحديث فيه التصريح بفضل الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ودل على أن أبا بكر أفضلهم لسبقه بالبشارة بالجنة ولجلوسه على يمين المصطفى عليه الصلاة والسلام.

- وروى البخاري أيضًا في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب - يعني الجنة - يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان " فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله قال: "نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر".

هذا الحديث دل على فضيلة ومنقبة عالية للصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تضمنها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر" ورجاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقع محقق وفي هذا دلالة واضحة على فضل أبي بكر بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال العلامة ابن القيم موضحًا منقبة الصديق في هذا الحديث: "لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك فخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله وكأنه قال: هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؟ فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس".اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قوله: "فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة" زاد في الصيام "فهل يدعى أحد من تلك

الأبواب كلها" وفي الحديث إشعار بقلة من يدعى من تلك الأبواب كلها وفيه إشارة إلى أن المراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة من يجتمع له العمل بالواجبات كلها بخلاف التطوعات فقل من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوعات، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له، وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه ... قوله: "وأرجو أن تكون منهم" قال العلماء: الرجاء من الله ومن نبيه واقع وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي بكر ووقع في حديث ابن عباس عند ابن حبان في نحو هذا الحديث التصريح بالوقوع لأبي بكر ولفظه "قال: أجل وأنت هو يا أبا بكر".اهـ.

- ومن مناقبه رضي الله عنه ما تميز به فوق ما حازه من الفضائل الكثيرة قيامه بالدعوة إلى الله تعالى في بداية الإسلام في وقت لم يجرؤ فيه أحد سواه على الدعوة وقد أسلم على يديه كثير من الصحابة رضي الله عنهم وكان لهم قدم صدق في الإسلام ومن هؤلاء عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين.

وبعد أن تولى الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم سعى جاهدًا في إرساء العقيدة الإسلامية في نفوس الناس وعقد الألوية لمحاربة المرتدين وإرجاعهم إلى دين الإسلام حيث ارتد كثير من الناس عن هذا الدين الحنيف، وبعضهم أراد أن يمنع الزكاة، والبعض الآخر ادعى النبوة فعمت فتنة الردة كثيرًا من البلاد.

روى البيهقي رحمه الله بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: والذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله ثم قال الثانية ثم قال الثالثة ثم قيل له: مه يا أبا هريرة فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد في سبع مائة إلى الشام فلما نزل بذي

خشب قبض النبي صل قبض النبي ﷺ وارتدت العرب حول المدينة واجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر رد هؤلاء توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال: والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشًا وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام.

فقد وفق الله الصديق أن وقف موقفًا عظيمًا يذكر به في الآخرين أمام تلك الردة التي عمت معظم البلاد وأصر إلا على قتالهم حتى يرجعوا إلى الإسلام وكان منفردًا بهذا الرأي حتى شرح الله صدر الفاروق لذلك وعرف أنه الحق فبارك الله خطاه حتى رفع راية التوحيد في كل البلاد التي مرض أهلها بالردة، ثم شرع بعد ذلك في نشر الإسلام في البلدان التي لم يصلها نور الإسلام وسعادته حتى لقي ربه تبارك وتعالى.

- ومما تميز به عن غيره من صحابة رسول الله ﷺ أن المصطفى عليه الصلاة والسلام انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو بالسنح فأصاب الناس الذهول والحيرة والاضطراب أما الصديق فقد رزقه الله قوة النفس والثبات فكان أصبر الصحابة وأثبتهم عند وفاة النبي ﷺ حيث جاء: "فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال: بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا، ثم خرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} وقال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ} قال

فنشج الناس يبكون ... " الحديث.

وما إن سمع الصحابة رضي الله عنهم هذه الخطبة من صديق هذه الأمة إلا ورجعوا إلى الرشد والصواب وانكشف ما بهم من الحيرة والذهول ولذلك كان أفضلهم على الإطلاق.

تلك هي طائفة من الأحاديث التي اشتملت على المناقب التي دلت على أن الصديق حاز الأفضلية على سائر الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأما دلالة الإجماع على أفضلية الصديق رضي الله عنه:

فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة والناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ ثم سائر العشرة ثم باقي أهل بدر، ثم باقي أهل أحد، ثم باقي أهل بيعة الرضوان ثم باقي الصحابة هكذا إجماع أهل الحق، فأبو بكر أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم لا ينازع في ذلك إلا زائغ وقد نقل الإجماع على أن أفضل الناس بعد الأنبياء هو أبو بكر الصديق جماعة من أهل العلم منهم:

- أبو طالب العشاري والإمام الشافعي والنووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر والبيهقي:

فقد روى أبو طالب العشاري بإسناده إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: من فضل على أبي بكر وعمر أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار وطعن على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

- وقال الإمام الشافعي فيما رواه عنه البيهقي بإسناده: "ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في عليّ وعثمان ونحن لا نخطئ واحدًا من أصحاب رسول

الله ﷺ فيما فعلوا".

- وقال الحافظ ابن حجر: "ونقل البيهقي في "الاعتقاد" بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر ثم عثمان، ثم عليّ".

- وقال النووي رحمه الله تعالى: "اتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر".

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن علي بن أبي طالب أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر".

- وقال ابن حجر الهيثمي: "واعلم أن الذي أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الأمة أن أفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق ثم عمر رضي الله عنهما".

- وهؤلاء الأعلام الذين نقلوا هذا الإجماع إنما هو بناء على ما قاله أئمة أهل السنة والجماعة فقد قال الإمام أبو حنيفة كما في شرح "الفقه الأكبر": ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله عنهم أجمعين".اهـ.

- وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن الإمام مالك بن أنس أنه قال: لما سأله الرشيد عن منزلة الشيخين من النبي ﷺ فقال: "منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد مماته - ثم قال - وكثرة الاختصاص والصحبة مع كمال المودة والائتلاف والمحبة والمشاركة في العلم يقضي بأنهما أحق من غيرهما وهذا ظاهر بين لمن له خبرة بأحوال القوم" ومعلوم أن أبا بكر كانت منزلته عند النبي ﷺ أعلا منزلة وكان أفضل الصحابة وكان الصحابة يعتقدون أنه خير الناس والنبي يعلم ذلك

ويقرهم عليه كما تقدم قريبًا في حديث ابن عمر.

- وروى الإمام البيهقي مسندًا إلى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: "أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم".

وقال أيضًا رحمه الله تعالى: "اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرًا من أبي بكر من أجل ذلك استعملوه على رقاب الناس".

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: "وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون".

- وقال عبدوس بن مالك العطار: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق".

- وقال أبو الحسن الأشعري مبينًا مذهب أهل السنة وعقيدتهم في السلف: "ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله - سبحانه - لصحبة نبيه ﷺ ويأخذون بفضائلهم ... ويقدمون أبا بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليًا رضوان الله عليهم ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ.

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى: "وأفضل أمته ﷺ: أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم".

- وقال الإمام الذهبي: "أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ ومؤنسه في الغار وصديقه الأكبر ... عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي".اهـ.

- وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "وأفضل الصحابة بل أفضل الخلق

بعد الأنبياء عليهم السلام أبو بكر عبد الله بن عثمان أبو قحافة التيمي، ثم من بعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين".اهـ.

تلك هي عقيدة أهل السنة والجماعة في أبي بكر الصديق "وهي الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة عند الله عز وجل بعد النبيين والمرسلين أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة رضي الله عنه".

وهذا هو المذهب الحق الذي يلزم كل مسلم أن يعتقده ويلتزمه ويتمسك به. وبالله التوفيق.

(باب فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلي أبا بكر الصديق في الفضل فهو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء وأبي بكر وهذا ما يلزم المسلم اعتقاده في أفضليته رضي الله عنه وهذا هو معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة. ونسبه رضي الله عنه هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب وعدد ما بينهما من الآباء إلى كعب متفاوت بواحد بخلاف أبي بكر فبين النبي صلى الله عليه وسلم وكعب سبعة آباء، وبين عمر وبين كعب ثمانية، وأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ابنة عم أبي جهل والحارث ابني هشام بن المغيرة.

وهو أحد السابقين إلى الإسلام، وبإسلامه رضي الله عنه ظهر دين الإسلام وعلت كلمة الإيمان وكان عند البعثة النبوية شديدًا على المسلمين، ولما دخل في الإسلام كان إسلامه فتحًا على المسلمين وفرجًا لهم من الضيق.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن كان إسلام عمر لفتحًا، وهجرته لنصرًا،

وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى ودعونا فصلينا".

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب".

وقد حقق الله فيه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له قبل أن يسلم أن يعز به الإسلام فقد روى الترمذي بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب" قال: وكان أحبهما إليه عمر.

وأخرج ابن سعد بسند حسن عن سعيد بن المسيب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عمر بن الخطاب، أو أبا جهل بن هشام قال: "اللهم اشدد دينك بأحبهما إليك" فشد دينه بعمر بن الخطاب.

وكان يكنى رضي الله عنه بأبي حفص.

قال الحافظ: أما كنيته فجاء في السيرة لابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه بها وكانت حفصة أكبر أولاده، وأما لقبه فهو الفاروق باتفاق. فقيل: أول من لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم رواه أبو جعفر بن أبي شيبة في تاريخه عن طريق ابن عباس عن عمر ورواه ابن سعد من حديث عائشة. وقيل: أهل الكتاب أخرجه ابن سعد عن الزهري وقيل: جبريل رواه البغوي.

وأحسنها وأقربها أن النبي صلى الله عليه وسلم لقبه بالفاروق لما رواه ابن سعد بإسناده إلى أبي عمرو ذكوان قال: قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق؟ قالت: النبي عليه السلام.

فهو رضي الله عنه الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وهو الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، وهو المحدث الملهم الصادق الظن وهو سيد هذه الأمة بعد الصديق، والخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمة المحمدية "اتفق العلماء على أنه شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغب عن غزاة غزاها رسول

الله ﷺ".

وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة بفضائل الفاروق رضي الله عنه ومنها:

- ما رواه الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا؟ فقال: هذا بلال ورأيت قصرًا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك" فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار.

- ورويا أيضًا: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: "بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبرًا" فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله".

هذان الحديثان اشتملا على فضيلة ظاهرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أخبر النبي ﷺ برؤيته قصرًا في الجنة للفاروق رضي الله عنه وهذا يدل على تكريمه وعلو منزلته رضي الله عنه.

قال ابن بطال: "فيه الحكم لكل رجل بما يعلم من خلقه قال: وبكاء عمر يحتمل أن يكون سرورًا، ويحتمل أن يكون تشوقًا أو خشوعًا ... " وقال الحافظ: "وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من مراعاة الصحبة وفيه فضيلة ظاهرة لعمر".اهـ.

- وروى البخاري بإسناده إلى حمزة بن أسيد الأنصاري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: "بينا أنا نائم شربت - يعني اللبن - حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري أو أظفاري، ثم ناولت عمر" فقالوا: فما أولته قال: "العلم". "وجه التعبير بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سببًا للصلاح، فاللبن للغذاء البدني والعلم للغذاء المعنوي وفي الحديث فضيلة - ومنقبة لعمر رضي الله عنه وإن الرؤيا من شأنها

أن لا تحمل على ظاهرها وإن كانت رؤيا الأنبياء من الوحي لكن منها ما يحتاج إلى تعبير ومنها ما يحمل على ظاهره ... والمراد بالعلم ـ في الحديث ـ سياسة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان فإن مدة أبي بكر كانت قصيرة فلم يكثر فيها الفتوح التي هي أعظم الأسباب في الاختلاف ومع ذلك فساس عمر فيها مع طول مدته الناس بحيث لم يخالفه أحد ثم ازدادت اتساعًا في خلافة عثمان فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق له فنشأت من ثم الفتن إلى أن أفضى الأمر إلى قتله واستخلف علي فما ازداد الأمر إلا اختلافًا والفتن إلا انتشارًا.

وبهذا اتضحت المنقبة التي اشتمل عليها الحديث للفاروق رضي الله عنه.

– وروى الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره" قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال: "الدين".

هذا الحديث تضمن فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه وهي قوله: "وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره" إلخ الحديث.

قال الحافظ: "السائل عن ذلك أبو بكر ... وقد استشكل هذا الحديث بأنه يلزم منه أن عمر أفضل من أبي بكر الصديق والجواب عنه تخصيص أبي بكر من عموم قوله عرض على الناس فلعل الذين عرضوا إذ ذاك لم يكن فيهم أبو بكر وأن كون عمر عليه قميص يجره لا يستلزم أن لا يكون على أبي بكر قميص أطول منه وأسبغ فلعله كان كذلك إلا أن المراد حينئذ بيان فضيلة عمر فاقتصر عليها والله أعلم".اهـ.

- ورويا أيضًا: من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعند نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبي ﷺ: "عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب" قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله ثم قال عمر يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: "إيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا آخر".

هذا الحديث فيه بيان فضل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنه من كثرة التزامه الصواب لم يجد الشيطان عليه مدخلًا ينفذ إليه منه.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: "فيه فضيلة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته، فإن قيل عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة لأنه إذا منع من السلوك في طريق فأولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له لأنها في حق النبي واجبة وفي حق غيره ممكنة ووقع في حديث حفصة عند الطبراني في الأوسط بلفظ: "إن الشيطان لا يلقى عمر منذ أسلم إلا فر لوجهه" وهذا دال على صلابته في الدين، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض.

وقال النووي: "هذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان يهرب إذا رآه:

وقال عياض: يحتمل أن يكون ذاك على سبيل ضرب المثل وأن عمر فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد فخالف كل ما يحبه الشيطان" قال الحافظ: "والأول أولى".

- روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر".

هذا الحديث تضمن منقبة جليلة لعمر ﷺ لما كان من القوة والجلد في أمر الله قال الحافظ: "وروى ابن أبي شيبة والطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن قال: قال عبد الله بن مسعود: "كان إسلام عمر عزًا، وهجرته نصرًا، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر".

- روى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا فلم أر عبقريًا يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن".

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمر ﷺ تضمنها قوله ﷺ: "فجاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا ... الحديث ومعنى: "استحالت" صارت وتحولت من الصغر إلى الكبر وأما "العبقري" فهو السيد وقيل: الذي ليس فوقه شيء ومعنى "ضرب الناس بعطن" أي أرووا إبلهم ثم آووها إلى عطنها وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح وهذا المنام رآه النبي ﷺ مثال واضح لما جرى للصديق وعمر ﷺ في خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما فقد حصل في خلافة الصديق قتال أهل الردة وقطع دابرهم واتساع الإسلام رغم قصر مدة خلافته فقد كانت سنتين وأشهرًا فوضع الله فيها البركة ولما حصل فيها من النفع

الكثير ولما توفي الصديق خلفه الفاروق فاتسعت رقعة الإسلام في زمنه وتقرر للناس من أحكامه ما لم يقع مثله فكثر انتفاع الناس في خلافة عمر لطولها فقد مصر الأمصار ودون الدواوين وكثرت الفتوحات والغنائم ... ومعنى قوله ﷺ: "فلم أر عبقريًا من الناس يفري فريه " أي: لم أر سيدًا يعمل عمله ويقطع قطعه ومعنى قوله ﷺ " حتى ضرب الناس بعطن" قال القاضي عياض: ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر خاصة وقيل: يعود إلى خلافة أبي بكر وعمر جميعًا لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تم هذا الأمر "وضرب الناس بعطن" لأن أبا بكر قمع أهل الردة وجمع شمل المسلمين وألفهم وابتدأ الفتوح ومهد الأمور وتمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا".

- وروى الشيخان بإسنادهما إلى أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر.

هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة للفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقد اختلف العلماء في المراد "بالمحدث".

فقيل: المراد بالمحدث: الملهم.

وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد.

وقيل: مكلم أي: تكلمه الملائكة بغير نبوة ... بمعنى أنها تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلمًا في الحقيقة فيرجع إلى الإلهام. وفسره بعضهم بالتفرس".

قال الحافظ: "والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقًا لها ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات".

وكون عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اختص بهذه المكرمة العظيمة وانفرد بها دون من سواه من الصحابة لا تدل على أنه أفضل من الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكثر علمًا وإيمانًا من عمر ... وإن كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محدثًا كما جاء في الحديث الصحيح ... فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، ولكن مزية الصديق الذي هو أكمل متابعة للرسول وعلمًا وإيمانًا بما جاء به، درجته فوق درجته فلهذا كان الصديق أفضل الأمة صاحب المتابعة للآثار النبوية، فهو معلم لعمر ومؤدب للمحدث منهم الذي يكون له من ربه إلهام وخطاب كما كان أبو بكر معلمًا لعمر ومؤدبًا له حيث قال له: فأخبرك أنك تدخله هذا العام؟ قال: لا قال: إنك آتيه ومطوف.

فبين له الصديق أن وعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطلق غير مقيد بوقت، وكونه سعى في ذلك العام وقصده لا يوجب أن يعني ما أخبر به، فإنه قد يقصد الشيء ولا يكون، بل يكون غيره، إذ ليس من شرط النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون كما قصده، بل من تمام نعمة ربه عليه أن يقيده عما يقصده إلى أمر آخر هو أنفع مما قصده، كما كان صلح الحديبية أنفع للمؤمنين من دخولهم ذلك العام، بخلاف خبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه صادق لا بد أن يقع ما أخبر به ويتحقق".

وقال العلامة ابن القيم: "ولا تظن أن تخصيص عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا تفضيل له على أبي بكر الصديق بل هذا من أقوى مناقب الصديق فإنه لكمال مشربه من حوض النبوة وتمام رضاعه من ثدي الرسالة استغنى بذلك عما تلقاه من تحديث أو غيره، فالذي يتلقاه من مشكاة النبوة أتم من الذي يتلقاه عمر من التحديث فتأمل هذا الموضع وأعطه حقه من المعرفة وتأمل ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله بأنه الحكيم الخبير".

- وروى أبو عبد الله الحاكم في المستدرك والترمذي في سننه والإمام أحمد في

المسند بإسنادهم إلى عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب"

هذا الحديث فيه إبانة لفضل الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث جعل الله تعالى فيه من أوصاف الأنبياء وخلال المرسلين ما يجعله لأن يكون أهلًا للنبوة لو كان هناك نبوة بعد المصطفى ﷺ ولكن الله تعالى ختم النبوة بمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة.

- وروى البخاري بإسناده إلى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: "وماذا أعددت لها؟ " قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال: "أنت مع من أحببت" قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تؤخذ من قول أنس بن مالك فإنه قرن الصديق وعمر بالنبي ﷺ في العمل ولا يعني هذا أن أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يريد أن يكون في درجة النبي ﷺ فالدرجات متفاوتة وإنما يريد ويرجو أن يكون في الجنة دار الثواب وبعيدًا عن دار العقاب وكل مؤمن يحبهم يرجو ذلك من الله تعالى.

- ومن أجل مناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأعظمها موافقته للقرآن في وقائع متعددة بمعنى أنه كان يرى الرأي فيتنزل القرآن موافقًا لما رآه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه. فقد روى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عمر: "وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} وآية الحجاب قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ} فنزلت الآية.

وعند مسلم بلفظ: "وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر".

ووجه موافقته في أسارى بدر أنه لما جيء بهم استشار النبي ﷺ الناس فيهم فقال: "إن الله قد أمكنكم منهم" فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله أضرب أعناقهم فأعرض عنه فقام أبو بكر فقال: نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء فعفا عنهم وقبل منهم الفداء فعفا عنهم فأنزل الله: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ} إلخ الآيات الثلاث وكانت موافقة لرأي عمر رضي الله عنه.

وروى الإمام أحمد وغيره بإسناده إلى عمر رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ} قال: فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزلت الآية التي في سورة النساء: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى} فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزلت الآية في المائدة فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فلما بلغ: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} قال: فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا".

وروى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنما خيرني الله" فقال: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً} "وسأزيد على سبعين" قال: إنه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل {وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ

مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ}.

فهذه الموافقات كلها مناقب عالية للفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقد رأى أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى فنزل القرآن بموافقته، وقد رأى أن تحجب نساء النبي ﷺ فنزل القرآن بموافقته، وقال لنساء النبي ﷺ لما اجتمعن عليه في الغيرة: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ}. فنزل القرآن بموافقته، وقد رأى في أسارى بدر أن تضرب أعناقهم فنزل القرآن بموافقته، وقد رأى تحريم الخمر فكان يقول: "اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا" فنزل القرآن بموافقته، وقد رأى عدم الصلاة على عبد الله بن أبي فإنه فلما توفي ابن أبي قام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عليه: {وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} فكانت موافقة لما كان يراه عمر من عدم الصلاة على رأس النفاق فلله ما أعظم هذا الفضل وما أعلا هذه المكانة التي تبوأها الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فلقد رزقه الله السداد في الرأي والإصابة في القول فهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه وهو الذي أعز الله به دين الإسلام فرضي الله عنه وأرضاه[1].

---

(١) سوق دعوى المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الموافقات القرآنية لعمر بن الخطاب

فأما ما ورد في الموافقة الأولى من الحديث الأول:

فقد زعم (ابن قرناس) أن آية {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} [البقرة: ١٢٥] قد نزلت في السنة الأولى للهجرة، «في وقت لم يكن يتوقع أن تفتح مكة بعد سبع سنوات، وعندها يمكن أن يتخذ المقام مصلى باقتراح من عمر مزعوم».

والذي أوهمه نفي تنزلها موافقة لكلام عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كونها «ضمن الحديث عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وما حدث له، أي أنها تخبر عن تاريخ مضى،.. وقد أمر الله الناس بأن يتخذوا مقام إبراهيم مصلى منذ ذلك العهد».

=

=

وأما عن الموافقة الثانية من الحديث الأول نفسه:

فأورد عليها جملة من المعارضات، يرجع مجملها إلى أمرين: دعوى التناقض بينها، والقدح في العلم الإلهي.

أما دعوى التناقض: فزعموا أن الأحاديث في هذا الشأن متضاربة، فبعضها يشير إلى أن الآية نزلت بعد أن طلب عمر رضي الله عنه من النبي ﷺ حجب نسائه حين قال: «يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر»، ورواية أخرى تقول: إنها نزلت عندما لبى عمر دعوة النبي ﷺ للأكل، وأصابت يده إصبع عائشة، فقال عمر: «حس! لو أطاع فيكن ما رأتكن عين».

ثم حديث آخر يروي أنها نزلت عندما أرادت سودة أم المؤمنين الخروج لقضاء الحاجة، فلما رآها عمر، وكان حريصا على نزول آية الحجاب، ناداها: «يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين.. ».

ثم رواية أخرى يجزم فيها أنس بن مالك رضي الله عنه أنها نزلت يوم أصبح النبي ﷺ عروسا بزينب بنت جحش، وقد دعا قوما لطعامه، فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون، وكان النبي ﷺ شديد الحياء، فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة رضي الله عنها، فأخبر أن القوم خرجوا فرجع، يقول أنس رضي الله عنه: «حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة، وأخرى خارجة، أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب».

وفي تقرير دعوى التضارب بين هذه الروايات، يقول (صادق النجمي): «هذه التناقضات في قصة واحدة -نزول آية الحجاب موافقة لرأي عمر- مصداق بارز، ودليل بين على صحة المثل المعروف الذي يقول: الكذاب كثير النسيان! ولا حافظة للكذاب!».

وأما عن دعوى القدح في العلم الإلهي:

فيقول (ابن قرناس) في آية الحجاب: «هذه الآية لم تنزل لوحدها، وبسبب اقتراح عمر أعجب الله -أستغفر الله- فأنزل فيه آية، ولكن الآية جاءت ضمن موضوع كامل يحث نساء النبي ﷺ أن يتمسكن بالحشمة.. ولم تنزل آية واحدة في هذه السورة ولا في القرآن الكريم بناء على اقتراح عمر بن الخطاب، أو سعد بن معاذ، أو حتى رسول الله! فالله أعلم وأحكم من أن يحتاج لمقترحات خلقه».

وأما عن الموافقة الثالثة المتعلقة بآية سورة التحريم:

فقد عورضت بنفس المعارضة الثانية للموافقة الأولى، بدعوى أنها لم تنزل لوحدها،

=

=

«ولكن ضمن خمس آيات افتتحت بها سورة التحريم، وتتحدث عن مشاكل أسرية بين الرسول وزوجاته».

وأما فيما يتعلق بصلاة النبي ﷺ على ابن سلول:

فقد اعترض على متنه بعدة اعتراضات، قد كانت مثار جدل قديم بين بعض الطوائف الإسلامية، من أبرزها:

ما أورده (رشيد رضا) في «تفسيره» وناقشه، مع كونه أميل إلى رد الحديث، مع إعذاره لمن أثبته؛ حيث كان أقوى ما عول عليه في موقفه منه دعوى أن ظاهر الأمر في قوله تعالى: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم} [التوبة: ٨٠] وارد للتسوية بين الأمرين، أي: أن الاستغفار وعدمه سيان، وبها استدل عمر رضي الله عنه على ترك الصلاة على ابن سلول، لكن الحديث بخلاف هذا الظاهر القرآني، حيث فيه حمل (أو) على التخيير.

فلقد كان هذا الخبر بحق مزلة أقدام لبعض المتقدمين من أهل العلم! حتى أنكر أبو بكر الباقلاني صحته بقوله: «هذا الخبر من أخبار الآحاد التي لا يعلم ثبوتها».

وقال الجويني: «هذا لم يصححه أهل الحديث».

وقال الغزالي: «الأظهر أنه غير صحيح».

وقال الداودي وهو شارح البخاري: «هذا الحديث غير محفوظ».

ونظرا إلى مقام هؤلاء القائلين قال ابن حجر: «استشكل فهم التخيير من الآية، حتى أقدم جماعة من الأكابر على الطعن في صحة هذا الحديث! مع كثرة طرقه، واتفاق الشيخين وسائر الذين خرجوا الصحيح على تصحيحه، وذلك ينادي على منكري صحته بعدم معرفة الحديث، وقلة الاطلاع على طرقه».

والسبب في إنكارهم صحته: ما تقرر عندهم -وهو الذي فهمه عمر رضي الله عنه من أن أداة (أو) تحمل على التسوية، لما يقتضيه سياق القصة، ولفظ (السبعين) يحمل على المبالغة؛ وأهل البيان لا يترددون في أن التخصيص بالعدد في هذا السياق غير مراد، ومن هنا شكك (رشيد رضا) في صحة الحديث، فقال:

«إنما يظهر التخيير لو كانت الآية كما ذكر في الحديث ولم يكن فيها بقيتها، أي: التصريح بأنه لن يغفر الله لهم بسبب كفرهم، وأن الله لا يهدي القوم الفاسقين، ومن ثم كان المتبادر من (أو) فيها أنه للتسوية بين ما بعدها وما قبلها لا للتخيير، وبه فسرها المحققون، كما فهمها عمر، واستشكلوا الحديث، إذ لا يعقل أن يكون فهم عمر أو

=

=

غيره أصح من فهم رسول الله ﷺ لخطاب الله له! ولذلك أنكر بعضهم صحته».
وقد توارد من بعد رشيد رضا على فهم الآية على هذا المعنى من التسوية فئام أنكروا أن تكون للتخيير، وهو ما جنح إليه من طعن في الحديث من المعاصرين، كـ(جعفر السبحاني)، و(صادق النجمي)، و(فتح الأصبهاني)، و(الكردي)، وغيرهم.
فأما (السبحاني)، فكان أسهب هؤلاء في تفصيل هذا الفهم دليلا على نكرانه للحديث، فناسب إيراد معارضاته، وفي ضمنها كلام (رشيد رضا)، ليتم الرد على كل فرع منه على حدة، ويستتم لنا دحض معارضتها جملة، فنقول مستعينين بالله:
يقول هذا المعترض:
«أولا: إن المتبادر من لفظة (أو) في الآية من قوله: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم} [التوبة: ٨٠] أنها للتسوية، أي الاستغفار وعدمه سيان، لأن المحل غير قابل للاستفاضة، لكن النبي ﷺ حسب الرواية حملها على التخيير، حيث قال: إنما خيرني الله.. فكيف خفي على النبي مفاد الآية؟!
ثانيا: المتبادر من الآية عند الناطقين بالضاد، هو أن عدد السبعين فيها كناية عن الكثرة، بمعنى أن الاستغفار لا يجدي لهم مهما بلغ عددها، سواء أكان أقل من سبعين أو أزيد منه، وهذا ما يفهمه العربي الصميم من الآية، ويؤيد ذلك أنه: سبحانه علل عدم الجدوى بقوله: {ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله} [التوبة: ٨٠].
ولكن الظاهر أن النبي ﷺ فهم من الآية أن لعدد السبعين خصوصية! وأنه ما أقدم على الصلاة على عبد الله بن أبي وهو رأس المنافقين إلا لأجل أن يستغفر له أزيد من السبعين، الذي ربما تكون الزيادة نافعة لحاله، ولا خفاء في أنه على خلاف ما يفهمه العربي الصميم من الآية، فكيف بنبي الإسلام، وهو أفصح من نطق بالضاد؟!
ثالثا: كيف قام النبي ﷺ بالصلاة على المنافق وهو يشتمل على الاستغفار، مع أن المروي في الصحاح أنه سبحانه نهى النبي ﷺ عن الاستغفار للمشركين وهو في مكة المكرمة؟! قال: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم} [التوبة: ١١٣].
رابعا: أنه سبحانه نهى النبي ﷺ عن الاستغفار في سورة المنافقين، وقد نزلت في غزوة بني المصطلق، وغزاهم النبي في العام السادس من الهجرة، قال سبحانه: {سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم} [المنافقون: ٦].

=

=

ومع هذا البيان الصريح، كيف أقدم النبي ﷺ على الصلاة على المنافق، والتي لم تكن إلا عملا لغوا غير مفيد؟

وما ربما يتوهم أنه ﷺ قدم على الصلاة استمالة لقلوب عشريته، فهو كما ترى، لأن القرآن يخبر بصراحة أن الصلاة والاستغفار لا تفيد بحاله، أفيكون عمل النبي ﷺ بعد هذا التصريح سببا للاستمالة؟!».

ثم أتانا (صادق النجمي) متبرعا من كيس فهمه بشبهة أخرى، يقول فيها:

الخامسة: إن القول بموافقة الله لعمر في ترك الصلاة على ابن أبي مناف للعقل، «ذلك أن قبوله يستلزم أن يكون هناك من هو أعلم من النبي ﷺ بالأحكام والتعاليم السماوية، وأدرى منه في معرفة فلسفة الأحكام الإلهية وأسرارها، وأعرف بالمصالح والمفاسد المترتبة على التعاليم الإسلامية، لأننا نشاهد في الحديث أن الله تعالى قد أنزل آية تؤيد فكرة فرد ما غير النبي ﷺ، وتفند عمل رسول الله، وتنهاه، وتمنعه!.. ألم يكن من الأفضل أن ينزل الوحي على هذا الرجل بدلا من رسول الله ﷺ؟!».

* دفع دعوى المعارضات الفكرية المعاصرة عن أحاديث الموافقات القرآنية لعمر بن الخطاب

أما دعوى المعترض بأن آية مقام إبراهيم هي من أوائل ما نزل في المدينة بعد الهجرة، فلا يقال فيه أكثر من أنه: قول يعدم دليلا يقيمه!

نعم؛ قد ذكر بعض أهل العلم أن سورة البقرة أول ما نزل في المدينة بعد الهجرة، لكن لا يستلزم ذلك أن تكون جميع آياتها كذلك في الأولية؛ إذ من المتحقق علمه أن القرآن نزل منجما لا جملة، تنزل السورة في وقت، ثم تلحق بها آيات قد نزلت بعدها بوقت، فكان النبي ﷺ يرشد كتابه إلى ما نزل من الآيات حديثا، فيكتبوها ضمن سور قد تنزلت قبل، والإجماع والنص مترادفان على أن ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين.

والذي يظهر عند تبصر حديث عمر رضي الله عنه: أن آية مقام إبراهيم قد تأخر نزولها إلى وقت اعتمار المسلمين، أو وقت فتحهم لمكة، أو قبل حجة الوداع، فإحدى هذه الأزمان الثلاثة أنسب الظروف الموضوعية لاستثارة الفكرة في ذهن عمر رضي الله عنه بلا شك، ثم اقتراحها بعد على النبي ﷺ.

وأما زعم المعترض بأن سياق الآيات دال على أن الأمر باتخاذ المقام إنما خوطب به

=

=

الناس في ذلك الوقت الذي ابتنيت فيه الكعبة فيما مضى، وليس هو أمرا لأمة المسلمين: فقد غفل المعترض عن تفصيل في معنى الآية، كان أجدى لتقوية شبهته الواهية هذه لو تأمل! فنحن نفيده به وبضده كذلك، فنقول:

لو جعل المعترض الأمر في الآية محتملا أحد معنيين ابتداء:

إما أن تكون الآية مجرد إخبار إلهي بخطاب تزامن مع بناء الكعبة، قد خص به الناس وقتها، كما يدعيه هو.

أو تكون أمرا لأمة محمد ﷺ؛ وهنا على المعترض السعي إلى ترجيح المعنى الذي يوافق هواه، بأن يورد القراءة الثانية للآية التي جاءت بصيغة الإخبار: {واتخذوا} بفتح الخاء، فكان هذا المسلك أقوى دلالة على مراده مما هرف به في تفسيره للآية!

ولو سلك هذا الأقوى لتهاوى أيضا وما نفعه في رصف شبهته! وذلك أنا جواب هذا المسلك في الاعتراض على كلا القراءتين للآية:

أنا إن حملنا الآية على صيغة الأمر: يكون حديث عمر رضي الله عنه بذا قد أبان أن القصد بها أمة المسلمين، ولا غرو؛ وهم المخاطبون بأوامر القرآن ابتداء وأصالة، فمناسب على هذا أن يكون الحديث مثالا لتعيين السنة أحد المعاني التي تحتملها الآية.

وأما إن سلمنا أن الأمر في الآية موجه في أصله إلى إبراهيم عليه السلام وأتباعه، أو أنها بصيغة الإخبار: فيكون حديث عمر رضي الله عنه هنا دالا على فضل اقتداء المسلمين بملة إبراهيم في هذه الشعيرة وغيرها، بل هو الموافق للأصل القرآني، في قوله تعالى: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه} [الممتحنة: ٤].

وبهذا يعلم وفاق حديث عمر للآية على كلا التفسيرين والقراءتين.

وأما دعوى المعترض التناقض بين الروايات في سبب نزول آية الحجاب، فيقال في جوابه: أن ليس ثمة تعارض في الحقيقة بين تلك الأخبار، وأبين طريق للجمع بينها: أن يقال بتعدد أسباب نزول الآية ولا بأس، فيكون خبر قصة زينب رضي الله عنها هي آخر هذه الروايات حدوثا، للنص على قصتها في الآية الكريمة، وكذا حديث أنس رضي الله عنه.

ولا مانع مع ذلك أن تكون الآية نزلت بعد المجموع، وكان ذلك سنة خمس من الهجرة، وليس ببدع أن يكون للآية الواحدة عدة أسباب مستوية الدرجة، أو بعضها أقرب من بعض، فينسب الراوي النزول إلى سبب منها دون الآخر، باعتبار القرب منه، ولا يكون القصد أنها نزلت فور وقوع ذلك السبب.

=

=

وفي تقرير سواغ هذا الجمع، يقول ابن حجر: «يمكن الجمع بأن ذلك وقع قبل قصة زينب، فلقربه منها أطلقت -يعني عائشة- نزول الحجاب بهذا السبب -يعني قصة سودة-، ولا مانع من تعدد الأسباب».

فالحاصل: أن عمر رضي الله عنه كان ملحا في حجب أمهات المؤمنين، و«النبي صلى الله عليه وسلم كان ينتظر الوحي في الأمور الشرعية، ولذا لم يأمرهن بالحجاب مع وضوح الحاجة إليه»، فلم يزل ذلك عنده إلى أن نزل الحجاب.

على أن البخاري روى في «كتاب التفسير» في سياق آية الحجاب ما هو صريح في كون قصة سودة رضي الله عنها كانت بعد الحجاب لا قبله، وهو المشهور عند أهل العلم، كما تراه في قول عائشة: «خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة، لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين.. » الحديث.

فيقال على هذا: إن الأمر حين وقع على وفق ما أراده عمر قبل من إيجاب حجاب الوجوه على أمهات المؤمنين، أحب أيضا أن يحجب أشخاصهن مبالغة في التستر، فلذا قال لسودة: «قد عرفناك.."، حرصا منه على أن ينزل حكم الحجاب أضيق منه، فلا ترى أشخاصهن البتة ولو مع حجابهن، لكن الله تعالى أذن لهن بخلاف رغبة عمر، وأنزل آية الحجاب وليس فيها التضييق الذي أراده عمر، لأجل ما فيه من الحرج، فلذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لسودة بعد شكواها له قول عمر في الحديث السابق: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن».

وإنما عد الحجاب من موافقات عمر في قصة سودة هذه، لنزول حصة منه على وفق رأيه.

ويقال في الجمع بين هذا وحديث أنس رضي الله عنه في نزول الحجاب بسبب زينب: أن عمر رضي الله عنه حرص على ذلك، حتى قال لسودة ما قال، فاتفقت القصة للذين قعدوا في البيت في زواج زينب، فنزلت الآية، فكان كل من الأمرين سببا لنزولها.

وفي تقرير ما مضى من الجمع بين سببي النزول، يقول أبو العباس القرطبي:

«الأولى أن يحمل ذلك على أن عمر رضي الله عنه تكرر منه هذا القول قبل نزول الحجاب وبعده، ولا بعد فيه.. فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقع في قلبه نفرة عظيمة، وأنفة شديدة من أن يطلع أحد على حرم النبي صلى الله عليه وسلم، حتى صرح له بقوله: «احجب نساءك، فإنهن

=

=

يراهن البر والفاجر.."، ولم يزل ذلك عنده، إلى أن نزل الحجاب وبعده، فإنه كان قصده ألا يخرجن أصلا، فأفرط في ذلك! فإنه مفضي إلى الحرج والمشقة والإضرار بهن، فإنهن محتاجات إلى الخروج».

وأما دعوى المعترض قدح الحديث في العلم الإلهي، فيقال له:

إن جعلك موافقة عمر اقتراحا على الله تعالى واستدراكا عليه منزع خبيث في فهم النصوص، منشأه التحامل على الصحب الكرام ﵃، فأي تلازم عقلي بين الموافقة والاستدراك حتى يطعن به على الأخبار؟!

ولو ادخر المعترض فرط ضغينته عليهم بمزيد تأمل لهذه الأخبار، دون انتهاض منه لمجرد الاعتراض: لتبين له أن ذاك الاقتراح -كما يسميه- إنما توجه به عمر ﵁ إلى شخص النبي ﷺ وزوجاته، لا إلى الله أصالة! ولا خطر ببال عمر أن ينزل ربه في ذلك آيات توافق مراده، فضلا عن أن يتقصد الاستدراك على آياته كما توهمه المعترض، وحاشاه، وحاشا عاقلا أن يفهم ذلك.

وقد أسلفنا التنبيه مرارا أن القرآن نزل منجما ثلاثا وعشرين سنة، منه ما نزل ابتداء من غير سبب معلوم بعينه، ومنه ما نزل عقب واقعة أو سؤال ونحو ذلك، كلما ألقيت على النبي ﷺ آية أو أكثر، أمر بوضعها من فوره في مكان مرتب من سورة معينة كما قد سبق تقريره، فلم يكن هذا التنجيم في التنزيل ليخل بالوحدة الموضوعية لكل سورة من القرآن على حدة.

وفي هذا رد لما أراد (ابن قرناس) أن يفهمه قراءه، من نفيه أن يكون لآية الحجاب سبب نزول مستقل، كونها «جاءت ضمن موضوع كامل يحث نساء النبي ﷺ أن يتمسكن بالحشمة.. » إلخ تخرصاته؛ فإن الترابط الموضوعي بين الآيات في المقطع الواحد من القرآن، لا ينفي نزول بعضها قبل بعض، ولا أن لبعضها سببا للنزول مختلفا عن الآخر.

فكم من سورة نزلت جميعا أو أشتاتا في الفترات بين النجوم من سورة أخرى، وكم من آية في السورة الواحدة تقدمت فيها نزولا وتأخرت ترتيبا، وكم من آية على عكس ذلك..

وهذا -وربي- من أجل مظاهر إعجاز القرآن في تنزيله، وعلو نظمه أن يبلغه بشر، فـ «هذا القرآن الذي نزل منجما على رسول الله ﷺ في أكثر من عشرين عاما، تنزل الآية أو

=

=

الآيات على فترات من الزمن، يقرؤه الإنسان ويتلو سوره، فيجده محكم النسج، دقيق السبك، مترابط المعاني، رصين الأسلوب، متناسق الآيات والسور، كأنه عقد فريد نظمت حباته بما لم يعهد له مثيل في كلام البشر!

ولو كان هذا القرآن من كلام البشر، قيل في مناسبات متعددة، ووقائع متتالية، وأحداث متعاقبة: لوقع فيه التفكك والانفصام، واستعصى أن يكون بينه التوافق والانسجام».

وبهذا الجواب ندحض حجة (ابن قرناس) في اعتراضه على الموافقة القرآنية لعمر في آية سورة التحريم.

وأما المعارضات المتجهة إلى خبر موافقة عمر في النهي عن الصلاة على المنافقين، فيقال في أولاها، وهي دعوى حمل النبي ﷺ لـ (أو) في الآية على التخيير، وهي للتسوية.. إلخ:

فإنه يجدر بنا الاستنارة بأقوال السلف الأقدمين في هذا الحديث، فبهم فهمنا الكتاب والسنة، وهم أجدر أن ينزعوا عنا قيد الإشكال الظاهر منهما، فنقول:

نحا جمع من أهل التفسير إلى أن مقصود هذه الآية التسوية بين الاستغفار للمنافقين وعدمه من حيث أثره، ومن ثم التيئيس من أن تلحقهم أي مغفرة، وأن علة ذلك منصوص عليها آخر الآية، في قوله تعالى: {ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله} [التوبة: ٨٠].

ذهب إلى هذا التأويل ابن جرير، وأبو بكر الجصاص، وابن الجوزي، في آخرين من أهل التفسير.

وهؤلاء مع هذا القول، لم ينزعوا يدا عن قبول حديث عمر رضي الله عنه، ولكن أعملوا آلة التأويل له على معنى يتم به وفاق الآية، ولنعم ما فعلوا.

فمن ذلك قولهم: إن النبي ﷺ استغفر لابن سلول لعدم يقينه بوفاته على الكفر، وكان الظاهر منه الإقرار بالإسلام، وأنه لفرط رحمته ﷺ بالناس، وحرصه على نجاتهم، اختار الأخذ بمفهوم العدد في لفظ (السبعين) على حقيقته، وترك المعنى المجازي له، استقصاء لمظنة الرحمة، ولو من وجه ضعيف.

وذهب آخرون: إلى أن المقصود بالآية حقيقة تخيير النبي ﷺ بين الاستغفار وعدمه، اعتمادا على ظاهر الحديث، منهم: أبو بكر ابن العربي، وابن عطية، وابن جزي، والآلوسي.

=

=

وهؤلاء أجابوا عن دلالة التيئيس في الآية: بأنه مستفاد من طريق الاستنباط، والحديث أقوى منه من حيث أنه نص صريح فيقدم عليه؛ فما فوق السبعين لم تبين الآية حكمه، وبين الحديث حكما مخالفا.

والذي يظهر لي بعد تأمل في الآية الكريمة -والعلم عند الله تعالى-: عدم التنافي بين كلا هذين القولين، فأقول:

إن الآية تحتمل معنى التسوية والتيئيس مع معنى التخيير أيضا، فإنها خلو من نهي صريح عن الاستغفار للمنافقين، غايتها إعلام النبي ﷺ بأن الله تعالى لا يغفر لهم، ولو أكثر من الدعاء لبعضهم، فالمعنى أن الاستغفار من عدمه سواء من حيث المآل في آخرتهم، ليكون التيئيس منصبا في هذه الجهة فقط.

أما حكم ذلك من حيث المآل في الدنيا من جهة تحقق المصالح ودرء المفاسد: فلم تتطرق الآية له، فيبقى تحقيق هذه الحيثية على أصله راجعا إلى سياسة النبي ﷺ، ومعلوم مع هذا كونه ﷺ يجري على المنافقين أحكام ظاهر أحوالهم بين عامة المسلمين، «والقرآن ينعتهم بسيماهم، كيلا يطمئن لهم المسلمون، وليأخذوا الحذر منهم، فبذلك قضي حق المصالح كلها».

وابن سلول نفسه، لم يكن يعاجله النبي ﷺ بعقوبة، مع ما صدر منه من بوائق، مراعاة منه للمآلات والعواقب في إدارة المجتمع المدني بكافة طوائفه، ودفعا منه لما يتوقع من مفاسد على الدعوة الإسلامية ودولتها الفتية آنذاك، مع ما جبل عليه من فرط رحمة يحمد عليها إلى يوم الدين.

فلما لم تقتض المصلحة إهانة ابن سلول حين وفاته، مع ما له من حظوة عند عشيرته، ومراعاة منه لولده الصالح، تطييبا لقلوب بعض الأحياء من قراباته، ورغبة منه في استمالة قومه إلى الدين إذا ما رأوه لبى طلب ابن زعيمهم في إكرام مثواه: بادر النبي ﷺ إلى هذا الإجراء من باب السياسة الشرعية، طالما المانع من ذلك غير قطعي ولا صريح في كتاب الله، فالآية -كما قلنا- وإن قطعت رجاء حصول المغفرة للمنافقين، فلم تمنع فعل الاستغفار صراحة كما هو الحال مع المشركين الصرحاء.

فتخيل معي بعد هذا، لو كان النبي ﷺ «ترك الصلاة عليه قبل ورود النهي عنها: لكان سبة على ابنه! وعارا على قومه! فاستعمل ﷺ أحسن الأمرين وأفضلهما في مبلغ الرأي، وحق السياسة في الدعاء إلى الدين، والتأليف عليه، إلى أن نهي عنه فانتهى».

=

=

ونفي المعترض أن تكون لهذه الصلاة على ابن سلول فائدة من جهة استمالة قلوب عشيرته، بدعوى أن القرآن يخبر أن الاستغفار لا تفيد بحاله: هو نفي صحيح لو كنا على علم بأن قومه على علم بأن زعيمهم هذا واحد من أولئك المنافقين الذين عناهم القرآن بشخصه! إذن لاستهجنوا فعل النبي ﷺ واستخفوا به، إذ كيف يصلي محمد ﷺ على غير أهل ملته؟!

في حين أن هذا العلم منهم مما يستحيل إثباته عنهم.

فهذا عبد الله رضي الله عنه وهو ابنه، قد خفي عليه استصحاب أبيه للكفر! فما كان إلا أن «حمل أمر أبيه على ظاهر الإسلام، ولدفع العار عنه وعن عشيرته، فأظهر الرغبة في صلاة النبي ﷺ، ووقعت إجابته إلى سؤاله على حسب ما ظهر من حاله، إلى أن كشف الله الغطاء عن ذلك»؛ هذا مع كونه أقرب الناس إليه لحال البنوة، فكيف الظن بغيره من قومه ممن هم أبعد منه عنه، ممن لا يعلم عنه إلا ظاهره؟! لم يكن هؤلاء إلا ليحسبوه واحدا من أفراد المسلمين.

وبعد هذا البيان، يبقى لنا الإشكال المتعلق بآخر الآية: {ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله} [التوبة: ٨٠]: فالمعلوم ضرورة من الدين: أن من ثبت كفره لا يستغفر له، قولا واحدا، وبه تشبث من حصر الآية في التسوية المستلزمة للنهي عن الفعل البتة.

وقد وردت في بعض جوابات أهل العلم ما يحل هذا الإشكال، من ذلك ما تراه في قول ابن حجر: «في بقية هذه الآية من التصريح بأنهم كفروا بالله ورسوله ما يدل على أن نزول ذلك وقع متراخيا عن القصة، ولعل الذي نزل أولا وتمسك النبي ﷺ به، قوله تعالى: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم}، إلى هنا خاصة، ولذلك اقتصر في جواب عمر على التخيير وعلى ذكر السبعين.

فلما وقعت القصة المذكورة، كشف الله عنهم الغطاء، وفضحهم على رؤوس الملأ، ونادى عليهم بأنهم كفروا بالله ورسوله، ولعل هذا هو السر في اقتصار البخاري في الترجمة من هذه الآية على هذا القدر إلى قوله: {فلن يغفر الله لهم}، ولم يقع في شيء من نسخ كتابه تكميل الآية، كما جرت به العادة من اختلاف الرواة عنه في ذلك فكون ذلك وقع من النبي ﷺ متمسكا بالظاهر على ما هو المشروع في الأحكام إلى أن يقوم الدليل الصارف عن ذلك: لا إشكال فيه، فلله الحمد على ما ألهم وعلم».

وعندي في جواب ابن حجر هذا نوع نظر، أقول فيه -والعلم عند الله-:

=

=

إن القول بتأخر نزول تتمة الآية -والتي فيها ذكر تعليل نفي المغفرة- يحتاج في إثباته إلى دليل نقلي مستقل، فإن الكلام في نزول سور القرآن وآيه وتنجيمه متوقف علمه على الرواية أصالة، لا على اجتهاد في الرأي.

ومع ذلك يقال هنا: إنه إذا تبين ما سلف تقريره من تفريق بين المآل الأخروي والفائدة الدنيوية في الصلاة على المنافقين، لم نحتج بعد إلى القول بتأخر نزول باقي الآية من الأساس، حتى على فرض علم النبي ﷺ بكفر ابن سلول في الباطن، فإن ذلك لا يمنع من الصلاة عليه، جريا على حكم الظاهر، على ما جرت به عادته الحكيمة في معاملة هذا الصنف من العدو.

وأما دعوى المعارضة الثانية من كون المتبادر من الآية كناية السبعين عن الكثرة.. إلخ، فجوابها:

أن في روايات قصة النبي ﷺ مع عمر رضي الله عنه في شأن ابن سلول بعض اختلاف في ألفاظها، قد نبه غير واحد من أهل العلم إلى ذلك، حتى قال الآلوسي: «.. والأخبار فيما كان منه ﷺ مع ابن أبي من الصلاة عليه وغيرها لا تخلو من التعارض.. ».

فأما رواية عمر رضي الله عنه نفسه للحادثة: فجاءت من رواية ابن عباس رضي الله عنهما عنه، والذي فيها أن النبي ﷺ قال له: «أخر عني يا عمر»، قال عمر: فلما أكثرت عليه قال: «إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له، لزدت عليها».

وأما رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فوقع في ألفاظها اختلاف:

ففي طريق أنس بن عياض وأبي أسامة عنه، أن النبي ﷺ قال لعمر: «إنما خيرني الله.. وسأزيده على السبعين».

وجاء من طريق صدقة بن الفضل عن يحيى بن سعيد: أنه ﷺ لم يزد على أن تلا الآية في جوابه لعمر.

ففي هذا الاختلاف في بعض ألفاظ المتن دلالة على تصرف بعض الرواة في المتن، ونقلهم لفظ كلام النبي ﷺ بالمعنى الذي استقر في حافظتهم على ما فهموه، ظهر هذا الاختلاف بين لفظ رواية عمر رضي الله عنه الأولى -وهي كما ترى تفيد علم النبي ﷺ بانتفاء مفهوم العدد في الآية، وعدم الفائدة من الزيادة على السبعين- وبين رواية ابنه عبد الله من طريقها الأولى بخاصة، حيث أفادت عزم النبي ﷺ على الزيادة على السبعين.

فلا شك بعقد هذه المقارنة يتضح أن رواية عمر هي الصحيحة الراجحة، وذلك لثلاثة

=

=

اعتبارات:

الأول: لموافقة رواية عمر رضي الله عنه دلالة الآية على التيئيس من المغفرة للمنافقين لكفرهم، حيث لا تنفع معه كثرة استغفار، والسبعون فيها جار مجرى المثل للتكثر.

الثاني: عمر رضي الله عنه هو من عايش الحدث، وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، ومعلوم من قرائن الترجيح: أن رواية صاحب القصة مقدمة على غيرها عند اختلاف المتون.

الثالث: رواية عمر رضي الله عنه مستقلة الإسناد عن رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ ثم رواتها لم يختلفوا في ألفاظها كما اختلف رواة حديث عبد الله بن عمر، وترجيح ما اتفق على ألفاظه أولى مما اختلف في ألفاظه.

وبهذه الثلاثة يرجح ضعف رواية عبد الله بن عمر: «وسأزيده على السبعين»، ويغلب على الظن -كما قال ابن عاشور - أنه لفظ زائد وهم الراوي فيه بحسب ما فهمه.

فإذا كانت هذه الجملة ساقطة، فقد انزاح عن الحديث معضلة كانت أكثر ما استشكله الشراح والمفسرون من حديث عمر هذا، حتى ساروا مذاهب شتى في التوفيق بينه ودلالة الآية الكريمة، والحمد له وحده على توفيقه.

أما دعوى المعارضة الثالثة: في استنكارهم صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على منافق، مع سبق نهي القرآن عن الصلاة على المشركين، فجواب ذلك أن يقال:

قد ألمحنا قبل إلى أن النهي عن الاستغفار لمن مات مشركا لا يستلزم النهي عنه لمن مات مظهرا للإسلام، لاحتمال أن يكون معتقده صحيحا، ولعل هذا الاحتمال ما حدا بعبد الله ولد ابن سلول إلى أن يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه، مع علمه بما كان من أبيه من جرائم في حق الإسلام وأهله.

لكن مخالطة أمثال هؤلاء لأحوال الإيمان، ولو في ظاهر الحال، قد يجر إلى تعلق هديه بقلوبهم بأقل سبب، وهذا بخلاف المعلن لكفره، المجاهر بعداوته للدين، وقد علمنا أن سياسة النبي صلى الله عليه وسلم مع كلا الفريقين متباينة بالكلية، وابن سلول بقي على دعوى الإسلام إلى أن مات، والنبي صلى الله عليه وسلم يجري على المنافقين أحكام ظاهر حالهم في عامة المسلمين.

يقول ابن عاشور:

«.. من أجل هذا الجري على ظاهر الحال، اختلف أسلوب التأييس من المغفرة، بين ما في هذه الآية -يعني قوله تعالى: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم} - وبين ما في آية: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين}، لأن المشركين كفرهم ظاهر، فجاء

=

النهي عن الاستغفار لهم صريحا، وكفر المنافقين خفي، فجاء التأييس من المغفرة لهم منوطا بوصف يعلمونه في أنفسهم، ويعلمه الرسول ﷺ، ولأجل هذا كان يستغفر لمن يسأله الاستغفار من المنافقين، لئلا يكون امتناعه من الاستغفار له إعلاما بباطن حاله، الذي اقتضت حكمة الشريعة عدم كشفه».

أما دعوى المعترض: في كون موافقة القرآن لعمر في هذا مستلزم أن يكون من هو أعلم من النبي ﷺ بمفهوم الآيات ومقاصد الشريعة:

فقد مر جوابه في ثنايا جواب الاعتراض الأول المتعلق بالمعنى المقصود من آية: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم}، حيث بينا أن الآية لا تحوي نهيا صريحا عن الاستغفار للمنافقين، بل هي حمالة لمعنى التسوية والتيئيس، ومحتملة لمعنى التخيير إذا ما بان للنبي ﷺ فائدة في إحدى الخيرتين.

فاختيار النبي ﷺ الاستغفار لابن سلول كان صحيحا وقتها في حقه، لاحتمال الآية له، ولم يكن غلطا منه في فهم الآية كما توهمه المعترض.

كما أن ما نزع إليه عمر من معنى منع الآية للاستغفار بلازم نفي الفائدة منه في المآل الأخروي: هو أيضا فهم منه صحيح، تحتمله الآية بهذا القيد أيضا، «فإنه إذا لم يكن للاستغفار فائدة المغفرة يكون عبثا، فيكون منهيا عنه».

لكن فهم النبي ﷺ للآية وتأويلها باعتبار مآلها المصلحي في الدنيا هو الأقرب إلى الحق بلا شك، كل ما في الأمر أن عمر رضي الله عنه لطبعه الشديد وقوته في ما يراه حقا، أخذ بالمعنى الذي يتضمن الشدة على المنافقين وإهانتهم، جزاء ما لقي المسلمون من أذاهم؛ وأما النبي ﷺ، فلأنه أرحم الأمة بالأمة، وأعلم بالمصالح في حالها ومآلها، ولأنه «لم ينه عن الصلاة عليه صراحة: مشى على محتمل اللفظ، وليس في الآية إلا أن استغفارك غير مفيد له، فلم يبحث عن النفع الأخروي، فإنه لما أراد أن يصلي عليه، اكتفى بسعة الألفاظ فقط، ولم يكن فيها إلا عدم نفع صلاته»، وهذا سبق تقريره.

وهو مع ذلك ﷺ لم يخف عليه المناط الذي علق عمر عليه المنع!

فإنه لم ينكر عليه ما كان يذكره به رضي الله عنه مما جرى على لسان ابن سلول من قبائح، ولكن نظره ﷺ كان أبعد من عمر في اعتبار المصالح، والمعلوم من حاله ﷺ أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما وأنفعهما، ولم يكن ميالا إلى جانب العقوبة والتشديد إلا بوحي، أما عمر، فلم يلتفت إلى احتمال إجراء الكلام على ظاهره، لما غلب عليه من

- ومن مناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أخبر بأنه شهيد وتحقق إخباره عليه الصلاة والسلام فقد مات شهيدًا على يد الظالم أبي لؤلؤة المجوسي فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبي بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال: "اثبت أحد فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان".

=

الصلابة المذكورة.

فأين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من النبي ﷺ؟! وأين فهمه من فهمه؟! فإنه كان نبيهم وأولى به وبالمؤمنين من أنفسهم.

والذي ينبغي تبينه هنا: أن نزول ظاهر الآية بموافقة رأي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إنما هي موافقة جزئية في النتيجة، وليست موافقة تامة في مقدمات تلك النتيجة!

بيان ذلك: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ احتج في حواره بما صدر من ابن سلول من جرائم على نفي استحقاقه للاستغفار، لكن الآية الكريمة قد راعت في نهيها الصريح أمرا آخر أجل: إنه متغيرات الحالة الإسلامية، وتمركز في موقع قوة وهيبة لم يكن متاحا للمسلمين من قبل، هذا ما لم يجر اعتباره على بال عمر في مجادلته.

ذلك أن «النبي ﷺ في أول الأمر كان يصبر على أذى المشركين، ويعفو ويصفح، ثم أمر بقتال المشركين، فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام، ولو كان باطنه على خلاف ذلك، لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه،.. فلما حصل الفتح، ودخل المشركون في الإسلام، وقل أهل الكفر وذلوا: أمر بمجاهرة المنافقين، وحملهم على حكم مر الحق».

فلأجل ذا نهي النبي ﷺ عن إغداق رحمته على العدو الباطن والاستغفار له، لا لمجرد أنهم فعلوا وفعلوا كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن عاجل عقوبة لهم قبل يوم التلاق، واقتلاع لجذور الخونة من تربة النفاق.

وإن في إعراضه ﷺ عن ابن أبي سلول مع اتساع صحيفة هذا بسواد أعماله، لدليلا حيا على أنه ﷺ أبعد الناس عن إغراءات السيف، وطموحات المستكبرين في الأرض!

فصل اللهم عليه وسلم، والحمد لله على توفيقه.

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ: "اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد".

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى: "ولقد أفاد هذا الحديث فائدة عظيمة وهي أن عمر وعثمان وعليًا وطلحة والزبير شهداء كلهم وأن أبا بكر صديق ومحمد رسول الله ﷺ نبي عظيم وقد جمعت هؤلاء الشهداء الشهادة وإن اختلفت أسبابها وتباينت وجوهها ولكن لفهم شرف هذه الصحبة واجتماعهم جملة وأبان جليل مقدارهم أمر النبي ﷺ للجبل بالهدوء والسكون لأجل شرف من عليه فيا معشر الطالبين لعلم الدين أبعد هذا بيان لمن كان له قلب فما لكم تدخلون بينهم وتتكلمون فيما وقع لهم، وترجحون وتقدمون وتؤخرون وتحبون وتبغضون كأنكم لا تعلمون مقاديركم ولا تلزمون مواضعكم حتى ترقوا بالجهل والفضول إلى عثمان وعلي وطلحة والزبير فتتكلمون بالحمية وتتعصبون {أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ} وقد رجف الجبل بالنبي عليه السلام وأبي بكر وعمر وعثمان وقد رجف بهؤلاء الأعيان، وقد كان ذلك بمكة وبحراء وقد كان بالمدينة وأحد وأنبأنا الله بالفضل مرتين وأكده وعضد مقدارهم ومهده في جبلين".اهـ.

- ومن مناقبه العظيمة رضي الله عنه بشارة النبي ﷺ له بالجنة فعمر رضي الله عنه من أهل الجنة قطعًا. فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: "افتح له وبشره بالجنة" ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال النبي ﷺ: فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: "افتح له وبشره بالجنة" ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي ﷺ: فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: "افتح له

وبشره بالجنة على بلوى تصيبه" فإذا عثمان فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ: فحمد الله ثم قال: الله المستعان.

- ومن مناقبه الحميدة رضي الله عنه ما جاء من الثناء عليه من فضلاء الصحابة حيًا وميتًا ورضا الجميع عنه ومن ذلك: ما روى البخاري بإسناده إلى المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر جعل يألم فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذاك منّ من الله - تعالى - منّ به علي، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك منّ من الله - جل ذكره - منّ به عليّ. وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه". وفي هذا بيان فضل عظيم لعمر رضي الله عنه يؤخذ من قول ابن عباس: لقد صحبت رسول الله ﷺ إلى قوله: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ وذلك أن له بهذا فضلًا عظيمًا حيث إنه صحب رسول الله ﷺ وفارقه وهو عنه راض وكذلك كان مع أبي بكر وبقية الصحابة جميعًا ومع ما كان عليه من هذه السيرة الحسنة فإنه رضي الله عنه لحق بالرفيق الأعلى والخوف غالب عليه من خشية التقصير في حقوق الرعية وهكذا المؤمن كامل الإيمان يجمع بين الخوف والإحسان.

وروى الشيخان من حديث ابن أبي مليكة قال: سمعت ابن عباس يقول: وضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم قال: فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت إليه فإذا هو علي فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك

وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذاك أني كنت أكثر ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: "جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر" فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما.

هذا الحديث دل على فضيلة أبي بكر وعمر وشهادة علي لهما وحسن ثنائه عليهما وصدق ما كان يظنه بعمر قبل وفاته رضي الله عنهم أجمعين.

تلك طائفة من الأحاديث النبوية والآثار التي تضمنت مناقب عالية للفاروق وكلها أدلة قطعية يقينية دلت على أن الفاروف أفضل الناس بعد أبي بكر الصديق وهو ما تعتقده الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وهو ما يجب على المسلم اعتقاده في ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

(باب فضائل ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه)

مما هو معلوم عند جمهور أهل السنة والجماعة أن أفضل الناس على الإطلاق بعد أبي بكر وعمر هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر يكنى أبا عمرو ويقال أبا عبد الله يجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف وعدد ما بينهما من الآباء متفاوت فالنبي ﷺ من حيث العدد في درجة عفان كما وقع لعمر سواء وأمه رضي الله عنها أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب وهي شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ ويقال: إنهما ولدا توأما ... فكان ابن بنت عمة النبي ﷺ وكان النبي ﷺ ابن خال والدته وقد أسلمت أمه رضي الله عنه وماتت على الإسلام ولها صحبة رضي الله عنها وأما والده فإنه مات في الجاهلية.

فعثمان رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى،

وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور باتباعهم والاقتداء بهم وكان رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله ﷺ وأقام بسببها في المدينة، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره فيها، فهو معدود فيمن شهدها فلما توفيت زوّجه رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم ولذلك لقب بذي النورين لأنه تزوج ابنتي نبي واحدة بعد واحدة ولم يتفق ذلك لغيره رضي الله عنه، وشهد الخندق والحديبية وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدى يديه، وشهد خيبر، وعمرة القضاء، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك وجهز جيش العسرة، صحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض وصحب أبا بكر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض، وصحب الفاروق فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض، وكان رضي الله عنه ممن جمع بين العلم والعمل، والصيام والتهجد والإتقان والجهاد في سبيل الله وصلة الأرحام، وكان من الصادقين القائمين الصائمين المنفقين في سبيل الله تعالى.

فهو رضي الله عنه أفضل الناس بعد الشيخين رضي الله عنهما وهذا هو معتقد الجمهور من أهل السنة والجماعة قال إسحاق بن راهوية رحمه الله تعالى: "لم يكن بعد رسول الله ﷺ على الأرض أفضل من أبي بكر، ولم يكن بعده أفضل من عمر، ولم يكن بعد أفضل من عثمان، ولم يكن بعد عثمان على الأرض خير ولا أفضل من عليّ".

وقد ذهب بعض أهل السنة من أهل الكوفة إلى تفضيل عليّ على عثمان رضي الله عنهما وذهب بعض أهل المدينة إلى التوقف في أمرهما رضي الله عنهما، ثم ذكر أهل العلم رجوع هؤلاء جميعًا إلى مذهب جمهور أهل السنة والجماعة القائل بتقديم عثمان على عليّ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصار القول واحدًا في أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة:

قال الإمام النووي: "وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم عليّ على عثمان والصحيح المشهور تقديم عثمان".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن سفيان الثوري، وطائفة من أهل الكوفة رجحوا عليًا على عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره، وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعليّ، وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على عليّ، كما هو مذهب سائر الأئمة، كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل وأصحابه، وغير هؤلاء من أئمة الإسلام.

وقال الحافظ ابن كثير: "والعجب أنه قد ذهب بعض أهل الكوفة من أهل السنة إلى تقديم عليّ على عثمان ويحكى عن سفيان الثورة لكن يقال: إنه رجع عنه ونقل مثله عن وكيع بن الجراح ونصره ابن خزيمة والخطابي وهو ضعيف مردود".

وذكر أبو منصور البغدادي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة والحسين بن الفضل البجلي أنهما يقولان بتفضيل عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عثمان".

ونقول إن هذا القول ضعيف مردود لمخالفته ما أطبق عليه أهل السنة والجماعة من تقديم عثمان على عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال أبو الحسن عليّ بن عمر الدارقطني: "اختلف قوم من أهل بغداد فقال قوم: عثمان أفضل وقال قوم: عليّ أفضل فتحاكموا إليّ فأمسكت وقلت: الإمساك خير، ثم لم أر لديني السكوت وقلت للذي استفتاني: ارجع إليهم وقل لهم: أبو الحسن يقول: عثمان أفضل من عليّ باتفاق جماعة أصحاب رسول الله ﷺ هذا قول أهل السنة وهو أول عقد يحل في الرفض.

قال الذهبي: قلت ليس تفضيل عليّ برفض ولا هو ببدعة بل قد ذهب إليه خلق

من الصحابة والتابعين فكل من عثمان وعليّ ذو فضل وسابقة وجهاد وهما متقاربان في العلم والجلالة ولعلهما في الآخرة متساويان في الدرجة وهما من سادة الشهداء رضي الله عنهما، ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام عليّ وإليه نذهب".

وقال غير واحد من العلماء كأيوب السختياني والدارقطني: من قدم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار".

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح".

وإذ قد تبين لنا أن بعض أهل السنة القائلين بتقديم عليّ على عثمان رضي الله عنهما والقائلين بالتوقف في أمرهما قد رجعوا إلى قول الجمهور منهم من القول بتقديم عثمان على عليّ في الفضل تبين أن هذه المسألة مجمع عليها بين أهل السنة والجماعة ولا عبرة بعد ذلك بأي قول يخالف هذا المعتقد الصحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وسائر أئمة السنة على تقديم عثمان وهو مذهب جماهير أهل الحديث وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار، وأمَّا ما يحكى عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر، أو تقديم طلحة أو نحو ذلك فذلك في أمور مخصوصة لا تقديمًا عامًا وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي".

وقد وردت أحاديث كثيرة في السنة تضمنت ذكر فضائله رضي الله عنه وبعضها دل على أنه أفضل الخلق بعد الشيخين رضي الله عنهما ومن تلك الأحاديث:

- ما رواه الإمام البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم".

هذا الحديث دل على أن عثمان رضي الله عنه أفضل الناس بعد أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "وقد اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر هذا لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان ومن تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها وغير ذلك فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهورًا بينًا فيجزمون به ولم يكونوا حينئذ اطلعوا على التنصيص ويؤيده ما رواه البزار عن ابن مسعود قال كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب: رجاله موثقون: وهو محمول على أن ذلك قاله ابن مسعود بعد قتل عمر وقد حمل أحمد حديث ابن عمر على ما يتعلق بالترتيب في التفضيل واحتج في التربيع بعلي بحديث سفينة مرفوعًا الخلافة ثلاثون سنة ثم تصير ملكًا. "أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره وقال الكرماني: لا حجة في قوله: كنا نترك لأن الأصوليين اختلفوا في صيغة كنا نفعل لا في صيغة كنا لا نفعل لتصور تقرير الرسول في الأول دون الثاني وعلى تقدير أن يكون حجة فما هو من العمليات حتى يكفي فيه الظن ولو سلمنا فقد عارضه ما هو أقوى منه، ثم قال: ويحتمل أن يكون ابن عمر أراد أن ذلك كان في بعض أزمنة النبي ﷺ فلا يمنع ذلك أن يظهر بعد ذلك لهم ... والله أعلم".

- وروى الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ دخل حائطًا وأمرني بحفظ باب الحائط فجاء رجل يستأذن فقال: "ائذن له وبشره بالجنة"، فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال: "ائذن له وبشره بالجنة" فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال: "ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه" فإذا عثمان بن عفان".

هذا الحديث تضمن فضيلة هؤلاء الثلاثة المذكورين وهم أبو بكر وعمر وعثمان

"وأنهم من أهل الجنة ـ كما تضمن ـ فضيلة لأبي موسى وفيه دلالة على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه، وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لإخبار بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى".

وروى البخاري بإسناده إلى أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم، وقال أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: "من حفر رومة فله الجنة" فحفرتها ألستم تعلمون أنه قال: "من جهز جيش العسرة فله الجنة" فجهزته قال: فصدقوه بما قال".

هذا الحديث تضمن منقبتين عظيمتين لذي النورين رضي الله عنه شراؤه رضي الله عنه بئر رومة وتجهيزه جيش العسرة الذي خرج لغزوة تبوك وقد أخبر الذي لا ينطق عن الهوى أن جزاءه على ذلك أن يكون من أصحاب الجنة، وهاتان المنقبتان من أعلا مناقبه رضي الله عنه.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى عن ابن بطال أنه قال عند هذا الحديث: هذا وهم من بعض رواته والمعروف أن عثمان اشتراها لا أنه حفرها قال الحافظ: هو المشهور في الروايات فقد أخرجه الترمذي من رواية زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق فقال فيه: "هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن" لكن لا يتعين الوهم فقد روى البغوي في "الصحابة" من طريق بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها: رومة وكان يبيع منها القربة بمد.

فقال له النبي ﷺ: "تبيعنيها بعين في الجنة" فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له قال: "نعم" قال: قد جعلتها للمسلمين "وإن كانت أولا عينًا فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئرًا ولعل العين كانت تجري إلى

بئر فوسعها وطواها فنسب حفرها إليه".

- روى الترمذي رَحِمَهُ اللهُ بإسناده إلى ثمامة بن حزن القشيري قال: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي؟ قال: فجيء بهما كأنهما جملان، أو كأنهما حماران قال فأشرف عليهم عثمان فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال رسول الله ﷺ: "من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة" فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم، فقال: أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله؟ فقال رسول الله ﷺ: "من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة"؟ فاشتريتها من صلب مالي وأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم قال: أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله فقال: "اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان" قالوا: اللهم نعم، قال: الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ثلاثًا" ثم قال الترمذي رَحِمَهُ اللهُ عقب الحديث "هذا حديث حسن قد روي من غير وجه عن عثمان".

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى روايات توضح مقدار المال الذي اشترى به عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بئر رومة والبقعة التي زيدت في توسعة المسجد أما بالنسبة لمقدار المال الذي اشترى به بئر رومة فقد أورد رواية أنه اشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم وهي من رواية بشير الأسلمي التي أخرجها البغوي في كتابه "الصحابة"

وأنها كانت لرجل من بني غفار وقد تقدم ذكرها قريبًا.

وأما مقدار المال الذي اشترى به البقعة التي زيدت في المسجد فقال: "وزاد النسائي من رواية الأحنف بن قيس عن عثمان أنه اشتراها بعشرين ألفًا أو بخمسة وعشرين ألفًا".

- روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن حباب السلمي قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: "ما على عثمان ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه".

- وروى الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الرحمن بن سمرة قال: "جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز ﷺ جيش العسرة قال فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: "ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم" يرددها مرارًا".

قال العلامة ابن القيم ذاكرًا صفة خروج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك: "ثم إن رسول الله ﷺ جد في سفره وأمر الناس بالجهاز وحض أهل الغنى على النفقة والحملات في سبيل الله فحمل رجال واحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، كانت ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدتها، وألف دينار عينًا".

فشهادة النبي ﷺ له بالجنة في شرائه بئر رومة وتحبيسها على المسلمين غنيهم وفقيرهم، وزيادته في المسجد، وتجهيزه جيش العسرة مع قوله ﷺ "ما ضر عثمان ما

عمل بعد اليوم" وهذا كقوله ﷺ: "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" كل هذه الخصال المذكورة من أعظم مناقبه رضي الله عنه وقد ذكرها يوم كان محصورًا في داره من قبل الزائغين الذين خرجوا عليه بغية الفساد في الأرض وصدقه بها كبار الصحابة وفضلاؤهم الذين سمعوها من النبي ﷺ مثل سعد بن أبي وقاص وعلي والزبير وطلحة رضي الله عنهم أجمعين.

- وروى الإمام مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه ـ قال محمد ـ ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث فلما خرج قالت: عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة".

هذا الحديث تضمن فضيلة ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وبيان أنه جليل القدر حتى عند الملائكة. كما دل الحديث أيضًا: على أن الحياء صفة حميدة، من صفات الملائكة.

- وروى مسلم أيضًا: بإسناده إلى يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: "اجمعي عليك ثيابك" فقضيت إليه حاجتي ثم انصرف فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان قال رسول الله ﷺ: "إن عثمان رجل

حيي وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي في حاجته".

وهذا الحديث كالذي قبله فيه بيان مكانة عثمان عند النبي ﷺ وثناؤه عليه بأنه حيي وأنه عليه الصلاة والسلام اهتم بدخوله عليه واحتفل به وبين لعائشة رضي الله عنها العلة في ذلك.

- وروى البخاري بإسناده إلى عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا: ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه؟ فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة قلت إن لي إليك حاجة وهي نصيحة لك. قال: يا أيها المرء منك قال معمر: أراه قال: أعوذ بالله منك فانصرفت فرجعت إليهما إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله ـ سبحانه ـ بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ فهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه وقد أكثر الناس في شأن الوليد قال: أدركت رسول الله ﷺ؟ فقلت: لا ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها قال: أما بعد فإن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين ـ كما قلت ـ وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله، ثم استخلفت أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله ثم دعا عليًا فأمره أن يجلده فجلده ثمانين".

هذا الحديث اشتمل على مناقب ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وهي أنه كان ممن استجاب لله والرسول وآمن بما جاء به الرسول ﷺ حق الإيمان، وهاجر الهجرتين وصحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته ومات عليه الصلاة والسلام وهو عنه راض، ثم أبو

بكر مثله، ثم عمر كذلك وتوفيا رضي الله عنهما وهما عنه راضيان، ولما طلب منه إقامة الحد على أخيه الوليد فما أن ثبت لديه ما يوجب ذلك إلا وأمر عليًا بإقامة الحد عليه وهذا فيه دلالة على مراعاته للحق والأخذ به عند ظهوره وفي هذا منقبة من مناقبه رضي الله عنه.

- روى الإمام أحمد بإسناده إلى سلمة بن عبد الرحمن قال: أشرف عثمان رضي الله عنه من القصر وهو محصور فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال: "اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد" وأنا معه فانتشد له رجال قال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة قال: "هذه يدي وهذه يد عثمان رضي الله عنه" فبايع لي فانتشد له رجال".

هذا الحديث تضمن منقبتين عظيمتين لذي النورين رضي الله عنه:

الأولى: إخبار الرسول ﷺ بأنه سيموت شهيدًا وقد كان ذلك فإنه رضي الله عنه قتل شهيدًا على أيدي الخارجين عليه ظلمًا وعدوانًا.

الثانية: أن الرسول ﷺ بايع عنه بيده الشريفة بيعة الرضوان حيث إنه كان مبعوثًا من قبل الرسول ﷺ لإبلاغ أهل مكة أنه عليه الصلاة والسلام جاء معتمرًا لا محاربًا، وهاتان المنقبتان دلتا على علو مكانته وعظيم فضله رضي الله عنه وأرضاه.

- ومن مناقبه رضي الله عنه إجماع الصحابة على خيريته رضي الله عنه وأفضليته بعد الشيخين فإنه لما بويع لم يبق في الشورى إلا هو وعلي والحكم عبد الرحمن بن عوف وبقي عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام بلياليها يشاور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ويشاور أمهات المؤمنين، ويشاور أمراء الأمصار فإنهم كانوا بالمدينة حجوا مع عمر وشهدوا موته حتى قال عبد الرحمن: إن لي ثلاثًا ما اغتمضت بنوم وبعد هذا كله وبعد أخذ المواثيق منهما على أن يبايع من بايعه أعلن النتيجة بعد هذا الاستفتاء

وهي قوله: إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان فبايعه علي وعبد الرحمن وسائر المسلمين بيعة رضى واختيار".

فدل هذا الإجماع على أنه أفضل الخلق بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا إجماع منهم على تقديمهم لعثمان على عليّ ولما سأل رجل عبد الله بن المبارك أيهما أفضل عليّ أو عثمان قال: "قد كفانا ذاك عبد الرحمن بن عوف" وقال عبد الله بن مسعود: "أمرنا خير من بقي ولم نأل" ولهذا قال أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني: "من قدم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار" وقد بين معنى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "لو لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا إما جاهلين بفضله وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم".

- ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على مصحف واحد وكتب المصحف على العرضة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسى وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره وربما خطأ الآخر أو كفره فأدى ذلك إلى اختلاف شديد، وانتشار في الكلام السيئ بين الناس فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك ورأى أن يكتب

المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف.

فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب، وأن يملي عليه سعد بن العاص الأموي بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفًا، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفًا وإلى الكوفة بآخر وأرسل إلى مكة مصحفًا وإلى اليمن مثله وأقر بالمدينة مصحفًا ويقال لهذه المصاحف الأئمة".

وبهذا العمل الجليل يعتبر عثمان رضي الله عنه من عباد الله الصالحين الذين أيد الله بهم دينه وحفظ بهم كتابه رضي الله عنه وأرضاه.

- ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيكون مستمرًا على الهدى المستقيم عند حلول الفتنة، وهذه منقبة عظيمة له رضي الله عنه.

فقد روى الحاكم بإسناده إلى مرة بن كعب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة فقربها فمر به رجل مقنع في ثوب فقال: "هذا يومئذ على الهدى" فقمت إليه فإذا هو عثمان رضي الله عنه فأقبلت بوجهه فقلت: هو هذا قال: "نعم".

- ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة بالالتفاف حوله عند نزول الفتنة والاختلاف وفي هذا تنبيه إلى أن عثمان رضي الله عنه ممن أسعدهم الله ووفقهم لسلوك طريقه المستقيم. فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنها ستكون فتنة واختلاف، أو اختلاف وفتنة" قال:

قلنا يا رسول الله فما تأمرنا قال: "عليكم بالأمير وأصحابه" وأشار إلى عثمان".

- ومن مناقبه الرفيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفاؤه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بما عهد إليه النبي ﷺ وإصباره نفسه على طاعة رسول الله ﷺ وذلك أنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما جاءه الخوارج الذين خرجوا عليه من الأمصار وجاءوا إلى المدينة وحصروه في داره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فوق أربعين يومًا وكان عددهم كما قال ابن العربي: أربعة آلاف وكلهم يريد قتله وكان عدد الذين لا يريدون قتله أربعين ألفًا" وكان باستطاعته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يأمر بالدفاع عنه وقد عرض عليه كثير من فضلاء الصحابة أن يأذن لهم في قتال هؤلاء المارقين وطردهم عنه ولكنه أبى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خشية من أن يسفك دم بسببه، وناشد من كان معه في داره من الصحابة أن يخرجوا عنه ولما خرجوا تسلق عليه أولئك الأخلاط الظلمة داره وأحرقوا الباب ودخلوا عليه وقتلوه ورضي أن يكون عبد الله المقتول لا عبد الله القاتل وفاءا بعهد النبي ﷺ إليه.

فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: "ادعوا لي أو ليت عندي رجلًا من أصحابي " قالت: قلت: أبو بكر قال: "لا" قلت: عمر قال: "لا" قلت: ابن عمك عليّ قال: "لا" قلت: فعثمان قال: "نعم" قالت: فجاء عثمان فقال: "قومي" قال: فجعل النبي ﷺ يسر إلى عثمان ولون عثمان يتغير قال: فلما كان يوم الدار قلنا ألا نقاتل قال: لا إن رسول الله ﷺ عهد إليّ أمرًا فأنا صابر نفسي عليه".

تلك طائفة من الأحاديث والآثار التي دلت على فضل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفي بعضها دلالة على تقديمه بعد الشيخين وهذا معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وهي العقيدة التي ينبغي أن تحل في قلب المسلم الذي رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا.

(باب فضائل أبي السبطين علي رضي الله عنه)

أجمع أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه والأثر أن أبا السبطين أفضل الخلق بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين واسمه رضي الله عنه عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ويكنى بأبي تراب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ويقال إنها أول هاشمية ولدت هاشميًا وقد أسلمت وهاجرت.

وعليّ رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض وكان رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين المأمور بالاقتداء بهم، وكان ممن سبق إلى الإسلام لم يتلعثم، وتربى في حجر النبي ﷺ وزوجه ابنته فاطمة رضي الله عنها، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا والحديبية وسائر المشاهد غير تبوك لأن النبي ﷺ خلفه فيها على المدينة وأبلى ببدر وأحد وبالخندق وبخيبر بلاءًا عظيمًا، وأغنى في تلك المشاهد وقام فيها المقام الكريم وكان لواء النبي ﷺ بيده في مواطن كثيرة، وجاهد في الله حق جهاده ونهض بأعباء العلم والعمل والفتيا رضي الله عنه وأرضاه. وكان رضي الله عنه من جملة من غسل النبي ﷺ وكفنه وولي دفنه".

ولقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة التي دلت على فضله رضي الله عنه ومنها:

- ما رواه الشيخان من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية رجلًا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" قال: فبات الناس يدكون ليلتهم أيهم يعطاها قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول

الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: "أين علي بن أبي طالب" فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم".

وفي رواية أخرى عند مسلم من حديث أبي هريرة: "... قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها قال فدعا رسول الله ﷺ عليًا بن أبي طالب فأعطاه إياها".

هذا الحديث تضمن منقبة ظاهرة لأمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه وهي قوله: "يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" ومعنى أن عليًا يحب الله ورسوله أراد بذلك وجود حقيقة المحبة وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة وفي هذا الحديث تلميح بقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ} فكأنه أشار إلى أن عليًا تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة محبة الله له".

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: قوله: يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله: "فيه فضيلة عظيمة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأن النبي ﷺ شهد له بذلك".

ومعنى قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فتساورت لها" معناه تطاولت لها أي: حرصت عليها وأظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني. وقوله: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فما أحببت الإمارة إلا يومئذ" إنما كانت محبته لها لما دلت عليه هذه الإمارة من محبته لله ورسوله ﷺ ومحبتهما له والفتح على يديه.

- وروى الشيخان من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ لعلي: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" قال سعيد بن المسيب: فأحببت أن أشافه بها سعدًا فلقيت سعدًا فحدثته بما حدثني عامر فقال: أنا سمعته فقلت: أنت سمعته؟ فوضع أصبعه على أذنيه فقال: نعم وإلا فاستكتا.

وهذا الحديث فيه فضيلة عظمى لعل رضي الله عنه تضمنها قوله ﷺ: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" حيث بين عليه الصلاة والسلام منزلة علي منه ومكانته العظيمة عنده عليه الصلاة والسلام.

ونقل الإمام النووي عن القاضي عياض أنه قال: "هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقًا لعلي وأنه وصى له بها قال: ثم اختلف هؤلاء فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره وزاد بعضهم فكفر عليًا لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم وهؤلاء أسخف مذهبًا وأفسد عقلًا من أن يرد قولهم أو يناظر وقال: ولا شك في كفر من قال هذا لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون: هم مخطئون في تقديم غيره لا كفار وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة لجواز تقديم المفضول عندهم وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى بل توفي في حياة موسى وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب

لميقات ربه للمناجاة والله أعلم.

- وروى الشيخان من حديث سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليًا في البيت فقال: "أين ابن عمك؟ " قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي فقال رسول الله ﷺ لإنسان: "انظر أين هو؟ " فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: "قم أبا تراب قم أبا تراب".

في هذا الحديث منقبة ظاهرة لأمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبيان علو منزلته عند النبي ﷺ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام مشى إلى عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودخل المسجد ومسح التراب عن ظهره واسترضاه تلطفًا به لأنه كان وقع بينه وبين فاطمة شيء فخرج إلى المسجد واضطجع فيه وكناه النبي ﷺ بأبي تراب وكانت هذه التسمية أحب شيء إليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- ومن مناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ جعل محبته من علامة الإيمان وجعل بغضه علامة للنفاق. فقد روى مسلم بإسناده إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق" ففي هذا منقبة ظاهرة لأبي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "وهذا جارٍ باطراد في أعيان الصحابة لتحقق مشترك الإكرام لما لهم من حسن الغناء في الدين قال القرطبي في المفهم: وأما الحروب الواقعة بينه فإن وقع من بعضهم بغض لبعض فذاك من غير هذه الجهة، بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفة ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد والله أعلم".

- وروى الإمام البخاري بإسناده إلى عليّ ﵁ أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحا فأتى النبي ﷺ سبي فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال: على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال: "ألا أعلمكما خيرًا مما سألتماني إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعًا وثلاثين وتسبحا ثلاثًا وثلاثين وتحمدا ثلاثًا وثلاثين فهو خير لكما من خادم".

فهذا الحديث تضمن منقبة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وتلك المنقبة هي دخول النبي ﷺ بينه وبين فاطمة ﵂ في فراشهما وأمره لعلي بلزوم مكانه بعد أن هم بالقيام وهذا يدل على أن لأبي الحسن ﵁ منزلة عظيمة عند المصطفى ﷺ.

- وروى أيضًا: بإسناده إلى سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر عن محاسن عمله قال: لعل ذاك يسوءك قال: نعم قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله قال هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ ثم قال لعل ذاك يسوءك قال: أجل قال: فأرغم الله بأنفك قال: انطلق فاجهد عليّ جهدك".

وهذا الأثر عن ابن عمر تضمن فضل عليّ ﵁ حيث مدحه بأوصافه الحميدة التي دلت على مكانته وفضله ﵁ وأرضاه.

- وروى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال لعلي: "أنت مني وأنا منك".

ففي قول النبي ﷺ هذا فضيلة عظيمة لعلي ﵁.

- وروى الإمام مسلم بإسناده إلى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثًا قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر

النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي" وسمعته يقول يوم خيبر: "لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" قال: فتطاولنا لها فقال: "ادعوا لي عليًا" فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ} دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: "اللهم هؤلاء أهلي".

هذا الحديث تضمن مناقب ظاهرة وفضائل عالية لأبي السبطين علي رضي الله عنه وأرضاه.

وقال النووي رحمه الله تعالى: قوله: "إن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص ما منعك أن تسب أبا تراب" قال العلماء: الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها قالوا: ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعدًا بسبه وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول هل امتنعت تورعًا أو خوفًا، أو غير ذلك فإن كان تورعًا وإجلالًا له فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعدًا قد كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم وعجز عن الإنكار وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال قالوا: ويحتمل تأويلا آخر معناه ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ".

- ومن مناقبه الدالة على فضله دعاء النبي ﷺ له بتثبيت لسانه وهداية صدره للحق حتى كان مدة حياته لم يشك في قضاء بعد ذلك. فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: فقلت: يا رسول الله

إني رجل شاب وأنه يرد علي من القضاء ما لا علم لي به قال فوضع يده على صدري وقال: "اللهم ثبت لسانه واهد قلبه" فما شككت في القضاء أو في قضاء بعد.

– ومن مناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهادة الرسول ﷺ له بالخشونة في ذات الله وفي سبيل الله. فقد روى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شكى علي بن أبي طالب الناس إلى رسول الله ﷺ فقام فينا خطيبًا فسمعته يقول: "أيها الناس لا تشكوا عليًا فوالله إنه لأخشن في ذات الله وفي سبيل الله".

– ومن مناقبه العظيمة شهادة الرسول ﷺ له بالجنة. فقد روى الحاكم بإسناده إلى جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مشيت مع النبي ﷺ إلى امرأة فذبحت لنا شاة فقال رسول الله ﷺ: "ليدخلن رجل من أهل الجنة فدخل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم قال: "ليدخلن رجل من أهل الجنة فدخل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم قال: "ليدخلن رجل من أهل الجنة" فدخل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم قال: "ليدخلن رجل من أهل الجنة اللهم إن شئت فاجعله عليًا" قال: فدخل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

– ومن مناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ بين أن ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب وولديها الحسن والحسين أنهم يكونون معه ﷺ يوم القيامة في مكان واحد فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ دخل على فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال "إني وإياك وهذا النائم ـ يعني عليًا ـ وهما ـ يعني الحسن والحسين ـ لفي مكان واحد يوم القيامة".

ففي هذا بيان منقبة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وقد كثر الثناء عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من صحابة رسول الله ﷺ ومن التابعين لهم بإحسان بما وجد فيه من الخصال الحميدة وبما حصل له من المناقب الرفيعة التي استحق أن يكون بها من خير البشر. فقد شهد له الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن المصطفى ﷺ التحق بالرفيق

الأعلى وهو عنه راض كما شهد له بحل المعضلات.

- فقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما قيل له: أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر ـ أو الرهط ـ الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: فسمى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن. فقد أخبر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن أبا الحسن كان في مقدمة من مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

- وروى أبو عمر بن عبد البر بإسناده إلى سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن.

- روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أقرؤنا أبي وأقضانا علي".

فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهد لأبي الحسن بحل المشكلات وبالبراعة في القضاء وإتقانه.

- وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: "كان ابن عباس يقول: إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به".

- وروى ابن أبي شيبة في كتابه "المصنف" بإسناده إلى عطية بن سعد قال: دخلنا على جابر بن عبد الله وهو شيخ كبير وقد سقط حاجباه على عينيه فقلت: أخبرنا عن علي بن أبي طالب قال: فرفع حاجبيه بيديه ثم قال: "ذاك من خير البشر".

وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى جرى بن كليب العامري قال: لما سار علي إلى صفين كرهت القتال فأتيت المدينة فدخلت على ميمونة بنت الحارث فقالت: ممن أنت قلت: من أهل الكوفة قالت: من أيهم قلت: من بني عامر قالت: رحبًا على رحب وقربًا على قرب تجيء ما جاء بك قال: قلت: سار علي إلى صفين وكرهت القتال فجئنا إلى هاهنا قالت: أكنت بايعته؟ قلت: نعم قالت: فارجع إليه

فكن معه فوالله ما ضل ولا ضل به".

فهذا ثناء من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها على أبي السبطين رضي الله عنه من أنه سالك طريق الحق ولن يحيد عنه إلى الضلال بحال وهذه منقبة وفضيلة له رضي الله عنه.

- وروى ابن أبي شيبة في كتابه "المصنف" بإسناده إلى أبي هارون قال: كنت مع ابن عمر جالسًا إذ جاءنا نافع بن الأزرق فقام على رأسه فقال: والله إني لأبغض عليًا قال: فرفع إليه ابن عمر رأسه فقال: أبغضك الله تبغض رجلا سابقة من سوابقه خير من الدنيا وما فيها".

ولقد شهد له معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالعلم والفضل والسبق والخيرية، وأقر له بفضائله ومناقبه كلها.

- قال ابن كثير: وقال جرير: عن مغيرة قال: لما جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاختة بنت قرظة في يوم صائف جلس وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون وجعل يبكي فقالت: له فاختة أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه فقال: ويحك إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره".

- قال ابن عبد البر: "وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام فقال له: دعني عنك".

هذا موقف معاوية بن أبي سفيان من أبي السبطين علي رضي الله عنه فإنه بكى عليه عندما بلغه نبأ قتله وأثنى عليه بصفاته الحميدة من الحلم والعلم والفضل والسابقة والخيرية، واعترف له بمناقبه كلها ولم يمنعه من ذلك ما حصل بينهما من الحروب ولم يجد الغل محلا في قلب معاوية لأبي الحسن رضي الله عنهما فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزع

الله من قلوبهم الغل، فكانوا إخوانًا متحابين ومهما حصل بينهم من خلاف فإن ذلك لم يؤد بهم إلى إنكار فضائل بعضهم بعضًا فهل يدكر بهذا من جاء بعدهم من الرافضة الذين يقدحون فيهم ولا حامل لهم على ذلك إلا بغضهم وغلهم المقيت ومعاداتهم الخبيثة للسابقين الأولين الخيرة البررة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين وأخزى من في قلبه غل عليهم إلى يوم الدين.

- سئل الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كان علي والله سهمًا صائبًا من مرامي الله على عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا بالملومة في دين الله ولا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ذلك علي بن أبي طالب يا لكع.

تلك طائفة من الأحاديث والآثار التي تضمنت فضل رابع الخلفاء الراشدين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفضائله رضي الله عنه كثيرة جدًا وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه".

وكل ما تقدم ذكره من فضائله رضي الله عنه كلها فيها الرد على النواصب الذين يتبرئون منه ولا يتولونه كما تتضمن الرد على الخوارج الذين كفروه وكلتا الفرقتين ضالتان في اعتقادهما فيه رضي الله عنه وأرضاه وقد ولد له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها.

والذي أخلص إليه في هذا الفصل أن عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة أنهم يرتبون الخلفاء الأربعة في الفضل فيعتقدون أن أفضل الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين.

قال أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى في صدد عرضه الأقوال في أفضلية

الأربعة الخلفاء فقال: "ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وذلك قول أهل الجماعة والأثر من رواة الحديث وجمهور الأمة".

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: "وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة ـ أهل بيعة الرضوان ـ ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم ".

(باب تقديم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي)

مسائل في الباب:

المسألة الأولى: التفاضل بين الصحابة

لقد دلت أدلة الشرع من نصوص الكتاب والسنة على وقوع التفاضل بين الصحابة رضوان الله عليهم.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) [الحديد: ١٠]. ففي الآية تفضيل طائفة من الصحابة وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا على طائفة من الصحابة وهم الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا مع إثبات الفضل للجميع والتنبيه على أن تفضيل بعضهم على بعض لا يفضي إلى تنقيص المفضول إذ وكلا وعد الله الحسنى.

وقال تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) [التوبة: ١٠٠]. ففي الآية الثناء على الصحابة أجمعين مع تخصيص السابقين الأولين بالذكر، وهذا التخصيص ثم التعميم دليل على تفضيل

المخصصين بالذكر على العموم.

وقال سبحانه وتعالى: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) [الأحزاب: ٣٢]. قال ابن عباس: (يريد: ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم). ففي الآية دلالة على تفضيل نساء النبي ﷺ من الصحابيات على سائرهن.

ومن السنة: ما اتفق عليه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه).

وجاء في رواية لمسلم بيان سبب ورود الحديث: أنه كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد، فقال النبي ﷺ ذلك. وفيه دليل على تفضيل بعض الصحابة على بعض إذ فيه تفضيل عبد الرحمن وطبقته ممن أسلم قبل الفتح وقاتل على خالد وطبقته ممن أسلم بعد الحديبية وقاتل.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان). وفي رواية: (كنا نقول ورسول الله حي: أفضل أمة النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان). زاد في رواية: (فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره) فهذا إقرار رسول الله ﷺ التفاضل بين الصحابة، وفيه تفضيل آحاد بأعيانهم على من سواهم، وتفضيل واحد بعينه على صاحبه وهو تفضيل أبي بكر على عمر وعمر على عثمان، وقد قال ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٩): (فضل رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه بفضائل خص كل واحد منهم بفضيلة وسمه بها وذكره فيها) قال: (ولم يأت عنه عليه الصلاة والسلام أنه فضل منهم واحدا على صاحبه بعينه من وجه يصح) قلت: لعله يريد أنه لم يصح ذلك عنه ﷺ من قوله لا من إقراره وإلا

فحديث ابن عمر صحيح، ثم قال ابن عبد البر: (ولكنه ذكر من فضائلهم ما يستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل والدين والعلم، وكان ﷺ أحلم وأكرم معاشرة، وأعلم بمحاسن الأخلاق من أن يواجه فاضلا منهم بأن غيره أفضل منه فيجد من ذلك في نفسه، بل فضل السابقين منهم وأهل الاختصاص به على من لم ينل منازلهم فقال لهم: (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)، وهو من معنى قول الله تعالى: وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير، ومحال أن يستوي من قاتله ﷺ مع من قاتل عنه، وقال رسول الله ﷺ لبعض من لم يشهد بدر وقد رآه يمشي بين يدي أبي بكر: (تمشي بين يدي من هو خير منك)[1] وهذا لأنه كان أعلمنا ذلك في

---

(١) يقصد ابن عبد البر حديث أبي الدرداء قال (رآني رسول الله ﷺ وأنا أمشي بين يدي أبي بكر قال لم تمشي أمام من هو خير منك إن أبا بكر خير من طلعت عليه الشمس وغربت) والحديث أخرجه عبد بن حميد (٢١٢)، وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ١٥٢، رقم ١٣٥)، وابن حبان في المجروحين (١/ ١٢٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٧٦، رقم ١٢٢٤)، وبحشل في تاريخ واسط (١/ ٢٤٨)، والقطيعي في زوائده على فضائل الصحابة (١٣٥، ٥٠٨)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٧/ ١٣٥٨ رقم ٢٤٣٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٣٨)، والديلمي في مسند الفردوس (٥/ ٣٥١، رقم ٨٤٠١)، وابن بشران في الآمالي (ص٢٥٥، رقم ٥٨٩)، وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة (ص٨٤، رقم ٨٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٢٧، رقم ١٦٩١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٠٨، ٢٠٩) والحديث قال عنه الإمام أبو حاتم الرازي كما في العلل لابنه (٢/ ٣٨٣): هذا حديث موضوع، سمع بقية هذا الحديث من هشام الرازي، عن محمد بن الفضل، عن ابن جريج، فترك الاثنين من الوسط. قال ابن ابي حاتم قال أبي: ومحمد بن الفضل بن عطية متروك الحديث، وانظر علل الدارقطني (١٣/ ٣٨٠).

الجملة لمن شهد بدرا والحديبية، ولكل طبقة منهم منزلة معروفة وحال موصوفة.اهـ.

قلت: ثبوت تفضيل طائفة موصوفة من الصحابة على طائفة بالكتاب والسنة دليل قوي للقطع بتفضيل واحد بعينه من الطائفة الفاضلة على واحد بعينه من الطائفة المفضولة، وحديث أبي سعيد دليل لصحة هذا المأخذ، فإن سبب وروده نزاع بين واحد بعينه من طائفة فاضلة وهو عبد الرحمن بن عوف ممن أسلم قبل الفتح وقاتل، وآخر بعينه من طائفة مفضولة وهو خالد بن الوليد ممن أسلم متأخرا وقاتل، فقال ﷺ ما قال مما يدل على تفضيله عبد الرحمن على خالد، والله أعلم. وهذا الحديث وإن لم يذكر فيه النبي ﷺ الصحابيين باسميهما إلا أنه كالتنصيص منه ﷺ بتفضيل واحد بعينه على صاحبه، لدلالة سبب الورود على ذلك ولكنه ﷺ - كما قال ابن عبد البر - أكرم وأحلم وأتم خلقا وأحسن معاشرة من أن يسمي الفاضل والمفضول تسمية صريحة في مثل هذه الحال، والله أعلم.

وهنا مسألة: وهي: التفاضل ثابت بين الصحابة رضوان الله عليهم

فهل نفاضل بينهم؟ روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم) ففي هذا اللفظ حصر المفاضلة في الثلاثة دون غيرهم، ولكن قد ثبت بالكتاب والسنة تفضيل بعض الصحابة على بعض ولابد من تفضيل من فضله الله واعتقاد ذلك، ولذا قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٨): قد اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر هذا لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان، ومن تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها وغير ذلك فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل

فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهورا بينا فيجزمون به ولم يكونوا حينئذ اطلعوا على التنصيص.اهـ.

فمذهب أهل السنة والجماعة تفضيل الصحابة بعضهم على بعض بمقتضى دلالات النصوص، إجمالا فيما أجملته، وتفصيلا فيما فصلته.

(فرع): أوجه التفاضل بين الصحابة

جماع هذه الأوجه هو ما سلف من كل واحد منهم من أعمال البر والطاعات التي تتفاضل منزلتها عند الله.

فمن أوجه التفاضل بينهم: السبق إلى الإسلام فالسابق إلى الإسلام أفضل من المسبوق، أفاده قوله سبحانه: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه [التوبة: ١٠٠].

ومن أوجه التفاضل بينهم: الإنفاق والجهاد قبل الفتح فمن أنفق من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، أفادته آية (سورة الحديد).

ومن أوجه التفاضل بينهم: شهود بدر كما أفاده قول النبي ﷺ: (لعل الله أن يكون اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[1].

ومن أوجه التفاضل بينهم: شهادة رسول الله ﷺ بالجنة فمن شهد له بها أفضل.

ومن أوجه التفاضل شهود بيعة الرضوان فمن شهدها أفضل.

ومن أوجه التفاضل بينهم تخصيص الرسول ﷺ أحدهم بمنقبة.

وغير ذلك من وجوه التفاضل بينهم رضوان الله عليهم، وكون المفضول قد يختص بفضيلة لا توجد في الفاضل إلا أن ذلك لا يقتضي تفضيله بها مطلقا، فعثمان

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بن عفان رضي الله عنه لم يحضر بدرا[1]، ولكنه أفضل بعد أبي بكر وعمر من جميع الصحابة من حضر بدرا ومن لم يحضر انظر كتاب مباحث المفاضلة في العقيدة.

المسألة الثانية: تفضيل الخلفاء الأربعة على غيرهم

أفضل أفراد الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم

وهو إجماع أهل السنة في أبي بكر وعمر، وقول جمهورهم في عثمان وعلي.

قال الإمام الشافعي فيما رواه عنه البيهقي بإسناده في الاعتقاد (ص١٩٢): "ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في عليّ وعثمان ونحن لا نخطئ واحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فيما فعلوا".اهـ.

وقال الحافظ في الفتح (٧/ ١٧): "ونقل البيهقي في الاعتقاد بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر ثم عثمان، ثم عليّ.اهـ.

---

(١) أخرج البخاري (٣٦٩٨) عن عثمان ابن موهب قال جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال من هؤلاء القوم فقالوا هؤلاء قريش قال فمن الشيخ فيهم قالوا عبد الله بن عمر قال يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد قال نعم قال تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد قال نعم قال تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال نعم قال الله أكبر قال ابن عمر تعال أبين لك أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان فقال له ابن عمر اذهب بها الآن معك).

وقال النووي في المنهاج (١٥/ ١٤٨): اتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر.اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الوصية الكبرى (ص٣٢): وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن علي بن أبي طالب أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر.اهـ.

وقال ابن حجر الهيثمي الصواعق المحرقة (ص٥٧): واعلم أن الذي أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الأمة أن أفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق ثم عمر رضي الله عنهما.اهـ.

وهؤلاء الأعلام الذين نقلوا هذا الإجماع إنما هو بناء على ما قاله أئمة أهل السنة والجماعة فقد قال الإمام أبو حنيفة كما في شرح "الفقه الأكبر" (ص١٠٨): ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله عنهم أجمعين".اهـ.

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٤٠٣) عن الإمام مالك بن أنس أنه قال: لما سأله الرشيد عن منزلة الشيخين من النبي ﷺ فقال: "منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد مماته - ثم قال - وكثرة الاختصاص والصحبة مع كمال المودة والائتلاف والمحبة والمشاركة في العلم يقضي بأنهما أحق من غيرهما وهذا ظاهر بين لمن له خبرة بأحوال القوم".اهـ.

وروى الإمام البيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤٣٣ - ٤٣٤) مسندًا إلى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: "أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم".

وقال أيضًا رحمه الله تعالى: "اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرًا من أبي بكر من أجل ذلك استعملوه على رقاب

الناس".اهـ.

وقال الإمام أحمد كما في طبقات الحنابلة (١/ ٣٠): "وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون".اهـ.

وقال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٨) مبينًا مذهب أهل السنة وعقيدتهم في السلف: "ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه لصحبة نبيه ﷺ ويأخذون بفضائلهم ويقدمون أبا بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليًا رضوان الله عليهم ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ.اهـ.

وقال ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد (ص٢٥): "وأفضل أمته ﷺ: أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم".اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في الباعث الحثيث (ص/ ١٨٣): "وأفضل الصحابة بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام أبو بكر عبد الله بن عثمان أبو قحافة التيمي، ثم من بعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين".اهـ.

وقال النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٤٨): واتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر، وقال جمهورهم: ثم عثمان، ثم علي.اهـ.

وقال القسطلاني المواهب (٧/ ٣٦، ٣٩): إن أفضلهم على الإطلاق عند أهل السنة إجماعا أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما، إلى أن قال: ثم اختلفوا فيمن بعدهما، فالجمهور على تقديم عثمان.اهـ.

وقال ابن الصلاح في مقدمته (ص: ١٤٩): أفضلهم على الإطلاق: أبو بكر ثم

عمر، ثم إن جمهور السلف على تقديم عثمان على علي - رضي الله عنهم أجمعين.اهـ.

وقال ابن تيمية في منهاج السنة (٤/ ٢٠٢): وأما جمهور الناس ففضلوا عثمان، وعليه استقر أمر أهل السنة، وهو مذهب أهل الحديث ومشايخ الزهد والتصوف وأئمة الفقهاء كالشافعي وأصحابه وأحمد وأصحابه وأبي حنيفة وأصحابه وإحدى الروايتين عن مالك وأصحابه، وذكر أن هذا هو مذهب جماهير أهل الكلام، ونقل عن أبي أيوب السختياني قوله: من لم يقدم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار قال: وهكذا قال أحمد والدارقطني وغيرهما.اهـ.

وهو مذهب المتقدمين من المعتزلة: كأبي عثمان عمرو بن عبيد، وأبي إسحاق النظام: إبراهيم بن يسار، وأبي عثمان الجاحظ، وغيرهم، كما ذكر ذلك القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة (ص: ٧٦٦ - ٧٦٧): إن المتقدمين من المعتزلة ذهبوا إلى أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.اهـ.

وأيدوا ما ذهبوا إليه: بأن إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار على الترتيب بينهم في الإمامة، دليل على الترتيب بينهم في الفضل، ومن خرج على ذلك يعتبر - كما يقول أبو أيوب السختياني - ممن أزرى بالمهاجرين والأنصار، قال القسطلاني في المواهب (٧/ ٣٩): إن هؤلاء الأربعة اختارهم الله لخلافة نبيه، وإقامة دينه، فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة.اهـ.

وقال ابن كثير في الباعث الحثيث (ص١٨٣): هذا -أي الترتيب بين الأربعة في الفضل كالترتيب بينهم في الخلافة - رأي المهاجرين والأنصار، حين جعل عمر الأمر من بعده شورى بين ستة، فانحصر في عثمان، وعلي، واجتهد فيهما عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام بلياليها حتى سأل النساء في خدورهن على علي، وولاه الأمر قبله، قال: ولهذا قال الدارقطني: من قدم عليا على عثمان فقد أزرى

بالمهاجرين والأنصار، وصدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأكرم مثواه، وجعل جنة الفردوس مأواه.اهـ.

وقد روي آثار مستفيضة عن علي رضي الله تعالى عنه نفسه ففي صحيح البخاري (٣٦٧١) عن محمد بن الحنفية أنه قال: (قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٢) وروي هذا عن علي بن أبي طالب من نحو ثمانين وجها، وأنه كان يقول على منبر الكوفة، بل قال: (لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري)، فمن فضله على أبي بكر وعمر جلد بمقتضى قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ثمانين سوطا.اهـ.

وفي هذا أكبر حجة على بطلان قول الرافضة بأنه لم يبايع إلا تقية وكان مكرها وإلا فهو أفضل منهما، ولو كان الأمر كذلك لما أعلنه على رؤوس الأشهاد على المنبر، ولما جلد من يقول ذلك حد الافتراء.

المسألة الثالثة: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما

أما المفاضلة بين عثمان وعلي فهذه دون تلك، وقد حصل فيها نزاع بين السلف قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٦): فإن سفيان الثوري وطائفة من أهل الكوفة رجحوا عليا على عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره، وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وغير هؤلاء من أئمة الإسلام.اهـ.

أما أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ فقد روي عنه (تقديم علي على عثمان)[1] وجاء في السير

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٤٨٦).

الكبير (١/ ١١١) لمحمد بن الحسن الشيباني: (روى نوح بن أبي مريم عن أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سألته عن مذهب أهل السنة فقال: أن تفضل أبا بكر وعمر، وتحب عليا وعثمان، وترى المسح على الخفين، ولا تكفر أحدا من أهل القبلة، وتؤمن بالقدر، ولا تنطق في الله بشيء) ثم قال الشارح: (ومن الناس من يقول: قبل الخلافة كان عليا مقدما على عثمان، وبعد الخلافة عثمان أفضل من علي) ثم اعتذر الشارح عن كلام الإمام السابق بقوله: (ولم يرد أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما ذكر تقديم علي على عثمان، ولكن مراده أن محبتهما من مذهب أهل السنة فالواو عنده لا توجب الترتيب.اهـ.

قلت: بل قد صرح في الفقه الأكبر (ص: ٤١) بتقديم عثمان على علي فقال: وأفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام أبو بكر، ثم عمر بن الخطاب الفاروق، ثم عثمان بن عفان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضي الله تعالى عنهم أجمعين.اهـ. وهو ظاهر المذهب قال السرخسي شرح السير الكبير (١/ ١١١): فأما المذهب عندنا أن عثمان أفضل من علي رضوان الله عليهما قبل الخلافة وبعدها.اهـ.

أدلة تفضيل عثمان على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أن الغالبية العظمى من أهل السنة والجماعة على تقديم عثمان على علي، ولم يخالف إلا القليل، ويدل على صحة ما ذهبوا إليه ما يلي:

ما تقدم من قول عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: (أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).

وكذلك في قصة بيعة عثمان الثابتة في صحيح البخاري (٣٧٠٠) أنه لما لم يبق في الشورى إلا عثمان، وعلي، والحكم عبد الرحمن بن عوف، وبقي عبد الرحمن بن

عوف ثلاثة أيام بلياليها يشاور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ويشاور أمهات المؤمنين، ويشاور أمراء الأمصار - فإنهم كانوا بالمدينة حجوا مع عمر وشهدوا موته - حتى قال عبد الرحمن: (إن لي ثلاثا ما اغتمضت بنوم) بعد هذا كله وبعد أخذ المواثيق منهما على أن يبايع من بايعه، أعلن النتيجة بعد هذا الاستفتاء وهي قوله: (إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان) فبايعه علي وعبد الرحمن وسائر المسلمين بيعة رضى واختيار فدل ذلك على تقديمه في الأفضلية عليه، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٨): (وهذا إجماع منهم على تقديم عثمان على علي).اهـ. ولما سأل رجل عبد الله بن المبارك كما في السنة للخلال (٢/ ٣٨٩) أيهما أفضل علي أو عثمان قال: (قد كفانا ذاك عبد الرحمن بن عوف)، وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما ولي عثمان الخلافة (أمرنا خير من بقي ولم نأل).

ولهذا قال أيوب وأحمد بن حنبل والدارقطني كما في مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٨): من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار) ويفسر ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٨)ذلك بأنه: (لو لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا إما جاهلين بفضله، وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني، ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم).اهـ.

(فرع): السلف وإن كان بعضهم يرى التوقف بعد ذكر عثمان

لا يقدمون على علي أحدا بعد الثلاثة، كما قال الإمام أحمد كما في منهاج السنة (٢/ ٢٠٨): (من لم يربع بعلي فهو أضل من حمار أهله) وإنما من قال بالتوقف في التفضيل عند عثمان يريد الاقتداء بحديث ابن عمر السابق، فيذكرون الثلاثة ثم يجملون بقية أصحاب الشورى كما هي رواية عن الإمام أحمد نفسه فقد ذكر عنه اللالكائي (١/ ١٥٩) قوله: (وخير الأمة بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن

الخطاب، ثم عثمان بن عفان. نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة: علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد كلهم يصلح للخلافة وكلهم إمام، ونذهب إلى حديث ابن عمر (كنا نعد ورسول الله ﷺ حي وأصحابه متوافرون أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان) وبنحوه تماما في نفس المصدر السابق: عن علي بن المديني.

وإن كان ورد عنه نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ روايات ينص فيها على التربيع بعلي منها الرواية السابقة: (من لم يربع بعلي فهو أضل من حمار أهله). ومنها رواية الإصطخري حيث قال فيها كما في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٣٠): (وخير الأمة بعد نبيها ﷺ: أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان، ووقف قوم على عثمان) ولذلك كانت خلاصة رأي الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفضيل - على ما يراه الخلال في السنة (٢/ ٤١٠)- هي من قوله: (من قال: أبو بكر وعمر وعثمان فقد أصاب. وهو الذي العمل عليه، ومن قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فصحيح أيضا جيد لا بأس به وبالله التوفيق).

قلت: لكنه ورد عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكذيبه لمن نسبه إلى التوقف عند عثمان فقال في رواية محمد بن عوف الحمصي كما في طبقات الحنابلة (١/ ٣١٣): (وخير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، فقلت له يا أبا عبد الله، فإنهم يقولون: إنك وقفت على عثمان؟ فقال: كذبوا والله علي، إنما حدثتهم بحديث ابن عمر - وذكر الحديث - ولم يقل النبي ﷺ: لا تخايروا بعد هؤلاء بين أحد، ليس لأحد في ذلك حجة، فمن وقف على عثمان ولم يربع بعلي فهو على غير السنة يا أبا جعفر).

فالحاصل أن من نص على التربيع على علي، ومن توقف عن التنصيص عند عثمان، كلهم لا يقدمون على علي بعد الثلاثة أحدا، ولا يلزم من عدم التنصيص عليه بعد عثمان أنهم يقدمون عليه أحدا، قال ابن تيمية في منهاج السنة (٢/ ٢٠٦): (فليس في أهل السنة من يقدم عليه -أي علي - أحدا غير الثلاثة، بل يفضلونه على جمهور أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، وعلى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وما في أهل السنة من يقول: إن طلحة والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف أفضل منه، بل غاية ما يقولون السكوت عن التفضيل بين أهل الشورى). وقد حكى الحافظ في الفتح) (٧/ ٣٤) الإجماع على أن ترتيب الخلفاء في الأفضلية كترتيبهم في الخلافة.اهـ.

لكن من قدم عليا على عثمان هل هو مبتدع أم لا؟ وعلى هذا السؤال يجيب الخلال في السنة (٢/ ٣٨٢).، فقد قال بعد ذكره لعدة روايات مسنده عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فيمن قدم عليا على عثمان قال: (فاستقر القول من أبي عبد الله أنه يكره هذا القول ولم يجزم في تبديعه، وإن قال قائل: هو مبتدع لم ينكر عليه وبالله التوفيق). انظر كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة.

(باب ذكر مباحث السمع والطاعة)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان)[1].

وعن زيد بن أبي عتاب قال: قام معاوية رضي الله عنه على المنبر فقال: قال النبي ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠١، ٧١٤٠)، ومسلم (١٨٢٠).

(الناس تبع لقريش في هذا الأمر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام)[١].

وعن وائل الحضرمي عن أبيه قال: سأل يزيد بن سلمة الجعفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله: أرأيت لو كانت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، فجذبه الأشعث بن قيس في الثالثة أو في الثانية، فقال رسول الله ﷺ: اسمعوا وأطيعوا، إنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قلنا: فما تأمر من أدرك منا ذاك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم)[٣].

وعن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: (من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه ليس من أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية)[٤].

وعن الحارث الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حدثه أن رسول الله ﷺ قال: (وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن؛ الجماعة والسمع والطاعة، والهجرة والجهاد في سبيل الله فمن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع الإسلام من رأسه إلا أن يرجع ومن ادعى دعوى جاهلية

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠١، رقم ١٦٩٧١)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٠٢، رقم ٣٢٣٨٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١١٢٩، ١٥٢٧)، والداني في السنن الواردة في الفتن (١/ ٤٤٤: ١٩٥) والحافظ في تغليق التعليق (٤/ ٤٨١) والحديث قال عنه الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٧١): رجاله ثقات، وصححه العلامة الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٥٢٠)، وفي الصحيحة تحت الحديث (١٠٠٧)، وقال الأرنؤوط ومن معه في تحقيق المسند (٢٨/ ١٢٦): إسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

فإنه من جثا جهنم فقال رجل وإن صام وصلى؟ قال: وإن صام وصلى؟ تداعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله)[(١)].

وعن سويد بن غفلة قال: أخذ عمر بيدي فقال: (يا أبا أمية إني لا أدري لعلنا لا نلتقي بعد يومنا هذا، اتق الله ربك إلى يوم تلقاه كأنك تراه وأطع الإمام وإن كان عبدا حبشيا مجدعا، إن ضربك فاصبر، وإن أهانك فاصبر، وإن أمرك بأمر ينقص دينك فقل طاعة مني دمي دون ديني، ولا تفارق الجماعة)[(٢)].

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، والطيالسي (١١٦١)، والبخاري في تاريخه (٢/ ٢٦٠)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ٣٥٩)، وأبو يعلى (١٥٧١)، والترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤)، والنسائي في الكبرى (١١٣٤٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٥١٠)، وابن خزيمة (٩٣٠)، وابن حبان (٦٢٣٣)، والحاكم (١/ ١١٧)، والبغوي في شرح السنة (٢٤٦٠)، وابن طهمان في مشيخته (٢٠٠)، وابن منده في الإيمان (رقم ٢١٢)، والآجري في الشريعة (ص٨)، وغيرهم والحديث قال عنه الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب قال محمد بن إسماعيل الحارث الأشعري له صحبة وله غير هذا الحديث، وألزم الإمام الدارقطني به مسلم كما في الإلزامات والتتبع (١٣٠)، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وحسنه البغوي في شرح السنة (٥/ ٣٠٤)، وصححه ابن العربي في العارضة (٦/ ٨)، وصححه المصنف، وحسنه ابن كثير في تفسيره (١/ ٨٧)، وصححه العراقي في المستخرج على المستدرك (٨٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤)، وقال الشيخ مقبل في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣/ ٤٥٠ - ٤٥٢): هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وصححه الأرنؤوط في تحقيق المسند، وصححه العدوي في صحيح تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٢).

(٢) صحيح، أخرجه من طرق ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٢٧٥)، والآجري في الشريعة (ص٣٦)، وابن زنجويه في الأموال (٣٠)، والداني في الفتن (١٤٣) قال الآجري في الشريعة: فان قال قائل: أين الذي يحتمل عندك قول عمر رضي الله عنه فيما قاله؟ قيل له: يحتمل - والله تعالى أعلم - أن نقول: من أمر عليك من عربي أو غيره، أسود أو أبيض أو أعجمي فأطعه فيما ليس لله عز وجل فيه معصية، وإن ظلمك حقًا لك، وإن ضربك ظلمًا =

وعن محمد بن المنكدر قال: (لما بويع ليزيد بن معاوية ذكر ذلك ابن عمر رضي الله عنهما فقال: إن كان خيرا رضينا وإن كان شرا صبرنا)[١].

* * *

=

لك، وانتهك عرضك، وأخذ مالك، فلا يحملك ذلك على أنه يخرج عليه سيفك حتى تقاتله، ولا تخرج مع خارجي حتى تقاتله، ولا تحرض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه.

(١) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣١٠٩٣)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٨٢)، وخليفة بن خياط في تاريخه (ص٥٣)، والداني في الفتن (١٤٥).

الفهرس

❊ ❊ ❊